لورين أوليفر
LAUREN OLIVER
موت
في عيد الحب
BEFORE I FALL
تُرجمت إلى 34 لغة وتحوّلت إلى فيلم سينمائي
رواية
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

إهداء

لذكرى العزيز سيمون إيميل نودسن، الثاني

بيتر:

شكراً لأنك منحتني بعضاً من أروع لحظات حياتي.

مشتاقة إليك.

تمهيد

يُقال إنه حين يوشك المرء على الموت تومض حياته بأكملها كشريط أمام عينيه، لكن ما حدث معي لم يكن كذلك.

لكني، وللأمانة، فلطالما اعتبرت مسألة اللحظة الأخيرة، وموضوع استعراض شريط الحياة أمراً مريعاً. فبعض الأمور من الأفضل لو أنها تبقى دفينة ومنسية، كما تقول أمي. سيسعدني مثلاً أن أنسى كل ما له صلة بالصف الخامس (مرحلة النظارات والحمالات الوردية)، وأسألكِ، هل هناك من يرغب في أن يعيش ثانية اليوم الأول في المدرسة المتوسطة؟ أضيفي إليه جميع الإجازات العائلية المملة، حصص الجبر عديمة الجدوى، التشنجات المصاحبة للدورة الشهرية، والقبلات السيئة التي بالكاد نجوت منها في المرة الأولى...

أما الحقيقة فهي أني لا أمانع في أن أعيش ثانية أروع لحظات حياتي: حين تعانقت وروب كوكران للمرة الأولى وسط ساحة الرقص عشية مباراة أصحاب الأرض، فرأى وعرف الجميع أننا نخرج معاً؛ وحين ثملنا أنا وليندزي وإيلودي وآلي وارتمينا على الثلج في أيار، تاركين آثار أجسامنا على الثلج في حديقة آلي؛ والحفلة التي أقمتها بمناسبة بلوغي السادسة عشرة، حين أشعلنا مائة من الشموع الموضوعة في الفناجين ورقصنا على الطاولة في الفناء الخلفي؛ وحين افتعلت أنا وليندزي مقلباً بكلارا سيوز عشية جميع القديسين، ومطاردة الشرطة لنا، وكم ضحكنا حتى كدنا نتقيأ. الأشياء التي أرغب بتذكرها؛ والأشياء التي أرغب أن يتذكرني بها الاخرون.

لكني قبيل موتي لم أفكر بروب، أو بأي شخص

آخر. لم أفكر بأي من الفظاعات التي ارتكبتها بحق أصدقائي. كما أني لم أفكر بعائلتي، أو بلون القشدة الذي كانت تصطبغ به جدران غرفتي مع خيوط الشمس الأولى، ولا بالرائحة التي كانت تنشرها أزهار الأزاليا خارج نافذتي في تموز، تلك الرائحة الشبيهة برائحة العسل الممزوج بالقرفة.

بدلاً من ذلك فكّرت بفيكي هولينان.

تحديداً، حين كنا في الصف الرابع وأعلنت ليندزي أمام جميع أعضاء حصة الألعاب أنها لا ترغب بضم فيكي إلى فريق كرة المراوغة. "إنها بدينة جداً"، قالتها ليندزي بكل بساطة. "يمكنك إصابتها وأنت معصوبة العينين". لم أكن حينها صديقة لليندزي بعد، لكنها حتى في ذلك الوقت كانت تقول الأمور بتلك الطريقة الهزلية، وقد ضحكت مع الجميع بينما اصطبغ وجه فيكي بلون أرجواني يشبه غيمة في سماء عاصفة.

ذلك ما تذكرته لحظة إشرافي على الموت، حين كان من المفترض بي أن أسترجع كامل ماضي: رائحة الورنيش وصرير أحذيتنا الرياضية على الأرضية الملمّعة؛ ضيق سراويلي القصيرة المصنوعة من البوليستير؛ الضحك الذي تردد صداه في المكان الفسيح الفارغ، كما لو أن هناك أكثر بكثير من خمس وعشرين شخصاً في صالة الألعاب. ووجه فيكي.

الغريب في الأمر أني لم يكن قد خطر في بالي مثل ذلك الأمر من قبل. لقد كانت واحدة من الذكريات التي لم أكن أدرك أني أذكرها، إن كنت تفهمين قصدي. لم تكن القصة أن فيكي تعرضت لصدمة أو شيئاً من هذا القبيل. إنها فقط واحدة من تلك الأمور التي يفعلها الأولاد. ليست قضية ذات

شأن. القصة ببساطة أن هناك دائماً شخصاً ساخراً وشخصاً آخر يتعرض للسخرية. يحصل ذلك كل يوم، في كل مدرسة، وفي أية بلدة في أميركا - وعلى الأرجح في كل العالم، على حد علمي. ولكي ينضج الشخص عليه ببساطة أن يتعلم كيف يكون مع الطرف الساخر.

في البداية يجب أن أوضح أن فيكي لم تكن بدينة جداً - كل ما هنالك بعض السمنة الطفولية في وجهها وبطنها - وكانت قد خسرتها قبل أن تصل إلى مرحلة الدراسة الثانوية وازداد طولها ثلاث إنشات. حتى أنها أصبحت صديقة لليندزي. كانتا تلعبان الهوكي سوية وتتبادلان التحية في الأروقة. ذات مرة، في السنة الأولى، تقيأت فيكي في حفلة - كنا جميعنا ثملات - وضحكنا وضحكنا، وأكثرنا فيكي التي صار لون وجهها قرمزياً كلونه في تلك السنوات المنصرمة في صالة الألعاب.

كان ذلك هو الأمر الأكثر غرابة.

والأكثر غرابة حتى منه هو أننا كنا بدأنا لتونا الكلام عنه - أقصد ماذا يشعر الإنسان مباشرة قبيل موته. لا أذكر بالضبط كيف طرحنا هذا الموضوع، أتذكر فقط تذمر إيلودي الدائم من احتلالي المقعد الأمامي ومن رفضي وضع حزام الأمان في سيارتها، وأنها ظلت تنحني إلى الأمام باتجاه المقعد الأمامي لاستعراض الأغاني على جهاز الآي بود الخاص بليندزي، مع أن اختيار الأغاني كان من اختصاصي أنا. كنت أحاول شرح نظريتي "أروع اللحظات" التي أتحدث فيها عن الموت وكانت كل واحدة منا تسمي أروع لحظة بالنسبة إليها. ليندزي اختارت حصولها على لقب دوقة، وهذا واضح، وآلي - التي كانت تتذمر من البرد، كالعادة، وتخشى الموت من

جراء الإصابة بذات الرئة - استغرقت بعض الوقت لتقول إنها تتمنى لو أنها تستطيع أن تنسى - وإلى الأبد أول لقاء لها بمات وايلد، وهذا لم يفاجئ أحداً. ليندزي وإيلودي كانتا تدخنان، وكان المطر المتجمد يدخل عبر النوافذ المواربة. كانت الطريق ضيقة وعاصفة، وكانت أغصان الأشجار العارية والعاتمة على الجانبين تتمايل جيئة وذهاباً، كما لو أن الرياح كانت تراقصها.

وضعت إيلودي أغنية "معك أو بدونك With or Without You" بقصد إغاظة آلي، ربما لأنها كانت متضايقة من أنينها. كانت أغنيتها الخاصة مع مات، الذي هجرها في أيلول. نعتتها آلي بالساقطة وفكت حزام الأمان، وانحنت إلى الأمام محاولة الإمساك بجهاز الآي بود. اشتكت ليندزي من أن هناك من يضغط على عنقها. سقطت السيجارة من فمها واستقرت بين فخذيها، فبدأت تشتم وهي تحاول نفض الجمرة عن المقعد، في الوقت الذي كانت إيلودي وآلي لا تزالان تتشاجران وأنا أحاول تهدئتهما، مذكرةً إياهما بالأوقات الجميلة التي ارتمينا فيها على الثلج في أيار. انزلقت الإطارات قليلاً على الطريق الرطبة، وكانت السيارة تعبق بدخان السجائر، وبعض ألسنة الدخان تتصاعد في الجو كالأطياف.

ثم، على حين غرة، يظهر ضوء أبيض باهر أمام السيارة. صرخت ليندزي - بكلمات لم أفهمها، شيء من قبيل سائر أو ساتر أو سائس - وفجأة انقلبت السيارة خارج الطريق إلى داخل الغابة المظلمة. سمعت صوتاً مرعباً حاداً - حديد على حديد، تحطم زجاج، سيارة تنقسم إلى اثنتين - وشممت رائحة نار. كان لديّ متسع من الوقت لأفكر إن كانت ليندزي

قد أطفأت سيجارتها.

ثم يُطل وجه فيكي هولينان من الماضي. سمعث ضحكاً يتردد صداه ويلتف من حولي، منفجراً بصرخة.

ثم لا شيء.

في هذه اللحظة لن تحظي بفرصة كي تعرفي. هذا لا يشبه بتاتاً أن تستيقظي وأنت تشعرين بتوعك في معدتك. فأنت لن تري أي ظلال في غير مكانها. ولن تتذكري أن تقولي لوالديك أنك تحبينهما أو - في حالتي أنا - أن تتذكري أن تقولي لهما وداعاً من أصله.

لو كنتِ مثلي لكنتِ ستستيقظين قبل سبع دقائق وسبع وأربعين ثانية قبل الموعد الذي من المفترض أن تمر فيه أعز صديقة لك لتقلّك بالسيارة. ستكونين منشغلة جداً بعدد الورود التي ستحصلين عليها بمناسبة عيد الحب إلى درجة أنكِ لن تكوني قادرة معها على القيام بشيء أكثر من وضع ثيابك عليك، وتنظيف أسنانك، والابتهال إلى الله من أجل أن تكوني قد نسيت علبة المكياج في حقيبة السفر لتتمكني من وضع المكياج أثناء ركوب السيارة.

إن كنتِ مثلي فإن يومكِ الأخير كان سيبدأ كالتالي:

1

نادت ليندزي "بيب، بيب". قبل بضعة أسابيع أنّبتها أمي على إطلاق بوق سيارتها في السابعة إلا ربع كل صباح، وهذا كان الحل الذي توصلت إليه ليندزي.

رددث عليها "أنا آتية!"، مع أنها كانت تستطيع رؤيتي وأنا أدفع الباب الأمامي محاولةً ارتداء معطفي وأنا أجاهد في نفس الوقت لوضع كراستي في حقيبتي.

وفي الثانية الأخيرة، ها هي أختي إيزي، الأصغر مني بثمان سنوات، تجذبني إليها بقوة.

"ماذا؟" والتفث نحوها. كانت تتمتع برادار الأخت الصغرى لتعرف به متى أكون مشغولة، متأخرة، أو أتكلم مع صديقي على الهاتف. تلك كانت دائماً اللحظات التي تختار فيها إزعاجي.

قالت لي "لقد نسيتِ قفازيكِ"، لكنها خرجت من فمها: "*لقد نثيت قفَازيك*". كانت ترفض الذهاب إلى جلسات لعلاج لثغتها، مع أن جميع الأولاد في صفها كانوا يسخرون منها. كانت تقول إنها تحب طريقتها في الكلام.

أخذتهما منها. كانا من الكاشمير، وعلى الأرجح أنها لوثتهما بزبدة الفستق فهي تعبث دائماً حول مرطبانات الطعام.

"ماذا قلث لك يا إيزي؟" قلث لها وأنا أنقر بإصبعي على جبهتها. "لا تلمسي أغراضي". لكنها ضحكت بطريقة غبية، واضطررتُ إلى دفعها إلى الداخل بينما أنا أغلق الباب. ولو كان باستطاعتها أن تتبعني لظلّت تجري خلفي طوال النهار مثل كلب.

مع خروجي من المنزل كانت ليندزي تتكئ على نافذة "الدبابة". هذا هو الاسم الذي أطلقناه على

سيارتها، الرانج روفر الفضية الضخمة (في كل مرة نتجول بها كنا نسمع شخصاً على الأقل يقول "هذا الشيء ليس بسيارة، إنها شاحنة"، أما ليندزي فكانت تدّعي أن بإمكانها الاصطدام بشكل مواجه بقاطرة ذات ثماني عشرة عجلة والخروج دون أي خدش). هي وآلي كانتا الوحيدتين بيننا اللتين تمتلكان سيارة خاصة. سيارة آلي كانت جيتا سوداء صغيرة، وكنا نسميها "المنمنمة". أنا كنت أستعير أحياناً سيارة أمي الأكورد، أما المسكينة إيلودي فلم يكن لديها خيار سوى سيارة والدها الفورد تورس الحنطية التي نادراً ما كانت تعمل.

الهواء ساكن وقارس. السماء زرقاء صافية. والشمس أشرقت لتوها، باهتة وتبدو مبللة، كما لو أنها أريقت بصعوبة في الأفق ولا تقوى على تنظيف نفسها. من المفترض أن تهبّ اليوم عاصفة، لكن من يعلم!!؟

جلست في المقعد المجاور لليندزي التي كانت تدخن، فأشارت إليّ بعقب سيجارتها إلى قهوة دانكن دوناتس التي جلبَتها لي.

قلت لها: "الخبز؟".

"في الخلف".

"هل هو بالسمسم؟".

"بالتأكيد.. ألا ترينه!... ". نظرت إليّ من أعلى إلى أسفل وهي تخرج من أمام بيتي. "تنورتك جميلة".

"وأنت أيضاً".

هزت ليندزي برأسها رداً على الإطراء. كنا في الحقيقة نرتدي التنورة نفسها. هناك يومان فقط في السنة نرتدي فيهما أنا وليندزي وآلي وإيلودي عن عمد نفس اللباس: عيد البيجاما خلال أسبوع الروح،

لأننا اشترينا جميعاً أطقماً جميلة متطابقة من متجر فيكتوريا سيكريت في عيد الميلاد الفائت؛ وعيد الحب. كنا قد أمضينا أكثر من ثلاث ساعات في المتجر ونحن نتجادل إن كنا سنختار اللون الوردي أم الأحمر - ليندزي تكره اللون الوردي، لكن ألي مغرمة به - ثم اعتمدنا في النهاية على تنانير قصيرة سوداء وبعض السُتر ذات الفرو الأحمر كنا وجدناها في قسم التصفية بمتجر نوردستورم.

كما قلت، تلك هما فقط المناسبتان اللتان نتعمد فيهما الظهور متشابهات. لكن في الحقيقة، في ثانويتي، توماس جيفرسون، الجميع يبدون متشابهين. صحيح أنه لا نرتدي لباساً موحداً - فهي مدرسة عامة - لكن من أصل عشرة طلاب ستلاحظ أن تسعة منهم يرتدون جينزات "سيفن"، أحذية رياضية من نوع "نيو بالانس"، تيشيرتات بيضاء، وجاكيتات صوفية ملونة من نوع "نورث فيس". حتى أن الشبان والشابات يرتدون اللباس نفسه باستثناء أن جينزاتنا أضيق وأننا نصفف شعرنا كل يوم. إنها ولاية كونيكتيكوت: الفكرة برمتها هي أن تبدو مشابهاً للناس من حولك.

كلامي هذا لا يعني أنه ليس في ثانويتي غريبو أطوار - بلى - لكنْ غريبو الأطوار هؤلاء هم فيها متشابهون في غرابتهم، إذ ترى مجموعة الإيكو جيك يركبون دراجاتهم إلى المدرسة مرتدين ملابس مصنوعة من القنب، وهم لا يغسلون شعورهم إطلاقاً، وكأن الجدائل يمكن أن تساعد في الحد من انبعاث غازات الدفيئة. ومجموعة "ملكات الدراما" يحملن دائماً زجاجات كبيرة من الشاي بالليمون ويرتدين الشالات حتى في الصيف ولا يتحدثن في الصف لأنهن "يحافظن على أصواتهن".

أما أعضاء فريق الرياضيات فتجدهم دائماً حاملين من الكتب أكثر بعشر مرات من أي أحد أخر مع أنهم فعلياً لا يزالون يستخدمون خزائنهم ويتمشون وعلى وجوههم تعابير عصبية، كما لو أنهم ينتظرون أحداً ما ليصرخ في وجههم "بووو!".

من جهتي، أنا لا أمانع ذلك. في بعض الأحيان كنا أنا وليندزي نضع الخطط للهرب بعد التخرج والمبيت في علية في مدينة نيويورك مع رسام الوشوم هذا الذي يعرفه أخوها غير الشقيق، لكني في سري كنت أحب العيش في ريدجفيو. فهي أكثر أماناً، إن كنتِ تفهمين قصدي.

انحنيث إلى الأمام محاولة وضع المسكارة دون أن أفقأ عيني. لم تكن ليندزي من نوعية السائقين الحذرين أبداً، فقد كانت تستمتع بصرير العجلات، فتتوقف بشكل مفاجئ ثم تضغط بقوة على المحرك.

"من الحري بباتريك أن يرسل لي وردة". قالت ليندزي وهي تندفع متجاوزة إشارة التوقف الأولى ثم تكاد تدق عنقي وهي تضغط على المكابح للتوقف عند الثانية. أما باتريك فهو صديق ليندزي المتقطع. لقد سجلا رقماً قياسياً بانفصالهما ثلاث عشرة مرة منذ بداية العام الدراسي.

"كان عليّ الجلوس بجانب روب وهو يملأ استمارة الطلب". قلث وأنا أشيح بنظري.

"هذا يشبه الأشغال الشاقة".

كنث أخرج بصحبة روب كوكران منذ تشرين الأول، لكننا كنا مغرمين ببعضنا منذ الصف السادس، حين كان أهدأ بكثير من أن يكلمني. كان روب تجربتي الأولى، أو بالحد الأدنى تجربتي *الحقيقية* الأولى. كنث قد قبّلث كينت ماكفولر مرة في الصف

الثالث، لكن تلك المرة لا يمكن طبعاً احتسابها كوننا كنا قد تبادلنا خواتم الهندباء ونحن نتظاهر بأننا زوج وزوجة.

"حصلت في السنة الماضية على اثنتين وعشرين وردة"، نقفت ليندزي عقب سيجارتها من النافذة وانحنت لتأخذ رشفة من القهوة. "أسعى هذه السنة للحصول على خمس وعشرين".

في كل عام يقوم المجلس الطلابي بتجهيز كشك خارج صالة الألعاب. يمكنك مقابل عشرين دولاراً للواحدة أن تشتري باقات لأصدقائك، وتقوم بإيصالها ملائكة الحب (هم في العادة طالبات في السنة الأولى أو الثانية يحاولن التودد إلى طلاب السنة الأخيرة) طوال اليوم.

قلت لها "سأكون سعيدة إن حصلت على خمس عشرة". إن عدد الورود التي يحصل عليها الشخص يعني الكثير، فيمكنكِ مثلاً أن تعرفي من هو محبوب ومن هو غير محبوب من عدد الورود التي يحملها. وحصولكِ على أقل من عشرة يُعتَبر أمراً سيئاً، وحصولكِ على أقل من خمس أمرٌ مهين - إنه يعني أنك قبيحة أو غير معروفة، أو ربما كلاهما معاً. بعض الأشخاص يبحثون عن الورود الملقاة على الأرض ليضيفوها إلى باقاتهم، لكنها خدعة مكشوفة.

"حسناً". صاحت ليندزي وهي ترمقني بنظرة جانبية. "هل أنت متحمسة؟ إنه اليوم الكبير. السهرة الافتتاحية". وضحكث. "طبعاً أنا لا أتلاعب بالألفاظ".

هززث كتفي تعبيراً عن اللامبالاة، ثم التفث نحو النافذة ورحث أراقب أنفاسي وهي تتكاثف على زجاجها. "هذه المسألة لا تعني لي الكثير". والدا

روب سيسافران في هذه العطلة، وكان قبل بضعة أسابيع قد سألني أن أمضي معه هذه الليلة في منزله. عرفت طبعاً أنه يقصد من سؤاله إن كنت أرغب في... تعرفين ما أقصد. كنا قد تقاربنا كثيراً بضع مرات، لكن كان ذلك يحصل دائماً في المقعد الخلفي لسيارة والده البي إم دبليو أو في قبو أحدهم أو في مخدعي وأهلي نائمون في الطابق العلوي، وكان ذلك يسبب لنا دائماً شعوراً بالذنب.

لذلك، حين طلب مني إمضاء الليلة عنده أجبته بنعم من دون تفكير.

صاحت ليندزي وهي تضرب بكفها على مقود السيارة "لا تعني لك الكثير؟ هل تمازحينني؟ لقد كبرَت فتاتي".

"أوه، أرجوكِ". وأنا أشعر بحرارة تندفع إلى عنقي، وعرفت أن لون جلدي اصطبغ بالأحمر وصار مبرقعاً. يحدث ذلك معي حين أشعر بالحرج، ولم ينفعني جميع أطباء الجلدية والمساحيق في كل أنحاء كونيكتيكوت. حين كنت فتاة صغيرة تعودت على غناء أغنية "ما هو الأحمر والأبيض والمليء بالغرابة؟ إنها سام كينغستون".

هززت رأسي شيئاً ما ومسحت البخار المتكاثف عن النافذة. كان العالم في الخارج يتلألأ وكأنه مطلي بالورنيش. "بكل الأحوال، متى فعلتها أنت وباتريك؟ هل من نحو ثلاثة أشهر؟".

"أجل، لكننا نسعى للتعويض عما فاتنا من وقت". وأرجعت ليندزي ظهرها بقوة على المقعد.

"واضح".

"لا تقلقي يا فتاة، ستكونين على ما يرام".

"لا تناديني فتاة". إن أحد أسباب سعادتي بقراري

معاشرة روب الليلة هو أن ليندزي وإيلودي لن تسخرا مني مجدداً. ومن حسن حظي أن آلي لا تزال عذراء، فهذا يعني أني لست الأخيرة. في بعض الأحيان أشعر أنه من بيننا نحن الأربعة أنا دائماً هي التابعة. "قلتُ لك إنها لا تعني لي الكثير".

"كما تشائين".

جعلتني ليندزي أتوتر، فبدأت أعد صناديق البريد على الطريق. ورحت أتساءل إن كان بحلول الغد سيبدو كل شيء مختلفاً بنظري، وأتساءل إن كنت سأبدو مختلفة بعيون الآخرين. آمل ذلك.

توقفنا أمام منزل إيلودي، وقبل أن تشرع ليندزي بإطلاق بوق سيارتها كان الباب الأمامي قد انفتح وبدأت إيلودي بشق طريقها عبر الممر المتجمد، وهي تحاول التوازن بكعب حذائها الطويل وكأنها لا تستطيع الخروج من منزلها بالسرعة الكافية.

"هل الجو في الخارج رديء جداً؟" قالت ليندزي بينما إيلودي تصعد إلى السيارة. كانت كالعادة لا ترتدي سوى سترة جلدية رقيقة، مع أن نشرة الطقس تقول إن درجة الحرارة العظمى ستكون في أواسط العشرينات.

"ما الفائدة من مظهركِ الحسن إن كنتِ لا تستطيعين التباهي به؟". قالت إيلودي وهي تهز نهديها، فانفجرنا بالضحك. من المستحيل أن تبقى متوتراً بحضورها، ناهيك عن التشنج الذي زال من معدتي.

رفعت إيلودي يدها بإيماءة مخلبية، فناولتها القهوة. كنا جميعنا نحبها بالطريقة نفسها، بحبات كبيرة من البندق، بدون سكر، وكثير من القشدة.

"حاذري أين تجلسين. ستسحقين الخبز". قالت ليندزي وهي تنظر في المرآة الخلفية بجبين مقطّب.

قالت إيلودي وهي تصفع مؤخرتها "تعرفين أنك بحاجة إلى قطعة من هذا الخبز". وضحكنا ثانيةً.

"وفريها للمافن أيتها الكلبة الوقحة".

ستيف دوف (Dough معناها عجينة) هو آخر ضحايا إيلودي، وهي تلقبه مافن (Muffin هو نوع من الكعك) بسبب كنيته، ولأنه لذيذ (فهي تقول إنها تجده كثير الدهن وتفوح منه دائماً رائحة الطبخ). كانا قد بدآ يتواعدان قبل بضعة أسابيع.

إيلودي هي الأكثر خبرة بيننا. لقد فقدت عذريتها في السنة الثانية، وأقامت مباشرة علاقة حميمة مع شابين مختلفيَن. إنها هي من حدثتني عن الأوجاع التي أصابتها بعد ممارسة الجنس بضع مرات، وقد جعلني ذلك متوترة إلى أبعد حد. قد يبدو الأمر غريباً، لكني لم أكن قد فكّرت بذلك أبداً من الناحية الفيزيائية، وأنه شيء يمكن أن يسبب الأوجاع مثل كرة القدم أو ركوب الخيل. لقد بت أخشى من عدم معرفتي ماذا ينبغي أن أفعل، تماماً كما كان يحصل معي حين كنا نلعب كرة السلة في صالة الألعاب، فأنسى من هو اللاعب الذي يتوجب عليَ مراقبته أو متى ينبغي أن أمرر الكرة ومتى ينبغي أن أسير بها.

"الكعك لذيذ". وضعت إيلودي يدها على معدتها. "إني أتضور جوعاً".

قلت لها: "يوجد خبز لك".

سألت إيلدوي: "هل هو بالسمسم؟".

أجبنا أنا وليندزي في ذات الوقت "بالتأكيد". فغمزتني ليندزي بطرف عينها.

قبيل وصولنا إلى المدرسة أنزلنا زجاج النوافذ وصدحت أغنية ماري ج. بليغ "لا مزيد من الدراما No More Drama". أغلقت عيني وغدت بالذاكرة

إلى حفل التخرج وإلى أول قبلة لي مع روب، حين جذبني نحوه في ساحة الرقص، وفجأة أصبحت شفتي على شفتيه وانزلق لسانه تحت لساني وصرت أشعر بحرارة الأضواء وهي تمر فوقي مثل يد دافئة، والموسيقى تتردد في مكان ما بين ضلوعي وقلبي يخفق مع الإيقاع. الهواء البارد القادم من النافذة سبب لي ألماً في الحلق والإيقاع يهزني من راحة قدمي تماماً كما في تلك الليلة، حين ظننت أنه ما من شيء أسعد من ذلك. إنه يجتاحني من أسفل قدمي حتى رأسي، ويسبب لي الدوار، كما لو أن السيارة بأكملها ستنشطر نصفين من الصوت.

الشعبية: تحليل.

الشعبية أمر غريب، إذ لا يمكن تعريفها بدقة، والحديث عنها غير مريح، لكنكِ ستعرفينها بمجرد رؤيتها. إنها مثل عين مريضة أو مشهد إباحي.

ليندزي فاتنة، أما بقيتنا فلسنا أجمل بكثير من أي أحد آخر. مواطن الجمال عندي هي: عينان بنيتان واسعتان، أسنان بيضاء مستقيمة، وجنتان مرتفعتان، وساقان طويلتان. أما القبيح عندي فهو: أنف طويل جداً، جلد يتبرقع حين أتوتر، ومؤخرة مسطحة.

بيكي دايفيور تضاهي ليندزي بجمالها، وأعتقد أنها لم تكن تواعد أحداً في حفلة تخرج السنة الأولى. نهدا آلي كبيران جداً، أما نهداي فهما بالكاد ظاهران (حين تكون ليندزي في مزاج عكر تناديني ساموئيل، وليس سام أو سامانثا). كما أننا لسنا لامعات جداً ولا تفوح من أنفاسنا رائحة ليلك أو سواه. ذات مرة خاضت ليندزي مباراة في التجشؤ مع جونا ساسنوف في الكافيتريا والجميع صار يشجعها. في

بعض الأحيان تنتعل إيلودي صندلاً أصفر مغبشاً إلى المدرسة. في إحدى المرات ضحكث كثيراً في حصة الاجتماعيات لدرجة أني بصقث كل ما كان في فمي من قهوة الفانيليا على مقعد جاك سومرز. بعد شهر مارسنا فعلاً حميمياً في ورشة ليلي أنغلر (كان سيئاً).

مقصد الكلام أننا نستطيع القيام بمثل تلك الأمور. هل تعرفين لماذا؟ لأننا شعبيات. ونحن بالمقابل شعبيات لأننا ننجو بفعلتنا دائماً. هذا يضعنا في دائرة تأثير متبادل.

أعتقد أن ما أحاول قوله هو أنه ما من طائل من تحليله. إذا رسمتِ دائرة، فسيكون هناك دائماً من هو داخل ومن هو خارج، والتمييز بين الاثنين سهل جداً. هكذا تسير الأمور بكل بساطة.

لكني مع ذلك لن أكذب عليكِ. إنه لأمر رائع أن نجد سهولة في كل ما نفعله. وهو شعور جميل أن تستطيعي القيام بكل ما يحلو لكِ دون أن تكون له عواقب. حين نتخرج من الثانوية سنعود بذاكرتنا إلى الوراء ونجد أن كل ما فعلناه كان صائباً، فلقد قبّلنا أجمل الشبان وذهبنا إلى أفضل الحفلات، وقعنا في كثير من المشاكل، استمعنا إلى الموسيقى بصوت عالٍ جداً، دخّنا الكثير من السجائر، وشربنا كثيراً وضحكنا كثيراً ولم نصغِ إلا فيما ندر، أو لم نكن نصغي على الإطلاق. إذا تخيلنا المدرسة الثانوية كلعبة بوكر، ستكون ثمانون بالمائة من الأوراق بأيدينا أنا وليندزي وآلي وإيلودي.

وصدقيني: أنا أعرف ما معنى أن تكوني في الطرف المقابل. كنث هناك في النصف الأول من حياتي. قاع القاع، أسفل الحضيض. لقد اختبرت ما معنى أن تتشاجري وتتنازعي من أجل الفتات.

أما الآن فقد أصبحت أول من يختار في كل شيء. وماذا في ذلك. هكذا تسير الأمور.

ومن قال إن الحياة عادلة.

دخلنا في مسرب الموقف قبل عشر دقائق تماماً على الجرس الصباحي. واندفعت ليندزي بالسيارة نحو المسرب الأدنى، حيث المنطقة المخصصة لهيئة التدريس، مفرّقة مجموعة من بنات السنة الثانية. تمكنت من رؤية ملابس ذات أشرطة حمراء وبيضاء تحت معاطفهن، وكانت إحداهن ترتدي تاجاً. إنها حتماً إحدى ملائكة الحب.

همهمت ليندزي "تعالوا، تعالوا، تعالوا" ونحن ندلف خلف صالة الألعاب. إنه النسق الوحيد في المسرب السفلي غير المحجوز للهيئة. كنا نسميه آلي الخريجة، مع أن ليندزي كانت تركن فيه مذ كنا في السنة الأولى. إنه موقف الأشخاص المهمين في مدرسة جيفرسون، وإذا لم تجدي مسرباً - هناك عشرون منها فقط - سيتوجب عليكِ ركن السيارة في الموقف العلوي الذي يبعد ثلاثمائة متر عن المدخل الرئيسي. وصلنا في الوقت المناسب، وكلما أردنا الكلام عنه الآن توجب علينا الإشارة إلى المسافة بدقة. على سبيل المثال "هل تريدين حقاً السير لمسافة 300 متر في هذا المطر؟".

صاحت ليندزي حين رأت مكاناً فارغاً، وانعطفت نحو اليسار. وفي الوقت عينه كانت ساره غروندل قادمة بسيارتها الشيفروليه البنّية من الاتجاه المقابل، وهي تنحرف باتجاه المكان نفسه.

"أوه، اللعنة، كلا. مستحيل". وضغطت ليندزي على البوق، مع أنه كان واضحاً أن ساره قد وصلت قبلنا، ثم داست على الوقود. أما إيلدوي فأخذت تصرخ لأن القهوة الساخنة انسكبت على قميصها كله.

تعالى صرير العجلات، وداست ساره غروندل على المكابح مباشرة قبل أن تقتلع سيارة ليندزي الرانج روفر صدّامها الأمامي.

"جميل". توقفت ليندزي في المسرب وركنت سيارتها. ثم فتحت بابها واتكأت عليه.

"عذراً، يا حلوتي!" وهي تنظر إلى ساره. "لم أر أنك هناك". وهذه كذبة واضحة.

"عظيم". قالتها إيلدوي وهي تمسح القهوة بمنديل من دانكن دوناتس. "الآن سيتوجب عليَ إمضاء اليوم بأكمله ورائحة البندق تفوح من صدري".

"الشبان يحبون روائح الطعام". قلث لها. "لقد قرأث ذلك في مجلة غليمور".

"ضعي كعكة في سروالك وسترين كيف سيقفز موفن إليكِ عند باب الاستراحة". وقلبت ليندزي المرآة الأمامية لتتفقد وجهها.

"ربما عليك تجريب ذلك مع روب، يا سامي"، ورمت إيلودي المنديل الملوث بالقهوة في وجهي، فأمسكث به ورميته عليها.

"ماذا؟" وهي تضحك. "لم يخطر ببالك أن أنسى ليلتك الكبيرة، أليس كذلك؟". راحت تنبش في حقيبتها، وكان الشيء التالي الذي طار فوق المقعد هو واق على غلافه قطع من التبغ. انفجرت ليندزي بالضحك.

"أيتها الملحدة". قلث لها بينما أمسك بالواقي بإصبعين وألقي به في علبة قفازات ليندزي. مجرد لمسه جعلني عصبية مرة أخرى، وبدأت أشعر وكأن شيئاً يعصر في أسفل معدتي. لم أفهم أبداً السبب وراء حفظ الواقيات في أغلفة معدنية. هذا يجعلها تبدو طبيّة جداً، مثل شيء يصفه الطبيب

للحساسية أو مشاكل الأمعاء.

"لا واقٍ، لا حب (no glove, no love)" قالت إيلدوي وهي تقترب مني وتقبلني من وجنتي. لقد تركت دائرة كبيرة من أحمر الشفاه الوردي.

"تعالي"، وخرجث من السيارة قبل أن تراني أتورد خجلاً.

كان السيد أوتو، المشرف الرياضي، واقفاً خارج صالة الألعاب حين خرجنا من السيارة، وعلى الأرجح أنه كان يسترق النظر إلى مؤخراتنا. إيلودي تعتقد أن السبب وراء إصراره على أن يكون مكتبه ملاصقاً لغرفة ملابس البنات هو لوضع كاميرا في الحمام تتصل بالكمبيوتر لديه. ما حاجته أصلاً لكمبيوتر؟ إنه مشرف رياضي. من حينها صرت أرتعب كلما دخلت الحمام في صالة الألعاب.

"هيا يا بنات" نادانا. كان هو أيضاً مدرب كرة القدم، وهذا بحد ذاته مدعاة للسخرية، فهو لم يكن يقوى على الركض لغاية آلة البيع ذهاباً وإياباً. إنه أشبه بفيل البحر. وفوق ذلك كله لديه شارب. "هيا، أنا لا أرغب في توجيه بطاقة تأخير لكنّ".

"لا تجبرنني على صفعكن". قلّدث صوته، فصدرَ مني عالياً وغريباً - كان ذلك سبباً آخر يدعو إيلودي للاعتقاد بأنه متحرش بالأطفال. انفجرت إيلودي وليندزي بالضحك.

"دقيقتان ويُقرع الجرس"، قال السيد أوتو بحدة أكثر. ربما سمعني، لكنني لا أبالي.

"يوم جمعة سعيد"، همهمت ليندزي، ووضعت ذراعها في ذراعي.

تناولت إيلودي هاتفها الخلوي وراحت تتفقد أسنانها على وجهه الخلفي العاكس، وتُخرج

السمسم من بينها بظفرها.

"هذا مقرف"، قالتها دون أن تلتفت.

"تماماً"، قلت لها. أيام الجمعة هي الأصعب لعدة أسباب، ففيها تصبح قريباً جداً من الحرية.

"اقتليني الآن".

"مستحيل"، قالت ليندزي وهي تشد على ذراعي. "لا يمكنني أن أترك أعز صديقاتي تموت وهي لا تزال عذراء".

أترين، لم نكن نعلم.

في الحصتين الأولى والثانية - الفنون والتاريخ؛ أجل التاريخ، لطالما كان الموضوع الأفضل عندي - لم أحصل سوى على خمس وردات. لم يقلقني ذلك كثيراً، لكن ما أغاظني بعض الشيء هو حصول إيلين تشو على أربع وردات من حبيبها، إيان دويل. لم يخطر ببالي أن أطلب من روب فعل ذلك، ومن ناحية ثانية لا أجد ذلك عادلاً. هذا سيجعل الناس تعتقد أن لديكِ أصدقاءً أكثر مما هو لديكِ.

بمجرد دخولنا إلى حصة الكيمياء أعلن الأستاذ تيرني عن اختبار مفاجئ. إنها ورطة كبيرة على اعتبار (1) أنني لم أفهم كلمة من واجبي المنزلي طوال أربعة أسابيع (حسنٌ، لذلك توقفت عن المحاولة بعد الأسبوع الأول) و(2) لأن السيد تيرني كان يهدد دائماً بإعطاء علامات الراسبين إلى لجان القبول في الجامعة، لكوننا لم يتم بعد قبول أحدنا في الجامعة. لست واثقة إن كان جاداً أم أنه فقط يحاول ضبط مستوى الطلاب، لكن من المحال أن أدع أستاذاً فاشياً يُخرب عليَ فرصتي في دخول جامعة بوسطن.

الأسوأ من ذلك أني أجلس بجوار لورين لورنت،

وهي على الأرجح الشخص الوحيد في الصف الأكثر جهلاً مني بهذا الموضوع.

في الواقع، كانت علاماتي في مادة الكيمياء مقبولة هذا العام، أما السبب في ذلك فلم يكن وحياً مفاجئاً هبط عليّ بخصوص قوانين التجاذب بين البروتون والإلكترون. معدّل علاماتي الجيد يمكن اختصاره بكلمتين: جيريمي بول. إنه أنحف مني وتفوح من أنفاسه دائماً رائحة الكورن فليكس، لكنه كان يسمح لي بنسخ وظيفته وكان يُقرّب مقعده من مقعدي في أيام الاختبارات لأتمكن من اختلاس النظر إلى أجوبته دون أن ألفت الانتباه. لكن لسوء الحظ، منذ أن بدأت أدخل الحمام قبل حصة تيرني أنا وآلي - كنا نتقابل دائماً في الحمام قبل الحصة الرابعة، لأن وظائفها الحيوية كانت تعمل مثلي - أصبحت أصل متأخرة ولا أتمكن من الجلوس في مقعدي المعتاد بجوار جيريمي.

اختبار الأستاذ تيرني كان يتألف من ثلاثة أسئلة، ولم يكن لدي معرفة بأي واحد منها. إلى جواري، انحنت لورين فوق ورقتها، وراحت تمد لسانها بين أسنانها. هي دائماً ما تفعل ذلك حين تفكر. بدا جوابها الأول جيداً جداً، في الحقيقة كانت أجوبتها منظمة ومدروسة، وليست مجرد خربشة اعتباطية كتلك التي يكتبها المرء حين لا يكون على دراية بما يكتب ويعتقد أن الأستاذ لن يلاحظ إذا ما أكثر من الكلام (للتاريخ، لم ينجح ذلك بتاتاً). ثم تذكرت أن الأستاذ تيرني كان قد ألقى موعظة على مسامع لورين بشأن تحسين علاماتها في الأسبوع الماضي. ربما صارت تدرس بجد أكثر.

استرقت النظر من فوق كتف لورين ونسخت اثنين من إجاباتها - أعترف أني بارعة في ذلك -

وحين نادى الأستاذ تيرني "ثلاااااااث دقائق" قالها بطريقة درامية، كما لو أنه يؤدي دوراً صوتياً لأحد الأفلام، وجعلت الدهن المترهل تحت ذقنه يرتج.

يبدو أن لورين انتهت من الإجابة وهي تراجع ورقتها، لكنها منكبّة فوق الورقة لدرجة أني لا أستطيع رؤية الجواب الثالث. راقبت عقرب الثواني وهو يدور دورته حول الساعة - دقيقتاااااااان وثلاثوووووووون ثاااااانية"، دوى صوت تيرني - فانحنيت إلى الأمام وصرت ألكز لورين بقلمي. نظرَت إلى الأمام بفزع. لا أذكر أني كلمتها منذ سنوات، ولعدة ثوانٍ رأيت نظرة تمر على وجهها لم أستطع فهم كنهها.

قلت لها، *قلم*.

نظرَت بارتباك ثم حوّلت نظرها إلى تيرني، الذي كان لحسن الحظ منكباً على الكتاب.

"ماذا؟" قالَت بهمس.

صنعت حركة بقلمي حاولت فيها التعبير عن نفاد الحبر منه. نظرَت إلي نظرة بلهاء، واعترتني لثانية رغبة في صفعها على ذلك الوجه الفارغ - دقيقتاااااااان - لكن في النهاية شعّ وجهها واتسع فمها كما لو أنها اكتشفت للتو علاجاً للسرطان. أرجو ألا أبدو قاسية، لكن ما الفائدة من شخص أحمق وغبـي. ما مغزى حياته إن كان غير قادر على عزف مقطوعة لبتهوفن أو الفوز بمسابقة الإملاء الوطنية أو دخول جامعة هارفرد أو سواها؟

بمجرد أن انحنت لورين لتبحث في حقيبتها عن قلم نسخث الجواب الثالث. ثم كدت أنسى أني طلبث منها قلماً، لأنها صارت تهمس لي لتلفت انتباهي. "ثلاثوووووون ثاااااانية".

"خذي".

أخذته منها. كان طرفه ممضوغاً: مقرف. بادلتها الابتسامة ونظرت في اتجاه آخر، لكنها همست بعد لحظات "هل يكتب؟".

نظرت إليها بطريقة تعني أنها بدأت تصبح مزعجة، لكني أعتقد أنها اعتبرتها دلالة على أني لم أفهم سؤالها.

"القلم. هل يكتب؟". همست بصوت أعلى قليلاً.

هنا صفق تيرني الكتاب على الطاولة. كان الصوت قوياً لدرجة جعلتنا نقفز جميعاً.

"آنسة لورنت"، صارخاً في وجه لورين "هل تتكلمين أثناء *اختباري*؟".

احمرّ وجهها، وصارت تلتفت بيني وبين الأستاذ، وهي تلعق شفتيها. أما أنا فلم أنبس ببنت شفة.

"كنث فقط -" قالتها بصوت خافت.

"كفى". نهض عن كرسيه، متجهماً لدرجة أن فمه كاد يغرق في عنقه، وشابكاً ذراعيه. اعتقدتُ أنه سوف يقول أكثر من ذلك للورين لأنه كان يرمقها بنظرة مميتة، لكنه اكتفى بالقول "انتهى الوقت. ضعوا الأقلام على المقاعد".

أردت إعادة القلم للورين لكنها رفضت أن تأخذه.

"احتفظي به"، قالت لي.

"كلا، شكراً". قلث لها وأنا أمسك بالقلم بإصبعين وأنحني إلى الأمام مؤرجحة القلم فوق مقعدها، لكنها طوت يديها خلف ظهرها.

"بصدق" قالت لي، "ستحتاجين قلماً من أجل الملاحظات وما شابه". وكانت تنظر إليَ وكأنها تُقدّم إليّ شيئاً عجائبياً وليس قلم 'بيك' ممضوغ الطرف. لم أعرف إن كان السبب هو عبارتها، لكني فجأة تذكّرت حين ذهبنا في رحلة حقلية في الصف

الثاني، وكنث - أنا وهي - الوحيدتين المتبقيتين بعد أن اختار الجميع شركاءهم. كان علينا أن نبقي يدينا مرفوعتين لبقية اليوم كلما عبرنا الشارع، وكانت يداها دائمتي التعرّق. أتساءل إن كانت تتذكر ذلك، رغم أني آمل أن تنسى مثل هذا الأمر.

ابتسمث بتوتر ورميت القلم في حقيبتي. أما هي فكانت ابتسامتها حتى أذنيها. طبعاً كنت سأرميه بمجرد انتهاء الحصة؛ فلا أحد يعرف ما هي الأمراض التي يمكن أن تنتقل عبر اللعاب.

في الجانب المشرق: كانت أمي تقول دائماً إن عليَ فعل شيء جيد كل يوم. سأفترض أن هذا يعني أنني في السليم.

حصة الرياضيات: المزيد من دروس الكيمياء.

الحصة الرابعة كانت في "مهارات الحياة"، وهو اسم آخر للتمارين الرياضية يُستخدَم حين يكبر المرء إلى مرحلة تصبح معه الأنشطة الفيزيائية الإجبارية أمراً مهيناً (ترى إيلودي أن عليهم تسميتها ’عبودية‘ توخياً للدقة). كان الموضوع عن الإنعاش، وكان مطلوباً منا تطبيقه على دمى بحجم الإنسان أمام الأستاذ أوتو. كان ذلك دليلاً إضافياً على جسارته.

الحصة الخامسة كانت في الحساب لكن ملائكة الحب وصلن باكراً، مباشرة بعد بداية الحصة. كانت إحداهن ترتدي رداءً أحمر زاهياً وتضع خوذة الشرير ذات القرنين؛ وأخرى ترتدي لباساً شبيهاً بأرنب بلاي بوي، أو ربما أرنب الفصح؛ وأخرى ترتدي زي ملاك. زبائنهم لا ينسجمون تماماً مع روحية هذا العيد، لكن كما قلث سابقاً، المسألة برمتها هي الظهور أمام طلاب السنتين الثانية والأخيرة. أنا لا ألومهن. نحن أيضاً فعلنا ذلك. في السنة الأولى واعدت الي

مايك هارمون - الذي كان في السنة الأخيرة حينها - لشهرين بعد أن أوصلت له وردة، وكان يقول إن جسدها يبدو جميلاً في سراويلها الضيقة. كانت قصة حب حقيقية.

الملاك ذات الرداء الأحمر أعطتني ثلاث وردات - واحدة من إيلودي، واحدة من تارا فلوت، التي تنضم إلى مجموعتنا من وقت إلى آخر، وواحدة من روب. بذلت جهداً لفتح البطاقة الصغيرة الملفوفة على ساق الوردة وقفزت من مكاني حين قرأت الملحوظة، مع أنه مكتوب عليها فقط: عيد حب سعيد، *أحبك (luv ya)*، وبعدها بأحرف أصغر قريباً من النهاية: *أأنت سعيدة الآن؟*

"أحبك (luv ya)" لا تشبه تماماً "أنا أحبك (I love you)" - التي لم نقلها أبداً - لكنه يقترب أكثر فأكثر. أنا واثقة أنه أرجأها ليقولها الليلة وجهاً لوجه. في الأسبوع الماضي كان الوقت متأخراً وكنا جالسين على أريكته وهو يحدق إليّ، وكنت واثقة أنه سيقولها - لكنه عوضاً عن ذلك قال من زاوية معينة أني أشبه بينيلوبـي كروز.

على الأقل كانت ملحوظتي أفضل من تلك التي تلقتها آلي من مات وايلد العام الفائت: *الورود حمراء، والبنفسج أزرق، وسيكون رائعاً جداً أن أجدك في فراشي*. واضح أنه كان يمازحها، لكن لو كتب على الأقل عبارة مقفاة.

اعتقدتُ أن هذه هي كل معايداتي، وإذ بالفتاة التي ترتدي زي ملاك تقترب من مقعدي وتناولني واحدة أخرى. الورود كلها مختلفة الألوان، لكن هذه مميزة على نحو خاص، فهي ذات تويجات ملتفة زهرية وحليبية، كما لو أنها مصنوعة من نوع ما من البوظة. "يا لجمالها" قالت لي.

رفعت رأسي. كانت الفتاة لا تزال واقفة هناك، تحدق بالوردة الممددة على مقعدي. لم يكن مألوفاً أن يتحدث طالب من السنة الأولى مع طالب من السنة الأخيرة، وقد أزعجني ذلك لبرهة. لكنها لم تكن تبدو مثل ملائكة الحب المعتادين. كان شعرها أشقر جداً لحد البياض، وكانت عروقها ظاهرة من خلال جلدها. شعرت بأنها شخص أعرفه، لكني لم أتذكر من يكون.

لاحظت أني أمعن النظر بها فبادلتني بابتسامة سريعة خجولة. كنت سعيدة لرؤية شيء من اللون يندفع في وجهها - فقد جعلها على الأقل تبدو حيّة.

"ماريان".

التفتَت حين نادتها الفتاة ذات الرداء الأحمر وأشارَت إليها بالورود التي لا تزال تحملها بضرورة الاستعجال، فعادت الفتاة التي ترتدي الزيَ الملائكي - ماريان، على ما أعتقد - للانضمام بسرعة إلى البقية، وغادرن ثلاثتهن.

لامست بأصابعي تويجات الوردة - كانت أنعم من أي شيء، مثل نسمة أو تنهيدة - ثم شعرت فجأة بالغباء. فتحت الملحوظة وكلي قناعة بأنها من آلي أو ليندزي (كانت ملحوظاتهما تقول دائماً *أحبك حتى الموت، أيتها الساقطة*)، لكني وجدت بدلاً من ذلك رسماً كرتونياً لملاك الحب وقد أصاب سهمه بالخطأ طيراً على شجرة. كان مكتوباً عند الطائر *النسر الأميركي الأصلع*، وهو يبدو وكأنه سيسقط مباشرة على ثنائي جالس على مقعد - ربما كان هذا الثنائي هو الهدف الأصلي لملاك الحب. أما ملاك الحب فكانت عيناه مدوّرتين وعلى وجهه نظرة غباء.

تحت الرسم الكرتوني عبارة تقول: *لا تشربي*

وأحبـي.

من الواضح أنها من كينت ماكفولر - كان يرسم الرسوم الكرتونية للجريدة الفكاهية في المدرسة - فرفعت رأسي وألقيت نظرة باتجاهه. كان يجلس دائماً في الزاوية الخلفية اليسرى، وهذا واحد من بين أشياء كثيرة غريبة فيه. وسرعان ما أيقنت أنه يراقبني. بادرني بابتسامة سريعة وتحية، ثم قام بحركة بيديه كما لو أنه يسحب وتر القوس ويطلق سهمه باتجاهي. أما أنا فقطبت حاجبـي وطويت ملحوظته بسرعة ودسستها في حقيبتي. لكنه لم يبالِ، وشعرتُ وكأن ابتسامته تحرقني.

نزل الأستاذ ديملر إلى الممرات بين المقاعد وبدأ يجمع الوظائف، ثم توقف عند مقعدي. لا بد أن أعترف: إنه السبب في اضطرابـي لحصولي على أربع معايدات في حصة الحساب. كان الأستاذ ديملر في الخامسة والعشرين فقط، وكان بهي الطلعة. وهو مساعد مدرب فريق كرة القدم، وكانت رؤيته واقفاً بجانب الأستاذ أوتو تثير الضحك. من الناحية الجسدية كانا على طرفي نقيض، فالأستاذ ديملر يتجاوز طوله الستة أقدام، دائم السمرة، ويرتدي مثلنا سراويل الجينز والكنزات الصوفية وأحذية نيو *بالانس* الرياضية. وكان قد تخرج من مدرسة توماس جيفرسون. ذات مرة بحثنا عن صوره في الكتب السنوية في المكتبة. كان ملك الحفلات الراقصة، وفي إحدى صوره كان يرتدي بذلة رسمية ويبتسم واضعاً يده حول رفيقته في الحفلة، وبالكاد تظهر من ياقة قميصه قلادة من القنب. أحببت تلك الصورة. لكن أتعرفون ما الذي أحببته أكثر؟ أنه *لا يزال* يرتدي قلادة القنب.

من سخرية القدر أن يكون الشاب الأكثر إثارة

في مدرسة توماس جيفرسون واحداً من هيئة التدريس.

كالعادة، حين يبتسم تنقر معدتي قليلاً. مرر يده في شعره البني الأشعث، وحلمتُ أني أفعل الشيء نفسه.

"تسعة ورود لغاية الآن؟" ورفع حاجبيه، ثم نظر إلى ساعته بحركة استعراضية. "والساعة لا تزال الحادية عشرة وخمسين دقيقة. جيد".

"ماذا عساي أقول؟" بصوت فيه كثير من النعومة والغنج. "الناس يحبونني".

"هذا واضح". قال لي، وغمزني بطرف عينه.

تركته يبتعد قليلاً في الممر قبل أن أقول، بصوت عالٍ، "لكني لم أحصل بعد على وردتي منك، أستاذ ديملر".

لم يلتفت، لكني رأيت طرفي أذنيه وقد احمرا. ترددت في الصف أصداء قهقهة وصهللة. كانت تصيبني مثل هذه الاندفاعة حين أفعل شيئاً أعرف أنه خاطئ وأنجو بفعلتي، مثل سرقة شيء من كافيتريا المدرسة أو الشرب حتى الثمالة في عطلة عائلية دون أن يعرف أحد.

كانت ليندزي تقول إن الأستاذ ديملر سيقاضيني يوماً ما على تحرشي به. أنا لا أعتقد ذلك. أشعر أنه في سره يحب هذا الأمر.

الدليل على ذلك أنه حين التفت ليواجه الصف كان مبتسماً.

"بعد مراجعة نتائج اختبار الأسبوع الماضي، لاحظت أنه لا يزال هناك خلط ما بين المحاور المقاربة والحدود"، بدأ كلامه وهو يتكئ على طاولته ويلف رجليه عند الكاحل. ما من أحد اخر

يستطيع أن يجعل حسابات التفاضل والتكامل ممتعة ولو عن بُعد. أنا متأكدة من ذلك.

ظل لبقية الحصة يتجنب النظر إليّ، وكان يتجاهلني عامداً، على أنه كان يلتفت إليّ حين أرفع يدي. لكني أقسم إنه عند التقاء عيوننا كان جسدي كله يرتعش بقوة. وأقسم أيضاً أنه كان ينتابه الشعور نفسه.

بعد الحصة استوقفني كينت.

"حسناً؟" قال لي. "ما رأيكِ؟".

"بماذا؟"، قلتُ له كي أستفزه. أعلم أنه يقصد الرسم الكرتوني والوردة، لكن كينت اكتفى بالابتسام وغيّر الموضوع. "والداي سيسافران في هذه العطلة".

"من حسن حظك".

لم يتردد في الابتسام. "سأقيم حفلة الليلة. ألن تأتي؟".

نظرتُ إليه. لم أفهم كينت طوال حياتي. أو على الأقل، لم أفهمه لسنوات. كنا مقربين جداً حين كنا صغاراً - ومن الناحية العملية أعتقد أنه كان أول صديق لي وأول قبلة - لكنه بمجرد دخولنا المدرسة الإعدادية بدأت الغرابة تلفه أكثر فأكثر. منذ السنة الأولى كان يرتدي دائماً سترة إلى المدرسة، ومعظم ستراته كانت ممزقة عند الخياطة أو مثقوبة عند الكوع. كان ينتعل الحذاء الرياضي نفسه ذا المربعات البيضاء والسوداء كل يوم، وكان شعره طويلاً لدرجة أنه ينسدل مثل ستارة على عينيه كل خمس ثوان. لكن القشة التي قصمت ظهر البعير هي أنه كان يعتمر قبعة إلى المدرسة.

أسوأ ما في الأمر أنه كان بمقدوره أن يكون

وسيماً. كان وجهه وجسمه مناسبين لذلك. كانت لديه شامة صغيرة على شكل قلب تحت عينه اليسرى، إلاّ أنه أفسد ذلك كله لكونه غريب الأطوار.

"لستُ متأكدة بعد من مشاريعي"، قلت له. "إذا كان الجميع سيلتقون هناك..." وجعلتُ صوتي يتهادى لكي يعرف أني لن آتي إذا وجدتُ شيئاً آخر أفضل.

"سيكون ذلك رائعاً"، قال لي، وهو لا يزال يبتسم. هناك شيء آخر مستفز في كينت، وهو أنه يتصرف كما لو أن العالم بأسره مجرد هدية واحدة كبيرة براقة عليه أن يفتحها كل يوم.

قلتُ له "سنرى". في آخر الرواق رأيت روب يدلف إلى الكافيتريا فبدأت أسرع بالسير، على أمل أن يُقدّر كينت الموقف ويتراجع. كان ذلك غاية في التفاؤل من قِبلي. إن كينت مفتون بـي منذ سنوات، وربما منذ أن تبادلنا القُبل.

توقف تماماً عن السير، ربما لظنه أني سأتوقف أيضاً. لكني لم أفعل. داهمني شعور سيّئ، لأني كنت قاسية جداً، لكن عاد صوته ليرن من ورائي، واستنتجت من مجرد النبرة أنه *لا يزال* يبتسم.

قال لي "أراكِ الليلة". سمعت صرير حذائه على الأرض، فعرفت أنه استدار وانطلق بالاتجاه المعاكس. ثم بدأ يصفر. وصلني الصوت، وصار يبتعد شيئاً فشيئاً. استغرقت بعض الوقت لأعرف الأغنية.

ستشرق الشمس، غداً. راهن بكل ما لديك على أن الغد سيكون مشمساً. للموسيقية *أني*. كانت أغنيتي المفضلة - حين كنتُ في السابعة.

قد لا تعني هذه الأغنية شيئاً لمن هم في الرواق، وأما أنا فقد شعرتُ بإحراج شديد وبدأتُ أشعر بالحرارة تسري إلى عنقي. لطالما فعل ذلك: إنه

يتصرف وكأنه يعرفني أفضل من أي شخص آخر فقط لمجرد أننا كنا نلعب سوية بصندوق الرمال قبل مائة عام. إنه يتصرف كما لو أن كل ما حدث في الأعوام العشرة الماضية لم يغير شيئاً، مع أن الذي مرَ غيّر *كل شيء*.

ارتج الهاتف في جيبي الخلفي، ففتحته قبل أن أدخل لتناول الطعام. هناك رسالة واحدة من ليندزي.

الحفلة عند كينت الغريب الليلة. موافقة؟

توقفت للحظة، ونفخت زفرة طويلة، قبل أن أرد.

طبعاً.

في كافيتريا توماس جيفرسون ثلاثة أنواع مقبولة من حيث الطعم:

1. البيغل، البسيط أو مع الجبن المدهون.
2. البطاطس المقلية.
3. شطائر الأطعمة المعلّبة من قسم "اصنع شطيرتك بنفسك".

لكن فقط مع لحم الحبش، أو صدر الدجاج. السجق ممنوع طبعاً، ولحم البقر المشوي غير مضمون. وهذا مخزٍ لأن لحم البقر المشوي هو المفضل لديَ.

كان روب أمام صندوق المحاسبة مع مجموعة من أصدقائه، واقفاً يحمل صينية كبيرة من البطاطس المقلية التي يتناولها كل يوم. التقت أعيننا فبادر بإيماءة (لم يكن من نوعية الشباب الذين يجيدون التعامل مع المشاعر، مشاعره أو مشاعري. وعبارة "أحبك" على الملحوظة تؤكّد ذلك).

هناك شيء غريب. قبل أن نبدأ بالخروج سوية كنت أحبه حباً جماً، ولوقت طويل، فبمجرد أن ينظر باتجاهي كان ينتابني شعور جيّاش قوي يصل بـي

إلى حدّ أن أصاب بالدوار. بصدق: في بعض الأحيان كان مجرد التفكير فيه يسبب لي الغثيان فاضطر للجلوس.

لكن الآن وقد أصبحنا ثنائياً أمام العلن، صارت الأفكار الغريبة تراودني حين أنظر إليه، كأن أتساءل إن كانت كل تلك البطاطس المقلية ستسد أمعاءه أو إن كان ينظف أسنانه أو متى كانت آخر مرة غسل فيها قبعة اليانكيز التي يرتديها كل يوم. أقلق أحياناً من وجود خطب ما فيّ. لماذا لا أرغب في الخروج مع روب كوكران؟

هذا لا يعني أني غير سعيدة بالمجمل - أنا سعيدة - لكن القصة وكأن عليّ تذكير نفسي دائماً وأبداً بسبب تعلقي به في المقام الأول، وكأني سوف أنسى إن لم أفعل ذلك. لحسن حظي، هناك مليون سبب وجيه: حقيقة أن شعره أسود وأن ملايين النمش على وجهه لا تجعله يبدو غبياً؛ أن صوته عالٍ لكن بطريقة مرحة؛ أن الجميع يعرفه ويحبه وأن نصف فتيات المدرسة مفتونات به؛ أنه يبدو جميلاً في لباسه الرياضي؛ أنه حين يكون متعباً جداً يضع رأسه على كتفي ويغفو. هذا أكثر ما يعجبني فيه. أحب أن أستلقي بجواره في هدوء الليل بحيث أسمع دقات قلبي. في مثل تلك الأوقات أكون متأكدة من حبي له.

تجاهلت روب ووقفت في الصف لأدفع ثمن البيغل - يمكنني أنا أيضاً التظاهر بأني صعبة المنال - ثم توجهت إلى قسم طلاب السنة الأخيرة. بقية الكافيتريا مستطيلة الشكل. الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة يجلسون بعيداً عند الطاولة الأقرب إلى الصفوف، وبعدهم طاولات المبتدئين، ثم طاولات السنة الثانية، ثم طاولات السنة ما

قبل الأخيرة. قسم طلاب السنة الأخيرة يقع في أول الكافيتريا، وهو على شكل مثمن مرصوف بأكمله بالنوافذ. حسنٌ، إنه يطل فقط على موقف السيارات، لكنه يظل أفضل من أن يقع ناظراك مباشرة على المعوقين وهم يقطرون عصير التفاح. لا أقصد الإهانة.

كانت آلي جالسة على طاولة مستديرة صغيرة بجوار النافذة مباشرة: إنها طاولتنا المفضلة. "مرحباً". وضعت الصينية والورود. كانت باقة آلي موضوعة على الطاولة فأجريت عدّاً سريعاً.

"تسعة ورود"، وأنا أشير إلى ورودها، "مثلي" ورحت أهز باقتي.

غيّرَت تعابير وجهها، "إحداها غير محسوبة. لقد أرسل لي إيثان شلوسكي واحدة. هل تصديقين؟ المُلاحِق".

"أجل، حسنٌ، لقد حصلت على واحدة من كينت ماكفولر، حسناً إحدى ورودي التسعة غير محسوبة أيضاً".

"إنه يحبك"، قالت لي، وهي تشدد على حرف الباء. "هل وصلتك رسالة ليندزي؟".

تناولت قطعة من البيغل ووضعتها في فمي. "هل سنذهب حقاً إلى حفلته؟".

قالت آلي بصوت أجش: "هل تخشين أن يغتصبك؟".

"مضحك جداً".

قالت آلي: "سيكون هناك برميل شراب"، وتناولت قضمة صغيرة من شطيرة الحبش.

"بعد المدرسة سنقصد منزلي، موافقة؟". لم تكن بحاجة للسؤال. إنه وجهتنا المعتادة أيام الجمعة،

حيث نطلب الطعام، ننبش خزانتها، نطلق العنان للموسيقى، ونرقص ونتبادل ظل العينين وأحمر الشفاه.

"أجل، طبعاً".

كنت أراقب بزاوية عيني روب وهو يقترب، وإذا به يصل فجأة ويجلس في الكرسي المجاور، ويميل صوبي حتى تلامس شفتاه أذني اليسرى. كانت تفوح منه رائحة عطر 'توتال'. وهو كذلك دائماً. كانت هذه الرائحة تذكرني بالشاي الذي تشربه جدتي - ببلسم الليمون - لكني لم أقل له ذلك بعد.

"مرحباً، سلامر". كان يختلق دائماً أسماءً لي: سلامر، سامويش، سامي. "هل وصلتكِ معايدتي؟".

فأجبته: "هل وصلتك أنت معايدتي؟".

أنزلَ حقيبة الظهر عن كتفه وفتحها. كان في أسفل حقيبته نصف دزينة من الورود المتغضنة - وأعتقد أن إحداها مني - ومعها كانت هناك علبة سجائر فارغة، علبة من لبان تريدنت، هاتفه الخلوي، وقمصان بديلة. لم يكن يحفل كثيراً بالدراسة.

"ممن تلقيتَ بقية الورود؟". وأنا أقصد إغاظته.

فأجابني: "من منافساتك". وهو يقوّس حاجبيه.

قالت آلي: "جميل حقاً، هل ستذهب إلى حفلة كينت الليلة، يا روب؟".

قال روب من دون مبالاة: "على الأرجح". لكن فجأة بدا عليه الضجر.

سأطلعكم على سر: في إحدى المرات حين كنا نتبادل القبل، فتحت عيني وإذ بي أرى عينيه مفتوحتين أيضاً. حتى أنه لم يكن ينظر إليَ، بل كان ينظر من فوق كتفي، مراقباً الغرفة.

قالت آلي للمرة الثانية "لديه برميل شراب".

الجميع يتحدث ممازحاً عن أن الذهاب إلى مدرسة جيفرسون يُجهز المرء بالكامل للتجربة الجامعية: ففيها تتعلم أن تعمل، وتتعلم أن تشرب. قبل عامين صنّفت صحيفة *نيويورك تايمز* مدرستنا بين المدارس العامة العشرة الأكثر شغباً في كونيكتيكت.

لكن هذا لا يعني أنه ما من شيء آخر نفعله. نحن نقيم حفلات في مراكز التسوق والأقبية. هذا كل شيء. دعونا نواجه الأمر: *غالبية* البلد هي على هذه الحال. كان والدي يقول دائماً إن عليهم أن يُنزلوا تمثال الحرية ويضعوا مكانه مركزاً تجارياً، أو أقواس ماكدونالد الذهبية تلك. على الأقل سيعرف الناس بتلك الطريقة ماذا يتوقعون.

"احم. أرجو المعذرة".

إنها ليندزي تقف خلف روب، وتنظف حلقها. كانت ذراعاها معقودتين وهي تخبط بقدمها.

قالت: "أنت تجلس مكاني، كوكران". كانت تتظاهر فقط بالصلابة. لطالما كان روب وليندزي أصدقاءَ. في الحد الأدنى كانا دائماً في المجموعة نفسها، وكانا دائماً أصدقاء بحكم الضرورة".

"تقبّلي اعتذاري، إيدجكومب". نهض من مكانه ومط ظهره مثل قوس، بينما أخذت هي مكانه.

"أراك الليلة، روب". قالت آلي. "لا تنسي إحضار أصدقائك".

قال روب بصوت عميق وهادئ وهو يتكئ ويمرّغ وجهه في شعري "أراك لاحقاً". كان ذلك الصوت في العادة يشعل كل أعصابي مثل ألعاب نارية. لكنني بتّ أشعر أنه صوت مانع. "لا تنسي، إنها ليلتنا".

قلت له: "لم أنس". محاولة أن أجعل صوتي مثيراً

وليس خائفاً. كانت يداي تتعرقان وصليت كي لا يمسك بيدي.

من حسن حظي أنه لم يفعل. عوضاً عن ذلك انحنى فوقي ووضع فمه على فمي. تبادلنا القبل قليلاً إلى أن صاحت ليندزي "ليس وأنا آكل". ورمتني بقطعة بطاطس، فأصابتني في كتفي.

"وداعاً، يا سيدات". قال روب وتسكّع بمشيته مبتعداً وقبعته تكاد تسقط عن رأسه.

مسحت فمي بمنديل حين وجدت أن لا أحد يراني، إذ إن نصف وجهي السفلي كان مغطىً بلعاب روب.

إليكم سراً آخر عن روب: أنا أكره طريقته في التقبيل.

إيلودي تقول إن توتري كله ينبع من شعوري بعدم الأمان لكوني أنا وروب حتى الآن لم نُنهِ المسألة. وهي مقتنعة أني سأشعر بتحسن بمجرد أن نفعل، وأنا واثقة أنها على حق. في النهاية، هي الخبيرة.

كانت آخر من انضم إلينا للغداء. بمجرد أن وضعَت صينية البطاطس رحنا نتخاطفها في الحال. قامَت بمحاولة فاترة لإبعاد أيدينا عنها.

وضعت بجوارها باقة ورودها. كان لديها اثنتا عشرة، وراودني للحظة شعور بالغيرة.

تبيّن لي أن آلي شعرت بذلك أيضاً لأنها قالت: "ماذا ستفعلين بكل هذه؟". فصححت لها ليندزي: "ماذا ستفعلين بكل هؤلاء؟".

مدّت إيلودي لسانها، لكن بدت عليها السعادة لأننا لاحظنا.

فجأة نظرت آلي من فوق كتفي إلى شيء ما وبدأت تتلعثم. "القاتلة المعتوهة، المع تو هة".

التفتنا جميعاً. كانت جولييت سايكس، أو سايكو (المعتوهة)، قد دلفت إلى قسم طلاب السنة الأخيرة. سأصف لكم مشيتها: كانت كما لو أنها تنحرف بفعل قوى خارجة عن سيطرتها. كانت تحمل كيساً ورقياً بنياً بين أصابعها الطويلة الشاحبة. ووجهها مخبأ خلف ستارة من الشعر الأشقر الشاحب، وكتفاها مرفوعان حتى يكادا يبلغان أذنيها.

أغلب من في الكافيتريا تجاهلها - إنها تعريف للمنسي - لكني أنا وليندزي وآلي وأيلودي بدأنا نؤدي حركة الصراخ والطعن من فيلم *المعتوه* لألفرد هيتشكوك، الذي كنا قد شاهدناه في إحدى الليالي التي أمضيناها سوية قبل عامين (والذي اضطرنا بعده للنوم والأضواء منارة).

لست متأكدة إن كانت جولييت قد سمعتنا. كانت ليندزي تقول دائماً إنها لا تستطيع سماعنا إطلاقاً لأن الأصوات التي في رأسها مرتفعة جداً. استمرت جولييت بنفس مشيتها البطيئة حتى وصلت في النهاية إلى الباب المؤدي إلى موقف السيارات. لا أعرف بالضبط أين تتناول طعامها كل يوم. ومن النادر جداً أن أراها في الكافيتريا.

دفعت الباب بكتفها عدة مرات حتى فتحته، كما لو أنها أوهن بكثير من أن تستطيع فعل ذلك.

"هل وصلتها معايدتنا؟". قالت ليندزي وهي تلعق الملح عن قطعة بطاطس قبل أن ترميها في فمها.

هزت آلي رأسها وقهقهت: "كنت جالسة خلفها مباشرة في حصة العلوم".

"هل قالت شيئاً؟".

"وهل تقول في العادة شيئاً؟". سألت آلي وهي تضع إحدى يديها على قلبها متظاهرة بالحزن. "لقد

رمت الوردة بمجرد انتهاء الحصة. هل تصدقون ذلك؟ أمامي مباشرة".

في السنة الأولى اكتشفت ليندزي بطريقة ما أن جولييت لم تتلق أية معايدة. ولا حتى واحدة. وهكذا وضعت ليندزي ملحوظة على إحدى ورداتها وألصقتها على خزانة جولييت. كانت الملحوظة تقول: *ربما في السنة القادمة، لكن على الأرجح لا*.

مذ ذلك الحين ونحن نرسل كل سنة وردة إليها مع الملحوظة نفسها في عيد الحب. الملحوظة الوحيدة التي تلقتها يوماً من أحدهم، على حد علمي كانت *ربما في السنة القادمة، لكن على الأرجح لا*.

في الأحوال الطبيعية كنت لأشعر بالامتعاض، لكن جولييت كانت تستحق لقبها. إنها غريبة الأطوار. تقول إحدى الشائعات أن والديها عثرا عليها مرة في الشارع 84 عند الثالثة صباحاً، وهي تقف على الجزيرة التي تفصل بين المسربين. العام الماضي قالت لاسي كينيدي إنها رأت جولييت في الحمام المجاور لجناح العلوم، وكانت تمسد شعرها مراراً وتكراراً وتنظر إلى صورتها في المرآة. لم تنبس جولييت ببنت شفة. لم تفعل ذلك لسنوات، على حد علمي.

ليندزي تكرهها. أعتقد أن ليندزي وجولييت كانتا سوية في صفين من المدرسة الابتدائية، وكل ما أعرفه أن ليندزي تكرهها منذ ذلك الحين. كانت ترسم إشارة دينية كلما لمحت جولييت في الجوار، كما لو أن جولييت مصاصة دماء تريد أن تغرس أنيابها في عنقها.

ليندزي هي من اكتشف أن جولييت تبولت في كيس نومها حين كنا في مخيم كشافة البنات في الصف الخامس، وليندزي هي من أطلق عليها

لقب ’الشقراء اللينة Mellow Yellow‘. وأصبح الناس ينادونها دائماً بهذا الاسم - حتى نهاية السنة الثانوية الأولى، إن كنتم تصدقون - وكانت تحرص على الابتعاد عنها لأنها تقول إن رائحتها شبيهة برائحة البول.

بقيت أنظر من النافذة، وأراقب شعر جولييت يلتمع في أشعة الشمس وكأن ناراً أمسكت به. كان هناك سواد يلوح في الأفق، مبشراً بقدوم عاصفة. للمرة الأولى أشك في سبب كراهية ليندزي لجولييت أصلاً، أو متى بدأ ذلك. فتحث فمي لأسألها، لكنهما غيرتا الحديث.

"- شجار نسوي"، أنهت إيلودي الكلام، وقهقهت آلي.

"أنا مرتعبة"، قالت ليندزي بتهكم. حتماً فاتني شيء.

قلث: "ما الذي يجري؟".

التفتت إيلودي نحوي. "ساره غروندل تجول في الأرجاء وتقول إن ليندزي دمّرت حياتها". اضطررت للانتظار ريثما تنتهي إيلودي من مضغ قطعة البطاطس. "لا يمكنها السباحة في ربع النهائي. وأنتِ تعلمين أنها تعيش من أجل هذا الهراء. أتذكرين حين نست أن تخلع نظاراتها الواقية بعد التمرين الصباحي وظلت تضعها حتى الحصة الثانية؟".

"على الأرجح أنها تحتفظ بجميع شرائطها الزرقاء على جدار غرفتها": قالت آلي.

لكزتني ليندزي بكوعها: "سام معتادة على فعل ذلك. ألست كذلك يا سام؟ كل تلك الأشرطة للعب مع الجياد".

"هل يمكننا العودة إلى موضوعنا؟". وأنا ألوح

بيدي، لأني أريد بدرجة ما العودة إلى القصة، وبدرجة أخرى لتشتيت الانتباه عني وعن حقيقة أني كنت حمقاء. حين كنت في الصف الخامس كنت أمضي مع الخيول وقتاً أطول مما أمضيه مع بني جنسي. "لا زلت لا أعرف سبب غضب ساره من ليندزي".

رمقتني إيلودي بناظريها كما لو أني واحدة من الجالسين على طاولة ذوي الاحتياجات الخاصة. "تم إيقاف ساره - لقد وصلت متأخرة إلى الصف، للمرة الخامسة في أسبوعين". لم تصلني الفكرة حتى الآن، فأطلقَت زفرة قوية: "كانت تتأخر عن الصف لأنها كانت مضطرة لركن سيارتها في الموقف العلوي والركض -".

"300 متر".

نطقنا بها جميعاً في ذات الوقت ثم بدأنا نقهقه كالمجانين.

قلث لها: "لا تقلقي، ليندز إذا قررتما خوض شجار فسأراهن بكل مالي عليكِ".

قالت إيلودي: "أجل، نحن نساندك".

"ألا ترون غرابة في الطريقة التي تحدث بها الأمور؟". سألت آلي بهذا الصوت الخجول الذي يخرج منها حين تحاول أن تقول شيئاً جدياً. "كيف ينتج كل شيء عن كل شيء آخر؟ مثلاً، لو أن ليندزي لم تستولِ على الموقف... ".

احتجت ليندزي: "أنا لم أستول عليه. لقد حصلت عليه بطريقة عادلة وصحيحة". وضربت بيدها على الطاولة للتأكيد. انسكب شراب إيلودي الكوكا كولا الخالي من السكر من العلبة، وسال على البطاطس. فجعلنا ذلك نبدأ بالضحك مجدداً.

"أنا جادة". رفعت آلي صوتها ليعلو فوق أصواتنا. "أتعلمون؟ إنها مثل الشبكة. كل شيء متصل".

سألت إيلودي: "هل اقتحمت مجدداً مخبأ والدك، آل؟".

كان ذلك كفيلاً بوضع حد للنقاش. إنها نكتة لا نزال منذ سنوات نقولها لآلي، لأن والدها كان يعمل في مجال الموسيقى. إنه محام، لا منتجاً ولا مخرجاً ولا موسيقياً أو ما شابه، وهو يرتدي بزة رسمية في كل مكان (حتى حين يذهب إلى المسبح في الصيف)، لكن ليندزي كانت تقول إنه في السر مدمن هيبي.

بينما رحنا نضحك ونتمايل على بعضنا، اكفهر وجه آلي وقالت وهي تحبس ضحكتها: "أنتن يا بنات لا تصغين أبداً إليَّ". ثم أخذت قطعة بطاطس ورمت بها إيلودي. "قرأت مرة أنه إذا أقلع سرب من الفراشات من تايلاند، سيتسبب بعاصفة مطرية في نيويورك".

"أجل، حسنٌ، وحين تُخرجين ريحاً سيحدث انقطاع كامل للكهرباء في البرتغال". قهقهت إيلودي ورمتها بقطعة البطاطس.

"نفسُكِ الصباحي يمكن أن يسبب فراراً جماعياً في أفريقيا". قالت آلي وهي تنحي للأمام، "كما أني لا أخرِج ريحاً".

بينما رحنا أنا وليندزي نضحك، استمرت إيلودي وآلي بالتراشق بالبطاطس. حاولت ليندزي القول إنهما تهدران الدهون القيّمة، لكنها شخرت بقوة وبالكاد استطاعت التلفظ بالكلمات.

في النهاية، أخذت نفساً وعميقاً وتماسكت ثم قالت: "هل تعرفان ماذا سمعت؟ أنك إذا عطست بقوة يمكن أن تتسببي بإعصار في أيوا".

حتى آلي جُن جنونها لذلك، وفجأة رحنا كلنا نجرب ذلك، نضحك ونعطس ونشخر كلنا في ذات الوقت. صار الجميع يحدق بنا، لكنّا لم نحفل بهم.

بعد حوالى مليون عطسة، أسندت ليندزي ظهرها إلى الكرسي، أمسكت معدتها والتقطت أنفاسها.

عادت وقالت: "ثلاثون قتيلاً في أعاصير أيوا، وخمسون آخرون في عداد المفقودين".

جعلنا ذلك نخرج مجدداً عن طورنا.

قررت أنا وليندزي أن نفوّت الحصة السابعة ونذهب إلى تي سي بـي واي (سلسلة مخازن شهيرة في أميركا تبيع الزبادي المجمدة). ليندزي كان لديها حصة لغة فرنسية، وكانت لا تطيقها، وأنا لديّ لغة إنكليزية. كثيراً ما كنا نفوّت الحصة السابعة. كنا في الفصل الثاني من السنة الأخيرة، فكان عدم ذهابنا إلى الحصة أمراً متوقعاً إلى حد ما. وعلاوة على ذلك كنت أكره مدرّسة اللغة الإنكليزية، الآنسة هاربور. كانت تخرج دائماً عن سياق الموضوع. في بعض الأحيان كنت أشرد لعدة دقائق، ثم فجأة أجدها تتكلم عن الملابس الداخلية في القرن الثامن عشر، أو عن الاضطهاد في أفريقيا، أو عن طريقة شروق الشمس فوق الأخدود العظيم. مع أنها على ما أعتقد في الخمسينات فقط، لكني واثقة تماماً من أنها بدأت تفقد رشدها. هكذا بدأ الأمر مع جدتي: أفكار تدور وتصطدم ببعضها، وتداعيات من هنا وهناك، والنقطة الأولى تُستبدل بالنقطة الثانية. حين كانت جدتي لا تزال حية كنا نزورها، وأذكرها من حينها، مع أني كنت لا أزال في السادسة، الفكرة التي كانت تراودني: *أتمنى أن أموت صغيرة في السن.*

إليكم تعريفاً للسخرية، إنه الآنسة هاربور.

أو ربما النذير؟

لمغادرة المدرسة أثناء الدوام يحتاج المرء إلى إذن خاص موقع من الوالدين والإدارة. لكن هذا غير صحيح دائماً. إحدى مزايا كون المرء في السنة الأخيرة هي أن بإمكانه مغادرة المدرسة متى يشاء، إذا كانت لديه حصة فارغة. كان الأمر كذلك منذ عشرين سنة، حين التصقت بثانوية توماس جيفرسون سمعة بأنها واحدة من أعلى معدلات انتحار المراهقين في البلاد. ذات مرة بحثنا عن المقالة على الإنترنت: 'ارتفاع معدل الانتحار' في صحيفة كونيكتيكوت.

يظهر أن بعض الأولاد غادروا المدرسة وخرجت سيارتهم عن مسارها وسقطت من أعلى جسر - محاولة انتحار، على ما أعتقد. بكل الأحوال، من حينها حرّمت المدرسة خروج أي أحد من المدرسة أثناء الدوام من دون إذن خاص. إذا نظرتم في الأمر فستجدونه غبياً. أنه كمن يكتشف أن الأولاد يجلبون الشراب إلى المدرسة في زجاجات الماء فيمنع الجميع من شرب الماء.

لحسن الحظ، هناك طريقة أخرى للخروج من المدرسة: عبر فتحة في السياج خلف صالة الألعاب المجاورة لملعب التنس، وكنا نسميها فسحة المدخنين لأن جميع المدخنين يختبئون هناك. لكن لم يكن هناك أحد حين تسللت وليندزي عبر السياج وانطلقنا عبر الغابة. في غضون لحظات سنصل إلى الطريق 120. كان كل شيء ساكناً ومتجمداً. كانت الغصينات والأوراق السوداء تتكسر تحت أحذيتنا، وكنا ننفث بخاراً كثيفاً مع أنفاسنا.

كانت ثانوية توماس جيفرسون تبعد أربعة كيلومترات عن مركز بلدة ريدجفيو، لكنها لا تبعد

سوى سبعمائة متر عن صف قصير من المتاجر البسيطة كنا نسميها النسق. كان هناك محطة وقود، فرع لمتاجر تي سي بـي واي، مطعم صيني مرضت إيلودي بسببه ليومين، ومتجر هولمارك تجد عنده تماثيل صغيرة لراقصات باليه وكرات زجاجية ثلجية وأشياء من هذا القبيل. كنا متجهتين إلى هناك. كنت أعلم أننا نبدو مثل غريبـي الأطوار ونحن نقفز على الطريق بتنانيرنا وجواربنا الضيقة، وتنفتح ستراتنا فتظهر تحتها الكنزات عديمة الأكمام المزركشة بالفرو.

في طريقنا إلى تي سي بـي واي مررنا بمطبخ هونان. هناك أبصرنا عبر النوافذ المتسخة أليكس ليمنت وكاتي كارجوللو ينحنيان فوق قِدر يحوي شيئاً ما.

قالت ليندزي وهي ترفع حاجبيها "أوو، فضيحة". مع أنها كانت في الواقع شبه فضيحة. الجميع كان يعرف أن أليكس يخدع بريانا ماكغوير مع كاتي منذ ثلاثة أشهر. واضح أن الجميع يعرف باستثناء بريانا.

عائلة بريانا كانت كاثوليكية محافظة. كانت تبدو جميلة ونظيفة حقاً، وفي أي وقت تراها تشعر أنها للتو غسلَت وجهها. كان واضحاً أنها تحافظ على نفسها من أجل الزواج. هذا ما كانت تقوله، بأي حال، لكن إيلودي كانت تعتقد بأنها تمارس أموراً منافية للحشمة في الحمامات. كاتي كارجوللو كانت في السنة ما قبل الأخيرة، لكن إن صدقت الإشاعات فقد أقامت علاقات حميمية مع أربعة أشخاص على الأقل لغاية الآن. إنها واحدة من الأولاد القلائل في ريدجفيو الذين ليس لديهم مصدر دخل. والدتها تعمل مصففة شعر، ولستُ أعرف حتى إن كان لديها أب. تعيش في إحدى الشقق المستأجرة الرخيصة

بجوار النسق. ذات مرة سمعث أندرو سينغر يقول إن رائحة غرفة نومها كرائحة دجاج جنرال تسو.

"فلندخل ونسلِّم" قالت ليندزي وهي تحاول الإمساك بيدي.

لكني أحجمت. "سأصاب بنقص السكر".

"خذي. تناولي هذه". أخرجت علبة سويتارتس من زنار تنورتها. ليندزي تحمل دائماً الحلويات معها، 7/24، كما لو أنها مدمنة على الممنوعات. أعتقد إنها تشبههم. "فقط لثانية، أعذكِ".

سمحث لنفسي بأن أنجر إلى الداخل. بمرورنا عبر الباب رن جرسٌ. خلف الصندوق كانت هناك امرأة تقلّب في صحيفة يو أس الأسبوعية. نظرَت إلينا، ثم عادت لتنظر إلى الأسفل حين أدركَت أننا لا ننوي طلب شيء.

تسللَت ليندزي مباشرة إلى حجرة أليكس وكاتي، واتكأت على الطاولة. إنها نوعاً ما صديقة أليكس. أليكس هو نوعاً ما صديق لكثير من الناس، فهو كان يبيع الأواني من خزانة أحذية في غرفة نومه. صداقتي معه كانت شكلية، فتفاعلنا كان لا يتعدى كثيراً مجرد الهز بالرأس. صحيح أنه كان معي في صف اللغة الإنكليزية، لكن حضوره كان أقل حتى مني. أعتقد أنه كان يقضي بقية الأوقات مع كاتي. من حين لاخر كان يقول شيئاً

من قبيل "وظيفة الإنشاء تلك كارثة، هاه؟". لكننا فيما عدا ذلك لم نكن نتكلم.

قالت ليندزي: "هاي، هل ستذهبان إلى حفلة كينت الليلة؟".

احمر وجه أليكس. على الأقل كان محرجاً من الإمساك به مع كاتي بشكل فاضح. أو ربما كان ذلك

رد فعل على الطعام. لن أتفاجأ.

تدرّج في الكلام قائلاً: "أم... لا أعلم. ربما. سأرى... ".

قالت ليندزي: "سنمرح كثيراً" بصوت مرح أكثر. "هل ستأتي معك بريانا؟ يا لها من حبيبة".

في الواقع، كلانا كان يجد بريانا مزعجة - كانت فرحة جداً دائماً وكانت ترتدي قمصاناً عليها شعارات غريبة مثل *ما لم تكن الكلب الذي في المقدمة لن يتغير المشهد* (بكل صدق) - لكن ليندزي كانت تحتقر كاتي وذات مرة كتبت ك. ك = ح. ب في كل أرجاء الحمام المقابل للكافيتريا - الذي يستخدمه الجميع. ح. ب اختصار لِـ حثالة بيضاء.

أصبح الموقف مربكاً، فاندفعث إلى القول "دجاج بالسمسم؟" وأنا أشير إلى اللحم المُتخثر في مرق رمادي في قدر على الطاولة، بجوار كعكتي حظ وبرتقالة تبدو حزينة.

قال أليكس: "إنه لحم بالبرتقال". وبدا عليه الارتياح لتغيير الموضوع.

رمقتني ليندزي بنظرة، معاتبة، لكني تابعت الكلام: "عليك الحذر من تناول الطعام هنا. ذات مرة تسممت إيلودي من الدجاج. لقد ظلّت تتقيأ ليومين متتاليين. هذا إن كان دجاجاً بالأصل. لقد أقسمت أنها رأت كرة من الفراء بداخله".

بمجرد قولي هذا تناولت كاتي عيدان الطعام وأخذت قضمة كبيرة، وهي تنظر إلى الأعلى وتبتسم لي أثناء مضغ الطعام وذلك كي أرى الطعام في فمها. لست متأكدة إن كانت فعلت ذلك متعمدة إغاظتي، لكنها كانت توحي بذلك.

قال أليكس: "هذا مقرف، كينغستون"، لكنها راحت

تبتسم الآن.

جالت ليندزي بعينها، وكأنها تعني إن أليكس وكاتي مضيعة لوقتنا: "تعالي، سام".

وضعت في جيبها كعكة حظ، وفتحتها حين أصبحنا في الخارج. ثم قرأت: "يمكن العثور على السعادة حين لا يبحث المرء عنها"، وانفجرت بالضحك حين رأيت تقاسيم وجهها. جمعت الورقة على شكل كرة وجعلتها تتدحرج على الأرض. "عديمة النفع".

أخذت نفساً عميقاً. "الرائحة هنا تسبب لي الغثيان دائماً". وهي فعلاً كذلك: رائحة اللحم القديم والزيت الرخيص والثوم. الغيوم في الأفق بدأت رويداً رويداً تغطي السماء، مضفية لوناً رمادياً على كل شيء.

"أخبريني عنها". وضعت ليندزي يدها على معدتها. "هل تعلمين إلى ماذا أحتاج؟".

قلت لها مبتسمة: "كوب كبير من أفضل الزبادي في البلاد!". تي سي بـي واي هو أحد الأشياء الأخرى التي لا نستطيع تجاوزها.

ردّت ليندزي: "بلا شك كوب كبير من أفضل الزبادي في البلاد".

مع أننا كنا متجمدتين من البرد، طلبنا كوبين من البوظة الطرية كثيرة الشوكولا عليها رشة من الفستق المطحون فوقها، وتناولناهما في طريقنا عائدتين إلى المدرسة، وكنا ننفخ على أصابعنا لتدفئتها. كان أليكس وكاتي خارجين من مطبخ هونان حين مررنا من هناك، لكننا أسرعنا نحوهما ثانية عند فسحة المدخنين. كان قد تبقى على قرع جرس الحصة الثامنة سبع دقائق تماماً، فسحبتني ليندزي خلف ملعب التنس لتدخن سيجارة دون

الاستماع لجدال أليكس وكاتي. هذا ما كان يبدو عليهما أنهما يفعلانه، أياً يكن الأمر. كان رأس كاتي مطأطأً وكان أليكس ممسكاً بكتفيها، ويهمس في أذنها. كانت السيجارة في يده تشتعل قريبة جداً من شعرها البني الأكمد الذي شعرث أنه سيحترق، فتصورث رأسها بالكامل على هذا النحو، مثل عود ثقاب.

أنهت ليندزي سيجارتها ورمينا كوبـي البوظة هناك، فوق الأوراق السوداء المتجمدة وغلب السجائر والأكياس البلاستيكية التي داستها الأرجل. كنت أشعر بالقلق بشأن الليلة - نصف خائفة ونصف متحمسة - كما حين يسمع المرء صوت الرعد ويعرف أنه في أية لحظة سيرى البرق يشق السماء، وكأنه يمزق الغيوم بأسنانه. ما كان ينبغي أن أفوت حصة اللغة الإنكليزية. لقد أتاح لي ذلك وقتاً أطول بكثير للتفكير، والتفكير لم يُفِد أحداً في حياته، مهما حاول الأساتذة والأهل ومجانين الأندية العلمية إقناعنا بغير ذلك.

عبرنا محيط ملعب التنس، وانطلقنا. كان أليكس وكاتي لا يزالان واقفين نصف مختبئين خلف صالة الألعاب. وكان أليكس يدخن سيجارته الثانية على الأقل. إنه جدال من دون شك. وشعرت للحظة بالارتياح إذ قلما نختلف أنا وروب، على الأقل ليس بشأن أمور جدية. لا بد أن لذلك مغزى ما.

قلث: "مشكلة في الجنة".

ردّت ليندزي: "أكبر من مشكلة في موقف العربات".

بدأنا نعبر موقف الأساتذة حين رأينا الانسة وينتر، نائبة المدير، تمر بين السيارات محاولة الإمساك بالمدخنين الذين ليس لديهم متسع من الوقت أو الأكسل من أن يذهبوا كل المسافة إلى فسحة

المدخنين، وبدلاً من ذلك يختبئون بين سيارات الأساتذة الفولفو والشيفروليه. كان لدى الانسة وينتر نوع من الثأر الجنوني تجاه المدخنين. سمعث أن والدتها توفيت بسرطان الرئة أو النفاخ الرئوي أو شيء من هذا القبيل. إذا أمسكت الآنسة وينتر بأحد وهو يدخن فإنه يتم احتجازه لثلاث جمعات، دون أن تقبل أيَ نقاش في ذلك.

بحثت ليندزي بفزع عن لبان تريدنت في حقيبتها وألقت قطعتين في فمها. "اللعنة، اللعنة".

قلث لها: "لا يمكن محاسبتك فقط لأن رائحة الدخان تنبعث منكِ"، مع أن ليندزي تعلم ذلك. لكنها كانت تحب الدراما. ظريف حين تعرف أصدقاءك جيداً، لكنكم في النهاية تكررون المواقف نفسها.

تجاهلَتني: "كيف هي رائحة أنفاسي؟". ونفخَت في وجهي.

"مثل معمل مينتول".

لم تقع عين الآنسة وينتر علينا بعد. بدأت تشق طريقها عبر المواقف، وتتوقف أحياناً للنظر تحت السيارات علّها ترى أحدهم مقرفصاً لإشعال سيجارته. هناك سبب في أن الجميع يلقبونها في السر نازيّة النيكوتين.

ترددث، ونظرث إلى الخلف باتجاه صالة الألعاب. صحيح أني لا أحب أليكس ولا كاتي، لكن كل من مر في المرحلة الثانوية يفهم ضرورة التعاضد في مواجهة الأهل، الأساتذة، والشرطة. إنه أحد تلك الخطوط غير المرسومة: نحن مقابلهم هم. هذا الشعور يأتي تلقائياً، تماماً كما تعرف أين تجلس ومع من تتكلم وماذا ستأكل في الكافيتريا، دون حتى أن تفكر كيف. إذا جاز التعبير.

سألث ليندزي: "هل ينبغي علينا العودة

لتحذيرهما؟". فتوقفت وأسهمت في السماء وكأنها تفكر بالأمر.

أخيراً قالت: "تباً لهما، يمكنهما الاعتناء بنفسيهما". وكأنها تعزز فكرتها. رنّ جرس الحصة الأخيرة فدفعتني وهي تقول "هيا".

إنها محقة، كالعادة. وأنا غير مدينة لهما بأي شيء.

الصداقة: لمحة تاريخية

أصبحت أنا وليندزي صديقتين في الصف السابع. ليندزي هي التي اختارتني، ولا أزال غير متأكدة من السبب. بعد سنوات من المحاولة، كل ما استطعت فعله هو شق طريقي من قعر المجتمع إلى الطبقة الوسطى. ليندزي كانت مشهورة منذ الصف الأول، حين انتقلت إلى هنا. في تمثيليات الصف في تلك السنة كانت هي رئيسة المجموعة؛ حين قدّمنا *ساحر أوز* في العام التالي لعبت هي دور دوروثي. وفي الصف الثالث، حين أدينا *تشارلي ومصنع الشوكولاته*، لعبت هي دور تشارلي.

أعتقد أن هذا سيعطي فكرة أكثر من وافية. إنها من نوع الأشخاص الذين يجعلونك تشعر بالثمالة فقط لمجرد أن تجدهم حولك، كما لو أن أطراف العالم قد تلاشت فجأة وأن كل الألوان تدور مع بعضها. كما هو واضح، لم أخبرها بذلك قط. كانت لتسخر مني وتعتبرها محاولة لإغرائها.

أياً يكن الأمر، في الصيف السابق للصف السابع أقامت مجموعة منا حفلة في مسبح تارا فلوت. صارت بيث تشيف تتباهى بقيامها بحركة قذائف المدفع في الطرف البعيد، لكنها كانت تتباهى حقيقة بنهديها - كانا أكبر من نهود أي فتاة هناك. كنت داخل المنزل أشرب الصودا حين ظهرت ليندزي

على حين غرة وعيناها تبرقان. لم تكن قد تكلمت معي من قبل أبداً.

قالت لي وهي تمسك بيدي: "يجب أن تأتي لتري هذا". كانت تفوح من أنفاسها رائحة البوظة.

سحبتني إلى داخل غرفة تارا حيث كانت جميع الفتيات قد كدّسن حقائبهن وملابسهن البديلة. حقيبة بيث كانت وردية وعليها الأحرف الأولى من اسمها مطرزة على الجانب. من الواضح أن ليندزي كانت قد فتشتها لأنها أخرجت منها في الحال علبة شفافة ذات سحاب، كتلك التي كنا نستخدمها لحفظ الأقلام حين كنا في المدرسة الابتدائية.

"انظري!". ورفعتها إلى الأعلى وصارت تهزها. كان بداخلها حشوتان.

لا أذكر كيف بدأ الأمر، لكن فجأة صرت أركض أنا وليندزي في أرجاء المنزل ونفتش في خزائن الحمام والأدراج ونجمع جميع الحشوات والضمادات التي كانت والدة تارا وأختها الكبرى تحتفظان بها في المنزل. كنث سعيدة إلى حد الدوار. أنا وليندزي إيدجكومب كنا *نتكلم*، وليس فقط نتكلم بل ونضحك، وليس فقط نضحك بل نضحك بشدة لدرجة أني صرت أعصر رجلي على بعضهما كي لا أبول في ثيابي. بعدها ركضنا إلى الخارج إلى السطح وصرنا نرمي الحشوات قبضة تلو قبضة على المسبح في الأسفل. كانت ليندزي تصرخ "بيث! لقد سقطت هذه من حقيبتك". ووقعت بعض الحشوات في الماء فبدأ الصبية فجأة بالتدافع للخروج من المسبح وكأنهم سيتنجسون. وقفت بيث على لوح الغطس وهي تقطر ماءً وترتجف، أما بقيتنا فكادوا يموتون من الضحك.

ذكّرني ذلك بما حصل حين أخذني والداي إلى

الأخدود العظيم في الصف الرابع، وجعلاني أقف على حافة لالتقاط صورة لي. كانت ساقاي تصطكان وصرت أشعر بوخز في باطن قدميَ وكأنهما تحثانني على القفز: لم أستطع الإحجام عن التفكير بمدة سهولة السقوط، وعن الارتفاع الذي نحن عليه. بعد أن التقطت أمي الصورة وسمحت لي بالابتعاد عن الحافة، شرعت بالضحك ولم أستطع أن أتوقف.

حين وقفت أنا وليندزي على السطح راودني نفس الشعور تماماً.

من حينها أصبحت أنا وليندزي أفضل صديقتين. آلي أتت لاحقاً، بعد أن شاركت هي وليندزي في دوري الهوكي على العشب في الصيف السابق للصف الثامن. إيلودي انتقلت إلى ريدجفيو في الصف الأول الثانوي. في إحدى الحفلات الأولى في السنة بدأت تتواعد مع شين مورتون الذي كانت ليندزي معجبة به جداً منذ ستة أشهر. اعتقد الجميع أن ليندزي ستقتل إيلودي، لكن في الاثنين التالي كانت إيلودي معنا على طاولة الطعام في المدرسة، وكانت هي وليندزي منكبّتان على صحن من البطاطس المقلية المكوّرة، تقهقهان وتتصرفان وكأنهما تعرفان بعضهما منذ الأزل. أنا مسرورة. حتى ولو كانت تصرفات إيلودي محرِجة في بعض الأحيان، لكنني أرى في أعماقها أنها ألطف واحدة بيننا.

الحفلة

بعد المدرسة مضينا إلى بيت آلي. حين كنا أصغر سناً - في الصف الأول الثانوي وحتى في النصف الأول من الثاني الثانوي - كنا أحياناً نمكث هنا ونضع أقنعة طينية، ونطلب قدر ما نستطيع تناوله من الأطعمة الصينية، ونأخذ عشرينات من مرطبان الكعك على الرف الثالث المجاور لثلاجة الي، حيث

يحتفظ والدها في كل الأوقات بألف دولار للحالات الطارئة. كنا نسميها ليالي "لفافات البيض (نوع من الطعام) الطارئة". بعد ذلك كنا نتمدد على أريكتها الضخمة ونشاهد الأفلام حتى يغلبنا النعاس - التلفاز في غرفة معيشة آلي كبير مثل شاشة سينما - وكانت أرجلنا تتشابك ببعضها تحت بطانية صوفية كبيرة. لكن منذ السنة ما قبل الأخيرة لا أذكر أننا فعلنا ذلك ولو مرة، فيما عدا الليلة التي انفصل فيها مات وايلد عن آلي وبكت بشدة لدرجة أن وجهها كان في الصباح التالي منتفخاً مثل خِلد.

اليوم سنشن غارة على خزانة آلي كي لا نضطر لارتداء نفس الأزياء إلى حفلة كينت. أظهرَت إيلودي وآلي وليندزي اهتماماً خاصاً بمظهري. وضعَت إيلودي طلاءً أحمر زاهياً على أظافري، لكن يدها اهتزت قليلاً فتلطخت بشرتي بالطلاء وظهر مثل جُرح، لكني لشدة توتري لم أحفل بذلك. سنلتقي أنا وروب الليلة في منزل كينت، وكان قد بعث إليّ برسالة نصية تقول *لقد جهّزت سريري من أجلك*. تركت لآلي مسألة اختيار الزي الذي سأرتديه - كنزة بلا أكمام ذهبية اللون، واسعة عند الصدر، وكعب بطول عشرة سنتمترات (تسميه حذاءها العازل). ليندزي تكفّلت بمكياجي، وهي تهمهم وتفوح منها رائحة الشراب. تناولت كل واحدة منا ثلاثة أقداح، وكنا نشرب بعد كل قدح عصير التوت البري.

بعدها حبست نفسي في الحمام، والحرارة تشع من أخمص قدمي حتى رأسي، وحاولت أن أحفظ عن ظهر قلب ما سأفعله هناك، في تلك اللحظة. لكني شعرت بعد قليل وكأن كل ملامحي أصبحت معلقة هناك، وكأنها شيء أراه على شخص غريب.

حين كنت صغيرة كنت معتادة كثيراً على فعل

ذلك: احبس نفسي في الحمام وآخذ حماماً ساخناً جداً حتى تصبح كل المرايا مغبشة، ثم أقف هناك، وأتمعن في المرآة بينما يظهر شكل وجهي بالتدريج من خلف البخار، الخطوط الأساسية أولاً، ثم تظهر التفاصيل بالتدريج. كنت في كل مرة أعتقد حين يتضح وجهي في المرآة أني سأرى شخصاً أكثر جمالاً، وكأني قد تحوّلت أثناء الحمام إلى شخص أفضل وأكثر نضارة. لكني كنت أبدو دائماً كما أنا.

حين وقفت في حمام آلي ابتسمت ورحت أفكر، *اخيراً سأكون غداً مختلفة*.

ليندزي كانت مهووسة إلى حد ما بالموسيقى، فحضّرت لنا مجموعة من الأغاني من أجل الطريق إلى منزل كينت، مع أنه لا يبعد سوى بضعة كيلومترات. استمعنا إلى د. دري وتوباك، ثم صرخنا جميعاً "لقد عادت صغيرتي" وتابعنا كلنا الغناء ("أحبّ العقب الكبير ولا يمكنني الكذب").

كان هناك شيء غريب جداً: فأثناء مرورنا بكل تلك الشوارع المألوفة - شوارع لطالما عبرتها، شوارع مألوفة جداً لدرجة أني ربما أكون قد تصوّرتها بنفسي - راودني هذا الشعور وكأني أطفو فوق كل شيء، أحلق فوق كل تلك البيوت والطرقات والباحات والأشجار، وأصعد إلى الأعلى، أكثر، أكثر، أكثر، فوق الجبل وصيدلية رايت إيد ومحطة الوقود وثانوية توماس جيفرسون وملعب كرة القدم والمدرجات المعدنية حيث كنا نجلس ونصرخ في كل مباراة. وكأن كل شيء أصبح صغيراً وتافهاً. وكأني بالكاد أتذكره.

إيلودي كانت مكتئبة. كانت الأقل تسامحاً بيننا. آلي راحت تشرب بقية الشراب المخبأة في حقيبتها، دون أي عصير تشربه بعدها. أما ليندزي فتولت

القيادة لأنها كانت قادرة على تناول المشروب طوال الليل دون أن يؤثر فيها.

بدأ المطر ينهمر حين شارفنا على الوصول، لكنه كان ناعماً جداً، وكأنه معلق في الهواء مثل ستارة كبيرة من البخار الأبيض. لا أذكر آخر مرة كنت فيها في منزل كينت - ربما في عيد مولده التاسع؟ - وقد نسيت كم هو موغل في الغابة. بدا الطريق متعرجاً إلى ما لا نهاية. لم نكن نرى شيئاً سوى الضوء الباهت للمصابيح الأمامية وهو يرتد عن الدرب الحصوي الملتف كاشفاً عن أغصان أشجار ميتة تتزاحم فوق رؤوسنا وقطرات المطر الصغيرة كالألماس.

قالت آلي وهي تصحح هندامها "هكذا تبدأ أفلام الرعب". كنا قد استعرنا كلنا كنزات جديدة منها، لكنها أصرت على الاحتفاظ بالكنزة ذات الحواف المكسوة بالفرو، مع أنها هي من كان في البداية معارضاً لها. "هل أنتن واثقات من أن رقمه هو اثنان وأربعون؟".

أجبت: "إنه للأمام قليلاً بعد". مع أنه لم تكن لديَ أدنى فكرة، وبدأت أفكر إن كنا قد انعطفنا باكراً جداً. كنت أشعر بشيء كالفراشات في معدتي، لكني لم أكن واثقة إن كان ذلك فأل خير أم لا.

بدأت الأشجار تقترب أكثر فأكثر حتى كادت تحتك بأبواب السيارة، وعبّرت ليندزي عن خشيتها على طلاء السيارة. وحين بدا وكأن الظلام سيبتلعنا، وإذ بالغابة تنتهي فجأة ويظهر أضخم وأجمل مرج يمكن للمرء تخيله، وفي وسطه منزل أبيض يوحي بأنه مصنوع من الجليد. كانت له شرفات ورواق طويل يمتد على الجانبين. حتى أطر النوافذ كانت بيضاء، ومزخرفة بتصاميم لم أستطع

تبيّنها بسبب الظلام القاتم. لم أتذكر شيئاً من ذلك. ربما من تأثير الكحول، لكني شعرت بأنه أجمل منزل رأيته قط.

تملّكنا الصمت لوهلة ونحن ننظر. كان نصف المنزل معتماً، وهناك نور دافئ يشع من الطابق العلوي، ويعطي لوناً فضياً للعشب حيثما وصل إلى المرج.

قالت ليندزي: "يبدو أنه بحجم منزلكم تقريباً، آل". ثم عبّرت عن أسفها: يبدو أن اللفظ غير دقيق.

أجابت آلي "تقريباً"، وتناولت زجاجة الشراب من حقيبتها وارتشفتها، ثم سعلَت، تجشأت، ومسحَت فمها.

"أعطيني قليلاً منها". قالت إيلودي وهي تحاول الوصول إلى الزجاجة.

وقبل أن أستوعب ما يحصل وإذ بالزجاجة تصبح بين يدي. أخذتُ رشفة. أحرقَت حلقي وكان طعمها مريعاً مثل طلاء أو بنزين، لكن مع نزولها إلى معدتي شعرتُ باندفاعة. نزلنا من السيارة وكان النور يشع من المنزل ويتسع، وكأنه يغامزني.

لطالما كان الدخول إلى الحفلات يسبب لي تشنجات أسفل معدتي. ومع ذلك فهو شعور جيد: إنه الشعور بأنه يمكن أن يحدث أي شيء. صحيح أنه في معظم الأحيان لا يحدث شيء، ففي معظم الأحيان تختلط ليلة مع تاليتها، وتختلط أسابيع مع أسابيع، وأشهر مع أشهر. وعاجلاً أم آجلاً سنموت جميعاً.

لكن مع بداية الليلة كل شيء وارد.

كان الباب الأمامي مقفلاً وتوجب علينا الالتفاف إلى المدخل الجانبي، وهناك رأينا باباً مفتوحاً على رواق ضيق حقاً مكسو بكامله بالخشب ينتهي

بدرجات خشبية صغيرة شديدة الانحدار. شعرت أنه شيء من ذكريات الطفولة، لكني لم أستطع تحديده بالضبط. صوت تحطم زجاج وأحدهم يصيح "نار في الحفرة!". ثم صدحت الموسيقى من مكبرات الصوت: *أنا مخادع، يا أعزائي، فقط أردتكم أن تعرفوا*. كانت الدرجات ضيقة جداً حتى اضطررنا إلى حشر أنفسنا في نسق واحد لأن هناك أناس ينزلون في الاتجاه المعاكس وفي أيديهم كؤوس جعة فارغة، فكان على معظمهم الاستدارة وإعطاء ظهورهم للحائط. ألقينا التحية على بضعة أشخاص وتجاهلنا البقية. كان بإمكاني كالعادة الشعور بالجميع ينظر إلينا، وذلك أمر لطيف آخر في كون المرء مشهوراً: لستَ مضطراً لإعارة الانتباه للناس الذين يعيرونك انتباههم.

في أعلى الدرجات رواق غلّق في كل أرجائه أضواء ميلاد متعددة الألوان. كانت هناك سلسلة من الغرف، كل واحدة تفضي إلى الأخرى، وكانت كلها مزدانة بالستائر وفيها وسائد وأرائك كبيرة، وجميعها مكتظة بالناس.

كل شيء كان لطيفاً - الألوان، السطوح، والطريقة التي ينظر فيها الناس. كل شيء باستثناء الموسيقى التي كانت ترتد عن الجدران وتجعل الأرضية تهتز. كان الناس يدخنون بكثافة، مما جعل كل ما حولنا يدور خلف غمامة زرقاء كثيفة. لم أدخن سوى النرجيلة مرة، ولم أتخيل ذلك سوى كضرب من التحشيش.

انحنت ليندزي إلى الخلف وقالت لي شيئاً، لكنه ضاع في جلبة الأصوات الكثيرة. ثم ابتعدت عني، وراحت تلوّح بيدها بين الحشود. التفت من حولي لكن آلي وإيلودي كانتا قد اختفتا أيضاً. وقبل أن

أدرك شيئاً بدأ قلبي يخفق، وراودني ذلك الشعور بالحكة في راحتي يدي.

كان يراودني مؤخراً كابوس أرى نفسي فيه واقفة وسط حشد كبير والناس يدفعونني من اليسار واليمين. كانت جميع الوجوه مألوفة، لكنهم كانوا جميعاً مرتاعين: يمرّ بهم شخص يبدو أنه ليندزي، لكن فمها كان غريباً جداً ومنسدلاً وكأنه يكاد يذوب. ولم يتعرّف أحد منهم إليّ.

الوقوف في منزل كيني لم يكن طبعاً يشبه ذلك، فقد كنث أعرف الجميع جيداً باستثناء بعض طلبة السنة الثانية وزوج من البنات - أعتقد أنهما من الصف الأول. ومع ذلك كان هذا كافياً ليشعرني بشيء من الفزع.

هممث بالتوجه نحو إيما هاوسر - كانت خرقاء تماماً، وفي الأحوال العادية كنث لأفضل الموت على الكلام معها، لكني بدأت أشعر باليأس - وعندها شعرت بذراعين قويتين تلتفان حولي وشممت رائحة زهر الليمون. روب.

وضع فمه الرطب على أذني. "سامي المثيرة. أين كنتِ طوال حياتي؟" التفث للخلف. كان وجهه متغضناً. قلث له: "أنت ثمل"، لكنها خرجت بنبرة اتهامية أكثر مما قصدت.

قال لي: "أنا صاحٍ بالقدر الكافي". وهو يحاول عبثاً أن يرفع أحد حاجبيه. "وأنت متأخرة"، وابتسم ابتسامة كسولة جانبية. "كنا نلعب لعبة الشرب من البرميل".

أشرث إليه: "إنها الساعة العاشرة. "لسنا متأخرات. وبكل الأحوال فقد اتصلث بك".

ضرب يده على جيوبه: "لا بد أني وضعث هاتفي في مكان ما".

أشحث بنظري: "يا لك من مهمل".

"يعجبني حين تستخدمين تلك الكلمات الكبيرة". وبدأ الجزء الآخر من ابتسامته يعلو بالتدريج، وعرفت أنه ينوي تقبيلي. استدرث بعيداً شيئاً ما، وبدأث أبحث عن صديقاتي، لكنهن لا تزلن مختفيات.

لمحث كينت عند الزاوية، وكان يرتدي ربطة عنق وقميصاً مطوقاً أكبر منه بثلاثة مقاسات، فوق سروال من القماش الخاكي. على الأقل لم يكن يرتدي برنيطته. كان يتحدث مع فويبـي ريفير وكانا يضحكان بخصوص شيء ما. أزعجني أنه لم يلاحظني حتى الآن. صرت آمل بأن يرفع نظره فيأتي متدحرجاً إلي كعادته، لكنه انحنى مقترباً أكثر من فوبـي وكأنه يحاول أن يسمعها بشكل أفضل.

جذبني روب إليه: "سنمكث لساعة فقط، موافقة؟ وبعدها سنغادر". كانت رائحته مثل الجعة مع شيء من السجائر حين قبّلني. أغلقث عيني ورحت أفكر كيف رأيته في الصف السادس يُقبّل غابـي هاينس، وتملّكتني الغيرة فلم أستطع تناول الطعام ليومين متتاليين. تساءلث إن بدا عليه الاستمتاع بها. غابـي، في الصف السادس، كانت مستمتعة.

كان يريحني التفكير بأمور كهذه: كم هي الحياة مضحكة.

لم أكن قد خلعث سترتي، لكن روب فك السحاب ودس يديه إلى خصري ثم تحت كنزتي. كانت يداه متعرقتان وكبيرتان.

ابتعدت مسافة كافية لأقول: "ليس هنا، بين الجميع".

قال لي: "لا أحد يراقب". وانقض علي ثانية. كانت

كذبة. إنه يعلم بأن الجميع يراقبنا. يمكنه أن يرى ذلك. حتى أنه لم يغلق عينيه.

امتدت يده من أعلى معدتي وبدأت أصابعه... لم أكن أعرف حقاً ما الشعور الذي من المفترض أن ينتابني...

قال روب وفمه مقابل أذني: "لا أطيق انتظار أن استيقظ إلى جانبك".

كان قوله ذلك لطيفاً، لكني لم أستطع التركيز بينما يداه تلتفان حولي. وقد حدث ذلك على حين غرة، إذ لم أكن قد فكرت بالجزء المتعلق بالاستيقاظ. لم تكن لديَ فكرة عما يمكن أن يتحدث به المرء في اليوم التالي لممارسة الحميمية، وتخيلت أننا مستلقيان بجانب بعضنا، غير متلامسين، صامتين، أثناء شروق الشمس. لم تكن لدى روب ستائر في غرفته - كان قد مزقها مرة في غمرة الثمل - وأثناء النهار تظهر الشمس وكأنها بقعة نور مسلّط على سريره، بقعة نور أو عين.

"ابحث عن غرفة".

انسللت من بين ذراعي روب حين ظهرت آلي إلى جانبي، وعلى وجهها تعبير عن الاشمئزاز. قالَت: "أنتما الاثنان منحرفان".

"هذه غرفة". رفع روب كلتا ذراعيه إلى الأعلى وأشار إلى ما حوله، وعندها انسكب بعض من الجعة على قميصي، فافتعلت جلبة، وتضايقت.

"أسف، عزيزتي"، وهو يهز كتفيه. لم يتبق لديه سوى سنتمتر واحد من الجعة في كأسه، فحدّق إليها عابساً. "سأذهب لأحضر مشروباً أقوى. هل تردن يا بنات؟".

"جلبنا مشروبنا معنا". ونقرت الي على زجاجة

الشراب في حقيبتها.

"هذا ذكي". ورفع روب إصبعه لينقر على صدغه، لكنه كاد أن يفقأ عينه. كان ثملاً أكثر مما توقعت. وضعَت آلي يدها على فمها وراحت تقهقه.

قلث: "صديقي معاق" بينما كان روب يترنح مبتعداً.

صححت لي آلي: "معاق لطيف".

"هذا كمن يقول المسخ اللطيف غير موجود".

"طبعاً موجود"، وجالت آلي بنظرها في أرجاء الغرفة، وهي تزم شفتيها وكأنها تستعد للتقبيل.

"أين ذهبتِ، بالله عليكِ؟". كنت أشعر بأني متضايقة من كل شيء أكثر من اللازم: من حقيقة أن صديقاتي ابتعدن عني بعد ثلاثين ثانية فقط، من حقيقة أن روب كان ثملاً جداً، من حقيقة أن كينت كان لا يزال يُكلّم فويبـي ريفر مع أنه من المفترض أن حبه لي كان جلياً. ليس طبعاً لأني /أريده أن يقع في حبـي. إنه فقط شيء ثابت لطالما أراحني، بطريقة غريبة. سحبث الزجاجة من حقيبة آلي، وأخذث رشفة أخرى.

"لقد قمنا بجولة. هناك ما يقارب سبع عشرة غرفة مختلفة في الأعلى. عليك إلقاء نظرة عليها". نظرَت آلي إليَ، ورأت التعبير على وجهي، فرفعت يديها. "ماذا؟ هذا لا يعني أننا تخلينا عنك وسط المجهول".

إنها محقة. لا أعرف لماذا أشعر بالضيق: "أين ذهبت ليندزي وإيلودي؟".

"إيلودي منكبة على حضن موفن في إحدى غرف النوم. وليندزي وباتريك يتشاجران".

"بهذه السرعة؟".

"أجل، حسنٌ، لقد تبادلا القبل في أول ثلاث دقائق. وانتظرا لغاية الدقيقة الرابعة ليبدأ بالشجار".

جعلني ذلك أنفجر بالضحك، وكذلك آلي. بدأت أشعر بتحسن، وبراحة أكثر. الشراب ملأ رأسي بالدفء. كان هناك أناس يتوافدون طوال الوقت وبدت الغرفة وكأنها تدور قليلاً. مع ذلك كان شعوراً جميلاً، مثل ركوب أرجوحة بطيئة جداً. قررنا أنا وآلي الذهاب في مهمة لإنقاذ ليندزي قبل أن يتحول شجارها مع باتريك إلى عراك.

وصل مزيد من الأشخاص. يبدو وكأن المدرسة بأكملها مدعوة، لكن لم يكن هناك فعلياً سوى ستين أو سبعين شاباً. هذا أكبر عدد أراه يوماً في حفلة. هناك المتقدمون والمتوسطون من السنة الأخيرة، بحسب الشعبية - كينت كان في أدنى الترتيب، لكن لا بأس كونه المضيف - بعض اللطفاء من السنة ما قبل الأخيرة، وزوج لطيف حقاً من الصف الثاني. أعرف أنه من المفترض بـي أن أكرههم، تماماً كما كنا مكروهين كطلاب من السنة الثانية في حفلات طلاب السنة الأخيرة، لكني لم أكلف نفسي العناء. لكن آلي رمقت مجموعة منهم بنظرة ثلجية حين مررنا بهم، وقالت بصوت عالٍ "رعاع". إحداهن، ريتشل كورنش، من المفترض أنها تخرج مع مات وايلد منذ فترة غير بعيدة.

من الواضح أن طلاب السنة الأولى لا يسمح لهم بالدخول. كما أن قعر المجتمع لم يظهروا. ليس لأن الموجودين سيسخرون منهم، مع أنه من المرجح أن يفعلوا ذلك. المسألة أكبر من ذلك. إنهم لا يسمعون بهذه الحفلات إلا بعد انتهائها. هم لا يعرفون بالأمور التي نعرفها: إنهم لا يعرفون بالمدخل الجانبـي السري إلى مضافة أندرو روبرتس، أو حقيقة أن

كارلي جابلونسكي تخبئ براداً في مرأبها يمكن الاحتفاظ بالجعة باردة فيه، أو حقيقة أن روكي لا يدقق عن كثب في بطاقات الهوية، أو حقيقة أن محلات ميكس تظل مفتوحة على مدار الساعة وتصنع أفضل بيض بالجبن في العالم، ويسيل منها طبعاً الزيت والكاتشب، وهي مثالية حين يكون المرء ثملاً. وكأن الثانوية تضم عالمين مختلفين كلياً، يدوران حول بعضهما دون أن يتلامسا إطلاقاً: من يملكون ومن لا يملكون. أعتقد أنه أمر جيد. ففي النهاية من المفترض بالثانوية أن تُعدّك للعالم الحقيقي.

كان هناك عدد كبير من القاعات الصغيرة والغرف وكأنها متاهة، وكانت كلها تعج بالناس والدخان. باب واحد فقط كان مغلقاً، ويافطة كبيرة مكتوب عليها "ممنوع الدخول" ملصقة عليه فوق عدد من ملصقات غريبة تحمل عبارات مثل "تخيّل البازلاء الملتفة وقبّلني. أنا إيرلندية".

المفاجأة الكبيرة كانت حين وجدنا ليندزي، إذ كانت هي وباتريك قد سوّيا الأمر. كانت جالسة في حضنه وهو يدخن. إيلودي وستيف دوف كانا في زاوية. كان هو متكأ على الجدار وهي تتمايل بشيء من الرقص والاحتكاك به. كانت تتدلى من شفتيها سيجارة غير مشتعلة، ردفاها بارزان، وشعرها مشعث. كان ستيف يسندها، مستخدماً إحدى ذراعيه لإبقائها واقفة على قدميها، لكنه في نفس الوقت يتحدث مع ليز هامر (إنه اسمها الحقيقي - وهو بالصدفة أيضاً نوع سيارتها) وكأن إيلودي غير موجودة، أو حتى تحتك به.

قلت: "مسكينة إيلودي". لا أدري لماذا شعرت فجأة بالأسف عليها. "إنها لطيفة جداً". فقالت الي "إنها

عاهرة"، لكنها لم تكن تعني ذلك.

"هل تعتقدين أننا سنذكر شيئاً من هذا؟" لست متأكدة من أين خرجت تلك الكلمات. كنت أشعر بخفة وضبابية في رأسي، جاهزة لأشرد بعيداً. "هل تعتقدين أننا سنتذكر شيئاً من هذا بعد سنتين من الآن؟".

"أنا لن أتذكر حتى غداً". ضحكت آلي وهي تعطيني القنينة. لم يكن قد تبقى منها سوى ربعها. لا أعرف متى شربنا كل ذلك.

صرخت ليندزي حين رأتنا ووقعت من حضن باتريك، ثم مدت ذراعاً نحو كل واحدة منا وكأنها لم ترنا منذ سنين. خطفت قنينة الشراب مني وأخذت رشفة وذراعاها لا تزالان تلفان كتفي، فشد كوعها للحظة على عنقي.

صاحت "أين ذهبتما؟". كان صوتها عالياً، بل وأعلى حتى من الموسيقى ومن أصوات جميع من يتحدث ويضحك. "لقد بحثت عنكما في كل مكان".

قلت لها: "هراء"، وقالت آلي "ربما في فم باتريك".

صرنا نضحك من حقيقة أن ليندزي معتادة على الشتم وإيلودي مخمورة وآلي مصابة بالوسواس القهري وأنا غير اجتماعية، ومن أن أحدهم كسر نافذة بقصد إخراج الدخان، ودخول رذاذ خفيف من المطر له رائحة العشب والأشياء النضرة، مع أننا في منتصف الشتاء القاتل. ودون أن يلاحظ أحد سحبت يدي ووضعتها على العتبة، مستمتعة بالهواء المتجمد والإحساس بالمطر عليها كوخز الإبر. أغلقت عيني وتعهدت لنفسي بألا أنسى هذه اللحظة: صوت ضحك صديقاتي والحرارة المنبعثة من الأجساد الكثيرة ورائحة المطر.

كانت صدمة حياتي حين فتحت عيني. إنها

جولييت سايكس تقف في المدخل وهي تحدق إلي.

في الواقع كانت تحدق إلينا جميعاً: أنا، ليندزي، آلي، وإيلودي التي كانت قد تركت ستيف للتو وجاءت للوقوف معنا. كان شعر جولييت مربوطاً إلى الخلف كذيل حصان، وشعرث إنها المرة الأولى التي أرى فيها وجهها فعلاً.

كان وجودها هناك صدمة، لكن الصدمة الأكبر أنها جميلة. كان لها عينان زرقاوان متباعدتان ووجنتان مرتفعتان، مثل عارضة. وكان جلدها نقياً تماماً وأبيض. لم أستطع الإحجام عن التحديق إليها.

صار الناس يدفعونها لأنها تسد المدخل، لكنها ظلت واقفة هناك، تحدق.

آلي كانت أول من لاحظ ففغرت فاها. "ماذا بحق الجحيم؟".

استدارت إيلودي وليندزي لتريا بماذا كنا نحدق. في البداية شحب لون ليندزي - في الحقيقة بدت مرتاعة، وهذا أكثر من غريب، لكن لم يتسنَ لي الوقت لأتساءل عن ذلك لأن وجهها اصطبغ بسرعة بلون أرجواني، وبدَت وكأنها مستعدة لاقتلاع رأس أحدهم. وهو مظهر معبِّر أكثر عن طبيعتها. إيلودي بدأت تقهقه بشكل هستيري حتى تكوَّرت على نفسها وتوجب عليها تغطية فمها بكلتا يديها.

قالت "أنا لا أصدق ذلك"، وأعادت "أنا لا أصدق ذلك". ثم حاولت أن تبدأ بالغناء "القاتلة المعتوهة، المع تو هة"، لكننا كنا جميعاً مصدومات ولم نشاركها الغناء.

"هل تعلم في السينما حين يقول أو يفعل أحدهم شيئاً غير مناسب فيتوقف التسجيل ويسود فجأة صمت مطبق؟ حسنٌ، ليس هذا ما حدث بالضبط، لكنه قريب من ذلك. الموسيقى لم تتوقف، لكن

جميع من كان في الغرفة بدأ يلاحظ حقيقة أن جولييت سايكس - مُبلّلة الفراش، غريبة الأطوار، والمخبولة - تقف وسط حفلة وترمق بنظرة لئيمة أربعة من البنات الأكثر شعبية في ثانوية توماس جيفرسون، فتوقفت المحادثات وملأ صوت همس خافت الغرفة، ثم راح يعلو ويصبح أكثر ثباتاً مثل صوت الريح أو المحيط.

أخيراً ابتعدت جولييت سايكس عن المدخل وولجت إلى الغرفة. كانت تسير ببطء وثقة نحونا - لم أرها قط بمثل هذا الهدوء - ثم توقفت على بعد متر أمام ليندزي.

قالت "أنت عاهرة". كان صوتها ثابتاً وعالياً جداً، وكأنها تتعمد إسماع كل من في الغرفة. كنتُ أتصور دائماً أن صوتها حاد أو لاهث، لكنه كان ممتلئاً وعميقاً مثل صوت شاب.

استغرقت ليندزي نصف ثانية لتستجمع صوتها، ثم نعقت "المعذرة؟". لم تكن عينا جولييت قد وقعت على عيني ليندزي منذ الصف الخامس، ولم تتكلم معها قبل ذلك، ولم *تهنها* قبل ذلك.

"لقد سمعتِني. عاهرة. فتاة حقيرة. شخص سيّئ". ثم استدارت جولييت نحو آلي. "أنت أيضاً عاهرة"، وثم إلى إيلودي "أنت عاهرة". ثم حوّلت نظرها إلي ولبرهة رأيت شيئاً يلتمع - شيئاً مألوفاً - لكنه تبدد بسرعة. "أنت عاهرة".

كنا جميعنا مصدومات ولم نعرف كيف نرد. إيلودي بدأت تقهقه ثانية بعصبية، وهي تحزق، ثم صمتت. فم ليندزي كان مفتوحاً ومدوراً مثل سمكة، لكنها لم تنبث بشيء. أما آلي فجمعت قبضتها وكأنها تفكر في لكم جولييت على وجهها.

أما أنا، وبالرغم من العصبية والإحراج اللذين

شعرتُ بهما، كان الشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه حين نظرتُ إلى جولييت هو: *لم أكن اعرف قبلاً كم أنت جميلة.*

استجمعت ليندزي قواها، وتقدّمت إلى الأمام حتى صار وجهها على بُعد سنتمترات من وجه جولييت. لم أرها قط غاضبة إلى هذا الحد، وشعرتُ أن عينيها تكادان تنفران من رأسها. ارتسمت على فمها تكشيرة، مثل كلب. وللحظة بدت حقاً قبيحة.

زأرت "أن أكون عاهرة أفضل من أن أكون مخبولة" وهي تقبض على قميص جولييت، واللعاب يتناثر من فمها - إلى ذلك الحد كانت غاضبة. ثم دفعت جولييت للخلف، فتعثّرت جولييت بقدمي مات دورفمان الذي دفع جولييت أيضاً لترتمي على سارا فيشمان. بدأت ليندزي تصرخ "مخبولة، مخبولة" وهي تقوم بحركة السكين كما في الفيلم، وفجأة صرخ الجميع "مخبولة!" وقاموا بنفس حركة السكين وهم يتدافعون جولييت للأمام والخلف. ليندزي كانت أول من سكب الجعة فوق رأسها، فتبعها الجميع. ثم رشتها ليندزي بالشراب، وحين ارتمت جولييت أمامي، نصف مبللة، وذراعها مفتوحتان في محاولة للتوازن، تناولتُ كأساً نصف ممتلئة من الجعة عن عتبة النافذة وسكبتها عليها. لم أدرك أني كنتُ أصرخ مع الجميع إلى أن جُرح حلقي.

نظرت جولييت إلي بعد أن سكبت الجعة عليها. لم أستطع تفسير ذلك - هذا جنون - لكنها كانت نظرة مليئة بالشفقة، وكأنها تشعر بالأسف علي.

فجأة، تقطعت أنفاسي، وشعرتُ وكأني تلقيت لكمة في معدتي. ومن دون تفكير، دفعتُها بأقصى ما أستطيع فارتطمت برف للكتب كاد يسقط عليها.

ثم دفعتها ثانية نحو الباب، وكان الجميع يضحك ويصرخ "مخبولة"، فهرعت خارجة من الغرفة. عند الباب اصطدمت بكينت الذي دخل على الأرجح ليعرف لماذا يصرخ الجميع.

تلاقت عينانا للحظة. لم أتبين تماماً بماذا كان يفكر، لكن كيفما بدا له هذا الأمر فإنه ليس جيداً. أشحت بنظري بعيداً وأنا أشعر بالحر وعدم الارتياح. الكل مفعم بالطاقة الآن، وها هم يضحكون ويتكلمون عن جولييت، لكن أنفاسي لم تعد لإيقاعها الطبيعي، وأشعر أن الشراب يحرق معدتي، ويرتدَ عائداً إلى حلقي. الغرفة كانت خانقة، وشعرت أنها تدور أسرع من ذي قبل. كان علي الخروج لأستنشق بعض الهواء.

حاولت شق طريقي عبر الغرفة، لكن كينت وقف أمام وسد طريقي.

بدأ يستفسر "بحق الجحيم، بشأن ماذا كان كل ذلك؟".

"هل تسمح لي بالمرور، رجاءً؟" لم يكن مزاجي يسمح بالتعاطي مع أي شخص، ولست على نحو خاص بمزاج يسمح لي بالتعاطي مع كينت وقميصه الغبـي مقطّع الأزرار.

"ما الذي فعلَتهُ يوماً معك؟".

كتفت ذراعي "الآن فهمت. أنت صديق للمخبولة. أليس كذلك؟".

ضاقت عيناه. "لقب ذكي جداً. هل فكرت بذلك لوحدك، أم ساعدتك صديقاتك به؟".

"ابتعد عن طريقي". وحشرت نفسي لأتجاوزه، لكنه أمسك بذراعي.

"لماذا؟" قال لي. كنا واقفين قريبين جداً من بعضنا

حتى شممت رائحة النعناع الذي تناوله للتو، ورأيت الشامة الشبيهة بالقلب تحت عينه اليسرى، بينما كان كل شيء آخر مغبشاً وسابحاً. كان ينظر إلي وكأنه يائس كي يفهم شيئاً، وكان ذلك سيئاً، بل أسوأ من أي شيء آخر حتى الآن - أكثر من جولييت أو غضبه أو شعوري بأني سأتقيأ في أية لحظة.

حاولت إبعاد يده عن ذراعي. "لا يمكنك أن تمسك هكذا بالناس. أنت تعلم. ولا يمكنك الإمساك بـي هكذا، فلدي صديق حميم".

"اخفضي صوتكِ. أنا أحاول فقط أن -".

"انظر". ونجحت في تخليص ذراعي من يده. عرفت أني أتكلم بصوت مرتفع وبسرعة كبيرة. وعرفت أني أتكلم بطريقة هيستيرية، لكني لم أستطع منع ذلك. "أنا لا أعرف ما هي مشكلتك، جيد؟ أنا لن أخرج معك. وسوف لن أخرج معك حتى بعد مليون سنة. لذلك يمكنك التوقف عن الشغف بـي. أعني أنه ما كان ينبغي حتى أن أعرف اسمك". كانت الكلمات تتطاير من فمي وكانت وكأنها سوف تخنقني. وفجأة لم أعد أستطيع التنفس.

حدّق بـي كينت بقوة. ثم انحنى أكثر نحوي. اعتقدت للحظة بأنه سوف يقبلني وأن قلبـي سيتوقف.

لكنه اكتفى بوضع فمه على أذني والقول "يمكنني أن أرى من خلالك".

"أنت لا تعرفني". وأخذت خطوة للوراء، وأنا أرتجف من الغضب. "أنت لا تعرف ولا حتى شيئاً واحداً عني".

رفع يديه للأعلى دلالة على الاستسلام. "أنت على

حق. أنا لا أعرف". وبدأ يستدير مبتعداً وهو يدمدم بشيء آخر.

"ماذا قُلت؟" كان قلبي يخفق في صدري بقوة حتى اعتقدث بأنه سينفجر. استدار ونظر إلي. "لقد قلث، حمداً لله".

شعرث بالدوار، وصرث أتمنى لو أني لم استعر من آلي الكعب العالي. وصارت الغرفة تدور معي وكان علي تثبيت نفسي بالدرابزين.

صاح بي كينت "صديقُكِ الحميم في الأسفل، يتقيأ في حوض المطبخ".

رفعث له إصبعي من فوق كتفي دون أن أستدير لأتبين إن كان قد رآني، لكني شعرث بأنه لم يرني.

حتى قبل أن أنزل الدرج لأرى إن كان ما قاله كينت عن روب صحيحاً، عرفث ذلك: الليلة ليست هي الليلة. وهذا المزيج من خيبة الأمل والارتياح أصابني بالإعياء حتى اضطررث للاستناد على الجدران وأنا أمشي، وشعرث وكأن الدرجات تلتف من تحتي وكأنها سوف تنزلق بعيداً في أية لحظة. الليلة ليست هي الليلة. غداً سأستيقظ وأعود كما كنت تماماً، وسيبدو العالم كما كان، وسيكون لكل شيء نفس الطعم والرائحة. تشنّج حلقي وبدأت عيناي تحرقانني، وكل ما استطعث التفكير فيه في تلك اللحظة أن اللوم يقع على كينت، على كينت وجولييت سايكس.

بعد ساعة من ذلك بدأت الحفلة تخبو. في الخارج كان أحدهم قد نزع أضواء عيد الميلاد عن الجدار التي أخذت تتلوى على الأرض مثل أفعى، وهي تضيء عث الغبار في الزوايا.

أشعر بتحسّن الان، وعدث أكثر إلى طبيعتي. قالت ليندزي لي "سيأتي الغد دائماً" حينها أخبرتها عن

روب، وصرت أردد العبارة مراراً وتكراراً في رأسي كما لو أنها تعويذة: *سيأتي الغد دائماً. سيأتي الغد دائماً.*

بقيت في الحمام لعشرين دقيقة. غسلت وجهي أولاً ثم أصلحت المكياج، مع أن يدي لم تكن ثابتة وكنت أرى صورة مضاعفة لوجهي في المرآة. في كل مرة أضع فيها المكياج أتذكر والدتي - كنت معتادة على مراقبتها وهي منكبة على زينتها استعداداً للمواعيد مع والدي - وكان ذلك يريح أعصابي. *سيأتي الغد دائماً.*

هذا الهزيع من الليل هو المفضل عندي، وذلك يكون معظم الناس نيام، فأشعر حينها أن العالم بأسره ملك لي ولصديقاتي. حينها أشعر وكأنه لا وجود لشيء آخر خارج دائرتنا الصغيرة: ففي كل مكان آخر لا وجود سوى للعتمة والهدوء.

غادرت أنا وإيلودي وآلي وليندزي. بدأ الجمع يتناقص مع مغادرة الناس، لكن لا تزال هناك صعوبة في الحركة. استمرت ليندزي بالتكرار "المعذرة، المعذرة، أفسحوا الطريق، حالة نسوية طارئة!" كنا قد اكتشفنا قبل سنوات في حفل فني لما دون الثامنة عشرة في باوكيبسي أنه ما من طريقة أسرع لإبعاد الناس من الإشارة إلى حالة نسوية طارئة. يبدو أن الناس يعتقدون أنهم سيصابون بالعدوى.

في طريقنا للمغادرة مررنا بأناس يختلون ببعضهم في الزوايا وفي بيت الدرج، وخلف الأبواب الموصدة سمعنا أصوات أشخاص يكبتون ضحكاتهم. كانت إيلودي تجمع قبضتها عند كل باب وتصرخ "لا واق، لا حب!". استدارت ليندزي وهمست شيئاً في أذن إيلودي، فأسكتتها إيلودي ونظرت إلي بطريقة تشعرني بالذنب. أردت إخبارهم

بأني غير مكترثة - أني لست مكترثة بروب وبإضاعة فرصتي وكل ذلك - لكني أصبحت فجأة متعبة ولا أقوى على الكلام.

رأينا بريانا ماكغوير من خلال باب موارب جالسة على حافة مغطس. كانت تضع رأسها بين يديها وتبكي.

قلت "ماذا أصابها؟" وأنا أكافح للتغلب على الشعور بالعوم في رأسي، وكأن كلماتي تأتي من بعيد.

"لقد هجرها أليكس" وأمسكتني ليندزي من مرفقي. كانت توحي بأنها متزنة، لكن بؤبؤ عينها كان متسعاً جداً وبياض عينها أحمر بلون الدم. "سوف لن تصدقي ذلك أبداً. لقد اكتشفَت أن النازي نيك قد رأى أليكس مع كاتي في وضع ملتبس. بينما كان من المفترض به أن يكون في موعد عند الطبيب". عادَت وألقت نظرة أخرى على بريانا. كانت الموسيقى لا تزال تصدح ولذلك لم نتمكن من سماع بريانا، لكنّ كتفيها كانا يهتزان إلى الأعلى والأسفل، كما لو أنها في حالة تشنج. "ستغدو أفضل بدونه. يا لهذا الوضيع".

"كلهم وضيعون!" قالت إيلودي وهي ترفع كأس الجعة وتسكب بعضاً منها. لكني لست متأكدة ما إذا كانت تدري عن ماذا نتكلم.

تناولت ليندزي كوبها ووضعته على طاولة جانبية، فوق نسخة بالية من موبي *ديك*. وضعت في جيبها تمثالاً سيراميكياً صغيراً، أيضاً: راعية ذات شعر أشقر مجعد ورموش مطلية. هي دائماً تسرق أشياء من الحفلات. إنها تسميها تذكاراتها.

قالت بصوت هامس "من الأفضل لها ألا ترتمي في الدبابة"، وهي ترجع رأسها إلى الخلف نحو إيلودي.

كان روب ممدداً على أريكة في الطابق الأرضي،

لكنه تمكن من الإمساك بيدي حين مررت بجواره وحاول شدي لأرتمي فوقه.

قال لي "إلى أين أنت ذاهبة؟" وكان نظره مشتتاً وصوته مبحوح.

"هيا روب. دعني أذهب" ودفعته عني. هذا كان خطأه أيضاً.

"كان من المفترض بنا أن..." وراح صوته يتلاشى فهز رأسه، مرتبكاً، ثم ضاقت عيناه. "هل تخونيني؟".

"لا تكن غبياً". كنت أريد أن أستعرض له الأمسية بكاملها، وأستعرض له الأسابيع القليلة الماضية، وصولاً إلى اللحظة التي انحنى فيها روب باتجاهي، ووضع ذقنه على كتفي، وأخبرني أنه يرغب في النوم بجواري، وأعود إلى لحظة السكون في تلك الغرفة المعتمة مع التلفاز بشاشة زرقاء وبدون صوت أمامنا وصوت أنفاسه، بينما أهلي نائمون في الطابق العلوي، وأعود إلى اللحظة التي فتحت فيها فمي وسمعت عبارة "أنا أيضاً".

"أنتِ، أنتِ تخونيني. أنا أعرف ذلك". وقف على قدميه مترنحاً وألقى نظرة واسعة عما حوله. كان كريس هارمون، وهو أحد أصدقاء روب المقربين، واقفاً في الزاوية وهو يضحك على أمر ما، فتقدم نحوه بخطوات متعثرة.

قال بصوت أجش "هل تخونني مع صديقتي، هارمون؟" ودفع كريس. ترنح كريس واصطدم برف للكتب، فوقع تمثال من السيراميك وتناثرت قطعه وصرخت فتاة:

"هل أنت مجنون؟" وقفز كريس على روب وفجأة أصبحا متشابكين، يتصارعان، ويدوران في أرجاء الغرفة ويصطدمان بالأغراض، وهما يصرخان

ويزأران. وبطريقة ما تمكن روب من إيقاع كريس على ركبتيه ثم أصبح الاثنان على الأرض. صارت البنات يصحن ويقفزن بعيداً عن طريقهما. وبكت إحداهن، "احذرا البيرة" مباشرة قبل أن يتدحرج روب وكريس أمام مدخل المطبخ، حيث كان برميل البيرة.

"دعينا نذهب، سام" وشدت ليندزي على كتفي من الخلف.

قلت لها "لا يمكنني أن أتركه هكذا" مع أن جزءاً مني يرغب في ذلك.

"سيكون بخير. انظري - إنه يضحك".

كانت محقة. فجأة توقف هو وكريس عن العراك وتمددا على الأرض، وهما يضحكان دون أن يستطيعا التوقف.

قلت لها "سوف يغضب روب"، وأنا أعرف أن ليندزي تعرف بأني لا أقصد فقط التخلي عنه في الحفلة.

عانقتني بسرعة، "تذكري ما قلته"، وبدأت تغني "*مجرد التفكير بالغد يبدد خيوط العنكبوت والأسى*...".

تشنجت معدتي للحظة، واعتقدتُ أنها تهزأ مني، لكنها مصادفة. لم تكن ليندزي تعرفني حين كنت صغيرة، ولم تكن حتى قد تكلمت معي. لا يمكن لها بأية طريقة أن تعرف بأني كنت معتادة على حبس نفسي في الغرفة مع أغنية *آني* وأظل أرددها بصوت عالٍ إلى أن يهددني والداي بإلقائي في الشارع.

بدأت النغمة تتكرر في رأسي وعرفت أني سأظل أرددها لأيام. *غداً، غداً، سوف أحبك*. كلمات جميلة

حقاً إذا ما فكّر بها المرء جيداً.

"حفلة تعيسة، هه؟" قالت آلي، واقتربت إلى الجانب الآخر مني. مع أني أعرف أنها مغتاظة من عدم حضور مات وايلد، فقد سررتُ لقولها هذا.

كان صوت المطر أقوى مما اعتقدت وقد بدأ يفزعني. وقفنا للحظة تحت أفاريز الشرفة، نراقب أنفاسنا وهي تتكاثف مثل غيوم، وصرنا نعانق أنفسنا. الجو متجمد. كان المطر يندفع بشكل مستمر من الأفاريز. كان كريستوفر توملين وآدم وو يرميان زجاجات الجعة الفارغة إلى الغابة، وكنا من حين لآخر نسمع صوت تكسر إحداها، فيرتد صدى الصوت إلى مسامعنا مثل طلق ناري.

كان الناس يضحكون ويصرخون وهم يركضون تحت المطر الذي كان ينهمر بشدة تشعر معها بأن كل شيء سينصهر في كل شيء آخر. لا يمكن أن تلحظ - من هنا حتى مسافة عدة كيلومترات - جيراناً يمكن أن يستدعوا الشرطة. العشب كان ممرغاً، وتنتشر عليه بقع سوداء كبيرة من الوحل. المصابيح الأمامية للسيارات تومض من بعيد، جيئة وذهاباً، مع خروج السيارات إلى الطريق باتجاه المسار 9.

صاحت ليندزي "اركضن نحوها!"، وأنا أشعر بأن آلي ملتصقة بـي، ثم ركضنا ونحن نصرخ. أعمانا المطر وصار يسيل من ستراتنا، وتغلغل الوحل في أحذيتنا. ضاع كل شيء في المطر.

مع وصولنا إلى سيارة ليندزي شعرت بأني لم أعد مكترثة بالطريقة البشعة التي تحولت إليها الليلة. صرنا نضحك بطريقة هستيرية، مبللات ومرتعشات، بعد أن أصحانا البرد والمطر. اشتكت ليندزي من آثارنا الرطبة على المقاعد الجلدية ومن الوحل على الأرضية، ورجتها إيلودي الذهاب إلى متجر ميك

لتناول البيض والجبن، أما آلي فكانت تصيح على ليندزي لتشغيل التدفئة مهددة إياها بأنها ستموت من لحظتها بسبب ذات الرئة.

أعتقد أننا بهذا الشكل بدأنا بالحديث عنه: أعني الموت. بدا لي أن ليندزي مهيأة للقيادة، لكني لاحظت أنها تقود أسرع من المعتاد أثناء نزولها تلك الطريق الطويلة البشعة. الأشجار كانت تبدو مثل هياكل عظمية على جانبينا، وهي تئنّ بفعل الرياح. ا

قلت "اسمعا هذه النظرية"، بينما كانت ليندزي تنزلق إلى المسار 9 والعجلات تزعق على الطريق المعبدة الناعمة. الساعة على لوحة القيادة تشير إلى 12:38. "لدي نظرية تقول إن المرء يرى قبل موته أجمل لحظات حياته. أفضل الأشياء التي فعلها".

قالت ليندزي "صغيرتي النبيلة"، ورفعَت إحدى يديها عن عجلة القيادة وضمتها لتصنع قبضة في الهواء.

قالت آلي في الحال "أول مرة أواعد فيها مات وايلد".

أما إيلودي فتنهدت وانحنت إلى الأمام، محاولة الوصول إلى جهاز الآي بود. "موسيقى رجاءً، قبل أن أقتل نفسي".

سألت ليندزي "هل لي بسيجارة؟"، فأشعلت إيلودي واحدة لها أخرجتها من جيبها الخلفي. فتحت ليندزي النافذة قليلاً، فدخل المطر البارد. بدأت آلي تتذمر مجدداً من البرد.

وضعت إيلودي أغنية "معك أو بدونك" لإغاظة آلي، ربما لأنها سئمت من أنينها. نعتتها آلي بالساقطة وفكت حزام الأمان، ثم انحنت محاولة الوصول إلى الاي بود. تذمرت ليندزي من كون إحداهن تضغط بمرفقها على رقبتها. سقطت

السيجارة من فمها واستقرت بين فخذيها، فبدأت تشتم وهي تحاول نفض الجمرة عن المقعد، بينما استمرت إيلودي وآلي في شجارهما وأنا أحاول تهدئتهما، وأذكرهن جميعاً بالمناسبة التي صنعنا فيها رجلاً ثلجياً في أيار. تقدمت الساعة إلى 12:39، وانزلقت الإطارات قليلاً على الطريق الرطبة، وكان دخان السيجارة يملأ السيارة ويصنع أطيافاً صغيرة في الهواء.

ثم، على حين غرة، يظهر ضوء أبيض باهر أمام السيارة. صرخت ليندزي - بكلمات لم أفهمها، شيء من قبيل *سائر أو* ساتر *أو* سائس - وفجأة تنقلب السيارة خارج الطريق إلى داخل الغابة المظلمة. سمعت صوتاً مرعباً حاداً - حديد على حديد، تحطم زجاج، سيارة تنقسم إلى اثنتين - وشممت رائحة نار. كان لدي متسع من الوقت لأفكر إن كانت ليندزي قد أطفأت سيجارتها.

ثم -

حينها حدث الأمر. لحظة الموت مليئة بحرارة وضجيج وألم أكبر من أي شيء، محرقة من الحرارة المستعرة شطرتني إلى نصفين، شيء محرق ولاذع وممزّق، وإذا كان الصراخ نوع من الشعور فهو هذا.

ثم لا شيء.

أعرف أن بعضكم يعتقد أني ربما أستحق ذلك. ربما ما كان ينبغي أن أرسل تلك الوردة إلى جولييت أو أسكب مشروبي عليها في الحفلة. ربما ما كان ينبغي علي أن أنقل الاختبار من لورين لورنت. ربما ما كان ينبغي أن أقول تلك الأشياء لكينت. وعلى الأرجح أن بعضكم يعتقد أني أستحق ذلك لأني كنت سأسمح لروب بالمضي حتى النهاية - لأني ما كنت سأنقذ نفسي.

لكن قبل إلقاء الشهم دعوني أسألكم: هل ما فعلته شائن حقاً؟ شائن إلى درجة أن أستحق معها الموت؟ وشائن إلى درجة أني أستحق الموت بهذه الطريقة؟

هل ما فعلته أسوأ بكثير فعلاً مما فعله أي أحد آخر؟

هل هو أسوأ بكثير مما فعلتموه أنتم؟

فكروا بالأمر.

2

عرفتُ أني أسقط في منامي مع أنه لا وجود لفوق أو تحت، لا جدران أو جوانب أو أسقف، فقط إحساس بالبرودة، والعتمة في كل مكان. أنا خائفة إلى درجة الصراخ، لكن حين فتحتُ فمي لم يحدث شيء، وتساءلت إن كان السقوط سيستمر إلى ما لا نهاية ولا أصلُ أبداً. هل أنا لا أزال فعلاً أسقط؟

أعتقد أني سأسقط حتى الوصول إلى الأبد.

جلبة كسرت الصمت، ثغاء ضعيف يصبح أعلى فأعلى إلى أن يصبح مثل منجل معدني يقطع الهواء، ويقطعني -

ثم استيقظت.

كان المنبه يرن طوال العشرين دقيقة الماضية. إنها 6:50 صباحاً.

جلستُ في السرير، ودفعتُ الغطاء عني. كنتُ سابحة في عرقي مع أن الغرفة كانت باردة. حلقي جاف وأحتاج إلى الماء بشدَة، كما لو أني كنت عائدة من الركض لمسافة طويلة جداً.

شعرتُ للحظة - حين جلتُ بنظري في أرجاء الغرفة - بأن كل شيء مشوش ومشوه قليلاً، كما لو أني لا أنظر فعلاً إلى غرفتي، وإنما إلى صورة شفافة لغرفتي تم وضعها بشكل غير صحيح، بحيث لم تتطابق الزوايا مع الواقع الفعلي. ثم تغير الضوء وبدا كل شيء طبيعياً من جديد.

عاد كل شيء إلي دفعة واحدة، وبدأ الدم يدفق في رأسي: الحفلة، جولييت سايكس، الجدال مع كينت-

"سامي!" وانفتح باب غرفتي، ليرتطم بالجدار، ودخلت إيزي تجري في أرجاء الغرفة، وتدوس

على دفاتري وجينزاتي المرمية على الأرض وعلى قميصي الذي اشتريته من متجر فيكتوريا سيكرت. هنالك خطب ما؛ شيء يمر بمحاذاة أطراف ذاكرتي، لكنه اختفى وقفزت إيزي إلى سريري، ولفّت ذراعيها حولي. كانتا ساخنتين. لفت يدها على العقد الذي أرتديه - سلسلة ذهبية دقيقة يتدلى منها طائر صغير، هدية من جدتي - وشدته بلطف.

"تقول أمي إن عليكِ النهوض". كانت تفوح من أنفاسها رائحة زبدة الفستق. لم أدرك إلى أن دفعتها عني كم كنت مرتعشة.

قلت لها "إنه السبت". لم تكن لدي فكرة كيف وصلت إلى المنزل ليلة أمس. ليست لدي فكرة عما حل بليندزي أو إيلودي أو آلي، ومجرد التفكير بذلك كان يصيبني بالغثيان.

بدأت إيزي تقهقه مثل المجنونة وهي تقفز عن السرير، وتندفع خارجة من الباب، لتختفي في آخر الممر. وسمعتها تنادي "أمي، سامي لا تريد النهوض!" قالت اسمي: ثامي.

تردد صدى صوت أمي من المطبخ "لا تجعليني أصعد إليكِ، سامي!".

وضعت قدمي على الأرض. الشعور بملمس الخشب البارد أدخل السكينة إلى قلبي. حين كنت في سن أصغر كنت أستلقي على الأرض طوال الصيف حين كان والدي يرفض تشغيل مكيف الهواء؛ كانت الأرض هي المكان الوحيد الذي لا يزال بارداً. شعرت برغبة لفعل نفس الشيء الآن. أشعر أني محمومة.

روب، المطر، صوت زجاجات الجعة تتدحرج في الغابة -

رن هاتفي، فجعلني أقفز من مكاني. مددت يدي

لألتقطه وفتحته. هناك رسالة جديدة من ليندزي.

أنا في الخارج. أين أنت؟

أغلقت الهاتف بسرعة لكن ليس قبل أن أرى التاريخ يومض أمامي: الجمعة، 12 شباط.

البارحة.

رنة أخرى. رسالة أخرى.

لا تجعليني بعمر 18 في يوم الحب، يا ساااقطة!!!

شعرت فجأة وكأني أتحرك تحت الماء، كأني منعدمة الوزن، أو أشاهد نفسي من مسافة بعيدة. حاولت الوقوف، لكن بمجرد وقوفي شعرت بمغصة قوية في معدتي جعلتني أركض إلى الحمام في الرواق، وساقاي ترتجفان، كنت متأكدة من أني سأتقيأ. حبست نفسي في الداخل وفتحت الماء في المغسلة والدش معاً. ثم وقفت فوق كرسي المرحاض.

صارت معدتي تتقلص من تلقاء نفسها، لكن لم يخرج شيء.

السيارة، الانزلاق، الصراخ -.

البارحة.

سمعت أصواتاً في الرواق، لكن كان الماء يتدفق بغزارة لم أتمكن من استيضاحها. إلى أن بدأ أحدهم يدق على الباب الذي أوصدته فصحت به "ماذا؟".

"اخرجي من الحمام. لا وقت لدينا". إنها ليندزي - لقد سمحت لها أمي بالدخول.

فتحت الباب قليلاً وإذ بها هناك، بسترتها الكبيرة المنفوخة وسحابها مرفوع حتى ذقنها، وتبدو مغتاظة. شعدت برؤيتها، بكل الأحوال. كانت تبدو طبيعية جداً، ومألوفة جداً.

قلت لها "ماذا حدث ليلة البارحة؟".

تجهّمت لثانية. "صحيح، أنا آسفة لذلك. لم أستطع معاودة الاتصال بك. لم أترك الهاتف وأنا أتحدث مع باترك لغاية، تقريباً، الثالثة صباحاً".

"تعاودين الاتصال؟" وأنا أهز رأسي. "كلا، كنت أقصد -".

"كان مضطرباً جداً من حقيقة أن والديه سيذهبان إلى أكابولكو من دونه" وأدارت عينيها. "صغيرتي المسكينة. أنا أشفق عليك، سام، الشبان مثل الحيوانات الأليفة. تطعمينها، تدللينها، وتضعينها في السرير". وانحنت للأمام "بمناسبة الحديث - هل أنتِ متحمسة بشأن الليلة؟".

"ماذا؟" لم أكن أعرف حتى عن ماذا تتكلم. كلماتها كانت تبدو لي من الماضي، ومبهمة مع بعضها. أمسكت بحمالة المنشفة، خوفاً من السقوط. كان الدش يضخ ماءً حاراً جداً وهناك بخار كثيف في كل مكان، يتصاعد في المرآة، ويتكاثف على الجدران.

"أنتِ، روب، بعض من جعة ميلر لايت، وأغطيته الناعمة" وهي تضحك. "رومنسي للغاية".

"عليَّ الاستحمام" وحاولت إغلاق الباب، لكنها تمكنت في آخر لحظة من إدخال مرفقها عبره ودفعته إلى داخل الحمام.

"ألم تستحمي بعد؟" وراحت تهز رأسها. "آه - آه. مستحيل. عليك الخروج من دون استحمام".

وصلت إلى الدش وقطعت الماء، ثم أمسكت بـي من يدي ودفعتني إلى الرواق.

"لكنك قطعاً تحتاجين لبعض المكياج" وهي تتفحص وجهي. "تبدين مزرية جداً. أهي الكوابيس؟".

"شيء من هذا القبيل".

"جلبث أغراضي معي في الدبابة"، وفتحت سحاب سترتها فرأيث من تحتها حافة من الفرو الأبيض: إنها كنزاتنا الخاصة بيوم الحب. وفجأة راودتني رغبة ملحة في الجلوس على الأرض والضحك والضحك، لكن كان علي مقاومة تلك الرغبة لأن ليندزي كانت تدفعني إلى غرفتي.

قالت لي "ارتدي ملابسكِ" وفتحت هاتفها الخلوي، على الأرجح كي تخبر إيلودي بأننا سوف نتأخر. راقبتني لثانية ثم تنهدت، واستدارت مبتعدة.

قالت "آمل ألا يمانع روب بقليل من معطر الجسد"، وبينما هي تقهقه لقولها ذلك بدأث بارتداء ملابسي: الكنزة، التنورة، والحذاء.

من جديد

هل هذه السترة الطويلة الأكمام تجعل ردفيّ يبدوان كبيرين؟

حين ركبت إيلودي السيارة انحنت لتتناول فنجان قهوتها، وكانت رائحة عطرها - معطّر برائحة العليق لا تزال تشتريه بدافع ديني من جناح العناية بالجسم في المول، مع أنه لم يعد مقبولاً منذ الصف السابع - حقيقية وحادة ومألوفة جداً إلى درجة جعلتني أغلق عيني، مغشية.

كانت فكرة سيئة. حين أغلقث عيني رأيث الأضواء الدافئة الجميلة لمنزل كينت تتلاشى في مرآة الرؤية الخلفية والأشجار السوداء العارية تصطف حولنا من كلا الجانبين مثل هياكل عظمية. شممث رائحة احتراق. ثم سمعث ليندزي تصرخ وشعرث بتشنج في معدتي مع ميلان السيارة بشكل مفاجئ إلى أحد الجانبين، ثم صرير الإطارات-

"اللعنة".

فتحث عيني بسرعة وإذ بليندزي تنحرف لتجنب سنجاب. رمت سيجارتها من النافذة، لكن كانت رائحة الدخان مضاعفة بشكل غريب: لست متأكدة ما إذا كنث أشمها أم أتذكرها أم أنَ كلا الأمرين يحدثان معاً.

قهقهت إيلودي "أنتِ بحق أسوأ سائقة".

فقلث بغمغمة "حاذري، رجاءً". كنث متشبثة بجانبـي المقعد دون أن أقصد ذلك.

قالت ليندزي "لا تقلقي"، وانحنت وربتت على ركبتي. "لن أدع أعز صديقاتي تموت وهي لا تزال عذراء".

راودتني رغبة شديدة بأن أبوح في تلك اللحظة بكل شيء لليندزي وإيلودي، وأن أسألهما ماذا يحدث معي - معنا - لكني لم أجد أية طريقة لقول ذلك.

كنا في حادث سيارة بعد حفلة لم تحدث بعد.

أعتقد أني مت البارحة. أعتقد أني مث الليلة.

لا شك أن إيلودي تعتبر أن لصمتي علاقة بقلقي بشأن روب. لفت ذراعها حول ظهر مقعدي ومالت إلى الأمام.

قالت إيلودي "لا تقلقي، سام. ستكونين بخير. إنه يشبه ركوب دراجة".

حاولث بصعوبة الابتسام، لكني بالكاد كنث أركز. كان الأمر كما لو أنني أويث منذ وقت طويل إلى الفراش ورحث أتخيلُ أنني وروب مستلقيان جنباً إلى جنب، وأتخيلُ الشعور بملمس يديه الباردتين الجافتين. التفكير به جعلني مكتئبة، وشعرث أني على وشك الاختناق. فجأة لم أعد أطيق الانتظار لرؤيته، لم أعد أطيق الانتظار لرؤية ابتسامته

العوجاء وقبعة اليانكي التي يرتديها ولا حتى سترته الصوفية القذرة التي تنبعث منها دائماً رائحة العرق، حتى بعد أن أجبرته أمه على غسلها.

"إنه يشبه ركوب حصان" صححت ليندزي لإيلودي. "ستصبحين بطلة حائزة على جائزة الأنشوطة الزرقاء في غضون لحظات، سامي".

"أنا أنسى دائماً أنكِ معتادة على ركوب الخيل"، قالت إيلودي وهي تفتح غطاء كوب القهوة، ثم نفخت البخار المتصاعد منه.

قلث "حين كنث بعمر السابعة تقريباً"، وذلك قبل أن تحاول ليندزي تحويل ذلك إلى نكتة. شعرث أنني سأبكي إذا ما بدأت تسخر مني الآن. لم أستطع قط أن أشرح الحقيقة لها: تلك الجولة على الحصان كانت بالنسبة لي أفضل شيء في العالم. كنث أحب أن أكون وحيدة في الغابة، وخاصة في الخريف حين يكون كل شيء قصفاً وذهبياً، الأوراق بلون النار، والرائحة وكأن الأشياء تتحول إلى تراب. كنت أحب صمتها، فلا يُسمَع فيها سوى وقع الحوافر وأنفاس الحصان.

لا هواتف. لا ضحِك. لا أصوات. لا منازل.

لا سيارات.

قلبث واقي الشمس للأسفل كي أحمي عيني من الوهج، ورأيت في المرآة أن إيلودي تسخر مني. فكرث، *ربما سأخبرها عما يحدث معي*، لكني في ذات الوقت عرفث أني لن أفعل. قد تعتقذ أني مجنونة. كلهم سيعتقدون ذلك.

التزمت الصمت وبقيث أنظر من النافذة. كان النور خافتاً ومفعماً بالرطوبة، وكأن الشمس قد أريقت بصعوبة في الأفق دون أن تقوى على تنظيف نفسها. الظلال حادة ومدببة مثل الإبر، وهناك ثلاثة غربان

سود أقلعت سوية من على كبل الهاتف وتمنيت لو أني أقلع معها، وأصعد، أصعد، أصعد، وأراقب الأرض وهي تبتعد عني كما يحصل حين تكون في طائرة، وها هي تفرد أجنحتها ثم تضمها مثل أشكال من الورق المطوي، حتى يصبح كل شيء مسطحاً وزاهي الألوان - حتى يصبح العالم بأسره مثل لوحة مرسومة.

قالت ليندزي "أغنية مكررة، رجاءً". فاستعرضت القائمة حتى وجدت أغنية ماري ج. بليغ، ثم أسندت ظهري ثانية وحاولت ألا أفكر بشيء باستثناء الموسيقى والإيقاع.

وحرصت على إبقاء عيني مفتوحتين.

مع وصولنا إلى الممر المفضي إلى منطقة الكراج العلوي نزولاً إلى مسرب هيئة التدريس وآلي الخريجة، شعرت بتحسن واضح، مع أن ليندزي تشتم وإيلودي تتذمر من أن تأخيرها مرة أخرى سيؤدي إلى إيقافها يوم الجمعة وهي لغاية الآن متأخرة لدقيقتين على جرس الدخول.

بدا كل شيء *طبيعياً* جداً. فلكونه يوم الجمعة أعرف أن إيما ماك إيلوري ستأتي من منزل مات دانزغ، وها هي فعلاً تعبر من فتحة مقصوصة في السياج. أعرف أن بيتر كورت سيكون منتعلاً حذاءه النايكي إير فورس رقم 1 الذي يملكه منذ مليون سنة لأنه يلبسه يومياً، برغم وجود عدة ثقوب فيه تستطيع من خلالها معرفة لون جوربيه (أسود عادة). راقبتهما يومضان من بعيد وهو يدلف باتجاه المبنى الرئيسي.

رؤية جميع تلك الأشياء جعلني بحالة أحسن آلاف المرات، وبدأت أفكر أنه ربما كل ما في الأمس - كل ما حصل - كان مجرد حلم طويل غريب.

توجهت ليندزي نزولاً إلى مسرب ألي الخروج، مع أن احتمال العثور على موقف فارغ مستحيل. إنه كالعقيدة بالنسبة لها. ثم هبطت معدتي حين اجتزنا الموقف الثالث من ناحية ملعب التنس ورأيت سيارة ساره غروندل الشيفروليه البنية وعليها ملصق فريق السباحة في ثانوية توماس جيفرسون - وملصق آخر، أصغر، مكتوب عليه 'تعال نتبلل' - وهي تحدّق بـي عبر ممتص الصدمات. فكرث: لقد حصلت على الموقف الأخير لأننا متأخرتان جداً، وكان علي غرز أظافري في راحتي كفي وأن أكرر لنفسي أنني كنت أحلم - وأنه لم يحدث شيء من هذا من قبل.

قالت إيلودي "لا أصدق أن علينا السير لثلاثمائة متر" بعبوس. "حتى أني لا أرتدي سترة".

"أنتِ من غادر المنزل نصف عارية" قالت ليندزي. "إنه شباط".

"لم أعرف أني سأسير في الخارج".

عبرنا ملاعب كرة القدم إلى يميننا في طريقنا إلى المسرب العلوي. في هذه الفترة من السنة تكون أرضية الملاعب سيئة ولا يظهر فيها سوى الوحل وبعض بقع العشب البني.

"أشعر وكأني أرى مشهداً مكرراً" قالت إيلودي. "صورة من السنة الأولى، هل نتذكّر؟".

فاندفعث قائلة من غير تفكير "أنا أرى مشهداً مكرراً منذ الصباح". وفي الحال صرث أفضل، هذا حتماً ما هو عليه الأمر.

"دعيني أحزر" قالت ليندزي وهي تضع يدها على صدغها وتقطب عينيها، متظاهرة بأنها تركز. "تعاودك صور من آخر مرة كانت فيها إيلودي مزعجة إلى هذا

الحد قبل التاسعة صباحاً".

"اخرسي!". مالت إيلودي إلى الأمام وصفعت ليندزي على ذراعها، ثم صارتا تضحكان. ابتسمت أنا أيضاً وكلي ارتياح لأني قلت تلك الكلمات بصوت عالٍ. يبدو ذلك منطقياً: ذات مرة في رحلة إلى كولورادو، سرت أنا وأهلي لخمسة كيلومترات للوصول إلى شلال صغير وسط الغابة. الأشجار كانت ضخمة ومعمّرة، وكلها من الصنوبر. الغيوم كانت متناثرة في كل السماء مثل غزل البنات. إيزي كانت أصغر من أن تستطيع السير أو الكلام، وكان والدي يحملها في حمالة الظهر. كانت ترفع قبضتيها الصغيرتين المكتنزتين إلى السماء وكأنها تحاول الإمساك بها.

على كلٍ، بينما كنا واقفين هناك نشاهد رذاذ الماء المرتد عن الصخور راودني شعور في غاية الغرابة بأن كل ذلك قد حدث سابقاً، بما فيه رائحة البرتقال التي كانت والدتي تقشره ونفس مشهد انعكاس صورة الأشجار على سطح الماء. كنت حينها *إيجابية*. أصبح ذلك أكبر نكتة في ذلك اليوم لأني كنت قد اشتكيت من السير لخمسة كيلومترات، وحين أخبرت والديّ بأني رأيت مشهداً مكرراً صارا يضحكان وقالا إنها كانت لتكون معجزة لو أني وافقت على السير تلك المسافة في حياة سابقة.

القصد من كلامي أني كنت حينها *متأكدة*، تماماً كما أنا *متأكدة* الآن من حدوث ذلك.

"أووو!" صرخت إيلودي وراحت تنبش في حقيبتها. أخرجت علبة سجائر وأحمر شفاه، بالإضافة إلى أداة لف الرموش. "كدت أنسى هديتك".

رمت الواقي فوق المقعد الأمامي، فصفقت ليندزي

بيديها وارتدّت إلى مقعدها حين أمسكث به.

قلث "لا واقٍ، لا حُب؟" وأنا أصطنعُ ابتسامة.

تقدمت إيلودي إلى الأمام وقبّلت وجنتي، تاركة أثر حلقة من أحمر الشفاه الوردي. "أمامك مستقبل واعد، يا صغيرتي".

قلث لها "لا تناديني كذلك، ورميث الواقي في حقيبتي. نزلنا من السيارة وكان الهواء بارداً جداً، وقد سبب لي وخزاً في عيني وصارتا تدمعان. تجاهلث الشعور السيئ الذي يجتاحني وصرتُ أردد: *هذا* هو يومي، *هذا* هو يومي، *هذا* هو يومي... كي لا أفكر بأي شيء آخر.

عالَم الظل

قرأتُ مرة أن انطباع المشهد المكرر يحدث حين يقوم أحد نصفي الدماغ بمعالجة المعلومات بسرعة مختلفة عن الآخر: النصف الأيمن قبل أجزاء من الثانية عن النصف الأيسر، أو العكس. بما أن مادة العلوم هي الأسوأ بالنسبة لي، لم أتمكن من فهم المقال كاملاً، لكن ذلك يفسر الشعور المختلط الغريب الذي يراودك في هذه الحالة، وكأن العالم قد انشطر إلى نصفين - أو أنت.

على الأقل هذا ما كنت أشعرُ به: وكأن هناك أنا حقيقية وأخرى هي انعكاس لي، ولا أستطيع بأي شكل أن أعرف ما هو الحقيقي وما هو الانعكاس. وكأن لهذا اليوم ظل.

في حالة المشهد المكرر تنتهي القصة بسرعة - في غضون ثلاثين ثانية، أو دقيقة كحدٍّ أقصى.

لكن هذا لا ينتهي.

كل شيء هو نفسه تماماً: إيلين تشاو تنادي على ورودها في الحصة الأولى، وسامارا فيليبس محنية

إلى الأمام وتدندن "لا شك أنه يحبني حقاً". مررث بنفس الأشخاص في الأروقة وفي نفس الوقت. ريتشارد لينت سكب قهوته في كل أرجاء الممر مرة ثانية، وكارول لين بدأت تصرخ في وجهه مرة ثانية.

حتى كلماتها هي نفسها. "هل سقطت على رأسك عدة مرات أو شيئاً من هذا القبيل؟". لا بد أن أعترف بأن ذلك كان مسلياً، حتى في المرة الثانية. حتى حين أشعز بأني مجنونة؛ وحتى حين أشعر بأنَي أريد الصراخ.

الأغرب من ذلك كانت الومضات والنثرات الصغيرة، الأشياء التي فيها انزياح طفيف. ساره غروندل هي أحد الأمثلة. في طريقي إلى الحصة الثانية رأيتها تقف مقابل صف من الخزائن، وهي تبرم نظارتها حول إصبعها وتتحدث مع ويندي هيل. أثناء مروري بجوارهما التقطث شيئاً من محادثتهما.

"... ممتع جداً. أقصد، قال المدرب إن باستطاعتي تخفيض زمني بمقدار نصف ثانية -".

"لدينا أسبوعين قبل نصف النهائي. يمكنك حتماً القيام بذلك".

وقفث متسمرة حين سمعث ذلك. رأتني أحدق بها وبدا عليها بشكل واضح عدم الارتياح. مسدَت شعرها وشدّت تنورتها، التي كانت مرفوعة إلى خصرها.

ثم لوَحت بيدها.

قالت لي "هاي، سام"، وعادت وشدّت تنورتها.

"أين كنت -" وأخذث نفساً عميقاً لأتجنب التأتأة مثل حمقاء. "هل كنتما تتحدثان عن نصف النهائيات؟ لفريق السباحة؟".

"أجل". أنار وجه ساره. "هل تنوين الحضور؟".

مع أني كنت مرتعبة من أن ذلك لا يزال يحدث معي، فقد وجدت ذلك السؤال غبيّاً حقاً. لم أذهب في حياتي إلى مسابقة في السباحة، وفكرة الجلوس على أرضية خرسانية ضيقة ومراقبة ساره غروندل ببذة السباحة ليست أكثر جاذبية من تناول طعام صيني في مطعم هونان. للصدق، الحدث الرياضي الوحيد الذي ذهبت إليه يوماً هو مباراة أصحاب الأرض، وحتى بعد أربع سنوات على ذلك لا زلت لا أفهم أياً من قوانينها. ليندزي كانت تجلب معها في العادة زجاجة مشروب ما لنتشارك أربعتنا عليها، وهكذا يصبح لدي ما أفعله بها.

"اعتقد أنك لم تكوني تتنافسين". حاولت التصرف بشكل عادي. "سمعت بعض الشائعات... كأنكِ مثلاً كنتِ متأخرة واستشاط المدرب غضباً...".

"سمعتِ شائعة؟ عني؟" اتسعت عينا ساره وبدت كما لو أني أعطيتها بطاقة لوتو رابحة. اعتقدُ أنها من أنصار فلسفة "غياب المنشورات يشبه المنشورات السيئة".

"أعتقدُ أني كنت مخطئة". فكّرتُ في رؤية سيارتها في الموقف الثالث من الأخير وشعرت بحرارة تسري في وجهي. طبعاً هي لم تكن متأخرة اليوم. طبعاً هي لا تزال تتنافس. لم يتوجب عليها السير من الموقف العلوي اليوم. كانت متأخرة *البارحة*.

بدأ رأسي ينبض وفجأة أصبح كل ما أريده هو الابتعاد عن هنا.

نظرت ويندي مستغربة. "هل أنت بخير؟ تبدين شاحبة حقاً".

"أجل. بخير. سوشي سيّئ الليلة الماضية". وضعت إحدى يدي على الخزانة لأثبت نفسي. بدأت ساره تثرثر بشأن الحادثة التي تناولت فيها طعاماً

مسموماً من المول، لكني كنث قد بدأت بالسير مبتعدة، وأشعر كما لو أن الرواق يدور ويتقلب من تحتي.

مشهد مكرر. إنه التفسير الوحيد.

إذا كرّرت شيئاً بقدر كافٍ يمكن أن تجعل نفسك تصدقه.

شعرث بأني مخضوضة لدرجة نسيث معها أن آلي تنتظري في الحمام المجاور لجناح العلوم. دخلث أحد المراحيض وقلبث الغطاء للأسفل واكتفيث بالجلوس هناك بينما هي تثرثر، وأنا نصف مصغية. أذكز شيئاً قالته مرة الانسة هاربور في إحدى شطحاتها في حصة اللغة: بأن أفلاطون كان يعتقد بأن العالم بأسره - كل ما يمكننا رؤيته - كان مثل ظلال على جدار كهف. لا يمكننا فعلاً أن نرى الشيء الحقيقي، الشيء الذي يرمي هذا الظل في المقام الأول. ينتابني هذا الشعور الآن، بأني محاطة بالظلال، وكأني أرى انطباع الشيء قبل الشيء نفسه.

دعوني أخبركم شيئاً: إليكم ما يجب أن تتجنبوا التفكير فيه حين تكون حياتكم كلها آيلة للسقوط. (1) أساتذة اللغة المجانين الذي يخرجون دائماً عن سياق الموضوع و(2) الفلاسفة الإغريق.

"مرحباً؟ هل تسمعيني فعلاً؟".

صرّ الباب حين دفعته آلي، فنظرث إليها، مذهولة. لاحظث عبارة ك. ك = ح. ب على جانب الباب، وتحتها ملاحظة أصغر: غد *إلى مقتفي الأثر*، هو.

قلث لها تلقائياً "قلت أنك ستذهبين قريباً لشراء صدرية من جناح الأغراض النسوية". طبعاً لم أكن مصغية حقاً. ليس هذه المرة، على كل حال.

كنت أتساءل، باستغراب، عن السبب الذي دفع ليندزي للنزول كل تلك المسافة من أجل الكتابة على جدار الحمام - أعني، لماذا كان ذلك مهماً لها. لقد كتبته مسبقاً عشرات المرات في الحمام المقابل للكافيتريا، وهو الحمام الذي يستخدمه الجميع. كما أني غير متأكدة من سبب كراهيتها لكايت، وقد ذكرني ذلك بأني لا أزال لا أعرف متى بدأت تكره جولييت سايكس لهذا الحد أيضاً. إنه لأمر غريب كم يمكن أن تعرف عن شخص ما دون أن تعرف كل شيء. سوف تعتقد في يوم أنك وصلت إلى نهاية ذلك.

وقفث وفتحث الباب، وأنا أشير إلى الكتابة الجدارية. "متى فعلت ليندزي هذا؟".

جالت آلي بعينيها. "ليست هي. إنه فنان مقلّد".

"حقاً؟".

"آه - ها. هناك واحدة أيضاً في غرفة ملابس البنات. مُقلّد". لفّت شعرها على شكل ذيل حصان وبدأت تقرص شفتيها لتجعلهما تنتفخان. "هذا مزعج. لا يمكننا أن نفعل شيئاً في هذه المدرسة دون أن يفعل الجميع نفس الشيء".

"مزعج". ورحث أمرر أصابعي فوق الكلمات. كانت سوداء سميكة، مكتوبة بقلم تخطيط، مثل الديدان. تساءلث بشكل مقتضب عما إذا كانت كاتي تستخدم هذا الحمام.

"يجب أن نقاضيهم لمخالفتهم حقوق النشر. هل تتخيلين؟ عشرون دولاراً في كل مرة يُقلّد فيها أحدهم أسلوبنا. سوف نباشر بها". قهقهت. "نعناع؟".

أخرجت آلي علبة نعناع التويدس. صحيح أنها لا تزال عذراء - وستظل كذلك، على المدى المنظور (أو على الأقل حتى تدخل الجامعة)، لكونها مهووسة

تماماً بمات وايلد - لكنها كانت تصر على تناول حبوب منع الحمل، وكانت تحتفظ بها مجعدة في ورقتها القصديرية مع النعناع. كانت تزعم أنها تفعل ذلك كي لا يجدها والدها، لكن الجميع يعرف أنها كانت تحب أن تُخرجها في الصف كي يعتقد الناس أنها تمارس الجنس. لم يكن ذلك يخدع أحداً، فثانوية توماس جيفرسون صغيرة: أنتم تعرفون هذه الأمور.

ذات مرة قالت إيلودي لآلي إن أنفاسها "برائحة الحَمل" وكدنا نموت من الضحك عليها. كنا في السنة ما قبل الأخيرة في أيار وكنا متمددات على ترامبولين آلي. كان ذلك في صباح السبت بعد إحدى أفضل الحفلات. كان تأثير الكحول لم ينته بعد، أدمغتنا مشوشة، وممتلئات من تناول الفطائر واللحم المقدد على العشاء، وكنا في غاية السعادة. استلقيت هناك بينما كان الترامبولين يغوص ويتأرجح، مغمضة العينين تحت الشمس، وتمنيت ألا ينتهي اليوم أبداً.

رن الجرس وصرخت آلي، "أووه! سوف نتأخر".

من جديد انفتحت تلك الثغرة في معدتي. جزء مني كان يرغب في الاختباء طوال اليوم في الحمام، لكني لا أستطيع.

أعلم أنكم تعرفون ما حدث بعدها. أني وصلت إلى حصة الكيمياء متأخرة. أني جلست في المقعد الأخير بجوار لورين لورنت. وأن الأستاذ تيرني أجرى لنا اختباراً من ثلاثة أسئلة.

ما هو الجزء الأسوأ؟ الجزء الأسوأ هو أني رأيت الاختبار من قبل ومع ذلك لا أزال لا أعرف الأجوبة.

طلبت استعارة قلم. وبدأت لورين تهمس... فهي تريد أن تعرف ما إذا كان هذا القلم جيداً. وصفق

الأستاذ تيرني الكتاب على الطاولة محدثاً دوياً.

قفز الجميع إلا أنا.

حصة. جرس. حصة. جرس.

جنون. سوف أصاب بالجنون.

حين بدأ توزيع الورود في حصة الرياضيات بدأت يداي ترتجفان. أخذت نفساً عميقاً قبل أن أفتح البطاقة الرقيقة الصغيرة مع الوردة التي أرسلها روب إلي. تخيلت أنها تقول شيئاً رائعاً، شيئاً مفاجئاً، شيئاً سيجعل كل شيء أفضل.

أنت جميلة، سام

يسعدني جداً أن أكون معك

سام، أنا أحبك

رفعت زاوية البطاقة برفق ونظرت داخلها.

أحبك (Luv y)

أغلقت البطاقة بسرعة ووضعتها في حقيبتي.

"واو. إنها جميلة".

نظرت للأعلى. كانت الفتاة التي ترتدي زي ملاك تقف هناك، تحدق بالوردة التي وضعتها للتو على مقعدي: تويجات ملتفة زهرية وحليبية، كما لو أنها مصنوعة من نوع من البوظة. كانت يدها لا تزال ممدودة وتظهر عروقها الزرقاء الدقيقة عبر جلدها وكأنها شبكة عنكبوت.

"خذي صورة. ستدوم أكثر"، وصورتها بيدي. اصطبغت بلون أحمر مثل الورود التي تحملها وتأتأت بالاعتذار.

لم أكلف نفسي عناء قراءة الملحوظة المرفقة مع هذه الوردة، وبقيت حتى نهاية الحصة مسمرة عينيَ على اللوح لأتجنب أية إشارة من كينت. كنت مركزة بشدة على عدم النظر إليه حتى فاتني تقريباً

حين غمزني الأستاذ ديملر وابتسم.

تقريباً.

بعد الحصة لحق بي كينت، وهو يحمل الوردة الزهرية والحليبية، التي تعمدت تركها على المقعد.

قال لي "لقد نسيت هذه". كما العادة، كان شعره منسدلاً فوق عينه. "لا مشكلة، يمكنك قولها: أنا مذهل".

"لم أنسها" وأنا أجاهد كي لا أنظر إليه. "أنا لا أريدها".

سرقت نظرة إليه ورأيت ابتسامته تخبو للحظة. ثم تعود عريضة، مثل حزمة شعاع ليزري.

"ماذا تقصدين؟" وهو يحاول أن يعطيني إياها. "ألم يخبرك أحد قط أنكِ كلما حصلتِ في عيد الحب على ورود أكثر أصبحتِ أكثر شهرةً؟".

"لا أعتقد أني أريد أية مساعدة في هذا الخصوص، وخاصة منك".

تراجعت ابتسامته حتماً بعد ذلك. جزء مني كان كارهاً لما أفعل، لكن كل ما استطعت التفكير فيه هو الذكرى - أو الحلم - أو أياً يكن - حين يميل باتجاهي وأشعر أنه ينوي تقبيلي، أنا متأكدة من ذلك، لكنه بدلاً من ذلك همس لي: *أنا أرى من خلالك*.

أنت لا تعرفني. أنت لا تعرف أي شيء عني.

شكراً لله.

صرت أغرز أظافري في راحتي يدي.

قال لي "أنا لم أقل أبداً أن الوردة مني". كان صوته منخفضاً ورصيناً حتى أفزعني. نظرت في عينيه؛ كانتا خضراوين براقتين. أذكر حين كنت صغيرة أن أمي كانت معتادة على قولها إن الله جعل العشب وعيني كينت من نفس اللون.

"أجل، حسنٌ. هذا واضح". كنتُ أريد فقط أن يتوقف عن النظر إلي بتلك الطريقة.

أخذ نفساً عميقاً. "انظري. سأقيم حفلة الليلة-".

حينها رأيت روب يدخل إلى الكافيتريا. كنت في العادة أنتظر كي ينتبه إلي، لكني اليوم لم أستطع.

ناديته "روب!".

استدار ورآني، لوّح بيده، ثم بدأ يستدير من جديد.

"روب! انتظرا" انطلقتُ عبر الرواق. لم أكن أركض بمعنى الكلمة - أنا وليندزي وآلي وإيلودي أبرمنا اتفاقية قبل سنوات بألا نركض على أرضيات المدرسة، ولا حتى في حصص الرياضة (دعونا نواجه الأمر: التعرّق واللهاث ليسا أمراً جذاباً جداً) - لكن شيئاً من ذلك.

"أووه، سامستر. أين النار؟".

لف روب ذراعه حولي ودفنتُ أنفي في ياقته الصوفية. كانت رائحتها تشبه قليلاً البيتزا القديمة - ليست أفضل رائحة، وخاصة حين تمتزج مع بلسم الليمون - لكني لم آبه. كانت ساقاي ترتجفان بشدة حتى خفت أن أسقط. جل ما أردته كان الوقوف هناك إلى الأبد، ممسكة به.

"اشتقتُ إليكَ" قلتُ له في صدره.

شعرتُ للحظة بذراعه تعصرني. لكن حين رفع وجهي مقابل وجهه كان يبتسم.

سألني "هل وصلتك معايدتي؟".

هززتُ رأسي "شكراً". تشنجت حنجرتي وانتابني قلق من أن أبدأ بالبكاء. كان شعوري رائعاً وهو يلفني بذراعه، كما لو أنه الشيء الوحيد الذي يبقيني واقفة. "اسمع، روب. بشأن الليلة -".

حتى أني لم أكن متأكدة مما سأقوله، لكنه قاطعني.

"حسنٌ، ما المشكلة الآن؟".

ابتعدتُ قليلاً جداً حتى أتمكن من النظر إليه. "أنا - أنا أريد... أنا فقط - كل ما حولي يثير الجنون. أعتقد أني قد أمرض - أو شيئاً كهذا".

ضحك وقرصني من أنفي بإصبعيه. "أوه، كلا. لن تتهربـي من هذا". وضع جبهته على جبهتي وهمس "أنا أتوق لهذا منذ مدة طويلة".

"أعلم، أنا أيضاً... " لقد تخيلتُ ذلك مرات كثيرة: كيف سيبدو القمر متلألئاً من خلف الأشجار ويرسل نوره عبر النوافذ ليضيء مثلثات ومربعات على الجدران؛ كيف سيكون الشعور ببطانيته الصوفية على جسدي العاري حين أخلع ملابسي.

ثم تخيلتُ اللحظة التي ستلي ذلك، بعد أن يقبلني روب ويخبرني بأنه يحبني ويغفو وشفتاه متباعدتان قليلاً فأتسلل إلى الحمام وأرسل رسائل نصية إلى إيلودي وليندزي وآلي.

لقد فعلتُها.

إنه الجزء الأوسط الذي يصعب تخيله.

شعرتُ بالهاتف يرج في جيبـي خلفي: رسالة جديدة. تشنجت معدتي. أعرف سلفاً فحواها.

قلتُ لروب "أنت محق"، وشددتُ ذراعي حوله. "ربما يجب أن آتي مباشرة بعد المدرسة. يمكننا أن نتسكع طوال بعد الظهر، وطوال الليل".

"يا لك من فاتنة". ابتعد روب قليلاً، وعدّل قبعته وحقيبة ظهره. "لكنّ والداي لن يخرجا من البيت قبل العشاء".

"لا يهمني. يمكننا مشاهدة فيلم أو شي -".

"علاوة على ذلك" وهو ينظر من فوق كتفي الآن "سمعتُ عن حفلة عند من اسمه - رفيقنا ذو البرنيطة. كين؟".

أجبتهُ تلقائياً "كينت". سادت جلبة في القاعة، وبدأ الناس يمرون من حولنا. أشعر بهم يحدقون. على الأرجح أنهم يأملون بحدوث شجار.

"أجل، كينت. قد أتوقف هناك لفترة. هل يمكننا أن نلتقي هناك؟".

"هل ترغب حقاً بالذهاب؟" وأنا أحاول مقاومة الشعور بالفزع يتصاعد في داخلي. أخفضتُ رأسي ونظرتُ إليه بالطريقة التي كنت أرى ليندزي تنظر بها إلى باتريك حين تكون يائسة للحصول على شيء ما. "هذا يعني فقط وقتاً أقل معي".

"سيكون لدينا متسع من الوقت". قبّل روب أصابعه ونقر بها، مرتين، على ذقني. "ثقي بـي. هل خذلتكِ يوماً؟".

سوف تخذلني الليلة. راودتني الفكرة قبل أن أتمكن من إيقافها.

قلتُ بصوت عالٍ "كلا". لكن روب لم يكن مصغياً، إذ انضم إلينا آدم مارشال وجيريمي تكر، ولم يكادا يلقيان التحية حتى قفزا على بعضهما وبدآ بالمصارعة. أحياناً أشعر أن ليندزي على حق وأن الشبان مثل الحيوانات تماماً.

أخرجتُ هاتفي لأرى الرسالة، ولو أني ما كنتُ فعلاً بحاجة لذلك.

الحفلة عند كينت الغريب الليلة. موافقة؟

أصاب الخدر أصابعي وأنا أرد على الرسالة، *طبعاً*. بعدها دخلتُ لتناول الغداء، وأشعر كما لو أن مجموع ثلاثمائة صوت أصبح له وزن، وكأنها ريح

صلدة ستحملني إلى أعلى، فأعلى، وإلى البعيد.

قبل أن أستيقظ

"إذاً؟ هل أنت متوترة؟" رفعت ليندزي إحدى رجليها في الهواء وصارت تمرجحها جيئة وذهاباً، مبدية إعجابها بالحذاء الذي سرقته للتو من خزانة آلي.

صدحت الموسيقى من غرفة الجلوس. كانت آلي وإيلودي هناك تغنيان ورأساهما للأعلى "مثل صلاة". لم تكن آلي قريبة حتى من أي مفتاح. أنا وليندزي كنا مستلقيتين على ظهرينا على سرير آلي. كل شيء في منزل آلي أكبر بـ 25 بالمائة من منزل الشخص العادي: المجمدة، الكراسي الجلدية، التلفاز - حتى زجاجات الشامبانيا الضخمة التي يحتفظ بها والدها في قبو المشروب (ممنوع لمسها). قالت ليندزي مرة إنه يجعلها تشعر وكأنها أليس في بلاد العجائب.

أسندت رأسي على وسادة كبيرة مكتوب عليها *الساقطة في الداخل*. احتسيت حتى الآن أربع كؤوس، ظناً مني أنها ستهدئ من روعي، ومن فوقي كانت الأضواء ترمش وتخبو. كانت كل النوافذ مفتوحة قليلاً، لكني لا أزال أشعر أني محمومة.

"لا تنسي أن تتنفسي"، قالت ليندزي. "لا ترتعبي إذا تألمت قليلاً - وخاصة في البداية. لا تتشنجي. ستزيدين الأمور سوءاً".

كنت أشعر بشيء من الغثيان وليندزي لا تساهم في تحسين الوضع. لم أستطع تناول شيء طوال اليوم، ولهذا حين ذهبنا إلى منزل آلي كنت أتضور جوعاً، فأكلت خمساً وعشرين قطعة من مقبلات التوست بجبن الماعز والصولص التي أعدتها آلي. لست متأكدة إن كان جبن الماعز لا يتعارض مع

الشراب. وعلاوة على ذلك جعلتني ليندزي أتناول حوالى سبعة من أقراص الليستيرين من أجل رائحة الفم لأن الصولص يحتوي على الثوم، وبرأيها سيشعر روب من دونها وكأنه خسر عذريته على يد طاهية إيطالية.

لم أكن قلقة بشأن روب إلى ذلك الحد - أقصد أني لم أكن مركزة على التوتر بشأنه. الطريق بالسيارة، الحفلة، الاحتمالات التي يمكن أن تحدث في الحفلة: هذا ما كان يسبب لي تشنجاً في معدتي. على الأقل ساعدني الشراب على التنفس، ولم أعد أشعر بالارتعاش.

لا يمكنني طبعاً إخبار ليندزي بأي من هذا، لهذا اكتفيت بالقول "سوف لن أرتعب. أقصد، الجميع يفعل ذلك، صحيح؟ إذا كانت كاتي كارجوللو قادرة...".

تغيرت ملامح ليندزي "مهما يكن ما ستفعلينه فهو لا يشبه ما تفعله كاتي كارجوللو. أنتِ وروب 'ستمارسان الحب'" ورسمت بيديها إشارة اقتباس وقهقهت، لكني أعرف أنها تعنيها.

"هل هذا رأيك؟".

"بالطبع"، والتفتت لتنظر إلي. "أليس هذا رأيك أيضاً؟".

أردت أن أسألها، *وكيف تعرفين الفرق؟*

في الأفلام يعرف المرء أنه ستكون هناك لحظة حميمة لأن الموسيقى تتغير في الخلفية - هذا غبي، لكنه صحيح. ليندزي تقول دائماً إنه لا يمكنها العيش من دون باتريك، وأنا لست متأكدة ما إذا كان هذا هو الشعور الطبيعي.

في بعض الأحيان حين أكون واقفة مع روب

وسط مكان مزدحم ويلف ذراعه حولي ويشدني إليه - وكأنه يخشى أن أفلت منه - أشعر بشيء من الحرارة في معدتي وكأني شربت كأس نبيذ، وتغمرني السعادة، ولو في هذه اللحظة العابرة. أنا واثقة أن هذا هو الحب.

لذلك قلت لليندزي، "طبعاً هو كذلك".

قهقهت ليندزي ثانية ولكزتني. "إذاً؟ هل عض على الجرح وقالها؟".

"قال ماذا؟".

جالت بعينيها. "أنه *يحبك*".

توقفت لفترة ليست بقصيرة، أفكر بملاحظته: أحبكِ (luv ya). وكأنها العبارة التي يكتبها أحدهم في دفتر مذكراتك حين لا يجد شيئاً آخر يقوله.

تحمّست ليندزي. "سوف يفعل. الشبان معاقون. أراهنك أنه سيقولها الليلة. بعدك مباشرة..." خبا صوتها وراحت تهز ردفيها لأعلى وأسفل.

صفعتها بمخدة. "أنت كلبة، هل تعرفين ذلك؟".

زمجرَت وكشرت عن أسنانها. ضحكنا ثم استلقينا صامتتين لدقيقة، وصرنا نستمع لإيلودي وآلي تعويان من الغرفة الأخرى. كانتا تستمعان إلى أغنية "الخسوف الكامل للقلب "Total Eclipse of the heart". شعرت بالسرور لاستلقائي هناك: شعور لطيف وطبيعي. فكرت بكل الأوقات التي أمضيناها تحديداً في تلك البقعة، ونحن بانتظار إيلودي وآلي كي تجهزان. في انتظار الذهاب، انتظار حدوث شيء - الوقت يمر ثم يهوي - ويضيع إلى الأبد - وفجأة تمنيت لو كان باستطاعتي أن أتذكر كل ثانية على حدة، أن أتذكرها جميعاً، وتمنيت لو كان بمقدوري استعادتها.

"هل كنت متوترة؟ أقصد، المرة الأولى". أشعر بشيء من الحرج لسؤالك لهذا أقولها بهدوء.

أعتقد أن السؤال فاجأ ليندزي. أحمر وجهها وبدأت تلهي نفسها بأطراف غطاء سرير آلي، وساد للحظة صمت غريب. أنا متأكدة مما كانت تفكر فيه، لكنني لم أقل ذلك بصوت عالٍ. أنا وليندزي وإيلودي وآلي مقربات من بعضنا أكثر مما تعتقدون، لكن تظل هناك أمور لم نتحدث عنها قط. على سبيل المثال، مع أن ليندزي تقول إن باتريك هو حبها الأول والأوحد، فهذا غير صحيح عملياً. أول علاقة لها كانت عملياً مع شخص التقت به في حفلة حين كانت تزور أخاها غير الشقيق في نيويورك. دخّنا، تناولا المشروب، ومارسا الجنس، ولم يعلَم قط أنها لم تكن قد فعلَت ذلك من قبل.

نحن لا نتحدث عن تلك الأمور. لا نتكلم عن حقيقة أننا لا نستطيع البقاء في منزل إيلودي بعد الساعة الخامسة لأن والدتها ستكون قد حضرت، وهي مخمورة. لا نتحدث عن حقيقة أن آلي لا تأكل أكثر من ربع طبقها، مع أنها مهووسة بالطهي وتشاهد محطة الطبخ لساعات.

لا نتكلم عن النكتة التي رافقتني لسنوات في الأروقة، في الصفوف، وفي الباص، والتي شقت طريقها إلى أحلامي: "ما هو الشيء الأحمر والأبيض والغريب بالكامل؟ سام كنغستون!"، ونحن قطعاً لا نتحدث عن حقيقة أن ليندزي هي من اخترع ذلك.

الأصدقاء الجيدون يحفظون أسرارك. والصديق الحقيقي يساعدك على كتمان أسرارك.

تململت ليندزي على السرير ثم اتكأت على أحد جانبيها. تساءلت إن كانت أخيراً ستتذكر الشاب من نيويورك (حتى أني لا أعرف اسمه، وفي المرات

القليلة التي أوردت ذكره كانت تقول عنه سيئ الذكر)؟

قالت بهدوء "لستُ متوترة". ثم أخذت نفساً عميقاً وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة. "كنتُ شبقة، صغيرة، شهوانية"، قالتها بلكنة إنكليزية سيئة ثم قفزت فوقي وبدأت تقوم بحركة تقويس الظهر.

قلتُ لها "أنت مستحيلة"، ودفعتها عني. تدحرجت عن السرير وراحت تثرثر.

"أنتِ تحبينني" نهضت ليندزي على ركبتيها ووضعت وجهها بين يديها. ثم اتكأت إلى الأمام وأراحت مرفقيها على السرير، وفجأة أصبحت جدية.

"سام؟" اتسعَت عيناها وانخفض صوتها. هنا اضطرزتُ للجلوس كي أسمعها من خلال الموسيقى. "هل يمكنني إطلاعك على سر؟".

"طبعاً" وبدأ قلبي يخفق. إنها تعرف ماذا يحصل معي. إنه يحصل معها أيضاً.

"يجب أن تعديني بألا تخبري أحداً. يجب أن تقسمي بألا تحنثي عهدكِ".

إنها تعرف؛ إنها تعرف. القصة لا تقتصر علي. انتفض رأسي وبدا كل شيء واضحاً من حولي. أشعر بصحوة كاملة. "أقسم لك". كانت الكلمات بالكاد تخرج من فمي.

انحنت إلى الأمام حتى كاد فمها يلامس أذني. "أنا..." ثم أدارت رأسها وتجشأت، بصوت عالٍ، في وجهي.

"يا إلهي، ليندزا" صرت أبعد الهواء من أمام وجهي بيدي. عادت واستلقت على ظهرها، وراحت تركل برجليها في الهواء وتضحك بشكل هيستيري. "ماذا

دهاك؟".

"كان عليك أن تري وجهك".

قلث بمزاح "ألا يمكنك أن تكوني جدية أبداً؟"، لكن خيبة الأمل كانت تسري في كل جسدي. إنها لا تعرف. إنها لا تفهم. مهما كان ما يحدث فهو يحدث معي وحدي. طغى علي شعور بالعزلة، ضباب.

فركت ليندزي أطراف عينيها بإبهامها وقفزت واقفة. "سأكون جدية حين أموت".

تلك الكلمات كانت بمثابة الصفعة بالنسبة إليَ. الموت. نهائي جداً، بشع، وقصير. الشعور بالدفء الذي رافقني مذ احتسيت الكحول اختفى، وانحنيت لأغلق نافذة آلي، وأنا أرتجف.

فم الغابة الأسود، يفتح متثائباً. وجه فيكي هالينان...

حاولت أن أتخيل ماذا سيحدث لي إذا ما اتضح أني مصابة بمرض عقلي. وقفث مباشرة قبل الحصة الثامنة على بعد ثلاثة أمتار من المكتب الرئيسي - مكتب المدير، السيد وينترز، والاستشاري النفساني في المدرسة - أعتزم الدخول وقول الكلمات: *أشعر اني سأجن*. لكن حدثَت جلبة وصرخَت لورين لورنت في الرواق، وصارت تشهق، وهي على الأرجح تبكي من أجل موقف مؤثر مع أحد الصبية أو بسبب شجار مع والديها أو لأمر طبيعي. في تلك اللحظة تلاشت جميع الجهود التي كنث أبذلها. كل شيء مختلف الآن. أنا مختلفة.

"هل نذهب أما ماذا؟" اندفعت إيلودي إلى داخل الغرفة أمام آلي. كانتا متقطَعتي الأنفاس.

"لنفعل ذلك". أمسكت ليندزي حقيبتها ومرجحتها فوق كتفها.

بدأت آلي تضحك، وقالت "إنها التاسعة والنصف فقط". "كما أن سام تبدو على وشك أن تتقيأ".

وقفت وانتظرت للحظة ريثما هدأت الأرض من تحتي "سأكون بخير. أنا بخير".

قالت ليندزي "كاذبة"، وابتسمت.

الحفلة، الجولة الثانية

"هكذا تبدأ أفلام الرعب"، قالت آلي. "هل أنت متأكدة من أن رقمه هو اثنان وأربعون؟".

"أنا متأكدة". بدا صوتي وكأنه صادر من بعيد. عادت نوبة الرعب المقيتة. يمكنني الشعور بها تضغط علي من كل الاتجاهات، وتكاد تطبق على صدري.

"الأفضل له ألا يؤذي طلاء السيارة" قالت ليندزي عندما احتك غصن بالسيارة عند مدخل الزوار وأصدر صوتاً يشبه صوت ظفر على سبورة.

أصبحت الغابة خلفنا، وبدأ منزل كينت يشع في الظلام، أبيض وبرّاق، وكأنه مصنوع من الجليد. الطريقة التي انبثق فيها فجأة، محاطاً من كل الجهات بالظلام، ذكّرتني بمشهد في فيلم *التايتانك* حين ينبثق الجبل الجليدي من قلب الماء ويثقب السفينة. خيّم الصمت علينا كلنا للحظة. رذاذ خفيف من المطر صار يرتطم بالزجاج الأمامي والسقف، وأطفأت ليندزي جهاز الآي بود. انطلقت بهدوء من الراديو أغنية قديمة. يمكنني تمييز الكلمات: *كنت احاول بلوغ لب المشكلة ...*

"إنه كبير بحجم منزلكم تقريباً، آل" قالت ليندزي.

قالت آلي "تقريباً". في تلك اللحظة انتابتني موجة هائلة من الإحساس تجاهها. الي، التي تحب المنازل الكبيرة والسيارات الباهظة ومجوهرات تيفاني

ومعطر الجسد. الي، التي لا تتسم بذلك الذكاء وهي تعرف ذلك، ومهووسة بالشبان غير المناسبين لها. آلي، الطاهية الممتازة بالسر. أنا أعرفها. أفهمها. أعرفهن جميعهن.

داخل المنزل، هدر جاي - زد عبر مكبرات الصوت: *انا مخادع، يا بنات، وأريدكن أن تعرفن ذلك*. كانت الدرجات تنزلق من تحتنا. حين وصلنا إلى الطابق العلوي أخذت ليندزي زجاجة الشراب من يدي، وهي تضحك.

"رويدك. خذي رشفة صغيرة. لديكِ عمل تهتمين به".

"عمل؟" بدأتْ أضحك قليلاً، وتقطعت أنفاسي. كان الدخان كثيفاً وبالكاد أستطيع التنفس. "اعتقدتُ أنه ممارسة الحب".

"عمل ممارسة الحب". انحنت إلى الأمام وظهرَ وجهها مستديراً مثل قمر. "لا مزيد من الشراب إلى ما بعد حين، موافقة؟".

شعرتُ بنفسي أومئ بالإيجاب وبوجهها يتراجع. تفحّصَت الغرفة. "يجب أن أجد باتريك. هل ستكونين على ما يرام؟".

قلتُ لها "ممتازة" وأنا أحاول الابتسام، لكني لم أتدبر ذلك: كما لو أن عضلات وجهي ترفض الاستجابة. بدأت تستدير مبتعدة فأمسكتها من معصمها. "ليندز؟".

"نعم؟".

"سآتي معك، موافقة؟".

هزت كتفيها. "أجل، طبعاً. مهما يكن. هو في مكان ما في الخلف - لقد أرسل إليَ رسالة نصية للتو". بدأنا نمر ونحن نُبعد الناس. نادت علي ليندزي "هذا

أشبه بالمتاهة". كانت الأشياء تبتعد عني وتصبح ضبابية - أطراف حديث وضحك، الشعور بالمعاطف وهي تحتك ببشرتي، رائحة الجعة ومعطر الجسد وجل الاستحمام والعرق - كلها تصنع دوامة وتمتزج ببعضها.

الجميع كان مشابهاً لما رأيته في المنام، مألوفاً لكن ليس واضحاً تماماً، وكأنهم يمكن أن يتحولوا إلى أحد آخر في أية لحظة. *أنا أحلم*. فكّرت. هذا كله حلم: اليوم بأكمله كان حلماً، وحين أستيقظ سأخبر ليندزي كيف بدا الحلم حقيقياً وعلى مدى ساعات، وستجحظ عيناها وتقول إن الأحلام لا تدوم أكثر من ثلاثين ثانية.

من المضحك أن أفكر بإخبار ليندزي - التي تسحبني من يدي وترد شعرها إلى جانب وجهها بفارغ الصبر أمامي - بأن كل ما جرى بيننا هو حلم، وأنها ليست موجودة فعلاً هنا. إنه لأمر مضحك، وقد جعلني أسترخي قليلاً. هذا كله حلم، وبإمكاني أن أفعل ما يحلو لي. يمكنني أن أقبّل أي شخص أريده، فصرت أتفحص الشبان أثناء سيرنا قرب مجموعة منهم - آدم مارشال، راسان لوكاس، وأندرو روبيرت - يمكنني أن أقبّل كل واحد منهم إذا ما أردت. رأيت كينت يقف في الزاوية ويتكلم مع فوبـي ريفر ففكرت، *يمكنني أن أذهب وأقبّل الشامة التي على شكل قلب تحت عينه، ولن يصنع ذلك اي فرق*. لا أدري من أين جاءت الفكرة. أنا لم أقبّل كينت، ولا حتى في حلم. لكن يمكنني إذا ما أردت. أنا في مكان ما ممددة تحت بطانية دافئة على سرير كبير ومحاطة بالوسائط، ويدي مثنية تحت رأسي، نائمة.

تقدّمت للأمام لأخبر ليندزي بهذا - أني أحلم

بالأمس وربما كان الأمس حلماً بحد ذاته أيضاً - حين رأيث بريانا ماغواير تقف في زاوية وذراعها تلف أليكس ليمينت من وسطه. كانت تضحك وهو محني فوقها ليدس أنفه في عنقها. رفعت رأسها في تلك اللحظة ولاحظت أني أراقبهما، فأمسكت يده وسحبته باتجاهها، مبعدة الناس عن طريقها.

"سوف تعرف"، قالت له من فوق كتفها، ثم استدارت نحوي وابتسمت. كانت أسنانها ناصعة البياض. "هل أعطت الآنسة هاربور اليوم وظيفة الإنشاء؟".

"ماذا؟" كنث مرتبكة حتى استغرقت لحظات لأدرك أنها تتحدث عن حصة اللغة.

"وظيفة الإنشاء. عن ماكبيث؟".

لكزت أليكس الذي قال بدوره "لقد تغيبت عن الحصة السابعة". تلاقت عينانا ثم نظر بعيداً، وأخذ رشفة من البيرة.

لم أنبس ببنت شفة. لم يكن لدي ما أقوله.

"إذاً هل أعطت الوظيفة؟" بدَت بريانا كعادتها دائماً: مثل جرو صغير ينتظر تربيته. "أليكس اضطر للتغيب. موعد مع الطبيب. أمه جعلته يأخذ حقنة، كإجراء احتياطي، وقاية من التهاب السحايا. ما مدى سوء ذلك؟ أقصد، توفي أربعة أشخاص من هذا المرض العام الماضي. احتمال الإصابة به أكبر من احتمال الإصابة بحادث سيارة".

"يجب أن يأخذ حقنة للوقاية من الأمراض الجلدية" قالت ليندزي ضاحكة، لكن بصوت هادئ جداً لم يسمعه سواي لأني كنت واقفة بجوارها مباشرة. "لكن على الأرجح أنه فات الأوان".

"لا أعرف"، قلث لبريانا "أنا أنسحب".

صرخت أحدق بأليكس، منتظرة رد فعله. لست متأكدة إن كان قد رآنا أنا وليندزي واقفتين اليوم خارج مطعم هونان، نسترق النظر إلى الداخل. يبدو أنه لم ينتبه. كان هو وكاتي منكبان على طبق بلاستيكي من اللحم الرمادي المجمد، تماماً كما توقعتهما. أرادت ليندزي أن تدخل وتعبث معهما، لكني هددتها بأني سأتقيأ على حذائها الستيف مادن بمجرد أن أشم نفحة من رائحة اللحم القذر مع البصل في الداخل.

حين غادرنا مطعم أفضل الزبادي في البلاد كانا قد ذهبا، ولم نرهما بعدها سوى للمحة وجيزة في فسحة المدخنين. كانا يهمان بالذهاب حين أشعلت ليندزي سيجارتها. ودّع أليكس كاتي بقبلة سريعة على وجنتها، ثم رأيناهما يذهبان في اتجاهين مختلفين: أليكس نحو الكافيتريا، وكاتي باتجاه مبنى الفنون.

كانا قد ذهبا منذ وقت طويل حين مررت أنا وليندزي بنيك النازية في جولتها اليومية. لم يُكشَف أمرهما اليوم.

على حين غرة بدأت الأمور تأخذ مجراها - كل المخاوف التي كنت أحاول تناسيها - واحدة تلو أخرى مثل أحجار الدومينو. لم أعد أستطيع إنكارها أكثر من ذلك. ساره غروندل وجدت مكاناً فارغاً في المرأب بسبب تأخرنا. لهذا لا تزال في نصف النهائيات. كاتي وأليكس لم يتشاجرا لأني أقنعت ليندزي بمتابعة السير. لهذا السبب لم يُكشف أمرهما في فسحة المدخنين، ولهذا السبب تتعلق بريانا بأليكس بدلاً من البكاء في الحمام.

هذا ليس بحلم. وليس بمشهد مكرر.

هذا يحدث فعلاً. إنه يحدث *ثانية*.

في تلك اللحظة شعرتُ بأن جسدي أصبح قطعة من الجليد. بريانا تهذي بشأن عدم تفويتها لأية حصة، وليندزي تهز برأسها ويبدو عليها الضجر، وأليكس يشرب البيرة، ثم لم أعد أستطع التنفس - الخوف يتأبطني مثل ملزمة، وأشعر وكأني سأتشظى إلى مليون قطعة الآن وهنا تماماً. البرد يسري في عروقي. أردتُ الجلوس ووضع رأسي بين ركبتي، لكن راودني قلق بأني إذا ما أتيت بأية حركة، أو أغلقتُ عيني، أو فعلتُ أي شيء، فأني سأبدأ مباشرة بالتفسخ - ينفصد الرأس عن العنق والعنق عن الكتفين - لأطفو بعدها في العدم.

عظم الرأس مفصول عن عظم الرقبة، عظم الرقبة مفصول عن العمود الفقري.

شعرتُ بذراعين تلتفان حولي من الخلف وفم روب على عنقي. لكن حتى هو لا يستطيع إشعاع الدفء في. أني أرتجف بشكل لاإرادي.

"سامي المثيرة"، وهو يغني ويجعلني أدور حوله. "أين كنتِ طوال حياتي؟".

"روب". سيطرَت علي الدهشة لأني لا أزال قادرة على الكلام، الدهشة لأني لا أزال أستطيع التفكير. "يجب أن أتكلم معك جدياً".

"ما الأمر، صغيرتي؟" عيناه مغبشتان وحمراوان. ربما لأني مذعورة، لكن هناك أمور بعينها تبدو بالنسبة لي أوضح من أي وقت مضى، وأصفى. لاحظتُ لأول مرة أن الندبة التي تحت أنفه تجعله يبدو أشبه بثور.

"لا يمكننا أن نفعل ذلك هنا. يجب أن... يجب أن نذهب إلى مكان ما. غرفة، أو شيئاً كهذا. مكان فيه خصوصية".

تجهم ومال علي، وعبقت من أنفاسه رائحة الكحول حين حاول أن يقبلني. "فهمت عليك. إنه *ذلك* النوع من الحديث".

"أنا جادة، روب. أنا أشعر-" وارتجفت يدي. "أشعر أني لست على ما يرام".

"لم تكوني يوماً على ما يرام". وابتعد قليلاً، ونظر إلي شذراً. "هناك دائماً شيء ما. أتفهمين قصدي؟".

"عما تتكلم؟".

تأرجح قليلاً على قدميه ثم أخذ موقفاً. "*أنا متعبة الليلة. أهلك في الأعلى. أهلك سيسمعوننا*". وهز رأسه. "أنا انتظر هذا منذ أشهر، سام".

انهمرت الدموع. وصار رأسي ينبض لدى محاولتي إيقافها. "هذا لا علاقة له بذلك. أقسم لك، أنا-".

"ما الذي له علاقة بذلك إذاً؟" وقاطع ذراعيه أمام صدره.

"أنا فقط أريدك في هذه اللحظة بالذات". بالكاد نطقت الكلمات. بل وذهشت لأنه استطاع سماعي.

تنهَد وفرك جبهته. "حسنٌ، حسنٌ، أنا آسف". ووضع إحدى يديه على رأسي.

هززت رأسي، وبدأت الدموع تنساب فجفف بعضها بإبهامه.

"فلنتحدث، موافقة؟ سنذهب إلى مكان هادئ". وهز كأس الجعة الفارغ في وجهي. "لكن هل يمكن أن أحظى على الأقل بكأس أخرى أولاً؟".

أجبته "أجل، طبعاً"، مع أني كنت أريد التوسل إليه للبقاء معي، ولأن يضع ذراعيه حولي ولا يتركني أبداً.

قال لي "أنت الأفضل" وانحنى ليقبّل وجنتي. "لا دموع - نحن في حفلة، هل تذكرين؟ من المفترض

أن نحظى بالمرح". بدأ يبتعد ورفع يده وهو يمد أصابعه. "خمس دقائق".

أسندتُ ظهري إلى الحائط وانتظرت. لم أعرف ماذا أفعل. الناس يمرون بجواري، فأسدلتُ شعري على وجهي كي لا يتمكن أحد من رأيت دموعي. الحفلة صاخبة، لكن كان يبدو لي صوت كل شيء وكأني أسمعه من بعيد. الكلمات مشوهة والموسيقى كما في الكرنفال، وكأن كل النغمات غير موزونة وتتلاطم مع بعضها.

مرّت خمس دقائق، ثم سبع. مرّت عشر دقائق، فقلتُ لنفسي أني سأنتظر لخمسٍ أخرى ثم أذهب للبحث عنه، مع أن فكرة الحركة بدَت مستحيلة.

بعد اثنتي عشرة دقيقة أرسلتُ له رسالة نصية، *اين أنت؟* ثم تذكرتُ أنه أخبرني بالأمس أنه أطفأ هاتفه في مكان ما.

البارحة. اليوم

هذه المرة، حين تخيلتُ نفسي ممددة في مكان ما، لم أكن نائمة. هذه المرة أتخيل نفسي ممددة على بلاطة حجرية باردة، الجلد أبيض كالحليب، الشفاه زرقاء، واليدان مطويتان فوق صدري وكأنه تم وضعهما هناك...

أخذتُ نفساً عميقاً وأجبرتُ نفسي على التركيز بشيء آخر. صرتُ أعد أضواء عيد الميلاد المحيطة بملصق لفيلم *إي تي* فوق الأريكة، ثم رحتُ أعد جمرات السجائر الحمراء المضيئة التي تتحرك في الجوار شبه المعتم مثل اليراعات. لستُ عبقرية في الرياضيات أو ما شابه، لكني لطالما أحببتُ الأرقام. تعجبني الطريقة التي تظل تتراكم فوق بعضها، حتى تملأ أي فراغ، أي لحظة. أخبرتُ صديقاتي بهذا ذات يوم فقالت ليندزي أني سأصبح من

تلك النوعية من النساء التي تتذكر أرقام الهواتف وتحتفظ في منزلها بعلب الحبوب المجففة المطوية والجرائد مكدّسة من الأرض حتى السقف، وأبحث عن رسائل من الفضاء في الباركود.

لكن بعد بضعة أشهر أمضيت الليلة في منزلها، فاعترفت لي بأنها في بعض الأحيان حين تكون منزعجة من أمر ما فإنها تتلو صلاة ما قبل النوم الكاثوليكية التي تحفظها مذ كانت صغيرة، مع أنها نصف يهودية ولا تؤمن بالله.

استلقي الآن للنوم،

أطلب منك يا إلهي أن تحفظ روحي.

إذا كان مقدراً لي أن أموت قبل أن أستيقظ،

أطلب منك يا إلهي أن تأخذ روحي.

كانت قد رأتها مطرّزة على وسادة في منزل آنسة البيانو، وسخرنا من التطريز السيّئ على الوسائد. لكني في تلك الليلة لم أستطع إبعاد تلك الصلاة عن فكري إلى أن غفوت. وذلك السطر ظل يتردد مراراً وتكراراً في رأسي: *إذا كان مقدراً لي أن أموت قبل ان أستيقظ*.

بالكاد استطعث الابتعاد عن الجدار حين سمعث اسم روب. دخلَت فتاتان من الصف الثاني إلى الغرفة، وهما تقهقهان، وجهدث لأسمع ما كانتا تقولان.

"... إنه الثاني في غضون ساعتين".

"كلا، مات كيسلر فعلها أول مرة".

"كلاهما فعلاها".

"هل رأيت كيف بدا آرون ستيرن وكأنه يرفعه فوق البرميل؟ مقلوباً رأساً على عقب".

"هذه هي الفكرة من البرميل، مضحك".

"روب كوكران مثير جداً".

"صه. يا إلهي".

لكزت إحدى الفتاتين الأخرى بكوعها حين لاحظت وجودي. ابيضّ وجهها. إنها على الأرجح مذعورة: كانت تتكلم عن صديقي (غلطة)، لكن الأكثر من ذلك قولها كم هو مثير (جناية). لو كانت ليندزي هنا لاستشاطت غضباً ونعتت الفتاتين بالساقطتين، وطردتهما من الحفلة. لو كانت هنا لتوقعت مني أن أستشيط غضباً. ليندزي ترى أن طلاب السنوات الأدنى - وخاصة فتيات السنة الثانية - يجب أن يعرفن حدودهن، وإلا فسوف يغزين الكون كالصراصير وهن محصنات من هجوم نووي بدرع من مجوهرات تيفاني وأحمر الشفاه اللامع.

لكن لم تكن لدي طاقة لأقف في وجه أولئك الفتيات، ومن حسن حظي أن ليندزي ليست معي وهكذا لن تلومني على ذلك. كان يجب أن أعرف أن روب لن يعود، وفكرت حين قال لي اليوم أني يجب أن أثق به وأنه لن يخذلني أبداً. يا ليتني قلت له أنه يحظى بثقتي الكاملة.

كنت بحاجة للخروج. بحاجة للابتعاد عن الدخان والموسيقى. أحتاج إلى مكان أفكر فيه. لا أزال متجمدة، وأنا واثقة أن مظهري مريع، لكنني لم أعد أشعر بأي رغبة في البكاء. ذات مرة شاهدنا ذلك الفيلم الصحي عن أعراض الصدمة، وأشعر الآن أن معظمها موجودة لدي. صعوبة في التنفس، برودة، يدان رطبتان، دوار. ومعرفتي بذلك تزيد من شعوري بالسوء.

أما ما سأعرضه لكم الآن فليس ذا قيمة في حصة الصحة.

كان يقف عند كل حمّام طابور من أربعة أشخاص

وجميع الغرف مكتظة. إنها الحادية عشرة وكل من خطط للحضور موجود الآن. سمعت اسمي على لسان بعض الأشخاص، وظهرت تارا فلوت أمامي وقالت "يا إلهي. يعجبني قرطاك. هل اشتريتهما من -".

"ليس الآن". تجاوزتها وتابعت طريقي. بحثت يائسة لأجد مكاناً معتماً وهادئاً. إلى يساري باب موصد. ذاك الذي تغطيه الملصقات الإعلانية. أدرت قبضة الباب وهززته. لا يفتح. طبعاً.

"إنها غرفة الأشخاص الهامين".

استدرت فوجدت كينت ورائي مبتسماً.

"لا بد أنك على اللائحة". واتكأ على الجدار. "أم أنك رشوتِ الحارس بعشرين دولاراً. لا يهم".

"أنا - أنا أبحث عن الحمّام".

أدار كينت وجهه إلى الجهة الأخرى من الجدار. كان رونيكا ماستر هناك، وواضح أنه مخمور، يقرع على أحد الأبواب بقبضته.

صار يصرخ "هيا يا كريستين! أنا مضطر جداً لقضاء حاجتي".

استدار كينت نحوي ورفع حاجبيه.

قلت "يا ويلي"، وحاولت الابتعاد عنه.

"هل أنت بخير؟ لم يلمسني كينت تماماً، لكنه رفع يده وكأنه يفكر بذلك. "تبدين -".

"أنا بخير". آخر ما كنت أحتاجه من هذا العالم في هذه اللحظة هو الشفقة من كينت ماكفولر. واستدرت عائدة باتجاه الرواق.

في هذه اللحظة قررت الخروج ومناداة ليندزي من على الشرفة - سأخبرها أني بحاجة للمغادرة بأسرع

ما يمكن - عندها دخلت إيلودي القاعة، ولفّت ذراعها حولي.

"أين كنتِ بحق الجحيم؟" وراحت تقبّلني. كانت متعرقة. عندها خطرت ببالي إيزي وهي تقفز إلى سريري وتغمرني بذراعيها، وتشدني من عقدي. ما كان يجب أبداً أن أنهض من السرير اليوم.

"دعيني أخمن، دعيني أخمن". وهي لا تزال تلفني بذراعيها، وبدأت تهز ردفيها كما لو أننا في حلبة رقص. أشاحت بعينيها نحو السقف وبدأت تتذمر. "آه منك يا روب، آه منك. أجل. بهذه البساطة".

"يا لك من منحرفة" ودفعتها عني. "أنتِ أسوأ من أوتو".

ضحكَت وقبضَت على يدي، وهي تحاول سحبي إلى الغرفة الخلفية. "تعالي. الجميع هنا".

قلت لها "عليّ الذهاب". كانت الموسيقى هنا صاخبة جداً وصرت أصرخ. "أشعر أني لست على ما يرام".

"ماذا؟".

"أشعر أني لست على ما يرام!".

قرّبَت أذنها بمعنى، *لا يمكنني سماعك*. لكني لست متأكدة إن كان ذلك صحيحاً أم لا. كانت راحتا يديها رطبتين وحاولت الإفلات منها، لكن في تلك اللحظة رأتني ليندزي وآلي، فبدأتا تهمهمان وهما تتقافزان من حولي.

"كنت أبحث عنك منذ دهر" قالت ليندزي، وهي تلوّح بسيجارتها.

شخرت آلي "ربما كانت تبحث في فم باترك".

"كانت مع روب". أشارت إيلودي إلي، وهي تتأرجح على قدميها. "انظري إليها. *الذنب ظاهر عليها*".

صرخت ليندزي بحدة "صه!"، فردّت آلي بقسوة "فاسقة!" وصرخت إيلودي "عاهرة!". إنها نكتة قديمة بيننا: لقد ارتأت ليندزي العام الماضي أن كلمة *فاجرة* أصبحت مملة.

قلت لهم "أنا ذاهبة إلى المنزل. ولست مضطرة لإيصالي، سأجد طريقة ما".

مؤكد أن ليندزي اعتقدت أني أمزح. "تذهبين إلى المنزل؟ لقد وصلنا لتونا، منذ قرابة الساعة". تقدمت إلى الأمام وهمست "وعلاوة على ذلك فقد كنت أعتقد أنك وروب سوف... *كما تعلمين*". وكأنها لم تصح لتوها أمام الجميع بأني قد فعلتها مسبقاً.

"لقد غيرت رأيي". بذلت قصارى جهدي في إظهار عدم اكتراثي، كان الجهد الذي بذلته في سبيل ذلك مضنياً. كنت غاضبة من ليندزي من دون سبب - ربما لعدم تخليها عن الحفلة من أجلي. وكنت منزعجة من إيلودي لأنها أعادتني إلى هنا، ومن آلي لأنها تتصرف دائماً بلامبالاة. كما كنت منزعجة من روب لأنه لم يكترث لمدى انزعاجي، ومن كينت أيضاً لأنه كان بالمقابل مكترثاً. كنت غاضبة من كل الناس ومن كل شيء. وفي تلك اللحظة تمنيت لو أن السيجارة التي تلوّح بها ليندزي تُمسك بالستائر فتضرم النار في كل الغرفة وتُحرق كل شيء. ثم انتابني فجأة شعور بالذنب. آخر ما أحتاجه هو أن أصبح كأحد أولئك الأشخاص الذين يرتدون الأسود دائماً ويعبثون بالبنادق والقنابل على كمبيوتراتهم المحمولة.

ليندزي كانت تنظر إلي فاغرة فاها وكأنها تعلم بماذا أفكر. ثم أدركت أنها تنظر من فوق كتفي. وجه إيلودي أصبح وردي اللون، وبدأت آلي تفتح فمها وتغلقه مثل سمكة. انخفض كثيراً صخب الحفلة،

وكأن أحدهم ضغط زر الإيقاف على المسجل.

جوليت سايكس. عرفت أنها ستكون هنا قبل أن أستدير، لكني بقيت مندهشة حين رأيتها، وظل يتملكني ذلك الشعور بالاستغراب.

إنها جميلة.

حين رأيتها اليوم تدلف إلى الكافيتريا بدت كعادتها دائماً. شعرها منسدل على وجهها، ملابسها فضفاضة، ومنغلقة على نفسها كما لو أن باستطاعتها أن تكون أي أحد، وفي أي مكان، مثل شبح أو ظل.

لكنها الآن تقف منتصبة وشعرها مسحوب إلى الخلف وعيناها تبرقان.

تقدمَت عبر الغرفة باتجاهنا. جف حلقي. أردث أن أقول لا، لكن ها هي تقف أمام ليندزي قبل أن تخرج الكلمة من فمي. رأيث فمها يتحرك، لكني استغرقث ثانية لأفهم ما تقول، كما لو أني أسمعها من تحت الماء.

"أنت عاهرة".

صار الجميع يهمس، محدقاً في مجموعتنا: أنا، ليندزي، إيلودي، آلي، وجولييت سايكس. شعرث بوجنتيَ تحرقانني. ثم بدأت الأصوات تتعالى.

قالت ليندزي وهي تكز على أسنانها "ماذا قلت؟".

"عاهرة. فتاة وضيعة. شخص سيِئ". واستدارت جولييت نحو إيلودي "أنت عاهرة". ثم نحو آلي "أنت عاهرة". وفي النهاية وقعت عيناها علي. إنهما بلون السماء تماماً.

"أنت عاهرة".

ضجّت الأصوات، وبدأ الناس يضحكون ويصرخون "مخبولة".

في النهاية تمالكت صوتي ووجدت نبرتي "أنت لا تعرفيني"، لكن ليندزي سبقتني وسحبتني إلى الخلف.

وضعت يديها على جولييت وهي تزمجر، ثم دفعتها "أفضّل أن أكون عاهرة على أن أكون مخبولة". تعثرت جولييت وحاولت التوازن بأرجحة يديها. كان ذلك مرعباً جداً لكنه مألوف. إنه يحدث ثانية: إنه يحدث كله *فعلاً*. أغلقت عيني، وأردت أن أصلي، لكن ما كان يسيطر على تفكيري: *لماذا، لماذا، لماذا، لماذا*.

حين فتحت عيني رأيت جولييت تتقدم نحوي، مبللة، وذراعاها مفتوحتان. نظرَت إلي، ويمكنني أن أقسِم أنها تعرف، وكأنها تستطيع الرؤية من خلالي. كأن ذلك هو بشكل أو بآخر ذنبي *أنا*. شعرت وكأني تلقيت لكمة في معدتي وتقطّعت أنفاسي، فاندفعت نحوها من دون تفكير ودفعتها إلى الخلف. تهاوَت على رف للكتب ثم ارتدت عنه، ممسكة بإطار الباب لتستعيد توازنها. ثم تمايلت خارجة عبر الممر.

صاح أحدهم من خلفي "أتصدق ذلك؟".

"جولييت سايكس أصبحت شجاعة".

"رمية من غير رامٍ، يا رجل".

صار الجميع يضحك، ومالت ليندزي على إيلودي وقالت "خرقاء". ضحكَت آلي، وزجاجة الشراب الفارغة تتدلى من يدها. لا بد أنها أفرغتها على جولييت.

بدأت أشق طريقي خارجة من الغرفة. يبدو أن عدداً كبيراً من الأشخاص دخل الغرفة وأصبحت الحركة شبه مستحيلة. بدأت أدفع الناس بجد، وأستخدم مرفقي عند الحاجة، وكان الجميع ينظر إلي بطريقة غريبة. لا أبه. يجب أن أخرج.

أخيراً وصلت إلى الباب، وكان كينت هناك يحدق في بفم مفتوح. تقدم وكأنه يحاول سد طريقي.

رفعت يدي "إياك حتى أن تفكر بذلك"، وكانت الكلمات تخرج مثل الزمجرة.

تحرّك دون أن ينبس ببنت شفة فتمكنت من تجاوزه. حين أصبحت في منتصف الممر سمعته يصرخ "لماذا؟".

صرخت بدوري "لأن". لكني كنت فعلاً أفكر بنفس السؤال.

"لماذا يحدث هذا معي؟".

لماذا، لماذا، لماذا؟

"كيف جرى أن سام تحمل معها دائماً بندقية؟".

"لأنك ثمل دائماً فلا تتذكر".

قالت آلي "لا أصدق أنكِ ودَعتِ روب بهذه الطريقة"، ورفعت معطفها حتى أذنيها. كانت سيارة ليندزي باردة جداً وكان البخار يخرج مع أنفاسنا. "ستكونين في ورطة كبيرة غداً".

كدت أقول، *هذا إن كان هناك من غد*. غادرت الحفلة دون أن أودّع روب الذي كان ممدداً على إحدى الأرائك وعيناه نصف مفتوحتين. وقبل ذلك كنت قد حبست نفسي لنصف ساعة في حمام فارغ في الطابق الأول، جالسة على حافة كرسي باردة وصلبة، وأستمع للموسيقى تتردد أصداؤها عبر الجدران والأسقف. كانت ليندزي قد أصرّت أن أضع أحمر شفاه زاه، وحين عاينت وجهي في المرآة رأيت أنه قد سال عن فمي وأصبحت مثل مهرج. نزعته عن وجهي بمنديل وتركت المنديل يطفو في حوض الكرسي، فسال اللون مثل أزهار وردية متفتحة.

في لحظة معينة يتوقف عقلك عن محاولة التفكير بطريقة منطقية. في لحظة ما يستسلم، ويتوقف تماماً عن العمل. لكني، حتى بعد أن أدارت ليندزي السيارة - وغيّرت اتجاهها على عشب حديقة كينت وغاصت العجلات في الوحل - لا أزال خائفة.

أشجار، بيضاء وهزيلة مثل العظام، تتراقص بقوة مع الرياح. المطر يرتطم بقوة على سقف السيارة، ودفقات من الماء على النافذة تجعل العالم يبدو وكأنه يتبدد من حولنا. الساعة على لوحة القيادة تشير إلى 12:38.

تشبثت بالمقعد مع انطلاقة ليندزي مسرعة على الطريق السريع، والأغصان تتمايل حولنا من كلا الاتجاهين.

"ماذا بشأن طلاء السيارة؟"، قلت وقلبي يطرق داخل صدري. حاولت إقناع نفسي أني بخير، أني على ما يرام، وأن ذلك لن يحدث. لكن لم يُجدِ ذلك نفعاً.

قالت "تباً له، السيارات تصدأ بكل الأحوال. هل رأيتِ الصادم الأمامي؟".

قالت إيلودي وهي تشخر "ربما إذا توقفتِ عن صدم السيارات المركونة".

"ربما لو كانت لديك سيارة"، ورفعت ليندزي إحدى يديها عن عجلة القيادة وانحنت للأمام محاولة الوصول إلى حقيبتها عند قدمي. وبمجرد ملامستها إياها انحرفت عجلة القيادة، وخرجت السيارة قليلاً عن الطريق باتجاه الغابة. مالت آلي على المقعد الخلفي وارتطمت بإيلودي، ثم انفجرتا بالضحك.

مددت يدي محاولة الإمساك بعجلة القيادة "يا إلهي، ليندز".

استقامت ليندزي ودفعتني بمرفقها. رمقتني بنظرة غريبة ثم بحثت عن علبة السجائر. "ماذا دهاك؟".

"لا شيء. أنا -". نظرت من النافذة وأنا أحبس الدموع التي بدأت فجأة تهدد بالانهمار. "أردتك فقط أن تأخذي حذرك، هذا كل شيء".

"حقاً؟ حسنٌ، لا أريدكِ أن تلمسي عجلة القيادة".

قالت آلي "ما بالكن يا بنات. بلا شجار".

قالت إيلودي "أعطني سيجارة، ليندز"، وهي نصف ممددة على المقعد الخلفي، ولوّحت بذراعها برعونة.

قالت ليندزي "فقط إذا أشعلتِ واحدة لي، ورمت بالعلبة إلى المقعد الخلفي. أشعلت إيلودي سيجارتين ومررت واحدة لليندزي. فتحت ليندزي النافذة قليلاً ونفثت خيطاً من الدخان. صرخت آلي.

"أرجوكِ، أرجوكِ، بلا نوافذ. أنا أكاد أموت من نزلة البرد".

قالت إيلودي "ستسقطين ميتة حين أقتلكِ".

حينها قلث مندفعة "إن كنتِ ستموتين فبأي طريقة ترغبين أن يكون ذلك؟

قالت ليندزي "أبداً".

"أنا جادة". كانت راحتا يديَ تتصببان عرقاً فجففتهما بمقعد السيارة.

قالت آلي "أثناء نومي".

قالت إيلودي "من تناول لزانيا جدتي"، ثم توقفت قليلاً وأضافت "أو من ممارسة الجنس"، وهذا ما جعل آلي تنفجر بالضحك.

قالت ليندزي "على متن طائرة". "إن كنث سأهوي، أرغب أن يهوي الجميع معي" وصنعت بيدها حركة غوص.

"لكن هل تعتقدين أنك ستعرفين؟" ألحّت علي فجأة رغبة للكلام في هذا الموضوع. "أعني، هل تعتقدين أنه ستكون لديك فكرة عن الأمر... مثل، *السابق*؟".

استقامت آلي وتقدّمت نحو الأمام، وسندت ذراعيها على ظهر مقعدينا. "ذات يوم استيقظ جدي، وصار يقسم أنه رأى شخصاً بالأسود الكامل عند أسفل سريره - قلنسوة كبيرة، من دون وجه. كان يحمل سيفه أو مهما يكن اسم ذاك الشيء. كان الموت، أتعلمون؟ ولاحقاً في ذلك اليوم ذهب إلى الطبيب فشخص له سرطان البنكرياس. في *ذات اليوم*".

ثم أدارت إيلودي عينيها "لكنه برغم ذلك لم يمت".

"كان يمكن أن يموت".

"تلك القصة لا مغزى منها".

"هل يمكننا تغيير الموضوع؟" وضغطت ليندزي على المكابح لثانية قبل أن تركن السيارة خارج الطريق الرطبة. "هذا سقيم جداً".

قهقهت آلي "هذه عبارة تحذيرية".

أرجعت ليندزي عنقها إلى الخلف وحاولَت أن تنفث الدخان في وجه آلي. "لا نملك جميعنا مفردات فتاة في الثانية عشرة من عمرها".

انعطفت ليندزي إلى الطريق 9، الممتدة أمامنا كلسان فضي عملاق. في صدري يرفرف بجناحيه طائر طنان - يرتفع، يرتفع، ويخفق في حلقي.

أردتُ العودة إلى الموضوع الذي كنتُ أتحدث فيه - أردتُ أن أقول، سوف *تعرفين*، صحيح؟ سوف تعرفين *قبل أن يقع المصاب* - لكن إيلودي أزاحت آلي من الطريق واتكأت إلى الأمام، وسيجارتها

متدلية من فمها، وهي تصيح "موسيقى!" وأمسكت بجهاز الآي بود.

قلت "هل تضعين حزام الأمان؟". لم أستطع تحمل الأمر. الرعب في كل مكان الآن، يضغط علي، يعتصر أنفاسي، وفكّرت: *إذا لم أتنفس، سأموت*. تقدمت الساعة إلى 12:39.

لم تكلف إيلودي نفسها عناء الرد، واكتفت باستعراض الأغاني على الآي بود، فوجدت أغنية "معك أو بدونك". لطمتها آلي وقالت أنه من المفترض أن يكون دورها الآن في اختيار الأغاني. طلبَت منهما ليندزي التوقف عن الشجار، وحاولت أن تأخذ الآي بود من إيلودي، فرفعت كلتا يديها عن عجلة القيادة وحاولَت تثبيتها بركبتها. عدتُ ثانية لأمسك بها لكنها صرخت "ابتعدي!" وهي تضحك.

ضربت إيلودي السيجارة من يد ليندزي فوقعَت بين فخذي ليندزي. انزلقت الإطارات قليلاً على الطريق الرطبة، وامتلأت السيارة برائحة الحريق.

إذا لم أتنفس...

ثم ظهر فجأة وميض أبيض أمام السيارة. صرخت ليندزي - *بكلمات لم أفهمها، شيء من قبيل سائر أو ساتر أو سائس - وفجأة -*.

حسنٌ

تعرفون ما حدث بعدها.

3

في منامي كنت أسقط في الظلام الأبدي.

أسقط، أسقط، أسقط.

هل سيستمر السقوط وكأن لا نهاية له؟

ثم صرخة. شيء ما يتمزق خلال الصمت، ونحيب مريع مرتفع، كصوت وحش أو نذير -

بيب بيب بيب بيب بيب.

نهضت وأنا أكتم صرختي.

أوقفت المنبه، مرتعشة، واستلقيت ثانية على وسائدي. حلقي يحرقني، وأتصبب كلي عرقاً. أخذت أنفاساً طويلة بطيئة وراقبت الغرفة بينما تتخللها أشعة الشمس المنبلجة فوق الأفق، فبدأت الأمور تتضح: قميصي الفيكتوريا سيكرت على الأرض، الملصق الذي صنعته ليندزي لي قبل سنوات مع اقتباسات لفرقنا المفضلة وقصاصات من الجرائد. أنصت للأصوات القادمة من الطابق الأرض، كانت مألوفة وثابتة كما لو أنها بُنيت مع أساس المنزل: قعقعة والدي في المطبخ، وضع الأطباق على الرفوف؛ صوت خربشة جرونا، بايكل، المحمومة وهو يحاول الخروج من الباب الخلفي، على الأرجح ليقضي حاجته ثم يركض في دوائر؛ وهمهمة خفيفة تعني أن والدتي تشاهد أخبار الصباح.

حين أصبحت جاهزة سحبت نفساً عميقاً ومددت يدي إلى هاتفي. فتحته. فومض التاريخ في وجهي.

الجمعة، 12 شباط.

عيد الحب.

"انهضي، سامي". وخبطت إيزي رأسها بالباب. "تقول أمي إنك على وشك أن تتأخري".

"قولي لوالدتي إني مريضة". فاختفت إيزي بشعرها الأشقر ثانية.

إليكم ما أتذكره: أتذكر أني كنت في سيارة. أتذكر عراك إيلودي وآلي من أجل الآي بود. أتذكر الدوران الجامح للعجلات ورؤية وجه ليندزي عند انحراف السيارة نحو الغابة، وفمها المفتوح وحاجبيها المرفوعين من هول المفاجأة، كما لو أنها مرت بشخص تعرفهُ في مكان غير متوقع. لكن بعد ذلك؟ لا شيء.

بعد ذلك، الحلم فقط.

إنها المرة الأولى التي أفكر فيها جدياً بأنه كذلك - المرة الأولى التي أسمح لنفسي بالتفكير أنه كذلك.

أنه من المحتمل أن تكون الحادثتان - كلاهما - حقيقيتين.

وربما ليس ذلك من صنع خيالي.

ربما حين يموت المرء يلتف الزمن حوله، فيصير يتخبط ضمن هذه الفقاعة الصغيرة إلى الأبد. هذا يشبه تجربة ما بعد الموت في فيلم *غراوندهوغ دي* "*يوم جرذ الأرض*". لم أكن قد تخيلت بأن الموت يشبه ذلك - ولم يحدث ما تخيلتهُ بعد ذلك - لكن، كالعادة، يبدو أنه لا أحد حولك ليخبرك عنه.

كونوا صادقين: هل فوجئتم لأني لم أدرك ذلك فوراً؟ هل فوجئتم لأني استغرقت وقتاً طويلاً لأبدأ بمجرد التفكير بالكلمة - الموت؟ مات؟ ميت؟

هل تعتقدون أني كنت غبية؟ ساذجة؟

حاولوا ألاّ تصدروا أحكاماً على الآخرين، تذكروا أننا متساوين ومتشابهين.

أنا أيضاً اعتقدت أني سأعيش للأبد.

"سام؟" إنها أمي الآن على الباب. دفعته لتفتحه

واتكأت على الإطار. "هل صحيح ما قالته إيزي عن مرضك؟".

"أنا... أعتقد أني مصابة بالزكام أو ما شابه". أعلم أن منظري مريع وهو ما يجعلها تصدق قولي.

تنهدَت أمي وكأني أصعِّب الأمر عمداً. "ستصل ليندزي في أية لحظة".

"لا أعتقد أني أستطيع الذهاب اليوم". مجرد التفكير بالمدرسة جعلني أرغب في أن أتكور على نفسي وأنام إلى الأبد.

"في يوم عيد الحب؟"، ورفعَت أمي حاجبيها. وقعَت عينها على الكنزة المكسوة بالفرو موضوعة بعناية على الكرسي - قطعة الملابس الوحيدة غير المبعثرة على الأرض أو المتدلية من طرف سرير أو قبضة باب. "هل وقع خطب ما؟".

"كلا، أمي"، وصرتُ أحاول ابتلاع الغصة في حلقي. أسوأ ما في الأمر أني لا أستطيع إخبار أحد بما يحدث - أو بما حدث - معي. ولا حتى والدتي. أذكر أني لم أتكلم معها في موضوع هام منذ سنوات، لكني بدأت أتمنى لو تعود الأيام التي كنتُ أشعر فيها أن باستطاعتها حل مشكلة ما. هذا مضحك، أليس كذلك؟ حين تكون صغيراً تتمنى لو تصبح كبيراً، وبعدها تتمنى لو أنك تستطيع أن تعود طفلاً.

أمعنت أمي النظر في وجهي، وشعرتُ بأنني يمكن أن أنهار وأثرثر بأمور جنونية، فأشحتُ بوجهي عنها، ورحت أنظر إلى الحائط.

"أنت تحبين عيد الحب". همهمت أمي. "أأنت واثقة من عدم حدوث شيء؟ لم تتشاجري مع أصدقائك؟".

"لا. بالطبع لا".

ترددت. "هل تشاجرت مع روب؟".

أثار فيّ ذلك رغبة في الضحك. فكّرت بحقيقة أنه تركني أنتظره في الطابق العلوي خلال حفلة كينت وكدت أقول، *ليس بعد*. "كلا، أمي. أقسم لك".

"لا تتحدثي بتلك النبرة. أنا فقط أحاول المساعدة".

"حقاً، حسنٌ، أنت لا تساعدين". دفنت نفسي عميقاً تحت الأغطية مستلقية على وجهي. سمعت جلبة واعتقدت أنها ستأتي لتجلس بجانبي، لكنها لم تفعل. حين كنت في السنة الثانوية الأولى رسمت بطلاء أظافر أحمر خطاً عند حافة بابي من الداخل، وأخبرتها إنها إذا تجاوزت هذا الخط يوماً فإني سوف لن أتكلم معها بعد ذلك. معظم طلاء الأظافر زال الآن، لكن لا يزال بالإمكان رؤية بعض اللطخ الحمراء على الخشب.

كنت أعني ذلك تماماً حينها، ولو أني تمنيت أن تنسى ذلك الأمر بعد حين. لكنها مذ ذلك اليوم لم تطأ قدمها عتبة غرفتي ولا مرة. كان ذلك مشكلة من بعض النواحي، فمن حينها لم تفاجئني مرةً بتوضيب سريري، أو تركت غسيلاً مطوياً أو قطعة ملابس جديدة على سريري كما كانت تفعل حين كنت في المدرسة الإعدادية. لكن - على الأقل - أنا أعرف أنها لا تنبش حين أكون في المدرسة في أدراجي بحثاً عن ممنوعات أو دمى جنسية أو غيرها.

قالت لي "إذا كنت تريدين النهوض فسأحضر ميزان الحرارة".

"لا أعتقد أني مصابة بحمى". رأيت على الجدار لطخة تشبه تماماً حشرة، فضغطت عليها بإبهامي

لأسحقها.

وكأني أرى أمي تضع يديها على خصرها. "اسمعي، سام. أعرف أنه الفصل الثاني، وأعلم أنك تعتقدين بأن ذلك مبرر للتقاعس -".

"أمي. المسألة ليست كذلك"، ودفنت رأسي تحت الوسادة، وكلي رغبة في الصراخ. "لقد أخبرتك، أنا لست على ما يرام". كان نصفي يخشى أن تسألني ما خطبي ونصفي الاخر يأمل أن تفعل.

كل ما قالته هو "حسنٌ. سأخبر ليندزي أنك تفكرين في الذهاب متأخرة. ربما أنك ستشعرين بتحسن بعد قسط بسيط من النوم".

شككت في ذلك، فقلت "ربما". وبعد ثانية سمعتها تغلق الباب خلفها.

أغلقت عيني وغدت بتفكيري إلى تلك اللحظات الأخيرة، الذكريات الأخيرة - نظرة الارتياع على وجه ليندزي والأشجار المضاءة بنور المصابيح الأمامية واقفة كالأسنان، والزئير الجامح للمحرك - باحثة عن نور، أو عن خيط يربط هذه بتلك، أو عن طريقة أحيك بها الأيام معاً ليصبح فيها شيء من المنطق.

لكن ما من شيء سوى السواد.

لم أعد أستطيع حبس دموعي، وها هي تنهمر دفعة واحدة. ومن دون أن أدرك تمرغتُ وسائد إيثان آلن المفضلة لدي بالمخاط واللعاب. ثم، بعد هنيهة، سمعت خربشة على بابي. لطالما كان بيكل بحاسته ككلب يشعر بي حين أبكي، وبعد أن قال لي روب كوكران في الصف السادس إن حماقتي أكبر من أن تجعله يقبل بالخروج معي - في وسط الكافيتريا، أمام الجميع - جلس بيكل على سريري وصار يلعق دموعي واحدة تلو أخرى.

لستُ أدري ما الذي جعل تلك الحادثة تقفز إلى رأسي، لكن التفكير بتلك اللحظة أطلق في داخلي شحنة جديدة من الغضب والإحباط. كم هو غريب مدى تأثير الذكريات علي. لم أذكُر روب يوماً بذلك اليوم - وأشك أنه يتذكره - لكني كنت أحب دائماً التفكير به حين نتمشى في الرواق، وأصابعنا متشابكة، أو حين كنا نتعانق في قبو تارا فلوت، وروب ينظر إلي ويغامزني. أحب أن أفكر بمدى طرافة الحياة: بحجم التغيير الهائل. كيف يتغير الناس.

أما الآن فأتساءل متى، بالضبط، أصبحت مرتاحة تماماً لروب كوكران.

بعد هنيهة، توقفت الخربشة على الباب. لقد أدرك بيكل أخيراً أنه غير مسموح له بالدخول، وصرت أسمع وقع أقدامه على الأرض وهو يهرول مبتعداً. لا أعتقد أني شعرت طوال حياتي بمثل هذه الوحدة.

بكيت إلى أن أذهلتني كمية الدموع التي يمكن أن تخرج من إنسان. لا بد أنها تخرج من أخمص قدمي.

ثم غفوت دون أن أحلم.

تكتيكات الهرب

نهضت وأنا أفكر بفيلم كنت قد شاهدته مرة. تموت الشخصية الرئيسية بطريقة ما - لكنه كان نصف ميت. جزء منه مستلق هناك في حالة غيبوبة، وجزء آخر منه يجوب العالم، في مكان لا يشبه الجنة. الفكرة هي أنه طالما لم يمت بالكامل، سيظل جزء منه محتجزاً في هذا المكان ما بين العوالم.

هذا هو الذي أعطاني أملاً للمرة الأولى خلال يومين. فكرة أن أكون مستلقية في مكان ما بحالة غيبوبة، وعائلتي منكبة علي، والجميع قلق والورود

تملأ الغرفة، هذا ما جعلني أشعر بتحسن فعلي.

فبما أني لستُ ميتة - على الأقل حتى الآن - فقد تكون هناك طريقة لإيقاف ذلك.

أوصلتني أمي إلى الموقف العلوي مباشرة قبل بدء الحصة الثالثة (300 متر أو لا، هكذا لن يراني أحد أخرج من سيارة أمي الأكورد 2003 الكستنائية، التي لا ترغب باستبدالها بحجة أنها "اقتصادية"). الآن أريد الوصول إلى المدرسة بفارغ الصبر. كان إحساسي يقول لي إني سأجد الأجوبة هناك. لا أدري كيف أو لماذا أصبحت محتجزة في هذه الحلقة الزمانية، لكن كلما فكرت بالأمر زادت قناعتي بأني هناك لسبب معين.

قلت لها "أراكِ لاحقاً"، وهممتُ بالنزول من السيارة.

لكنَّ شيئاً ما أوقفني. إنها الفكرة التي لا تزال تطاردني خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، أي ما كنت أحاول التحدث عنه مع صديقاتي في السيارة: كيف أنك قد لا تدرك أبداً حقيقة الأمر. ربما أنت تسير ذات يوم في الشارع و - صوت مدوٍ!

سواد

"الجو بارد، سام"، وانحنت أمي فوق مقعد المرافق وأومأت إليّ بأن أغلق الباب.

استدرتُ وأخفضتُ رأسي قليلاً لأراها. استغرقني الأمر برهة لأجد الكلمات، ثم قلتُ بغمغمة "أحبك".

شعرتُ بالغرابة لقولي ذلك، فقد خرج مني بطريقة لا تشبه الكلمة. حتى أني لستُ واثقة إن كانت فهمتني. صفقتُ الباب بسرعة قبل أن تبادر بالرد. على الأرجح أنها سنوات مرّت منذ أن قلتُ "أحبك" لأحد والديّ، باستثناء أعياد الميلاد أو حين يبادران هما بقولها فتصبح متوقعة جداً. تركني ذلك مع

إحساس غريب في معدتي، فيه شيء من الارتياح وشيء من الحرج وشيء من الندم.

أثناء سيري باتجاه المدرسة أقسمت على نفسي ألا أترك الليلة شيئاً للصدفة.

ومهما كان الأمر - تلك الفقاعات أو الحازوقة في حينها - فسوف أتخلص منه.

هناك أمر آخر سأظل أذكره: الأمل يبقيني حية. حتى وأنا ميتة، إنه الشيء الوحيد الذي يبقيني على قيد الحياة.

رن جرس الحصة الثالثة، فذهبت إلى قاعة الكيمياء. وصلت إلى هناك في الوقت المناسب لأجد مقعداً - مفاجأة كبرى - بجوار لورين لورنت. بدأ الاختبار، تماماً كما في الأمس وأول أمس - باستثناء أني تمكنت هذه المرة من الإجابة على السؤال الأول بنفسي.

قلم. حبر. هل يعمل؟ الأستاذ تيرني. كتاب. صفق. قفز.

همست إلي لورين "احتفظي به"، وهي ترف برموشها نحوي. "سوف تحتاجين قلماً". حاولت إعادته لها، كما في السابق، لكنّ شيئاً من عبارتها أحضر إلى مخيلتي ذكرى قديمة. تذكرت حين كنت في الصف السابع عائدة إلى المنزل من حفلة تارا فلوت، فرأيت وجهي في المرآة يضيء هكذا تماماً، وكأن أحدهم قد سلّمني جائزة يانصيب وأخبرني أن حياتي سوف تتغير.

"شكراً"، ووضعت القلم في حقيبتي. ظلت تنظر إلي بنفس الطريقة - كان باستطاعتي رؤيتها بطرف عيني - وبعد دقيقة استدرت إليها وقلت "لا ينبغي أن تكوني بهذا اللطف معي".

"ماذا؟" والذهول يتملكها. إنه تحسنٌ من دون شك.

اضطررتُ للهمس لأن الأستاذ تيرني بدأ يشرح الدرس. التفاعلات الكيميائية، إلخ، إلخ، إلخ، التحول من شكل إلى آخر. نضع سائلين معاً فتتشكل مادة صلبة. اثنان نزيد عليهما اثنين فلا يساويان أربعة.

"أعجبني ذلك. ومن المفترض أن تكوني أنت أيضاً".

"ولِمَ لا؟"، طأطأت رأسها حتى كادت عيناها تختفيان.

"لأني لستُ لطيفة معك". فاجأتني صعوبة خروج الكلام.

"أنتِ لطيفة" قالت لورين، وهي تنظر إلى يديها، لكن كان واضحاً أنها لا تعني ذلك. ثم نظرَت إلى الأعلى وحاولَت مجدداً "أنت لا...".

وتوقفتْ عن الكلام، لكني عرفتُ ماذا كانت ستقول. لستِ مضطرة لأن تكوني لطيفة معي.

فقلتُ لها "فعلاً".

صاح الأستاذ تيرني "بنات!"، وهو يخبط بيده على طاولة المختبر. أقسم أنه صار يتوهج كمصباح النيون.

توقفتُ عن الكلام مع لورين في بقية الحصة، لكني غادرتُ مختبر الكيمياء بشعور جيد، وكأني فعلتُ الأمر الصواب.

"هذا ما أحب أن أراه"، ونقر الأستاذ ديملر بأصابعه على مقعدي أثناء سيره في الممر وصولاً إلى نهاية الصف ليجمع الوظائف. "ابتسامة عريضة. إنه يوم جميل -".

علّق مايك هيفنر قائلاً "من المتوقع أن تمطر لاحقاً اليوم"، وضحك الجميع. يا له من غبي.

لكن الأستاذ ديملر لم يترك العبارة تمر. "- وهو يوم الحب. الأجواء تعبق بالحب". نظر إلي مباشرة فتوقف قلبي للحظة. "*يجب على الجميع أن يكون مبتسماً*".

قلت بصوت فيه كثير من الحلاوة "فقط كرمى لك أستاذ ديملر". فصدرت قهقهات كثيرة وشخرة عالية من الخلف. التفت حولي فرأيت كينت، مخفضاً رأسه، ويخدش بقوة حقيبة كمبيوتره المحمول.

ضحك الأستاذ ديملر وقال "وأعتقد هنا أني أثرت حماسك بشأن المعادلات التفاضلية".

همهم مايك "لقد أثرت حماسها بخصوص *أمر ما*". فتعالى الضحك أكثر في الصف. لست واثقة إن كان الأستاذ ديملر قد سمع - لم يظهر عليه ذلك - لكن احمرّ طرفا أذنيه.

مضت الحصة كلها على هذا النحو. كنت في مزاج جيد، وواثقة أن كل شيء سيكون على ما يرام. لقد اتضحت الصورة أمامي. سأحظى بفرصة ثانية. كان الأستاذ ديملر يعيرنا اهتماماً خاصاً، وبعد الاحتفال بعيد الحب ألقى نظرة على ورودي الأربعة، رفع حاجبيه، وقال أنه لا بد أن لي معجبين سريين في كل مكان.

أجبته "ليسوا سريين للغاية"، فغمزني بعينه.

بعد الحصة، جمعت أشيائي وذهبت إلى الردهة، حيث توقفت لبرهة وألقيت نظرة من خلف كتفي. طبعاً كان كينت يلاحقني، بقميصه المرخي وحقيبة ظهره نصف المفتوحة تخبط على ردفه. يا لها من فوضى. هممت بالسير نحو الكافيتريا. اليوم تمعّنت أكثر بملحوظته: الشجرة مرسومة بحبر أسود، والنتوءات في جذعها مظللة على نحو رائع. الأوراق رفيعة ألماسية الشكل. لا بد أنه استغرق ساعات

لإنجاز ذلك كله. وضعتها بين صفحتين من كتاب الرياضيات كي لا تتأذى.

"هاي" بادر قائلاً لدى لحاقه بـي. "هل وصلتك ملحوظتي؟".

كنتُ على وشك أن أقول له، *إنها ممتازة حقاً*، لكن شيئاً ما أوقفني. "'لا تشرب وتحب؟' هل هذه مقولة دارجة لا أعرفها؟".

"أنا أعتبر أن من واجبـي الأخلاقي أن أنشر الكلمة"، ووضع كينت يده على قلبه.

ومضت فكرة - *أنت لم تكن توجه الكلام إلي إن كنت تذكر* - لكني أبعدتها فوراً. هذا كينت ماكفولر. إنه محظوظ لأنه حظي أصلاً بفرصة الكلام معي. علاوة على ذلك، أنا لا أنوي الذهاب إلى الحفلة الليلة: لا حفلة، لا جولييت سايكس، لا مبرر لكينت كي يتودد إلي. والأهم من ذلك كله، لا مكان للصدف.

أجبته "هذا أكثر ما يشبه نشر الانحراف".

"سأعتبر هذا إطراءً"، لكن بدت الجدية فجأة على كينت. وانكمش وجهه حتى تجمعت كل النمشات التي على أنفه كدائرة فلكية. "لماذا تتلاعبين بالأستاذ ديملر؟ تعلمين أنه شخص منحرف".

تفاجأت بالسؤال فاستغرقني الرد بضع ثوانٍ. "الأستاذ ديملر ليس شخصاً منحرفاً".

"ثقي بـي، إنه كذلك".

"هل أنت غيران؟".

"هذا بعيد عنك".

"على أي حال، أنا لا *أتلاعب* به".

أدار كينت عينيه. "طبعاً".

رفعت كتفي. "ولماذا أنت مهتم إلى هذا الحد؟".

احمرّ وجه كينت ونظر إلى الأرض، ثم دمدم قائلاً

"من غير سبب".

تقلّصت معدتي قليلاً، وأدركت أن جزءاً مني كان يأمل جواباً مختلفاً - شخصياً أكثر. طبعاً لو اعترف كينت بحبه لي في هذه اللحظة، هنا في الردهة، لكانت كارثة. فبرغم غرابته ليست لدي رغبة في إهانته على الملء - إنه لطيف معي، ونحن أصدقاء طفولة، وما إلى ذلك - لكن يستحيل إطلاقاً أن أواعده في أية حياة. على الأقل ليس في هذه الحياة، الحياة التي أريد استعادتها، حيث يمر الماضي فيتبعه الحاضر ثم المستقبل. وهذه البرنيطة وحدها تجعل الأمر مستحيلاً.

"اسمعي"، ورمقني كينت بنظرة من طرف عينه. "سيسافر والداي في هذه العطلة، وقد دعوت بعض الأشخاص إلى عندي الليلة...".

"أها"، ومن فوق رأسه رأيت روب يسير باتجاه الكافيتريا. سوف يراني في أي لحظة، لكني لست مستعدة لرؤيته الآن. بدأت معدتي تتشنج، فقفزت لأصبح في مواجهة كينت وظهري إلى الكافيتريا. "امم... وأين كان منزلك؟".

نظر كينت إلي مستغرباً. كنت في الواقع قد اتخذت وضعية جعلتني أشبه بحاجز بشري. "عند مفترق الطريق التاسعة. ألا تذكرين؟". لم تبدر مني أي استجابة، وبدا لوهلة أن الابتسامة فارقت وجهه. نظر بعيداً نظرة استهجان. "أعتقد أنك لا تذكرين، فعلاً. لم تذهبي إلى هناك سوى بضع مرات، وقد انتقلنا مباشرة قبل المرحلة الإعدادية من منطقة 'تيراس بليس'. أنت تذكرين منزلي القديم في 'تيراس بليس'، صحيح؟" عادت الابتسامة. أجل صحيح: عيناه بلون العشب تماماً. "كنت تحبين المكوث في المطبخ وسرقة كل الكعك اللذيذ، وكنت

أطاردك حول شجرة القيقب العملاقة في الباحة الأمامية. أتذكرين؟".

بمجرد ذكره شجرة القيقيب أضاءت في ذهني ذكرى، وبدأت تتمدد مثل شيء يكسر صفحة الماء ويتموج نحو الخارج. كنا جالسين في ذلك المكان الضيق بين جذرين ضخمين ملتفين خارج الأرض مثل ظهري حيوانين. أذكر أنه فصل بذرتي قيقب ووضع إحداهن في أنفه والأخرى في أنفي، مدعياً أنه بذلك سيعرف الجميع أننا عاشقين. كنت حينها على الأرجح بعمر الخامسة أو السادسة.

"أنا - أنا..." آخر ما كنث أحتاجه منه هو أن يذكرني بالأيام الخوالي الجميلة، حين كنث كلني زكَبْ وأنف ونظارات، وكان هو الصبي الوحيد الذي تقرّب مني. "ربما. هل تعلَم بأن الأشجار بأنواعها تبدو كلها متشابهة بالنسبة لي؟".

ضحك مع أني لم أكن أحاول أن أبدو طريفة. "إذاً، هل تعتقدين بأنك ستأتين الليلة؟ إلى حفلتي؟".

أعادني ذلك إلى الواقع. الحفلة. هززت رأسي وبدأت بالانسحاب. "كلا. لا أعتقد".

بدأت ابتسامته تنكمش قليلاً. "ستكون حفلة ضخمة تضج بالمرح. ذكريات المرحلة الثانوية. أفضل أوقات حياتنا، كل ذلك الهراء".

"صحيح"، أجبته بتهكم. "جنة المرحلة الثانوية".

استدرث وبدأت أسير مبتعدة عنه. كانت الكافيتريا مكتظة، وحين وصلث إلى الباب المزدوج - الذي وضع عند إحدى درفتيه حذاء رياضي قديم لإبقائه مفتوحاً - واجهني ضجيج الطلاب بصوت هادر.

"على الرحب والسعة"، قالت لي. "أعرف أنك سوف".

أجبتها "لا تحبسي أنفاسك". وكدت أضيف، *إنه افضل بهذه الطريقة*.

قواعد النجاة

"ماذا تقصدين بأنك لا تستطيعين الخروج؟".

كانت آلي تنظر إلي وكأني قلت إني أريد الذهاب إلى حفلة راقصة مع بين فارسكي (أو فارت سكي Fart-sky 'ريح السماء'، كما كنا ندعوه منذ الصف الرابع).

تنهدت. "كل ما هنالك أني لا أشعر برغبة في ذلك، جيد؟". ثم غيّرت التكتيكات وحاولت ثانية. "نحن نخرج في كل عطلة. أنا فقط - لا أعرف. أرغب في البقاء في المنزل، كما كنا نفعل".

أجابَت آلي "كنا نمكث في البيت لأننا لم نكن نستطيع دخول حفلات سنة التخرج".

وقالت ليندزي، "تكلمي عن نفسك".

كان ذلك أصعب مما ظننت.

تذكرت سؤال أمي عما إذا كنت قد تشاجرت مع روب وقبل أن أتمكن من التفكير ملياً بذلك اندفع الكلام تلقائياً "إنه روب، جيد؟ نحن... نحن نواجه مشكلات".

فتحت هاتفي المحمول لأتفقد وصول أي رسائل للمرة المليون. حين دخلت إلى الكافيتريا كان روب واقفاً خلف المحاسب، وهو يضع على البطاطس المقلية خاصته الكاتشب وصلصة الشواء (المفضلة لديه). لم أستطع أن أذهب إليه بنفسي، وبدلاً من ذلك هرعت إلى طاولتنا في قسم السنة الأخيرة وأرسلت إليه رسالة: *يجب أن نتكلم*.

رد عليّ مباشرة برسالة: *بخصوص؟*

كتبت إليه، *الليلة*، ومن حينها لا يزال هاتفي

صامتاً. في الجهة المقابلة من الكافيتريا كان روب متكئاً على ماكينات البيع ويتحدث مع آدم مارشال. كانت قبعته مفتولة إلى جانب رأسه. يعتقد أن ذلك يجعله يبدو أكبر سناً.

كنت أجد متعة في جمع كل تلك التفاصيل الصغيرة عنه، فأخزنها سوية واحتفظ بها في داخلي. وكأني إذا جمعت تلك التفاصيل وبقيت حاضرة في ذهني - حقيقة أنه يحب صلصة الشواء وليس الخردل، أن فريقه المفضل هو اليانكيز مع أنه يفضل كرة السلة على كرة القاعدة، أنه ذات مرة حين كان صغيراً كسر رجله عند محاولته القفز من فوق سيارة - سأستطيع فهمه بالكامل. كنت مقتنعة بأن الحب هو هكذا: أن تعرف شخصاً معرفة عميقة إلى درجة أن يصبح جزءاً منك.

لكن شعوري الداخلي يكبر أكثر فأكثر حتى أني أجد نفسي *لا* أعرف روب.

تدلّى فك آلي. "لكن من المفترض بك أن - *تفهمين* قصدي".

كانت تشبه سمكة بفمها المنسدل بتلك الطريقة، فالتفت بعيداً لأقاوم رغبتي الملحة في الضحك. "كان من المفترض بنا أن، لكن... ". لم أكن يوماً بارعة في الكذب فتوقف عقلي بالكامل.

تدخلت ليندزي "لكن ماذا؟".

مددت يدي إلى حقيبتي وأخرجت الملحوظة التي أرسلها إليَ، وكانت قد تجعدت والتصقت بها قطعة علكة ممزق غلافها قليلاً. دفعت بها إلى الطاولة. "لكن هذه".

كظمت ليندزي أنفها وفتحت البطاقة برؤوس أظافرها. آلي وإيلودي انحنتا على الطاولة وراحتا تقرآن. وبعدها خيم الصمت على الجميع للحظة.

أخيراً أغلقت ليندزي البطاقة وأعادتها إليّ قائلة "ليست بهذا السوء".

"وهي أيضاً ليست بتلك الجودة". كنث أحاول إيجاد مبرر لعدم ذهابـي إلى الحفلة الليلة، لكن بمجرد أن بدأت بالحديث عن روب أصبحت منفعلة جداً. "*أحبك*؟ ما هذا الهراء؟ نحن نخرج سوية منذ تشرين الأول".

قالت إيلودي "ربما هو ينتظر اللحظة المناسبة ليقولها". ثم جحظت عيناها وقالت "ستيف لم يقلها لي البتة".

"هناك فرق. أنتِ بالأساس لم تكوني تنتظرينها منه".

أشاحت إيلودي نظرها بسرعة، فقفزت إلى ذهني حقيقة أنها ربما، رغم كل شيء، كانت تنتظرها.

صمت مريب، ثم تقاطعه ليندزي "أنا لم أرَ شيئاً صادماً. تعرفين أن روب يحبك. ولن يكون الأمر كخلوة عابرة أو شيئاً من هذا القبيل".

"هو يحبني، لكن...". كنث على وشك الاعتراف بأني لست متأكدة بأننا كنا على وفاق، لكن في آخر لحظة لم أستطع. سيظنون أني مجنونة. أنا نفسي لم أفهم الأمر، حقاً. هذا يشبه فكرة أنه هو أفضل من *أناه* هو. "اسمعوني. سوف لن أمارس الجنس معه فقط من أجل أن يقول لي إنه يحبني، أتفهمون قصدي؟".

في الحقيقة لم أعِ تماماً الكلمات التي قلتها، وللحظة أصابني الذهول منها فلم أستطع قول شيء آخر. هذا ليس السبب الذي جعلني أخطط لممارسة الجنس مع روب - أقصد كي أسمع الكلمات. كل ما أردته هو إنهاء عذريتي. على ما أعتقد. في

الحقيقة، لا أعرف ما الذي جعل الأمر يبدو بهذه الأهمية بالنسبة لي".

غمغمت آلي "على ذكر القط".

ثم أشم رائحة بلسم الليمون وروب يزرع قبلة رطبة على وجنتي.

"هاي يا سيدات"، ومد يده ليتناول قطعة بطاطس مقلية من طبق إيلودي، فأبعدت صينيتها بسرعة بعيداً عنه. ضحك. "هاي سلامر. هل وصلتك معايدتي؟".

"وصلتني"، ونظرث للأسفل نحو الطاولة. شعرث أنه إذا ما التقت عينانا فسوف أنسى كل شيء. أنسى الملحوظة وكيف أنه تركني وحيدة وكيف أنه حين يقبّلني تظل عيناه مفتوحتين.

في ذات الوقت لم أكن أرغب حقاً بتغيير أي شيء.

"إذاً؟ ما الذي فاتني؟" وانحنى روب إلى الأمام ووضع كلتا يديه على الطاولة - بفائض من القوة، على ما أعتقد. فقفزت علبة الكولا الخاصة بليندزي.

اندفعَت آلي قائلة "حفلة كينت وكيف أن سام لا ترغب في الذهاب". وكزتها إيلودي بمرفقها على خاصرتها، فصرخَت آلي.

أدار روب رأسه ونظر إلي. كان وجهه خالياً تماماً من أي تعبير. "هل هذا ما كنتِ تودين الكلام معي بخصوصه؟".

"كلا - حسنٌ، نوعاً ما". لم أتوقع منه أن يذكر الرسالة النصية، وأصابني الارتباك لأني لم أعرف ما الذي يفكر به. كانت عيناه تبدوان قاتمتين جداً، وضبابيتين بالكامل تقريباً. حاولث أن أبتسم له، لكني شعرث أن وجنتي محشوتان بالقطن. لم أستطع تدارك ذلك لكني تخيلته يتأرجح على قدميه

رافعاً يده قائلاً "خمس دقائق".

"حسنٌ؟" استقام وهز كتفيه. "ثم ماذا؟".

ليندزي، آلي، وإيلودي كلهن كنَّ يحدّقن بـي. يمكنني أن أشعر بأعينهن تشع حرارة. "لا يمكنني الحديث عن ذلك هنا. أقصد، ليس الآن"، وأدرتُ رأسي باتجاههن.

ضحك روب، ضحكة قصيرة بصوت أجش. وأدركتُ أنه جن جنونه لكنه يخفي ذلك.

"طبعاً لا"، وتراجع مبتعداً، رافعاً كلتا يديه وكأنه يصد عنه شيئاً ما. "ما رأيك بهذا؟ تُعلِميني حين تكونين *جاهزة* للكلام. سأنتظر سماع شيء منك. تعلمين أني لم أرغب يوماً أن *أضغط* عليكِ". كان يمطّ ببعض الكلمات، وشعرتُ بسخرية في نبرة صوته - ولو بسيطة، لكنها موجودة.

كان واضحاً - بالنسبة لي، على الأقل - أنه يتحدث عن طريقة لا تقتصر على مجرد حديث بيننا، لكن قبل أن أتمكن من الرد لوّح بيده، مثل تحية انحناء، ثم استدار ومضى مبتعداً.

"رباه"، وأدارت آلي طبق السلطة على صينيتها. "ما السبب في هذا؟".

سألت إيلودي بعينين متسعتين، "أنتِ لم تكوني تشاجرين، أليس كذلك، سام؟".

قبل أن أضطر للإجابة أصدرت ليندزي صوت هسهسة ورفعت ذقنها إلى الأعلى، مشيرة إلى نقطة خلفي "تحذير، المعتوهة. أبعدوا السكاكين والأولاد".

كانت جولييت سايكس قد دخلت لتوها إلى الكافيتريا. لكوني اليوم مركّزة جداً - على إصلاح المشكلة، على فكرة أني أستطيع إصلاحها - نسيتُ

تماماً كل ما يتعلق بجولييت. لكني أفقث الآن إلى ما حولي، وأصبحث فضولية بشأنها أكثر من أي وقت مضى. راقبتها وهي تدلف إلى الكافيتريا. كان شعرها منسدلاً ويحجب وجهها: شعر ناعم، مجعد، أبيض لدرجة تذكرني بالثلج. هكذا كانت تبدو، فعلاً - مثل ندفة ثلج تتقاذفها الرياح، فتلتف وتدور مع تيارات الهواء. لم تُلق أي نظرة باتجاهنا، ورحث أتساءل إن كانت تخطط لذلك الآن، أي تخطط للحاق بنا الليلة وإهانتنا أمام الجميع. لم يكن يبدو أنها تضمر أي نية لذلك.

من شدة إمعاني في مراقبتها استغرقني الأمر ثانية لأدرك أن آلي وإيلودي قد أنهتا عبارة *القاتلة المعتوهة* - *المع تو هة* - وهما الآن تضحكان بطريقة هيستيرية. أما ليندزي فرفعت أصابعها، بشكل متصالب، وكأنها تصد عنها لعنة ما، وهي تردد باستمرار "آه، يا إلهي، أبعد الظلام عنا".

سألث ليندزي "لماذا تكرهين جولييت؟". كم هو غريب أني لم أفكر يوماً في طرح هذا السؤال حتى الآن. كنث دائماً أتقبل الأمر ببساطة.

شخرَت إيلودي وكادت أن تختنق بالكولا. "هل أنتِ جادة؟".

من الواضح أن ليندزي لم تكن مستعدة لهذا السؤال. فتحت فمها، أغلقته، ردّت شعرها وأدارت عينيها وكأنها غير مصدقة أني أتساءل من أساسه. "أنا لا *أكرهها*".

"بلى، أنت كذلك". إنها ليندزي من اكتشف أن أحداً لم يرسل ولو وردة واحدة لجولييت في السنة الأولى، وكانت فكرة ليندزي أن نرسل لها معايدة. ليندزي هي من أطلق عليها لقب المعتوهة، وهي من كانت، طوال تلك السنوات، تنشر قصة تبوّل

جولييت على الفراش في المخيم.

حدّقت ليندزي بـي وكأني فقدث صوابـي. قالت "آسفة"، باستهجان. "لا فرص لأصحاب الأمراض العقلية".

"لا تقولي لي إنك تأسين لحالها أو شيئاً كهذا" قالت إيلودي. "تعرفين أنها يجب أن تكون محتجزة".

"مستشفى بيليفيو"، وقهقهن جميعاً.

بدأت بالقول "كنث فقط أتساءل"، لكن أصابني تشنج حين ذكرت آلي كلمة المستشفى. يبقى احتمال أن أكون قد ضعت تماماً، ولدي مرض عقلي، قائم دائم. لكن لسبب ما لم أعد أفكر بذلك. قرأث ذات مرة مقالاً يقول إن المجانين لا يدركون أنهم كذلك ولا يقلقون لهذا الأمر - هذا لب المشكلة.

"إذاً، هل سنمكث حقاً الليلة في البيت؟" قالت آلي بعبوس. "طوال الليل؟".

أخذث نفساً عميقاً ونظرت نحو ليندزي، فنظرَت آلي وإيلودي إليها أيضاً. كانت في العادة صاحبة الكلمة الفصل في جميع قراراتنا الهامة، وإذا أصرّت على الذهاب إلى حفلة كينت فإنّي سأواجه صعوبة في التملص منها.

أسندَت ليندزي ظهرها إلى الكرسي وحدّقت بـي. رأيث شيئاً يلتمع في عينيها، وتوقف قلبـي، ظناً مني أنها ستقنعني بتقبل الأمر وأن الحفلة ستجعلني بحال أحسن.

لكن بدلاً من ذلك تبسّمت وغمزتني قائلة "إنها مجرد حفلة، وعلى الأرجح أن تكون باهتة".

"يمكننا أن نستأجر فيلم رعب" قالت إيلودي. "كما اعتدنا أن نفعل".

"القرار لسام" قالت ليندزي "لها أن تختار ما ترغب".

تمنيث أن أقبّلها في تلك اللحظة.

فوّتنا حصة اللغة الإنكليزية أنا وليندزي من جديد. مررنا بأليكس وكاتي في مطبخ هونان، لكن ليندزي لم تتوقف اليوم عندهما، على الأرجح لأنها تبذل قصارى جهدها في مراعاتي وهي تعرف أني أكره المواجهات.

لكني ترددت. فكّرث ببريانا وهي تضم أليكس بذراعيها وتنظر إليه وكأنه الشاب الوحيد على وجه الأرض. إنها مزعجة، هذا صحيح، لكنها تستحق من هو أفضل منه. يا للأسف.

قالت ليندزي "مرحباً؟ هل تختلسين النظر؟".

أدركث أن كنث واقفة أحدق عبر إعلانات ممزقة عن وجبات خاصة بخمسة دولارات وفرق مسرح محلي وصالونات حلاقة. أليكس ليمنت لاحظ وجودي عبر النافذة، وراح ينظر مباشرة إلي.

"أنا آتية". هذا سيّئ للغاية، لكن فعلاً، ماذا باستطاعتنا أن نفعل؟ فليعش كل منا حياته على طريقته.

في متجر أفضل الزبادي في البلاد، أخذنا أنا وليندزي كوبين من الشوكولاتة المضاعفة مع كوبين من زبدة الفستق المطحونة، وأضفث رشّة من الحبوب المقرمشة. لقد عادت إليّ شهيتي، هذا أكيد. كل شيء يسير كما خططث له. لن تكون هناك حفلة الليلة، على الأقل بالنسبة لنا؛ لن يكون هناك ركوب سيارات. أنا أكيدة أن ذلك سيصلح كل شيء - بأن الحلقة الزمنية ستنكسر، وأني سأستيقظ من هذا الكابوس الذي أعيشه مهما يكن. ربما سأجد نفسي مستلقية في فراش في مستشفى ما، لاهثة، ومن

حولي أصدقائي وعائلتي. يمكنني أن أتخيل المشهد بكل تفاصيله: عيون أمي وأبـي مغرورقة بالدموع، إيزي تبكي وهي تعانقني، وليندزي وآلي وإيلودي و -

ومضت في ذهني صورة كينت فأبعدتها بسرعة.

- وروب. طبعاً روب.

لكن هذا هو المفتاح، أنا واثقة منه. أعيش يومي بالكامل. أتبع القواعد. أبقى بعيدة عن حفلة كينت. الأمر بسيط.

"حاذري". ابتسمت ليندزي، وهي تغرف ملعقة كبيرة من الزبادي وتضعها في فمها. "هل تريدين أن تكوني سمينة وعذراء".

أجبتها "أفضل من أن أكون سمينة ومصابة بالسيلان"، وقذفتها برقاقة من الشوكولاتة.

رمتني بواحدة بالمقابل. "هل تمزحين؟ أنا نظيفة جداً لدرجة أن باستطاعتك أن تأكلي مني".

"بوفيه ليندزي. هل يعرف باتريك أنكِ تتخلين عنها بهذه البساطة؟".

"بالمجمل".

صارت ليندزي تتصارع مع كوبها الضخم، محاولة الحصول على أفضل قضمة. لكن كنا كلتانا نضحك، وانتهى بها المطاف بأن رمتني ملء ملعقة كاملة من الزبادي، فأصابتني فوق عيني اليسرى مباشرة.

شهقت ووضعت يدها على فمها. سالت الزبادي على وجهي واستقرت كبقعة على الفرو الذي يغطي ناحية صدري اليسرى.

قالت ليندزي "آسفة، جداً، جداً"، بصوت مكتوم لأنها كانت لا تزال تضع يدها على فمها. اتسعت عيناها وكان واضحاً أنها تحاول الإمساك عن

الضحك. "هل تعتقدين أن قميصك قد تلوث؟".

أجبتها "ليس بعد"، وأخذتُ ملعقة كبيرة من الزبادي ورشقتها عليها، فأصابتها على جانب رأسها، على شعرها مباشرة.

صرخت "عاهرة!". ثم رحنا نركض حول متجر الزبادي ونختبئ خلف الكراسي والطاولات، فنجرف كمية كبيرة من الشوكولاتة ونستخدم ملعقتينا مثل منجنيقين لنقذفها على بعضنا الآخر.

لا يمكن الحكم على أستاذ الرياضة من خلال شاربه الطويل.

لم نستطع أنا وليندزي التوقف عن الضحك طوال طريق عودتنا إلى المدرسة. قد يصعب شرح ذلك، لكني أشعر بسعادة لم أعرفها منذ سنوات، وكأني أرى كل شيء للمرة الأولى: رائحة الشتاء النفّاذة، الضوء يبدو غريباً ومنحرفاً، والغيوم كيف تصنع على مهل أشكالاً في السماء. الفرو على كنزتينا كان ملطخاً ومقرفاً، وكانت بقع الماء تغطي كل ملابسنا. السيارات كانت لا تتوقف عن إطلاق أبواقها علينا، وكنا نلوّح لها ونرسل القبلات لمن فيها. ثم مرّت بنا سيارة مرسيدس، فانحنت ليندزي وهي تصفع مؤخرتها وتصيح "عشرة دولارات! عشرة دولارات!".

لكمتها على ذراعها قائلة "يُحتمَل أن يكون هذا والدي".

"يؤسفني أن أقولها لك، لكن والدك لا يقود سيارة مرسيدس"، ورفعت ليندزي شعرها عن وجهها. كان مفتولاً ورطباً. اضطررنا للاغتسال في الحمام حين صرخت بنا امرأة من متجر الزبادي وهددتنا بأن تتصل بالشرطة إذا ما داست قدمانا المتجر ثانية.

قلتُ لها "أنت مستحيلة".

ردّت علي "أنت تعرفين أنك تحبينني"، وأمسكت بذراعي وراحت تعانقها بجواري. كنا نحن - الاثنتين - متجمدتين من البرد.

قلتُ لها "أنا فعلاً أحبك"، وكنتُ أعني ذلك حقاً. أنا أحبها، وأحب الآجر الأصفر القبيح لثانوية توماس جيفرسون والقاعات ذات الظلال الأرجوانية. أنا أحب ريدجفيو لكونها صغيرة ومملة، وأحب كل من وما فيها. أحب حياتي. أنا متمسكة بحياتي.

"أحبك أيضاً، عزيزتي".

حين عدنا إلى المدرسة أرادت ليندزي إشعال سيجارة، مع أن جرس الحصة الثامنة سيرن في أية لحظة.

قالت ليندزي "سحبتين اثنتين" وفتحَت عيناها على اتساعهما، فضحكتُ وتركتها تجرني لأنها تعرف أني لا أستطيع أن أقول لا لها حين تصنع ذلك الوجه. كانت الصالة فارغة، فوقفنا بجوار ملاعب التنس متلاصقتين بينما تحاول ليندزي إشعال عود ثقاب.

في النهاية نجحَت، وأخذت سحبة طويلة، ثم أخرجَت عمود دخان من فمها.

بعد ثانية من ذلك سمعنا صيحة من جهة موقف السيارات: "هاي! أنتِ! التي تحملين سيجارة!".

تجمدنا نحن الاثنتين. إنها الآنسة وينتر. النازية نك.

صرخت ليندزي بعد جزء من الثانية "اركضي!"، ورمت سيجارتها. ركضت هي خلف ملاعب التنس مع أني كنت أناديها "من هنا!"، وأنا أرى شعر الآنسة وينتر الأشقر المرفوع يتمايل من فوق السيارات - لم أكن متأكدة مما إذا رأتنا أم أنها فقط سمعت

ضحكنا. أخذت وضعية القرفصاء خلف سيارة رانج روفر وعبرث موقفاً آليَ الخروج إلى أحد الأبواب الخلفية المؤدية إلى صالة الألعاب، بينما ظلت الانسة وينتر تصرخ "هاي! *هاي!*".

أمسكث القبضة وأدرتها، لكن الباب كان عالقاً. للحظة توقف قلبـي، واعتقدتُ أنه مقفل، لكني دفعته بقوة فانفتح وإذا به يفضي إلى مخزن. قفزث إلى الداخل وأغلقث الباب خلفي، وكان قلبـي يقفز في صدري. بعد دقيقة سمعث وقع أقدام مقابل الباب، وسمعث الآنسة وينتر تدمدم "اللعنة"، ثم بدأت الأقدام تتراجع إلى الخلف.

كل ما حصل - اليوم، العراك في متجر أفضل الزبادي في البلاد، إفلاتنا من القبض علينا، فكرة أن ليندزي جاثمة في مكان ما في الغابة وتنورتها وحذاؤها الجديد - صدمني بطرافته لدرجة أني اضطررث إلى وضع يد على فمي لأمنع نفسي من الضحك. الغرفة التي أقف فيها تفوح فيها رائحة أحذية وقمصان كرة القدم والطين، ومع المخاريط البرتقالية المكدّسة وحقيبة مليئة بكرات السلة في الزاوية، بالكاد أجد لي موطئ قدم أقف فيه. في أحد جانبـي الغرفة نوافذ تطلّ على مكتب: على الأرجح أنه لأوتو، لأنه فعلياً يعيش في صالة الألعاب. لم تسنح لي يوماً فرصة رؤية مكتبه، لكني رأيت أوراقاً مكدّسة على طاولة المكتب، وشاشة الكمبيوتر تومض عليها شاشة توقف بدت وكأنها صورة مبتذلة لعاهرة تم تحميلها من موقع على الإنترنت. اقتربث أكثر من النافذة وأنا أفكر كم سيكون مضحكاً أن أمسك عليه شيئاً قذراً، مثل لباس داخلي يتدلى من أحد أدراج المكتب أو مجلة إباحية أو ما شابه، عندما فُتح باب مكتبه وإذ به

يدخل.

ركعتُ على الأرض فوراً، وتكوّرت مثل كرة، لكني بقيت خائفة من أن تظهر ربطة شعري من عتبة النافذة. كان من الحماقة التفكير بكل ما كان يحدث، لكن كل ما استطعت التفكير به في تلك اللحظة أنه *إذا رآني فسأصبح في عداد الأموات. وداعاً لمنزل الي، ومرحباً بالاعتقال.*

كان وجهي يغرق في حقيبة صوفية نصف مفتوحة يبدو أنها مليئة بقمصان قديمة لكرة السلة. لا أعرف إن كانت يوماً قد دخلت إلى غسالة، لكن الرائحة جعلتني أشعر أني سأتقيأ.

سمعت أوتو يجول في المكتب، ورحت أصلي - *اصلي* - ألا يقترب كثيراً من طاولة المكتب فيراني مختبئة بين مجموعة من الأغراض الرياضية القديمة. يمكنني مسبقاً أن أسمع الإشاعات تقول: وُجِدَت سامانثا كينغستون تمتطي واحداً من المخاريط المخصصة لدروس قيادة السيارات.

مرّت دقيقة أو اثنتين من الإرباك، وبدأت ساقاي ترتجفان. رن أول جرس للحصة الثامنة - ثلاث دقائق لدخول الصف - لكن لا مجال لدي أبداً للتسلل إلى الخارج؛ فصرير الباب مرتفع، وإلى جانب ذلك لا أعرف ما هي الجهة التي يقف هو مقابلها، ومن الممكن أن يكون محدقاً بالباب.

أملي الوحيد هو أن يكون لدى أوتو درس في الحصة الثامنة، لكني لم أسمع ما يوحي بأنه على عجلة للذهاب. تخيلت أن أبقى محبوسة هنا حتى نهاية الدوام. الروائح القذرة وحدها كفيلة بالقضاء علي.

انفتح باب أوتو ثانية، فتنفست الصعداء ظناً مني أنه سيغادر أخيراً. لكني أسمع صوتاً ثانياً يقول

"اللعنة، لقد أفلتوا مني".

باستطاعتي تمييز ذلك الأنين الأنفي أينما كان. إنها الآنسة وينترز.

قال أوتو "المدخنون؟"، وكان صوته تقريباً بنفس طبقة صوتها المرتفعة. لم تكن لدي فكرة أنهما يعرفان بعضهما. المرات الوحيدة التي رأيتهما فيها معاً في نفس الغرفة كانت في اجتماعات المدارس، حين كانت الآنسة وينترز تجلس بجوار المدير بينتر وتبدو وكأنها جالسة فوق قنبلة دخانية وضعها أحدهم تحت كرسيها مباشرة، وأوتو يجلس مع أساتذة الإسعافات الأولية ومرشدي الصحة وأخصائي دروس القيادة ومع بقية غريبـي الأطوار الذين ينتمون إلى هيئة التعليم لكنهم ليسوا بمدرسين حقيقيين.

"هلم تعلم أن الطلاب يسمون تلك المنطقة الصغيرة 'فسحة المدخنين'؟"، وكأني أسمع الآنسة وينترز تفرك أنفها.

سألها أوتو "هل لمحتِ أحداً منهم؟"، فتشنجت عضلاتي.

"لم ألمحهم جيداً. فقط سمعتهم وشممت رائحة الدخان".

ليندزي محقة: الآنسة وينترز تملك أنف كلب شمّام.

قال أوتو "في المرة القادمة".

"لا شك أن هناك آلاف أعقاب السجائر". قالت الآنسة وينترز. "لو تتخيل كل تلك الأفلام الصحية التي عرضناها عليهم -".

"إنهم مراهقون. يفعلون عكس ما يُقال لهم. هذا جزء من تركيبتهم. حب الشباب، الشعر على العانة، والسلوك السيئ".

بالكاد تمكنت من الإحجام عن الضحك حين قال أوتو *الشعر على العانة*، وتوقعث من الانسة وينترز أن تنهره، لكنها اكتفت بالقول "أحياناً أتساءل لماذا أزعج نفسي".

قال أوتو "يبدو أنه واحد من تلك الأيام، صحيح؟"، وصوت اصطدام بطاولة وكتاب يرتطم بالأرض. في الواقع، كانت الانسة وينترز *تقهقه*.

وبعدها، وأقسم على ذلك، سمعتهما *يقبّلان* بعضهما. ليس ذلك النوع من القبل من رؤوس الشفاه، بل بأفواه مفتوحة لزجة ومتأوهة.

آه، اللعنة. هنا كان عليّ حرفياً أن أعض على يدي منعاً للصراخ، أو البكاء، أو الانفجار بالضحك، أو التقيؤ - أو كلها معاً. *محالٌ أن يحصل ذلك*. كنث بأشد اللهفة لإمساك هاتفي وإرسال رسالة نصية إلى البنات، لكني لا أريد أن أقوم بأية حركة. الآن تحديداً يجب تجنب الإمساك بـي، لأن أوتو والنازية سيعتقدان أني كنث أتجسس على حفلتهما الجنسية الصغيرة. مقرف.

حين شعرث بأني لم أعد أتحمل نفسي ولو لثانية محشورة مع القمصان المشبعة بالعرَق، وأستمع لأوتو ووينترز يلعقان وجهي بعضهما وكأنهما في فيلم إباحي، رن الجرس الثاني. الآن أصبحث متأخرة عن الحصة الثامنة.

قالت الآنسة وينترز "يا إلهي. من المفترض بـي أن أقابل بيني". وبيني هو الاسم الذي يطلقه الطلاب على الأستاذ بينتر، المدير. من بين جميع الأشياء الصادمة التي سمعتها خلال الدقائق الخمس الماضية، كان الأمر الأشد صدمة بالنسبة لي هو أنها تعرف اللقب - بل وتستخدمه أيضاً.

قال الأستاذ أوتو "اخرجي من هنا"، وأقسم أيضاً -

اقسم - أني سمعته يصفعها على مؤخرتها.

آه، يا إلهي. هذا أفضل من الحادثة التي ضُبطت فيها مارسي هاريس تداعب نفسها في مخبر العلوم (بواسطة أنبوب اختبار، دون شرح أكثر، إن كنتم تصدقون الشائعات). هذا أفضل من الحادثة التي تم فيها إيقاف مارك هانلي جراء دخوله على موقع إباحي على الإنترنت. وهو أفضل من أي فضيحة تطال ثانوية توماس جيفرسون حتى الآن.

"هل لديك درس الآن؟" سألت الآنسة وينترز بصوت يشبه الهديل.

أجاب أوتو "انتهيت من الدروس اليوم". انقبض صدري - يستحيل أن أتمكن من البقاء هنا لخمس وأربعين دقيقة إضافية. لم أعْد آبه للتشنج الذي سرى في ركبتي وردفي، فقد حصلت على فضيحة مذهلة أريد نشرها. "لكن يجب أن أجهّز لتجارب فريق كرة القدم".

"حسنٌ، صغيري". صغيري؟ "أراكَ الليلة".

"الثامنة مساءً".

سمعت الباب يُفتح وعرفت أن الآنسة وينترز قد غادرت. حمداً لله. كان ينتابني القلق من طريقة حديثهم الحميمة بأني سأعاني من خمس دقائق أخرى من الكلام الوداعي. ولست متأكدة إن كانت ركبتاي أم نفسيتي ستستطيع التحمّل.

بعد بضع ثوان من التجوال في المكتب وكتابة بعض الأمور على لوحة المفاتيح، سمعت أوتو يذهب إلى الباب. أصبحت الغرفة المجاورة لي معتمة. ثم فُتح الباب وأُغلق، فعرفت أني نجوت.

شكرت الرب في قلبي ونهضت. كان وخز الإبر والدبابيس في ساقي مؤلماً لدرجة أني بالكاد

استطعت الوقوف، لكني سحبت نفسي إلى الباب واتكأت عليه. حين خرجت رحت أخبط قدمي بالأرض وأتنشق الهواء النقي بأنفاس طويلة وعميقة. أخيراً يمكنني إخراج ما بداخلي، فأرخيت رأسي إلى الخلف وصرت أضحك بطريقة هستيرية، وأقهقه وأشخر دون حتى أن أحفل بأن أبدو مختلّة.

الآنسة وينترز والأستاااااذ أوتو. من كان ليتوقع ذلك في مليون، تريليون سنة؟

عندما خرجت من صالة الألعاب أذهلتني الغرابة التي شعرت بها تجاه الناس. يمكن أن تراهم كل يوم - وتعتقد أنك تعرفهم - وبعدها تكتشف أنك بالكاد تعرفهم من أصله. شعرت بالابتهاج، وكأني نوعاً ما أركب دوامة وأدور أقرب فأقرب حول نفس الأشخاص ونفس الأحداث لكن مع رؤيتها من زوايا مختلفة.

كنت لا أزال أقهقه حين وصلت إلى البهو الرئيسي، ولو أن الأستاذ هاوسر سيجن بسبب تأخري، ولا يزال علي التوقف عند خزانتي لإحضار دفتري (كان قد قال لنا في اليوم الأول إن علينا أن نعامل دفاترنا مثل الأبناء. من الواضح أنه لا ولد له). وبينما أضغط زر *إرسال* إلى إيلودي، آلي، وليندزي - فهنّ لن يصدَقن أبداً ما حدث للتو - وإذ بـي فجأة أصطدم بلورين لورنيت.

تراجعنا نحن الاثنتين للخلف، وطار هاتفي المحمول من يدي وتدحرج في الرواق.

"اللعنة!". كان الاصطدام قوياً إلى درجة أني لم أستطع أن ألتقط أنفاسي لبضع لحظات. "انتبهي أين تسيرين".

مشيت باتجاه هاتفي، وكنت أفكر إن كنت سأجعلها تدفع ثمنه إذا ما كُسرت الشاشة أو تعطل به شيء،

وإذ بها تمسك بذراعي بقوة. "ماذا بحق...؟".

قالت بصوت حاد "أخبريهم"، ودفعت بوجهها مقابل وجهي. "يجب عليك أن تخبريهم".

"عن ماذا تتكلمين؟"، وحاولت الابتعاد، لكنها أمسكت بذراعي الأخرى أيضاً، كما لو أنها تريد أن تهزني. كان وجهها أحمر ومبقعاً ومظهرها بالمجمل يبدو لزجاً. من الواضح أنها كانت تبكي.

"أخبريهم أني لم أرتكب أي خطأ"، وهزّت رأسها للخلف فوق كتفها. كنا نقف مباشرة أمام المكتب الرئيسي، ورأيتها في تلك اللحظة على شاكلة ما رأيتها عليه البارحة، بشعرها المنسدل فوق وجهها ودموعها الذارفة في الرِواق.

قلت لها "أنا لا أعرف حقاً ما الذي تتكلمين عنه" بأقصى ما استطعت من لطف، لأنها كانت تخيفني فعلاً. على الأرجح أن لديها زيارات نصف شهرية إلى الأخصائي النفسي في المدرسة لمعالجة أزمة البارانويا أو الوسواس القهري أو مهما تكن المشكلة التي تعاني منها.

أخذت نفساً عميقاً. كان صوتها مرتجفاً. "يظنون أني نقلت عنكِ في اختبار الكيمياء. لقد استدعاني بيني... لكني لم أفعل. أقسم أني لم أفعل. لقد درست جيداً...".

حاولت الابتعاد لكنها ظلت ممسكة بذراعي. فعاودني الشعور بأني أركب دوامة، لكن هذه المرة كان الشعور مرعباً: وكأني أسحب لأسفل، لأسفل، لأسفل، وكأن فوقي ثقل ما.

"أنت نقلت عني؟" وبدت كلماتي وكأنها آتية من بعيد. حتى أن صوتي لم يكن يشبهني.

"أنا لم أفعل، أقسم على ذلك-"، ونشجت شيئاً من

البكاء فزعاً. "سوف يرسبني. قال إنه سيرسبني إذا لم تتحسن علاماتي، فأخذت دروساً خصوصية وهم يعتقدون الآن أني - هو قال إنه سيتصل بجامعة بين ستيت. أنا لن أذهب إلى الجامعة أبداً وأنا - أنت لا تفهمين. والدي سيقتلني. سوف يقتلني". وهنا هزّتني بعنف. كان الرعب يملأ عينيها. "عليك أن تخبريهم".

أخيراً تمكنت من الإفلات منها. شعرت أني مريضة وحرارتي مرتفعة. لم أكن أرغب في معرفة ذلك، لا أرغب في معرفة أي من ذلك.

قلت لها مبتعدة "لا يمكنني مساعدتك"، وأنا لا أزال أشعر أني لست أنا فعلاً من يلفظ الكلمات، وكأني أسمعها تُقال علانية من مكان ما.

نظرَت إلي لورين وكأني وجّهت إليها صفعة. "ماذا؟ ماذا تقصدين بأنك لا تستطيعين المساعدة؟ فقط قولي لهم -".

كانت يداي ترتجفان وأنا ماضية لالتقاط هاتفي، وسقط من قبضتي مرتين على الأرض محدثاً جلبة. ليس من المفترض أن تجري الأمور على هذا النحو. شعرت وكأن أحدهم ضغط على زر *التشغيل العكسي* على مكنسة هوائية وبدأت كل القذارة التي ارتكبتها تخرج عائدة إلى السجادة كي أراها.

قلت لها "من حسن حظك أنك لم تكسر الهاتف"، كلي شعور بالخدر. "هذا الهاتف كلفني مائتي دولار".

"هل كنت *تنصتين* إلي حقاً؟" وعلا صوت لورين بشكل هستيري. لم أستطع مواجهة نظرتها. "أنا في مأزق، لقد انتهى أمري -".

قلت ثانية "لا يمكنني مساعدتك"، وكأني لا أستطيع أن أتذكر أي كلمات أخرى.

بدأت لورين تُصدر شيئاً ما بين الصراخ والبكاء. "قلت اليوم أنَ عليّ أن لا أكون لطيفة معك. هل تعرفين لماذا؟ أنت محققة. أنت مريعة، أنت عاهرة، أنت -".

وفجأة بدت وكأنها تذكّرت أين كنا: من تكون هي، ومن أكون أنا. فصفقت بيدها على فمها بسرعة مُحدثة صوتاً أجوف تردد صداه في أرجاء الرواق. "يا إلهي"، وخرج صوتها هذه المرة مثل الهمس. "أنا آسفة. لم أقصد ذلك". لكني لم أجب، فتلك الكلمات - *أنت عاهرة* - جعلت القشعريرة تسري في كامل جسدي. "أنا آسفة. أنا - أرجوكِ لا تغضبي مني".

لم أقوَ على البقاء - لا أقوى على سماع اعتذارها. وقبل أن أعرف ما هو وجدت نفسي أركض - بأسرع ما يمكن عبر الرواق، وقلبي يخفق، وتملأني رغبة في الصراخ أو البكاء أو تحطيم شيء بقبضتي. نادتني، لكني لم أسمع ما قالته، لم أكن مهتمة، ولا أستطيع التمييز، وحين دخلت حمام البنات أسندت ظهري إلى الباب وبدأت أغوص حتى صارت ركبتاي تضغطان على صدري، وحلقي يضغط نحو الأعلى بقوة أصبح التنفس معها مؤلماً. ظل هاتفي يرتج، وبمجرد أن هدأت فتحته فوجدت عليه رسائل من ليندزي، آلي، وإيلودي: *ماذا؟ طبق. إراقة. هل فعلتها مع روب؟*

وضعت هاتفي في حقيبتي وأسندت رأسي بيدي، منتظرة أن يعود نبضي إلى طبيعته. كل السعادة التي شعرت بها قبلاً قد ذهبت. حتى الموقف بين أوتو ووينترز لم يعد مضحكاً. بريانا وأليكس وكاتي وساره غروندل وموقف سيارتها الغبي ولورين لورنت واختبار الكيمياء - بدا كل شيء وكأني معلقة في شبكة عنكبوت ضخمة وأينما التفت أرى أني

عالقة بأحد آخر، وكلنا نتلوى في نفس الشبكة. وأنا لا أرغب في معرفة أي شيء عنها. إنها ليست مشكلتي. أنا لا أحفل.

أنت عاهرة.

أنا لا أحفل. لدي أمور أهم يجب أن أقلق بشأنها.

أخيراً نهضت. قررت عدم حضور حصة اللغة الإسبانية. وبدلاً من ذلك غسلت وجهي بماء بارد ووضعت المكياج من جديد. بدا وجهي شاحباً تحت إضاءة الفلوريسنت المبهرة، وبالكاد عرفت نفسي.

الحلم فقط

"تعالي، ابتهجي"، وضربتني ليندزي على رأسي بوسادة.

إيلودي كانت تتناول آخر شطيرة تونا حارة، ولا أعتقد أنها كانت فكرة سديدة لكونها كانت متكئة على الأريكة في الساعات الثلاث الأخيرة. "لا تقلقي، سامي. روب سينهي ذلك".

الجميع كان يعتقد أن السبب في صمتي هو روب، لكنه لم يكن. كنت صامتة لأنه بمجرد أن دقت الساعة عند الثانية عشرة بدأ الخوف يسري في داخلي. كان يتغلغل في ببطء، مثل رمل يسقط في ساعة رملية. ومع كل ثانية تمضي كنت أقترب شيئاً فشيئاً من اللحظة. نقطة الصفر. هذا الصباح كنت متأكدة تماماً من أن الأمور ستمضي ببساطة شديدة - أن كل ما علي فعله هو البقاء بعيدة عن الحفلة، والبقاء بعيدة عن السيارة. عندها سيأخذ الزمن مساره الطبيعي ثانية، وهكذا سيتم إنقاذي.

لكني أشعر الآن بأن قلبي يعتصر بين ضلوعي، وأن التنفس يصبح أصعب فأصعب. كنت مرتعدة من فكرة أنه في لحظة واحدة - في الفاصل ما بين

نفسين - سيتبخر كل شيء في الظلام، وأني سأجد نفسي مرة ثانية وحيدة في غرفة نومي، وأستيقظ على صوت المنبه القوي. لا أدري ماذا سأفعل إذا ما حصل ذلك. أعتقد أن قلبـي سينكسر. أعتقد أن قلبـي سيتوقف.

أطفأت آلي التلفاز ورمت جهاز التحكم أرضاً. "ماذا علينا أن نفعل الآن؟".

"دعوني أشاور الأرواح"، وانزلقت إيلودي عن الأريكة وجلست على الأرض، حيث كنا قبل وقت سابق قد وضعنا لوح 'ويجي' (لعبة لمناجاة الأرواح) مغبراً كتذكار من الأيام الخوالي. حاولنا اللعب، لكن كان واضحاً أن الجميع يدفع عنه، وظل المؤشر يتوقف عند كلمات مثل عضو ذكري وقضيب، إلى أن بدأت ليندزي تصرخ في الهواء "أرواح منحرفة! متحرشة بالأولاد!".

أدارَت إيلودي المؤشر بإصبعين، فدار إلى أن استقر عند كلمة نعم.

"انظرن، يا أماه"، ورفعت يديها. "من دون يدين".

"أيتها الحمقاء، لم يكن سؤالاً إجابته نعم أو لا"، وأدارت ليندزي عينيها وأخذت رشفة كبيرة من مشروب كنا سرقناه من متجر الخمور.

"هذه البلدة مقرفة"، قالت آلي. "لا يحدث فيها شيء على الإطلاق".

الثانية عشرة وثلاث وثلاثون. الثانية عشرة وأربع وثلاثون. لم أر يوماً الثواني والدقائق تندفع بتلك السرعة، وتتساقط بعضها فوق بعض. الثانية عشرة وخمس وثلاثون. الثانية عشرة وست وثلاثون.

"نحتاج إلى موسيقى أو ما شابه"، قالت ليندزي وهي تقفز عن الأرض. "من غير المعقول أن نظل

جالسات هنا مثل المتشردات".

قالت إيلودي "طبعاً موسيقى". ثم جرت هي وليندزي إلى الغرفة المجاورة، حيث وُجدتْ مجموعة نظام صوتي من نوع بوس. ناديتهن "لا موسيقى"، لكن كان قد فات الأوان، وها هي بيونسي تصدح. بدأت الآنية تهتز على رف الكتب، وشعرتُ أن رأسي على وشك أن ينفجر، وقشعريرة تسري في جسدي صعوداً وهبوطاً. الثانية عشرة وسبعون وثلاثون. انكمشتُ على نفسي على الأريكة، وسحبتُ بطانية فوق ركبتي، وغطيتُ أذني.

عادت ليندزي وإيلودي إلى الغرفة. كنا جميعاً نرتدي سراويل قصيرة وكنزات من دون أكمام. كان واضحاً أن ليندزي شنّت غارة على غرفة ملابس آلي لأنها هي وإيلودي متزينتان الآن بنظارات تزلج وقبعات صوفية. وكانت إيلودي تعرج على قدم واحدة لأن قدمها الأخرى علقت في حذاء ثلجي للأولاد.

صرخت آلي "آه يا إلهي"، وأمسكَت معدتها وانحنت على نفسها من شدة الضحك.

كانت ليندزي تدور حول نفسها ممسكة بعصا التزلج بين ساقيها، وهي تتأرجح جيئة وذهاباً. "آه، باتريك! باتريك!".

كان صوت الموسيقى عالياً جداً وبالكاد أسمعها، حتى بعد أن رفعتُ يدي عن أذني. الثانية عشرة وثمان وثلاثون. دقيقة واحدة.

صاحت إيلودي "تعالي!"، وهي تمد يدها إلي. من شدة الخوف لم أكن أقوى على الحراك، ولا حتى على هز رأسي، فانحنت فوقي وصرخت "عيشي قليلاً!".

أفكار وكلمات كثيرة تدور في رأسي. أردت الصراخ، *لا، كفى* أو *نعم، عيشي*، لكن أقصى ما استطعت فعله هو أن أغلقت عيني وتصورت الثواني تجري كالماء إلى بحيرة لا محدودة، وتخيلت أننا جميعاً نندفع عبر الزمن وفكّرت، *الآن، الآن، سوف يحدث ذلك الآن* -.

ثم خيّم الصمت على كل شيء.

خشيت أن أفتح عيني. انفتح بداخلي فراغ عميق. لا أشعر بشيء. هذا يشبه أن يكون المرء ميتاً.

بعدها صوت: "عالٍ جداً. سوف تثقبين طبلتي أذنيكِ قبل أن تصبحي في العشرين".

فتحث عيني قليلاً. إنها السيدة كارتر، والدة آلي، تقف في الممر متألقة بمعطفها المطري، وتمسد شعرها. وكانت ليندزي تقف هناك بنظارات التزلج والقبعة، وإيلودي تحاول بأساليب غريبة أن تخلع حذاء الثلج.

لقد فعلتها. لقد نجحت. وسرَت مشاعر الارتياح والفرح فيّ بقوة حتى كدث أبكي.

لكن بدلاً من ذلك رحث أضحك. انفجرث بالضحك محطمة جدار الصمت، ورمقتني آلي بنظرة قذرة، وكأنها تقول، *الآن قررت أن تكوني مرحة؟*

"هل أنتن ثملات يا بنات؟" وحدّقت والدة آلي بكل واحدة منا بدورها ثم قطبت جبينها وهي تنظر إلى زجاجة الخمر شبه الفارغة الملقاة على الأرض.

"بالكاد" ورمت آلي نفسها على الأريكة. "لقد قتلت النشوة".

رفعت ليندزي النظارات إلى رأسها، وقالت بوجه مشرق "كنا نقيم حفلة راقصة، سيدة كارتر"، كما لو أن الرقص نصف عراة والتزين بأغراض رياضات

شتوية هو نوع من مخيم كشافة للبنات - نشاط رسمي.

تنهدت السيدة كارتر. "هذا يكفي. كان يوماً طويلاً. سأخلد للنوم".

ناحت آلي "أمممممي".

رمقتها السيدة كارتر بنظرة. "يكفي موسيقى".

وأخيراً تمكنت إيلودي من تحرير قدمها وسقطت إلى الخلف فوقعت على أحد رفوف الكتب. طار كتيّب *التدبير المنزلي لمارثا ستيوارت* واستقر عند قدمها. "بئساً"، واحمرّ وجهها وهي تنظر إلى السيدة كارتر متوقعة أن تتلقى صفعة في أية لحظة.

لم أستطع الإحجام عن ذلك، فبدأت أقهقه ثانية.

أدارَت السيدة كارتر عينيها نحو السقف وهزّت رأسها. "تصبحن على خير، بنات".

"حركة ظريفة". وانحنت آلي نحوي وقرصتني من ردفي. "معاقة".

إيلودي بدأت تقهقه وتقلد صوت ليندزي "كنا نقيم حفلة راقصة، سيدة كارتر".

"على الأقل أنا لم أسقط على رف الكتب"، وأدارت ليندزي قفاها نحونا. "قبّلنها".

"ربما سأفعل"، وبدأت إيلودي تقترب منها متظاهرة أنها ستفعل، فصرخت ليندزي وصارت تراوغها. هست آلي "هس" حين سمعت السيدة كارتر تصرخ من الطابق العلوي "*يا بنات!*". وسرعان ما صرنا جميعاً نضحك. كان رائعاً أن أضحك معهن.

لقد غدت.

بعد ساعة، تمددث أنا وليندزي وإيلودي على الأريكة التي بشكل حرف L. كانت قدماي

ملاصقتين لقدمي ليندزي، فصارت تحرك أصابعها محاولة إزعاجي. لكن لا يمكن لشيء أن يزعجني الآن. أما آلي فأحضرت من الطابق العلوي فراشها الهوائي وأغطيتها (كانت تصر على أنها لا تستطيع النوم بدون لحافها). هذا يشبه كثيراً السنة الأولى. شغّلنا التلفاز بصوت خافت لأن إيلودي كانت لا تحب الصوت، وفي الغرفة المعتمة كانت الشاشة المتوهجة تذكرني بليالي الصيف التي كنا نتسلل فيها إلى نادي السباحة من أجل السباحة ليلاً، وكيف كانت الأضواء تشع فوق الماء المعتم، والسكون المخيم والشعور بأنك الشخص الوحيد الحي في العالم بأسره.

قلث "أنتن يا رفيقات؟"، بصوت هامس لأني لم أكن متأكدة من منهن لا تزال صاحية.

امتعضت ليندزي "أفففففف".

أغلقث عيني وتركث الشعور بالأمان يسري في جسدي من رأسي حتى أخمص قدمي. "إذا خُيرتن انتقاء يوم واحد لتعشنه مراراً وتكراراً فأيها تخترن؟".

"أنا لا أعرف"، قلث لها. "كيف ستختارين؟".

لم يجب أحد، وبعد هنيهة بدأت آلي تشخر على وسادتها. كنّ جميعهن نائمات. أما أنا فلم أتعب بعد. كنث مغتبطة لكوني هنا، لكوني آمنة، لكسري تلك الفقاعة الزمانية أو المكانية التي كنث محتجزة فيها. لكني أغلقت عيني وحاولت التفكير باليوم الذي أختاره. وبدأت الذكريات تتسارع - عشرات وعشرات الحفلات، جولات التسوق مع ليندزي، الطعام في حفلات المبيت والبكاء على *الكمبيوتر المحمول* مع إيلودي، وحتى قبل ذلك، الإجازات العائلية وحفلة عيد ميلادي الثامن والمرة الأولى

التي غطست فيها من فوق اللوح المرتفع ودخل الماء في أنفي وكاد يُغشى عليّ - لكن كلها كانت تبدو لسبب ما غير كاملة، مجتزأة وضبابية.

ليكون اليوم مثالياً يجب ألا تكون هناك مدرسة، هذا مؤكد. وأن يكون على الفطور فطائر محلاة - فطائر أمي المحلاة. وأن يطهو والدي البيض المقلي الذي يشتهر به، وأن تجهز إيزي الطاولة كما كانت تفعل أحياناً في العطل، بأطباق مختلفة غير متطابقة وفاكهة وأزهار جمعتها من حول المنزل ووضعتها وسط الطاولة وسمّتها "الطبق الرئيثي".

أغلقت عيني وشعرت بنفسي أطلق العنان، كما لو أني أقف عند حافة هاوية، وتصعد الظلمة لتحملني بعيداً...

ترنترنترن

شيء ما سحبني عند حافة النوم، وفي لحظة مرعبة فكّرت: *إنه صوت المنبه، أنا في المنزل، إنه يحدث ثانية*. ضعقت، وتشنجت، فصاحت ليندزي "أووا!".

صوت تلك الكلمة الوحيدة أعاد السكينة إلى قلبي وعاد تنفسي إلى طبيعته.

ترنترنترن. حين صحوت بالكامل أدركت أنه ليس صوت منبهي. إنه الهاتف يرن عالياً في عدة غُرف، محدثاً صدى غريباً. نظرت إلى الساعة: 1:52.

إيلودي تنهدت. آلي تقلّبت في فراشها وهمهمت "أوقفوه". توقف الهاتف عن الرنين ثم عاد من جديد، وفجأة نهضت آلي، واقفة كالقلم، وصاحية تماماً.

قالت "اللعنة. اللعنة. أمي سوف تقتلني".

قالت ليندزي من تحت وسادتها "أوقفيه، ال".

حاولت آلي التملص من أغطيتها وهي لا تزال تهمهم "اللعنة. أين هو الهاتف المخيف؟" حاولت السير لكن انتهى بها الأمر بأن سقطت من على السرير وارتطم كتفها بالأرض. أنّت إيلودي ثانية، لكن هذه المرة بصوت أعلى.

قالت ليندزي "أنا أحاول النوم، يا قوم".

همست آلي رداً عليها "أحتاج للهاتف".

بكل الأحوال، كان قد فات الأوان. أسمع صوت خطوات في الطابق العلوي. من الواضح أن السيدة كارتر قد استيقظت. بعد ثانية توقف الهاتف عن الرنين.

"حمداً لله"، وتخبطَت ليندزي لتتدثر أكثر تحت أغطيتها.

"إنها الثانية تقريباً". وقفت آلي - كان باستطاعتي أن أرى بشكل غير واضح إطارها العام وهي تعود وتستلقي على السرير. "من بحق الجحيم يمكن أن يتصل في الواحدة والنصف فجراً؟".

قالت ليندزي "قد يكون مات وايلد، يريد الإفصاح عن حبه".

ردّت عليها آلي "ظريف جداً"، واستلقت ثانية على السرير وصمتنا جميعاً. كان باستطاعتي سماع السيدة كارتر تهمهم فوقنا بصوت خافت وصوت وقع خطواتها وهي تسير. ثم سمعتها بشكل واضح تقول: "آه، كلا. آه يا إلهي".

بدأت بالقول "آلي -"، لكنها كانت قد سمعتها هي الأخرى، فنهضت وأشعلت الإنارة. النور المفاجئ جعلني أجفل، أما ليندزي فألقت الشتائم وسحبت الأغطية فوق رأسها.

"هناك خطب ما" قالت الي وهي تنكمش على

نفسها وترف عينيها بسرعة. أسرعت إيلودي وتناولت نظارتها، ثم سندت نفسها على مرفقيها. وفي النهاية أدركت ليندزي أن الإضاءة لن تنطفئ، فسحبت نفسها وخرجت من شرنقتها.

"ما المشكلة؟" وهي تجمع قبضتي يديها لتفرك بهما عينيها.

لم يجب أحد. كان قد كبر إحساسنا به: هناك شيء في *غاية السوء*. آلي اكتفت بالوقوف هناك وسط الغرفة، وقد بدت أصغر سناً مما هي عليه بقميصها الفضفاض وسروالها القصير.

في لحظة معينة توقّف الصوت في الطابق العلوي، وصار وقع الخطى يتحرك قطرياً باتجاه الدرج. عادت آلي إلى فراشها الهوائي، وطوَت ساقيها تحتها وراحت تقضم أظافرها.

لم يظهر على السيدة كارتر أنها متفاجئة لكوننا مستيقظات، بانتظارها. كانت ترتدي رداء نوم حريرياً وعلى رأسها قناع العيون. لم أرَ السيدة كارتر طوال حياتي غير كاملة، وكانت رؤيتها كفيلة بأن تبدد خوفي وتحثني على التثاؤب.

"ماذا؟" قالت آلي بصوت شبه هستيري. "ما الذي حصل؟ هل هو أبـي؟".

رمشت السيدة كارتر بعينيها وبدا أنها تحاول التركيز علينا كما لو أنها كانت تحلم. "كلا، كلا. هذا ليس والدك"، وأخذت نفساً عميقاً ثم زفرته بصوت مسموع. "اسمعن يا بنات. ما سأخبركن به محزن جداً، وما من سبب يجعلني أخبركن سوى أنكن سوف تكتشفن ذلك قريباً جداً".

"فقط قولي لنا، أمي".

هزّت السيدة كارتر رأسها ببطء. "جميعكن تعرفن

جولييت سايكس".

كانت صدمة: نظرنا جميعاً إلى بعضنا البعض في حالة ذهول تام. من بين جميع الكلمات التي كان يمكن أن تقولها السيدة كارتر في تلك اللحظة، أنا على أتم الثقة بأن عبارة "جميعكن تعرفن جولييت سايكس" كانت في مرتبة متقدمة جداً على سلم العبارات غير المتوقعة.

قالت آلي باستهجان "أجل. وماذا؟".

"حسنٌ، لقد -"، وتوقفت السيدة كارتر عن الكلام وصارت تمسّد رداءها بيديها، ثم بدأت من جديد "المتصل هو مندي ساتشز".

رفعَت ليندزي حاجبيها، وهزّت آلي رأسها دلالة على معرفتها. جميعنا كنا نعرف مندي ساتشز. إنها في الخمسينات ومطلقة ولا تزال بملابسها التي ترتديها والحركات التي تصطنعها وكأنها في السنة الأولى. إنها أكثر شخص مهووس بالإشاعات في مدرستنا. في كل مرة أرى فيها الآنسة ساتشز أتذكر اللعبة التي كنا معتادات على لعبها ونحن صغار، حيث يهمس أحدهم بسرّ إلى الشخص المجاور له ويفعل هو ذلك بدوره وهكذا، مع فارق أنه في ريدجفيو الآنسة ساتشز هي الوحيدة التي تهمس بالأسرار. كانت تجلس هي والسيدة كارتر في اجتماع أولياء الأمور، وهكذا تعرف السيدة كارتر دائماً من تطلّق ومن فقد ماله ومن يقيم علاقة غرامية.

"مندي تقطن بجوار آل سايكس"، وتابعت السيدة كارتر "كان شارعهم على ما يبدو يعج بسيارات الإسعاف في نصف الساعة الماضية".

قالت آلي "لم أفهم بعد"، وربما كان السبب هو هذه الساعة من الليل أو ضغط الأيام القليلة الماضية،

لكني أنا أيضاً لم أفهم.

وضعت السيدة كارتر ذراعيها على صدرها وضغطت قليلاً، كما لو أنها تعاني من البرد. "جولييت سايكس ماتت. لقد انتحرت الليلة".

صمت. صمت مطبق. توقفت آلي عن قضم أظافرها، وجلست ليندزي جامدة كما لم أرها يوماً. اعتقدت لبضع ثوان أن قلبي قد توقف عن النبض. راودني شعور غريب مراوغ، كما لو أني ارتفعت بواسطة منطاد خارج جسدي وأنا الآن أنظر إلى نفسي من بعيد، كما لو أننا لبضع لحظات كنا مجرد صور عن أنفسنا.

وفجأة أتذكر قصة رواها لي والداي ذات مرة: حين كانت ثانوية توماس جيفرسون في السابق معروفة بأنها صاحبة أعلى معدل انتحار، شنق شاب ما نفسه داخل خزانته، هناك بين القمصان المشبعة برائحة النفتالين والأحذية الرياضية القديمة وكل شيء. كان فاشلاً ويعزف في الفرقة ولا صديق لديه. وأعتقد أيضاً أنه كان يعاني من تشوه خَلقي حيث كان أحد جانبي وجهه متهدل بالكامل. وهكذا لم يفكر أي أحد به حين مات. أقصد أن الناس حزنوا وما إلى هنالك، لكنهم *تقبلوا* الأمر.

لكن في السنة التالية - السنة التالية لذلك اليوم - أقدم واحد من أشهر الشبان في المدرسة على قتل نفسه *بنفس الطريقة تماماً*. كل شيء كان مشابهاً: الطريقة، التوقيت، المكان. باستثناء أن هذا الشاب كان قائد فريق السباحة وفريق كرة القدم، وحين دخلت الشرطة إلى الخزانة وجدت فيها الكثير من الكؤوس على الرفوف وكأنه مدفون في مدفن من الذهب. ترك ملحوظة من سطر واحد: *نحن جميعنا جلادون*.

"كيف؟" سألت إيلودي بصوت أقرب إلى الهمس.

هزّت السيدة كارتر رأسها واعتقدتُ لأول وهلة بأنها قد تبكي. "مندي سمعت إطلاق النار. ظنّت في البداية أنها ألعاب نارية. ظنّت أنها مقلب".

قالت آلي بهدوء أقرب إلى التبجيل "أطلقت النار على نفسها؟"، وعرفتُ أننا جميعاً نفكر بذات الأمر: تلك أبشع من أي طريقة أخرى غيرها.

"كيف حالهم..." وعدّلت إيلودي نظارتها ولعقت شفاهها. "هل عرفوا السبب؟".

قالت السيدة كارتر "لم يجدوا أي ملحوظة"، وأقسم أني سمعتُ شيئاً يجول في الغرفة: زفرة ضعيفة. زفرة ارتياح. "اعتقدتُ أنكن يجب أن تعرفن"، وذهبَت إلى آلي وضمّتها وقبّلتها على جبينها. لكن آلي تملّصت بسرعة، ربما من وقع المفاجأة. لم أرَ السيدة كارتر تقبّل آلي من قبل، ولم أرَ من قبل أن السيدة كارتر تشبه الأم من قريب أو بعيد.

بعد أن غادرت السيدة كارتر جلسنا سوية وساد السكوت وتمدد على نطاق واسع من حولنا. شعرتُ أننا جميعاً بانتظار شيء ما، لكني لم أكن متأكدة ما هو. في النهاية تكلّمت إيلودي.

"هل تعتقدن..."، وغصّت إيلودي وراحت تنظر إلينا واحدة تلو أخرى. "هل تعتقدن أن ذلك بسبب وردتنا؟".

قاطعتها ليندزي، "لا تكوني غبية". لكن الاستياء كان بادياً عليها، فوجهها شاحب، وهي تعصر طرف البطانية. "وكأنها ليست المرة الأولى".

ردّت آلي "هذا يزيد الأمور سوءاً".

"على الأقل كنا نعرف من كانت"، ولاحظت ليندزي

أني أحدق بيديها فتبثتهما بقوة في حضنها. "معظم الناس كانوا يتصرفون وكأنها غير موجودة".

عضّت آلي على شفتها.

"ومع ذلك، في يومها الأخير..."، وأحجمت إيلودي عن المتابعة.

قالت ليندزي "من الأفضل لها أنها مضت بهذه الطريقة". لم يكن ذلك لائقاً حتى بحقها، فحدّقنا كلنا بها.

"ماذا؟"، ورفعت ذقنها ورمقتنا بنظرة تحدٍ. "تعرفون أنكن جميعاً تفكرن بذلك. كانت تعيسة. لقد ارتاحت. انتهى".

فأجبتها "لكن - أقصد، كان يمكن أن تمضي الأمور بشكل أفضل".

فردت ليندزي "ما كانت لتكون أفضل".

هزّت آلي رأسها وضمّت ركبتيها إلى صدرها. "رباه، ليندزي".

كنت مصدومة. أغرب ما في الأمور هو البندقية. إنها طريقة قاسية جداً، مدوية جداً، ومادية جداً. دماء وأشلاء دماغ وحرارة حارقة. إن كان لا بد من ذلك - الانتحار - كان أجدى بها أن تغرق، يكفيها أن تسير في الماء إلى أن يغمر رأسها. أو كان أجدى بها أن تقفز. تصورث جولييت طافية بهذه الطريقة وتلك، كما لو أن تيارات الهواء تدعمها. يمكنني أن أتخيلها تفتح ذراعيها وتقفز، من على جسر أو حافة جبل في مكان ما، لكنني أراها ترتفع نحو الأعلى مع الريح بمجرد أن تركت قدماها الأرض.

ليس ببندقية. البنادق للمسلسلات البوليسية ومدمني المخدرات وقتال العصابات. ليست لجولييت سايكس.

قالت إيلودي "ربما كان يجب أن نكون أكثر لطافة معها"، ونظرت لأسفل وكأنها محرجة لقولها ذلك.

"رجاءً". كان صوت ليندزي عالياً وقاسياً بالمقارنة. "لا يمكن أن تكوني لئيمة طوال الوقت مع أحدهم ثم تشعرين بالحزن حين يموت".

رفعت إيلودي رأسها وحدّقت بليندزي. "لكني أشعر فعلاً بالحزن". أصبح صوتها أقوى.

"إذاً أنتِ منافقة"، قالت ليندزي. "وهذا أسوأ من أي شيء"، ونهضت وأطفأت الإنارة. سمعتها تصعد إلى الأريكة وتتمدد تحت البطانيات، مسترخية.

قالَت "من بعد إذنكن، أنا بحاجة للنوم".

خيّم الصمت لبرهة. لم أكن متأكدة إن كانت آلي متمددة أم لا، لكن حين اعتادت عيناي على العتمة رأيت أنها غير متمددة، بل كانت جالسة مكانها تضم ركبتيها إلى صدرها وتحدّق في الأمام مباشرة.

بعد دقيقة قالت "سأذهب لأنام في الطابق العلوي". جمعت أغطيتها وبطانياتها، محدثة جلبة مبالغ بها، ربما رداً على ليندزي.

وبعد هنيهة قالت إيلودي "سأذهب معها. هذه الأريكة غير مريحة أبداً". من الواضح أنها كانت مستاءة أيضاً. لقد اعتدنا النوم على هذه الأريكة طوال سنوات.

بعد أن غادرتا جلست لبعض الوقت أصغي لأنفاس ليندزي. كنت أتساءل إن كانت قد نامت. لا أعرف كيف باستطاعتها ذلك. أنا أشعر أني يقظة أكثر من أي وقت مضى. لكن من ناحية أخرى، لطالما كانت ليندزي مختلفة عن معظم الناس، أقل حساسية، وترى الأمور بمنظار الأبيض والأسود. فريقي، فريقك. هذا الجانب من الخط، ذلك الجانب من

الخط. لا تخاف، ولا تبالي. لطالما كنث معجبة بها - كلنا كنا كذلك.

أشعر بعدم الارتياح، كما لو أني أريد إجابات على أسئلة لست متأكدة من كيفية طرحها. استرخيث قليلاً على الأريكة، محاولة عدم إيقاظ ليندزي، لكن اتضح أنها غير نائمة. استدارت، واستطعت بصعوبة أن أرى في العتمة جلدها الشاحب ومحجري عينيها الغائرين.

همست لي "لن تصعدي إلى الطابق العلوي، أليس كذلك؟".

فهمست لها "إلى الحمام".

تحسست طريقي إلى الرواق وتوقفث هناك. هناك ساعة تتكتك في مكان ما، وما عدا ذلك صمث مطبق. كل شيء مظلم والأرضية الحجرية باردة تحت قدمي. استندث إلى الحائط بإحدى اليدين لأجد اتجاهي. كان صوت المطر قد توقف. وحين نظرث إلى الخارج لاحظث أن المطر تحول إلى ثلج، وآلاف ندف الثلج تذوب على النوافذ الشبكية وتجعل ضوء القمر الداخل عبر الزجاج يبدو مائياً وحيوياً، والظلال تتمايل وتبهت على الأرضية، فائضة بالحياة. هنا حمام، لكنه ليس في الوجهة التي أسير بها. فتحث بروية الباب المفضي إلى القبو وتلمسث طريقي نزولاً، ممسكة بكلتا يدي بالدرابزين.

بمجرد أن وطأت قدماي السجادة في نهاية الدرج بدأت أتلمس الجدار إلى يساري، وفي النهاية وجدث مفتاح الإنارة. وفجأة انكشف القبو بالكامل، ضخماً وواضحاً ويبدو طبيعياً: أرائك جلدية بلون البيج، طاولة بينغ بونغ قديمة، شاشة تلفاز مسطحة أخرى، ومنطقة دائرية فيها مطحنة، وهي عبارة عن الة

بيضاوية الشكل في مركزها مراة ثلاثية الوجوه. المكان هنا في الأسفل أبرد وتفوح فيه رائحة مواد كيميائية وطلاء جديد.

مباشرة بعد منطقة التمرينات الرياضية بدا باب آخر يفضي إلى الغرفة التي كنا نسميها دائماً 'مذبح أليسون كارتر'. تضم الغرفة رسومات آلي القديمة، ولا واحدة منها جيدة، ومعظمها تعود إلى مرحلة المدرسة الابتدائية. الرفوف تغص بصورها: آلي ترتدي زياً مثل الأخطبوط لمناسبة عيد القديسين في الصف الأول؛ آلي ترتدي ثوباً مخملياً أخضر وتبتسم أمام شجرة عيد ميلاد ضخمة تكاد تسقط من كثرة الزينة عليها؛ آلي في لباس سباحة من قطعتين؛ آلي تضحك؛ آلي عابسة؛ آلي تتأمل. وعلى الرف السفلي تراكمت جميع المجلدات السنوية لآلي منذ مرحلة الروضة. ذات مرة أرتنا آلي كيف استعرضت السيدة كارتر جميع المجلدات، واحداً تلو الاخر، واضعة لصاقة ملونة عند كل واحد من أصدقاء آلي من سنة لأخرى ("كي تتذكري كم كنتِ محبوبة دائماً"، هذا ما قالته لها السيدة كارتر).

نزلت على ركبتي. لم أكن متأكدة مما أنظر إليه، لكن هناك فكرة تتشكل في رأسي، ذكرى قديمة تختفي كلما رغبث في تصورها، مثل ألعاب العين السحرية التي لا تستطيع فيها رؤية الشكل المخفي إلا حين لا تكون عيناك مركزتين.

بدأث بمجلد السنة الأولى. فتحته لا على التعيين، فوصلث مباشرة إلى صف الأستاذ كريستينسن - هذا حظي - وهاأنذا أقف مفترقة قليلاً عن المجموعة. انعكاس ضوء الفلاش على نظارتي حال دون إمكانية رؤية عيني. ابتسامتي أقرب إلى العبوس، وكأني أبذل جهداً لأصطنعها. قلبث الصفحة بسرعة.

أكره التفرّج على المجلدات السنوية القديمة، فهي لا تُعيد إلي كما يقولون دفعة من الذكريات الإيجابية. مجلداتي السنوية مخبأة في مكان ما في العلية، مع جميع الأشياء التافهة الأخرى التي تصرُّ والدتي على الاحتفاظ بها "لأنكِ قد ترغبين بها يوماً ما"، مثل الدمى القديمة خاصتي، والحمل المحشو بقصاصات القماش الذي كنتُ معتادة على حمله معي أينما ذهبت.

بعد صفحتين عثرت على ما كنتُ أبحث عنه: الصف الأول عند الآنسة نوفاك. وها هي ليندزي، تتوسط المقدمة كالعادة، وترنو إلى الكاميرا بابتسامة عريضة. بجوارها تقف فتاة نحيلة جميلة ذات ابتسامة خجولة وشعر أشقر حتى البياض. كانت هي وليندزي تقفان قريباً جداً من بعضهما، ويداهما متلامستان من المرفق حتى أطراف الأصابع.

جولييت سايكس

في مجلد الصف الثاني، رأيت ليندزي على ركبتيها في الصف الأمامي. ومجدداً، كانت جولييت سايكس بجوارها.

في مجلد الصف الثالث كانت تفصل بين ليندزي وجولييت عدة صفحات. ليندزي كانت في صف الآنسة درينر (معي - تلك كانت السنة التي ابتدعت فيها النكتة: "ما هو الشيء الأحمر والأبيض والغريب في كل شيء؟"). صفحتان مختلفتان، صفان مختلفان، ووقفتان مختلفتان - ليندزي كانت يداها متشابكتين أمامها، أما جولييت فكانت تقف وقفة جانبية مائلة قليلاً - وفيما عدا ذلك تشبه كل واحدة منهما الأخرى في كل شيء، فهما ترتديان قميصين أزرقين من ماركة بيتي باتيو وسروالين

أبيضين مقصوصين عند مستوى الركبة؛ الشعر أشقر لماع، مفروق في الوسط تقريباً، وسلستين فضيتين صغيرتين تلمعان حول عنقيهما. تلك كانت السنة التي اعتدنا فيها على ارتداء ملابس مشابهة لأصدقائنا - أعز أصدقائنا.

بعدها أمسكت بمجلد الصف الرابع، إنما بأصابع ثقيلة خدرة وبرودة تسري في جسمي. كانت على غلافه صورة للمدرسة مرسومة بألوان فنية، كلها وردية وحمراء نيونية، على الأرجح أن من رسمها أستاذ فنون. لزمني بعض الوقت للعثور على صف ليندزي، لكن ما إن وجدته حتى بدأ قلبي يتسارع. وهاهي ذي بنفس الابتسامة العريضة، كما لو أنها تتحدى الكاميرا أن تلتقط لها صورة تبدو فيها أقل من كاملة. وبجوارها تقف جولييت سايكس الجميلة والسعيدة مبتسمة وكأنها تخفي سراً. أمعنت النظر مركزة على بقعة صغيرة مغبشة بينهما، وأعتقد أني رأيت إصبعيهما الأوسطين تمسكان ببعضهما على نحو بسيط.

الصف الخامس. وجدت ليندزي بسهولة، واقفة وسط المقدمة في صف الآنسة كراكو، بابتسامة عريضة جداً وكأنها تعرض أسنانها. لكن لزمني وقت أطول لأجد جولييت. استعرضت جميع الصور بحثاً عنها، ثم عدت إلى البداية قبل أن أجدها، بعيداً في أقصى الزاوية اليمنى، محصورة بين لورين لورنت ودانييل تشو، ومتقوقعة إلى الوراء وكأنها تحاول إخراج نفسها بالكامل من الصورة. شعرها كان يغطي وجهها مثل ستارة، وبجوارها كان كل من لورين ودانييل يقفان بشكل مائل قليلاً عنها وكأنهما لا يرغبان في أن يقترنا بها، وكأنها مصابة بنوع من الأمراض المعدية.

الصف الخامس كان سنة رحلة الكشافة للبنات، حين تبولت جولييت في كيس نومها وأطلقت عليها ليندزي لقب 'الشقراء اللينة Mellow Yellow'.

أعدتُ المجلدات السنوية إلى مكانها بعناية، مع مراعاة ترتيبها الصحيح. كان قلبـي يدق بقوة في إيقاع خارج عن السيطرة. وشعرتُ فجأة برغبة في مغادرة القبو بأسرع ما يمكن. أطفأتُ الأنوار وتلمّستُ طريقي كالعمياء على الدرجات. العتمة كانت تصنع دوامات من الأشكال والظلال، والرعب وصل إلى حلقي. كنتُ متأكدة أني إذا التفت إلى الوراء فإني سأراها، بالأبيض الكامل، مادة ذراعيها نحوي، ووجهها ملطخ بالدم ومتكسر إلى أجزاء.

ثم وصلتُ إلى الدور الأرضي، وها هي هنا: رؤية، كابوس. الظلال تخفي وجهها بالكامل - وكأنه ثقب - لكني متأكدة أنها تحدق بـي. وصارت الغرفة تدور بـي، فأمسكتُ بالجدار لأحافظ على توازني.

"ما خطبكِ؟" قالت ليندزي وهي تتقدم أكثر في الرواق، وضوء القمر تتغير شدته، فبالكاد اتضحت لي ملامحها. "لماذا تنظرين إلي بهذه الطريقة؟".

"رباه". ووضعتُ يدي على صدري في محاولة لإعادة نبضي إلى إيقاعه الطبيعي. "لقد أفزعتني".

"ماذا كنت تفعلين هناك في الأسفل؟ كان شعرها مشعثاً، وتبدو كشبح بسروالها القصير وكنزتها الأبيضين.

قلتُ لها "كنت صديقتها". وبدت وكأنها تهمة. "كنت صديقتها لعدة سنوات".

لم أكن أعرف ما الإجابة التي يجب أن أتوقعها، لكنها أشاحت بنظرها بعيداً ثم عادت ونظرت إلي.

قالت "هذا ليس خطأنا"، وكأنها تتحداني أن

أعارضها. "كانت مخبولة تماماً. أنت تعرفين ذلك".

أجبتها "أنا أعلم". لكن راودني شعور أنها لا تتحدث معي.

"وسمعتُ أن والدها كان مدمناً على الكحول" وفي نبرة صوتها تشديد على الكلمات وشيء من السرعة والإلحاح. "*العائلة* بأكملها مخبولة".

قلتُ لها "حقاً"، ووقفنا هناك صامتتين لأكثر من دقيقة. شعرتُ بأن جسمي ثقيلٌ لأن يختزن أية قدرة على الحركة، وهو نفس الشعور الذي ينتابني في الكوابيس، ... أنت ترغب بالركض ولا تقوى عليه. بعد هنيهة حدث معي شيء جعلني أقول "كانت".

مع أننا بقينا واقفات بصمت، فقد كانت أنفاس ليندزي حادة، كما لو أني قاطعتها في منتصف خطاب طويل. "ماذا؟".

"*كانت* مخبولة"، قلتُ لها. "لكنها بعد الآن لم تعُد شيئاً".

لم ترد ليندزي على ذلك. مررتُ بجوارها في الرواق المظلم وتلمّستُ طريقي إلى الأريكة. تمددتُ تحت البطانيات، وبعد قليل عادَت وانضمت إليّ.

أثناء تمددي هناك، وكلي قناعة بأني لن أستطيع النوم، تذكرتُ تلك الحادثة في منتصف السنة الثانية حين تناولنا وجبة جاهزة عشية يوم عادي - ثلاثاء أو خميس - ثم صرنا نتجول بالسيارة لأنه لم يكن لدينا ما نفعله. في لحظة معينة أوقفت السيارة فجأة على طريق فالو ريدج وأطفأت المصابيح الأمامية، في انتظار أن تبدأ سيارة أخرى بشق طريقها نحونا على الطريق المؤلف من حارة واحدة. وبعدها زأر محرك سيارتها وأشعلت المصابيح وانطلقت إلى الأمام مباشرة. صرتُ أصرخ من أعلى

رئتي، وبدت المصابيح الأمامية وكأنها تُشع مثل الشمس. من المؤكد أننا سنموت، وكانت تقبض على عجلة القيادة وترد على صراخي، "لا تقلقي - هم دائماً ينحرفون أولاً". كانت محقة أيضاً. ففي اللحظة الأخيرة انحرفت السيارة فجأة لتسقط في الخندق.

هذا ما تذكرته قبل أن أستفيق من حلمي.

في منامي كنث أسقط في الظلام.

في منامي كنت أسقط إلى أبدٍ عميق.

4

كان المنبه في يدي حتى قبل أن أستيقظ، وصحوت تماماً من النوم في نفس اللحظة التي قذفت فيها المنبه ليرتطم بالجدار، فأطلق رنة أخيرة قبل أن يتبعثر أجزاءً.

قالت ليندزي "أوه" حين صعدث إلى السيارة بعد ربع ساعة. "هل تم دون علمي افتتاح عمل في ضاحية الإشارة الحمراء؟".

"قودي وحسب". بالكاد استطعث النظر إليها. كان الغضب يسري فيّ مثل سائل. إنها مخادعة: العالم بأسره مخادع، خدعة واحدة كبيرة وبرّاقة. ولسبب ما أنا التي تدفع مقابل ذلك. أنا هي من ماتت. أنا هي المحتجَزة.

المسألة كالتالي: لا ينبغي أن أكون أنا. ليندزي هي التي تقود كما لو أنها في جولة حية من سباق غراند ثيفت الميكانيكي. ليندزي هي من يفكر دائماً بأساليب لإزعاج الناس وإذلالهم، فهي التي تستفز الجميع دائماً. ليندزي هي من كذبَت بشأن صداقتها مع جولييت سايكس وبعدها ظلت تعذبها طوال تلك السنوات. أنا لم أفعل شيئاً: كنث فقط أتبعها.

"تعلمين أنك ستتجمدين"، وأشعلَت ليندزي سيجارتها وأغلقَت النافذة.

"شكراً، أمي"، وقلبث المرآة لأتأكد أنني لم ألطخ نفسي بأحمر الشفاه. طويث تنورتي مرتين حين جلست حتى أصبحت بالكاد تغطي مؤخرتي، وكنث أرتدي النعل العالي الذي اشتريته مع ألي على سبيل المزاح من متجر مختص بحاجيات راقصات التعري. احتفظث بالكنزة عديمة الأكمام المكسوة بالفرو، لكني أضفث عقد حجر الراين الذي كنث قد اشتريته

أيضاً على سبيل المزاح في عيد جميع القديسين حين ارتدينا جميعاً زي ممرضات لعوبات.

لم يعُد يهمني. مزاجي يسمح لي بتقبُّل أي شيء. أشعر أن بإمكاني فعل أي شيء الآن: ألكم أحدهم في وجهه، أسرق بنكاً، أثمل وأفعل أمراً غبياً. هذه هي الميزة الوحيدة في أن يكون المرء ميتاً. لا عواقب.

لم تنتبه ليندزي لتهكمي، أو أنها تجاهلته. "أنا مستغربة كيف سمح لك والداكِ بالخروج من المنزل بهذا الشكل".

"لم يفعلا". شيء آخر عكّر صفو مزاجي هو الدقائق العشر من الصراخ مع والدتي قبل أن أندفع خارجة من المنزل. وحتى حين ذهبَت إيزي للاختباء في غرفتها وهددتني بدفني حية (هاه!)، ظلت الكلمات تخرج. كان شعوراً رائعاً أن أصرخ، تماماً مثل نبش جرح قديم وعودة الدماء لتسيل مجدداً.

سوف لن تخرجي من ذلك الباب ما لم تصعدي إلى غرفتك وترتدي مزيداً من الملابس. هذا ما قالته أمي. *ستصابين بذات الرئة، والأهم من ذلك أني لا أريدهم أن يأخذوا عنك انطباعاً خاطئاً في المدرسة.*

وفجأة انفجر كل ما في داخلي. "صرتِ تهتمين *الآن*؟"، فارتجفت ورجعت إلى الوراء من هول صوتي وكأني مددت يدي وصفعتها. "تريدين أن تساعدي *الآن*؟ تريدين أن تحميني *الآن*؟".

ما كنت أرغب بقوله فعلاً كان، أين كنت طوال الأيام الأربعة الفائتة؟ أين كنت حين صارت السيارة تنزلق على حافة الطريق في منتصف الليل؟ لماذا لم تكوني تفكرين بـي؟ لماذا لم تكوني *هناك*؟ أشعر الآن بالحقد على والدي: لأنهما جلسا صامتين في

المنزل، بينما كان قلبي يخفق في الظلام وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة، أعدها واحدة تلو أخرى حتى حانت لحظتي؛ ولأنهما جعلا الخيط الذي ما بيننا يمتد طويلاً ورفيعاً جداً لدرجة أنهم لم يشعرا بي البتة لحظة حاجتي إليهما.

لكني في نفس الوقت أعرف أن الذنب ليس ذنبهما، أو على الأقل ليس ذنبهما فقط. أنا أتحمل جزءاً منه أيضاً. لقد ارتكبته في مئات الأيام المختلفة وبآلاف الأساليب المختلفة، وأنا أعي ذلك. لكن هذا لا يخفف حدة الغضب بل يزيده سوءاً.

من المفترض بالوالدين أن يصونا ابنتهما.

"رباه، ما خطبك؟" ورمقتني ليندزي بنظرة قاسية. "هل استيقظتِ فوجدتِ نفسكِ على الجانب الخطأ من السرير، أم ماذا؟".

"نعم، يحصل هذا منذ بضعة أيام".

أصبحت أشعر بالغثيان من هذه السماء الزرقاء الشاحبة - ليست حتى زرقاء حقيقية - والنور الضعيف المنخفض والشمس الرطبة في الأفق. قرأت مرة أن الجياع يبدأون برسم خيالات حول الطعام، فيستلقون لساعات وهم يحلمون بالبطاطس المهروسة مع الزبدة وشرائح اللحم الحمراء في أطباقهم. الآن فهمت. أنا أتضور لرؤية نور مختلف، شمس مختلفة، وسماء مختلفة. لم أكن أفكر حقاً بالأمر، لكني وجدته معجزةً أن يكون هناك هذا العدد الكبير من صنوف النور في العالم، والعدد الكبير من السماوات: الإشعاع الفاتح للربيع، حين تشعر أن العالم بأسره متورد؛ النور الجريء الوارف في عصرية من تموز؛ السماء الأرجوانية العاصفة والاخضرار المضطرب مباشرة قبل أن يضرب البرق

ويتلون الغروب بألوان مجنونة.

كان حرياً بـي أن أستمتع بها أكثر، وحرياً بـي أن أتذكرها كلها. كان يجب أن أموت في يوم جميل بغروبه. كان يجب أن أموت في رحلة صيفية أو إجازة شتوية. كان يجب أن أموت في أي يوم آخر. أسندت جبهتي إلى النافذة فتصورت أني أضرب بقبضتي عبر الزجاج لتصل إلى السماء فأشاهدها تتكسر مثل مرآة.

رحت أفكر بما يمكن أن أفعله للنجاة من ملايين وملايين الأيام التي ستكون مثل هذا اليوم تماماً، كمرآتين متقابلتين وجهاً لوجه فيتضاعف الانعكاس إلى ما لا نهاية. بدأت أصوغ خطة: سأتوقف عن المجيء إلى المدرسة، وأسرق سيارة وأقود بعيداً ما أمكنني وكل يوم في اتجاه مختلف. شرق، غرب، شمال، جنوب. وسمحت لنفسي أن أتخيل أني أمضي أبعد وأسرع ما يمكن حتى أحلق مثل طائرة، وأرتفع إلى الأعلى وصولاً إلى نقطة يتهاوى فيها الزمن مثل رمل نسفته الريح عن سطح شيء ما.

أتذكرين ما قلته بخصوص الأمل؟

"عيد حب سعيدا!" ترنّمت إيلودي وهي تصعد إلى الدبابة.

حدّقت ليندزي بإيلودي في الخلف ثم بـي. "ما القصة؟ هل هذا نوع من المنافسة على من ترتدي ثياباً أقل؟".

"تباهي بما لديك". ووقعت عينا إيلودي على تنورتي وهي تنحني لأخذ قهوتها، فقالت "هل نسيت سروالك، سام؟".

ضحكت ليندزي. قلت لها دون أن أبعد نظري عن النافذة "هل أنت غيرى؟".

اتكأت إيلودي إلى الخلف وقالت "ما خطبها؟".

"يبدو أن إحداهن قد نسيت تناول حبوب السعادة هذا الصباح".

بطرف عيني رأيت ليندزي تنظر إلى الخلف نحو إيلودي ووجهها يوحي بما معناه *دعيها وشأنها*. وكأني طفلة تحتاج لمن يرعاها، وصرت أفكر بتلك الصور التي كانت تقف فيها ملتصقة بجولييت سايكس. ثم فكرت برأس جولييت المتشظي على جدار قبو. ومجدداً عاد الغضب، وهو كل ما أستطيع فعله كي لا ألتفت نحوها وأصرخ بوجهها أنها مزيفة وكاذبة، وأني أستطيع أن أرى ما في داخلها.

أنا أعرف ما تفكّرين به... وانفطر قلبي حين تذكرت كلمات كينت.

"أعرف شيئاً سوف يسعدها"، وبدأت إيلودي تبحث داخل حقيبتها والسرور بادٍ عليها.

"أقسم، إيلودي، إذا كنتِ تفكرين بإعطائي الآن واقياً فسوف..." وضغطت بأصابعي على صدغي.

تجمّدت إيلودي وأطرقَت، وهي تمسك بالواقي بين أصابعها. "لكن... إنه هديتك"، ونظرَت نحو ليندزي طلباً للدعم.

لم تبالِ ليندزي، وقالت "الأمر متروك لك". لم تكن تنظر إلي، لكني بدأت أشعر أن مزاجي بدأ يستفزها، وللصراحة كنت سعيدة بذلك. "إذا كنت تريدين أن تكوني مزرعة متنقلة للأمراض الجنسية".

"ستعرفين كل شيء عن ذلك". لم أكن أقصد الانزلاق في هذه الهفوة؛ لكنها حدثت.

استشاطت ليندزي وحاولت مواجهتي. "ماذا قلت للتو؟".

"لا شيء".

"هل قلت -".

"أنا لم أقل شيئاً". وغدث وأسندث رأسي إلى النافذة.

كانت إيلودي لا تزال متسمرة مكانها حاملة الواقي بين أصابعها. "هيا، سام، لا واقٍ، لا حب، صحيح؟".

أصبحت فكرة فقداني لعذريني سخيفة بالنسبة لي الآن، والمؤشر يشير إلى فيلم مختلف، شخصية مختلفة، وحياة مختلفة. حاولث العودة بالذاكرة لأعرف ما الذي أحبه في روب - ما الذي أحببته فيه - لكن كل ما حصلث عليه كان مجموعة عشوائية من الصور لا تخضع لأي ترتيب معين: روب مغشي عليه على أريكة كينت، ويمسك بذراعي ويتهمني بالخيانة؛ روب يسند رأسه على كتفي في قبو منزله، هامساً أنه يود الخلود للنوم بجواري؛ روب يدير ظهره لي في الصف السادس؛ روب يرفع أصابعه ويقول *خمس دقائق*؛ روب يأخذ بيدي للمرة الأولى حين كنا نسير في الرواق، ويجتاحني شعور بالفخر والقوة. تبدو كلها كأنها ذكريات شخص آخر.

هنا أدركت فعلاً الحقيقة: لم يعُد أي منها يهمني. لم يعد لدي ما أهتم به بعد الآن. استدرث في مكاني محاولة الوصول إلى الخلف لأخذ الواقي من إيلودي.

قلث لها "لا واقٍ، لا حب"، وبادرتها بابتسامة مكبوتة.

ابتهجت إيلودي. "هذه هي فتاتي".

كنث ألتفث إلى الوراء مجدداً حين داست ليندزي بقوة على المكابح عند شارة حمراء، فقذفتني إلى الأمام وبالكاد مددث يدي لأمنع نفسي من الاصطدام بلوحة القيادة، ومع توقف السيارة عن

الحركة رجعت بقوة إلى الخلف واصطدمت بمسند الرأس. وعندها تطايرت القهوة من حاملة الأكواب وانسكبت على فخذي.

"تباً". قهقهت ليندزي. "آسفة جداً".

"أنتِ مجنونة بحق". وضحكت إيلودي وهي تمد يدها لتفك حزام الأمان.

كل ما شعرت به من غضب هذا الصباح انفجر الآن. "ماذا دهاك بحق الجحيم؟".

تجمّدت ابتسامة ليندزي على وجهها. "عفواً؟".

"لقد قلت، ماذا دهاكِ بحق الجحيم؟"، وأخذت بعض المناديل من صندوق القفازات وبدأت أمسح ساقي. لم تكن القهوة حارَة أصلاً - كانت ليندزي قد فتحَت الغطاء لجعلها تبرد - لكنها تركَت لطخة حمراء على فخذي، وشعرت وكأني أبكي. "ليس أمراً بتلك الصعوبة. شارة حمراء: توقف. شارة خضراء: سر. أعرف أن الشارة البرتقالية قد تكون أصعب قليلاً عليكِ، لكن يمكنكِ فهمها مع بعض التمرين".

كانت ليندزي وإيلودي تحدقان بـي بصمت وذهول، لكني لم أتوقف، لا يمكنني التوقف، هذا كله خطأ ليندزي، ليندزي وقيادتها الغبية. "يمكنهم تدريب القرود لتقود أفضل منكِ. وماذا إذاً؟ ما الفكرة؟ هل تريدين أن تثبتي عدم اكتراثك؟ وأنك لا تأبهين لشيء؟ لا تهتمين لأمر أحد؟ تصدمين رفراف سيارة هنا، تكسرين مرآة هناك، سحقاً، نشكر الله على وجود الأكياس الهوائية، لهذا وضعوا ماص الصدمات، فقط استمري، تابعي القيادة، لن يعلم أحد. واحزري ماذا، ليندزي؟ لست مضطرة لإثبات أي شيء. نحن نعرف سلفاً أنك لا تعيرين انتباهاً لأحد غيرك. كنا نعرف *دائماً* ذلك".

ثم نفد الهواء مني، وبعد لحظات من توقفي عن

الكلام خيم صمت مطبق. ليندزي لم تكن حتى تنظر إلي. كانت تحدّق أمامها، ويداها الاثنتان على عجلة القيادة، حتى أبيضت مفاصلها من قوة ضغطها عليها. أضاءت الشارة الخضراء فضغطت بقدمها على دواسة الوقود، بقوة. زأر المحرك، بصوت يشبه رعداً بعيداً.

احتاجت ليندزي لبعض الوقت لتقوى على الكلام، وحين نطقت كان صوتها ضعيفاً ومخنوقاً. "من أي جحيم خرجت...؟".

"يا بنات"، تدخّلت إيلودي بعصبية من الخلف. "لا تتشاجرا، جيد؟ انسيا الأمر".

كان الغضب لا يزال يستشيط بـي، كتيار كهربائي. لقد جعلني أكثر حدة وتنبهاً من عدة سنوات. استدرت برأسي لأواجه إيلودي.

قلت لها "لماذا لا تعبّرين عن نفسك إطلاقاً؟"، فانكفأت قليلاً وعيناها حائرتان ما بيني وبين ليندزي. "تعرفين أن هذا صحيح. إنها عاهرة. هيا، قوليها".

همسَت ليندزي "لا تقحميها في الموضوع".

فتحَت إيلودي فمها، ثم اكتفت بهز رأسها.

قلت لها "كنت أعرف ذلك"، وأنا أشعر بنشوة النصر والتوعك في ذات الوقت. "أنت تخافين منها. كنت أعرف ذلك".

قالت ليندزي "قلت لك أن تدعيها وشأنها"، لكن هذه المرة بنبرة حادة.

"هل أنا من يجب أن تتركها وشأنها؟" لكن الصحوة والصفاء الذهني غابا، وبدأت أشعر بكل ما حولي يدور ويلتف خارجاً عن سيطرتي. "أنت هي من تعاملها كالقذارة طوال الوقت. أنت هي. *إيلودي*

مثيرة للشفقة. انظري كيف تتعلق إيلودي بستيف -مع أنه لا يحبها. انظري، إنها إيلودي محطمة من جديد. أمل ألا تتقيأ في سيارتي، فأنا لا أرغب بأن يتشبع الجلد برائحة الكحول".

تنهدت إيلودي بقوة على وقع الكلمة الأخيرة. أعلم أني بالغث كثيراً، وفي لحظة قولها أردث أن أتراجع عنها. كانت مرآتي لا تزال مقلوبة باتجاه الأسفل، ويمكنني أن أرى إيلودي تحدق خارج النافذة وفمها يرتجف وكأنها تحاول الإمساك عن البكاء. القاعدة الأولى بين أعز الأصدقاء: هناك أمور معينة يجب عدم قولها بتاتاً.

فجأة داست ليندزي بقوة على المكابح. كنا وسط الطريق 120، على بعد كيلو متر تقريباً عن المدرسة، لكن من خلفنا رتل طويل من السيارات، فاضطرت السيارة التي وراءنا مباشرة للانعطاف نحو الطريق الموازية لتجنب الاصطدام بنا، ومن حسن حظنا أنه لم تكن هناك سيارات آتية في الاتجاه المعاكس. إيلودي أجهشت بالبكاء.

"رباه". كان قلبي يخفق بشدة. والسيارة التي كانت خلفنا تجاوزتنا وأطلقت أبواقها بحنق، وأنزل الراكب زجاج نافذته وصار يصيح بكلمات لم أسمعها؛ كل ما رأيته هو قبعة بيسبول وعينين غاضبتين. "ماذا تفعلين؟".

السيارات التي في الطابور خلفنا بدأت أيضاً تطلق أبواقها، لكن ليندزي ركنت السيارة في موقف ولم تأت بحركة.

"ليندزي" قالت إيلودي بغضب. "سام محقة. هذا ليس طريفاً".

استدارت ليندزي، واعتقدث أنها سوف تضربني. لكنها مدت يدها ودفعت الباب بقوة.

قالت بهدوء وبنبرة مفعمة بالغضب "اخرجي".

"ماذا؟". الهواء البارد اندفع إلى داخل السيارة كلكمة في المعدة، وتركني متيبسة. كل ما تبقى من غضبي وجسارتي ذهب معه، وكل ما أشعر به هو التعب.

"ليندز". حاولت إيلودي الضحك، لكن نبرتها كانت حادة وهستيرية. "لا يمكن أن تدعيها تسير. البرد قارس".

أعادت ليندزي قولها، "اخرجي". بدأت السيارات تلتف حولنا الآن، والجميع يطلق أبواقه وينزل زجاج نوافذه للصراخ علينا. جميع كلماتهم ضاعت في خضم زئير المحركات والأبواق العالية، لكنها لا تزال مهينة. فكرة النزول من السيارة الآن، والإكراه على السير على هامش الطريق مع عشرات السيارات التي تمر بي وجميع أولئك الأشخاص يشاهدونني جعلتني أنكمش في مقعدي. نظرت إلى إيلودي طلباً للدعم، لكنها نظرت بعيداً.

انحنت ليندزي نحوي وقالت "قلت. لك. اخرجي". كانت تهمس وفمها قريب جداً من أذني ومن لا يسمعها سيعتقد أنها تقول لي سراً ما.

أمسكت حقيبتي ونزلت في البرد. الهواء المتجمد على ساقيّ كاد يشلني. وفي نفس اللحظة التي ترجلت فيها من السيارة اندفعت ليندزي بها والباب لا يزال مفتوحاً.

بدأت أسير في الخندق المجاور للطريق المليء بالأوراق والنفايات، وفي الحال دبّ الخدر في أصابع يديّ ورجليّ فصرت أخبط رجليّ بالأرض لكي يسري الدم فيهما. الزحام الذي حصل استغرق أكثر من دقيقة لكي يبدأ بالانحسار، لكن السيارات التي في الصف الخلفي كانت لا تزال تطلق أبواقها،

وكان صوتها يشبه الصافرة المتلاشية لقطار عابر.

توقفت بقربي سيارة تويوتا زرقاء، وامتدت من نافذتها امرأة - رمادية الشعر، على الأرجح أنها في الستينات - وصارت تهز رأسها.

قالت وهي مقطبة الجبين، "فتيات مجنونات".

وقفث للحظة هناك، لكن مع بدء السيارات بالابتعاد تذكرث أني لا أهتم، لا شيء مهم، فرفعث إصبعي الوسطى على أمل أن تراها.

بقيث طوال الطريق إلى المدرسة أكررها - أنا لا أهتم، لا شيء مهم - إلى أن فقدت الكلمات نفسها معناها.

إليكم أحد الأشياء التي تعلمتها في ذلك الصباح: إذا تجاوزث خطاً ولم يحدث شيء يفقد الخط معناه. هذا يشبه تلك الأحجية القديمة التي تتحدث عن شجرة تسقط وسط غابة، وإن كانت ستُحدِث صوتاً ما لم يكن حولها من يسمعه.

يستمر المرء في رسم الخط أبعد مرة بعد مرة، ويتجاوزه في كل مرة. تلك هي الطريقة التي يجد فيها الناس أنفسهم يتجاوزون حافة الأرض. قد تفاجئك سهولة الخروج عن المدار، والانحراف بعيداً إلى مكان لا يمكن لأحد لمسك فيه. أن تفقد نفسك - أن تضيع.

وربما قد لا يفاجئك ذلك. قد يكون بعضكم يعرف ذلك مسبقاً.

لأولئك الناس لا أملك سوى أن أقول: آسفة.

تغيبث عن جميع الحصص الصباحية فقط لأني أستطيع، وأمضيث ساعتين وأنا أسير في الأروقة من دون هدف أو وجهة حقيقيين. كنث آمل أن يستوقفني أحدهم - أستاذ أو ربما الآنسة وينترز

أو مساعد أستاذ أو *أياً* يكن - ويسألني عما أفعله، أو حتى أن يتهمني صراحة بالغياب ويرسلني إلى مكتب المدير. الشجار مع ليندزي تركني غير راضية، ولا أزال أشعر بالورطة لكني أقمع رغبة في القيام بشيء ما.

معظم الأساتذة كانوا يومئون برؤوسهم أو يبتسمون، أو يقومون بنصف تلويحة. لا يمكن لهم بأية طريقة معرفة برنامجي، لا يمكنهم أن يعرفوا إن كانت لدي حصة فراغ أو تم إلغاء الحصة، وخاب ظني كثيراً من مدى سهولة خرق القوانين.

حين دخلث إلى حصة الأستاذ ديملر تعمدث عدم النظر إليه، لكني شعرث بعينيه تلاحقاني، وبمجرد جلوسي في مقعدي جاء مباشرة إلي.

"لا زلنا في فصل مبكر لارتداء ملابس الشاطئ، ألا توافقين؟" وأطلق ابتسامة عريضة.

في العادة حين كان ينظر إلي لأكثر من بضع ثوان كنث أتوتر، لكني اليوم أجبرث نفسي على النظر في عينيه مباشرة. سرى الدفء في كامل جسدي؛ وقد ذكرني ذلك بالوقوف تحت المصابيح الحرارية في منزل جدتي حين كنث لم أتجاوز الخامسة. كم هو مذهل ما يمكن للعينين أن تفعلاه، وكم هي قادرة على نقل كل ذلك النور والحرارة. لم يراودني ذلك الشعور إطلاقاً مع روب.

أجبتهٔ بصوت ناعم وثابت "تباه بما لديك". فلمحث بعينيه بريقاً. لقد فاجأته.

همهم قائلاً "أوافقك في ذلك" بهدوء شديد أجزم أنه لم يسمعه أحد سواي. ثم اصطبغ وجهه باللون الأحمر وكأنه لا يصدق نفسه. نقر على مقعدي، الذي كان فارغاً سوى من قلم ودفتر ملحوظات صغير كنا نتبادله أنا وليندزي فيما بيننا بين الحصص لنكتب

ملاحظات لبعضنا. "أما من ورود اليوم؟ أم أن باقتك أصبحت ثقيلة على أن تحمليها معك؟".

بما أني لم أحضر أياً من حصصي لم أتلقَّ أية معايدات. ولم أكترث لذلك. في الماضي كنتُ أفضّل الموت على أن أسير في أروقة توماس جيفرسون في يوم عيد الحب من دون أية وردة. في الماضي كنتُ لأعتبر ذلك قدراً أسوأ من الموت.

طبعاً كان ذلك قبل أن أعرف حقاً.

أطرقتُ رأسي باستهجان. "يمكنك القول إلى حد ما أني رميتها". وكأن الثقة تنساب إلي من شخص آخر، شخص أكبر في السن وأجمل، وكأني فقط ألعب دوراً في تمثيلية.

نظر إليَ مبتسماً، ومن جديد لمحتُ شيئاً من البريق في عينيه. ثم عاد إلى طاولته وصفق بيديه طالباً من الجميع أن يأخذوا مقاعدهم. كما هي الحال دائماً، كانت قلادته تتدلى من تحت ياقته، وسمحتُ لنفسي بالتفكير بمد أصابعي إليها، فأجذبه نحوي وأقبّله. شفتاه عريضتان - لكن ليستا غليظتين - ولهما الشكل المثالي لشفتي شاب، كما لو أنه بمجرد أن يباعد بينهما قليلاً جداً تصبحان مناسبتين تماماً لتحيطي بفمك بهما. فكرتُ بالصورة التي يظهر فيها في المدرسة الثانوية، حين كان واقفاً وذراعه حول الفتاة التي يواعدها. كانت نحيلة، ذات شعر بني طويل، وابتسامة معتدلة. مثلي.

قال "حسنٌ، جميعاً" بينما كان الطلاب يتخبطون ليأخذوا مقاعدهم وهم يقهقهون ويتباهون بباقاتهم. "أعرف أن اليوم هو عيد الحب وأن الأجواء تعبق بالحب، لكن احزروا ماذا؟ هو أيضاً يوم الاشتقاق".

تأوه بعض الطلاب. لدى دخوله متأخراً اصطدم

كينت بالباب، وكانت حقيبة ظهره مفتوحة والأوراق تتبعثر منها خلفه، وكأنه هانسل أو غريتيل ويريد ضمان إمكانية تتبع أثره بواسطة الاسكتشات غير المكتملة والملاحظات الخاصة بصف الرياضيات. حذاؤه الرياضي الأبيض والأسود الشبيه برقعة الشطرنج يبرز من تحت بنطاله الخاكي الواسع.

تمتم بأنفاس متقطعة قائلاً للأستاذ ديملر "آسف". "حالة طارئة. مشاكل في الطابعة. استعصاء الورق في الصينية الثانية. كان علي التصرف في الحال وإلا سأفقدها". حين وصل إلى منتصف الممر المؤدي إلى مقعده وقع دفتر الرياضيات - الذي كان يهتز صعوداً فوق كومة من الأوراق المجعدة داخل حقيبته المفتوحة - على الأرض، وضحك الجميع. شعرت بشحنة من الهياج. لماذا يتخبط دائماً في مثل هذه الفوضى؟ هل من الصعب إغلاق سحّاب حقيبة؟

لاحظ أني أنظر إليه، وأعتقد أنه أخطأ في تفسير الاهتمام البادي على وجهي، لأنه حدّق بـي وقال *كارثة متنقلة*. وكأنه فخور بذلك.

وجّهت انتباهي ثانية إلى الأستاذ ديملر، الذي كان واقفاً في مقدمة الغرفة ويداه متصالبتان ويصطنع الجدية. هذا شيء آخر أحبه فيه: إنه لا يفقد أعصابه أبداً.

قال وهو يرفع حاجبيه "يسرني أن الطابعة عادت تعمل". كمّاه كانتا ملفوفتان نحو الأعلى وذراعاه سمراوان. أو ربما هذا هو لون جلده: مثل العسل المحروق. "كما كنت أقول، أعرف أن هناك حماسة بالغة في يوم عيد الحب، لكن هذا لا يعني أننا نستطيع إغفال الأفعال النظامية -".

تأوه أحدهم، "عيد *الحب!*"، فانفجر الصف

بالضحك. وها هن الفتيات اللواتي يرتدين زي الشيطان، القطة، والملاك الأبيض الشاحب ذات العينين الواسعتين.

نفض الأستاذ ديملر يديه واتكأ على الطاولة قائلاً "أنا أستسلم". ثم التفت نحوي مبتسماً لثانية - فقط ثانية، لكنها طويلة بما يكفي لكي يشع جسدي بأكمله مثل أضواء عيد الميلاد.

أعطتني الفتاة الملاك ثلاثة من ورودي - واحدة من روب، تارا فلوت، وإيلودي - ووقفت تبحث بشكل ممنهج ضمن باقتها، فتقلب كل بطاقة بحثاً عن اسمي. كان في حركاتها شيء من الحرص والصدق، وكأنها تركز على القيام بكل شيء بالشكل الصحيح. كانت تقرأ أسماء المرسل إليهم في قلبها، بتعجب، وكأنها لا تُصدّق وجود كل هذا العدد من الطلاب في المدرسة، كل هذه الورود لتسليمها، وكل هذا العدد من الأصدقاء. آلمتني مشاهدتها، فوقفت فجأة وأخذت الوردة ذات التويجات الملتفة الزهرية والحليبية من يديها، فتراجعت مذعورة إلى الخلف.

"إنها لي"، قلت لها. "يمكنني تمييزها".

هزّت رأسها، واتسعت عيناها. أشك أن أحد طلاب السنة الأخيرة قد تكلّم معها يوماً. بدأت تفتح فمها.

انحنيت بحيث لا يستطيع أحد آخر سماعي. قلت لها "لا تقوليها"، فاتسعت عيناها أكثر. لم أعد أطيق الانتظار لتقول: جميلة! لم أعد أطيق الانتظار فيما الورود - وكل شيء آخر - أصبح كالقمامة الآن، ولا يعني شيئاً. "مصيرها إلى القمامة".

أنا أعني ذلك. بمجرد أن أخرج الأستاذ ديملر مراسلات الحب من الباب - وكان كل من في الصف يقهقه ويستعرض الملحوظات التي كتبها أصدقاؤهم لهم ويحاولون أن يتوقعوا كم وردة

يمكن أن يحصلوا عليها حتى نهاية اليوم - أمسكت ورودي ومشيت باتجاه مقدمة الصف، ورميتها في سلة القمامة الكبيرة بجوار طاولة الأستاذ ديملر.

فجأة، توقف الضحك. شهق طالبان ورسمت كريزي ووكر إشارة الصليب، وكأني دنّست أنجيلاً أو شيئاً كهذا. إلى هذا الحد كانت الورود مهمة لهم. بيكا روث نهضت قليلاً من مقعدها، وكأنها ترغب في الغوص خلف الورود وإنقاذها من مصيرها من أن تتحطم تحت نفايات الأوراق وأقلام الرصاص، أوراق الاختبار الراسبة، وعلب الصودا الفارغة. حتى أني لم أنظر باتجاه كينت. لا أرغب في رؤية وجهه.

نادَت بيكا "لا يمكنك أن ترمي ورودك بهذه البساطة، سام. لقد أرسلها أحدهم إليك".

"أجل"، ردّت كريزي. "ما كان عليكِ أن تفعلي ذلك".

صحت "يمكنكِ الحصول عليها إن أردتِ"، وأشرت إلى سلة القمامة، فنظرَت بيكا بحسرة في ذلك الاتجاه. على الأرجح أنها تحاول أن تقرر ما إذا كان الحافز الاجتماعي الذي ستناله من حصولها على أربعة ورود إضافية يستحق تنازلها عن كبريائها من جراء غوصها في سلة القمامة للحصول عليها.

ابتسم الأستاذ ديملر، وغمزني. "هل أنت واثقة أنك تريدين القيام بذلك، سام؟" ورفع يديه مقلوبتين للأعلى. "سوف تحطمين أفئدة الطلاب يميناً ويساراً".

"آه، حقاً؟" كل ذلك سينتهي، يختفي، يُمحى غداً، وغداً سيمحوه ما بعد غدٍ، وما بعده سيمحوه ما بعده أيضاً. كله سيصبح نظيفاً خالياً من أي عيب اليوم. "ماذا عنك؟".

خيّم صمت مطبق في الغرفة؛ سعل أحدهم. يمكنني أن أستشف أن الأستاذ ديملر لا يعرف ما إن

كنتُ أستدرجه عمداً أم لا.

لعقَ شفتيه بعصبية ومرر أصابعه في شعره. "ماذا؟".

"عن قلبك". نهضتُ وجلستُ على زاوية المقعد، وتنورتي تكاد تكشف ملابسي الداخلية. كان قلبي يخفق بسرعة كبيرة لدرجة الطنين. أشعر وكأني أطفو في الهواء. "هل حطمتُ فؤادك؟".

"حسنٌ". نظر أحنى رأسه، وصار يتلمس إحدى كميه باليد الأخرى. "اجلسي في مكانك، سام. حان الوقت كي نبدأ".

"اعتقدتُ أنك تستمتع بالعرض"، وملتُ قليلاً إلى الخلف مادّة ذراعي فوق رأسي. الجو مشحون بشيء من الكهرباء، الأزيز، والتوتر يسري في جميع الاتجاهات؛ كأنها لحظة ما قبل العاصفة، وكأن كل ذرة هواء أصبحت تحمل شحنة زائدة وتهتز. أحد الطلاب في الخلف أطلق ضحكة وآخر همهم "رباه". قد يكون ذلك من وحي خيالي، لكني أعتقد أني ميزتُ صوت كينت.

نظر إلي الأستاذ ديملر وقد اسودّ وجهه. "اجلسي".

"إن كنتَ تصر". نزلتُ عن حافة المقعد ومضيتُ إلى كرسيه، ثم جلستُ وقاطعتُ رجلي على مهل، وطويتُ يدي في حضني. بعض الضحكات والتأوهات ترددت في أرجاء الصف. لا أعرف من أين أتى هذا، هذا الشعور بالتحكم الكلي التام. لغاية بضعة أشهر فقط من الآن كنتُ لا أزال أتحول إلى ما يشبه الهلام كلما تكلم شاب معي، بمن فيهم روب. لكن ما أشعر به الآن يبدو سهلاً، طبيعياً، وكأني دخلتُ في جلدي للمرة الأولى في حياتي.

"على كرسيك *الخاص*"، هدر الأستاذ ديملر ووجهه قد أصبح أحمر قانياً، إن لم يكن أرجوانياً. لقد

t.me/yasmeenbook

جعلته يفقدها - على الأرجح للمرة الأولى في تاريخ توماس جيفرسون. وعرفث أنه مهما كانت اللعبة التي نلعبها فقد سجّلث للتو نقطة. الفكرة جعلت معدتي تهبط قليلاً - ليس بشكل سيئ، بل أشبه باللحظة التي تكاد فيها أن تصل إلى أعلى جزء في الأفعوانية، وتعرف أنك في أية ثانية ستصبح في قمتها، تنظر إلى كل ما هو في الأسفل، تتوقف هناك لجزء من الثانية، قريباً من تحقيق أجمل رحلة في حياتك. إنها الهبوط البسيط في المعدة الذي يسبق مباشرة لحظة تبدد كل شيء في الهواء، والصراخ، مباشرة قبل الاستسلام الكامل. الضحك في الغرفة تحوّل إلى زئير. بالنسبة لشخص في الخارج قد يعتقد خاطئاً أنه يسمع تصفيقاً.

بقيث صامتة لبقية الحصة، مع أن الطلاب ظلوا مستمرين في همساتهم التي كانت تتحول إلى قهقهات، ووصلني من الخلف ثلاث ملحوظات على الأقل. إحداهن كانت من بيكا تقول فيها، *أنت مذهلة*، وأخرى من هانا غوردون تقول، *إنه مثيييير جداً*. إحداها استقرت في حضني، وكلها مجعدة ككرة، قبل أن أرى من رماها في اتجاهي. مكتوب فيها، *عاهرة*. للحظة شعرث بدفقة حرارة من شدة الإحراج، تشبه الغثيان أو الدوار. لكنها انقضت بسرعة. لم يعد أيّ شيء من هذا حقيقياً. حتى *أنا* لم أعد حقيقية.

ملحوظة رابعة وصلت قبيل نهاية الحصة. كانت على شكل طائرة ورقية، وقد وصلت إليّ وهي تطير فعلاً، وهبطت على مقعدي في اللحظة التي التفت فيها الأستاذ ديملر عن السبورة التي كان يكتب عليها معادلة. كانت رائعة الشكل لدرجة أني كرهث أن ألمسها، لكني فتحث جناحيها، وإذ عليها رسالة

مكتوبة بأحرف أنيقة جداً.

أنت تجيدين ذلك حقاً.

عرفتُ أنها من كينت، مع أنها لم تكن تحمل توقيعاً، وللحظة شعرتُ بشيء حاد وعميق يخترقني، شيء لا يمكنني فهمه أو وصفه، نصل يخترق ضلوعي ويكاد يخنقني. ليس من المفترض أن أكون ميتة. ليس من المفترض أن أكون أنا.

أمسكتُ بالملحوظة بعناية فائقة ومزقتها نصفين، ثم إلى نصفين آخرين.

لم نهدأ طوال الحصة، وأعطى الأستاذ ديملر دقيقتين قبل قرع الجرس.

"لا تنسوا: الاختبار يوم الاثنين. الحدود والمحاور المقاربة"، وذهب إلى طاولته وانحنى عليها، والتعب بادٍ عليه. حدثت جلبة جماعية في الغرفة، وأصوات حفيف المعاطف وسحب الكراسي على الأرضية. "ساماثنا كينغستون، أريد رجاءً رؤيتك بعد الحصة".

لم يكن حتى ينظر إليّ، لكن نبرة صوته جعلتني متوترة. للمرة الأولى أشعر أني قد أكون في ورطة، ليست تلك هي المشكلة، لكن إذا أخضعني الأستاذ ديملر لمحاضرة بشأن الإحساس بالمسؤولية سأموت من الإحراج. سأموت *ثانية*.

همسَت لي بيكا، *حظاً سعيداً*، في طريقها للخروج. لم نكن أصدقاء أصلاً - ليندزي كانت تسميها حمقاء الحبش، لأنها كانت تتناول ساندويشات الحبش كل يوم - لكن قولها هذا هدّأ قليلاً التشنج في معدتي.

انتظر الأستاذ ديملر لغاية خروج آخر طالب من الصف - رأيت بطرف عيني كينت يحوم حول الباب - ثم مشى على مهل نحو الباب وأغلقه. شيء ما يتعلق بطريقة إغلاق الباب - نهائية جداً، وسريعة

جداً - جعل قلبي يخفق متأخراً بضربة. أغلقت عيني لثانية، وشعرت وكأني عدت ثانية إلى السيارة مع ليندزي على طريق فالو ريدج والأضواء الكاشفة للضباب المنبعثة من سيارة ثانية مسلطة علينا في الظلام. وقولها، هم دائماً ينحرفون أولاً. لكن في تلك اللحظة أدركت بصفاء كامل أنها لم تفعل ذلك لذلك السبب - لماذا فعلتها. لقد فعلتها من أجل تلك اللحظة المثيرة حين لا تعرف، حين تتواجه مع شخص لا يغير مساره وبدلاً من ذلك تجد نفسك تنحرف خارج الطريق إلى الظلام.

حين فتحت عيني رأيت الأستاذ ديملر يضع يديه على ردفيه، وهو يحدق بي. "بماذا كنتِ تفكرين بحق الجحيم؟".

الجلافة في صوته أفزعتني. لم أكن قد تعرضت يوماً لملامة أستاذ.

"أنا... أنا لا أعرف عما تتحدث"، لكن صوتي خرج أضعف وأصغر مما أردته.

"القرف الذي ارتكبته هناك - هناك، أمام الجميع. بماذا كنتِ تفكرين؟".

نهضت من مكاني كي لا أظل جالسة هناك أنظر إليه، مثل ولد صغير. كانت ساقاي ترتعشان، واضطررت لتثبيت نفسي بوضع إحدى يدي على المقعد. أخذت نفساً عميقاً، محاولة استجماع الفكرة. هذا لا يهم: كل هذا سيمحى، يمضي بعيداً.

"أنا آسفة"، قلت له مع شعور بأني أقوى قليلاً. "أنا لا أعرف حقاً عما تتكلم. هل ارتكبت خطأ ما؟".

نظر نحو الباب وعضلة فكه ترتعش. فقط تلك، تلك الرعشة البسيطة، أعادت إلي الثقة. أردت أن أصل إليه وألمسه، أمرر أصابعي في شعره.

"كان يمكن أن تقعي في ورطة كبيرة، كما تعلمين"، قالها حتى من دون أن ينظر إليَ. "كان يمكن أن توقعيني في ورطة كبيرة".

رن الجرس الأول: الحصة أصبحت منتهية رسمياً. عاد الشعور الغنائي يسري في دمي، وينتشر في الهواء. خطوت بحذر حول المقعد ومشيت مباشرة إلى مقدمة الصف. ثم توقفت على مسافة بضعة أقدام عنه. لم يتراجع، وبدلاً من ذلك نظر مباشرة إلي. كانت عيناه عميقتان جداً وتفيضان بشيء كاد يخيفني، لكني لم أخف.

استندت إلى مقعد بيكا من دون تكلف، وأرجعت ظهري إلى الوراء متكئة على مرفقي بحيث أصبحت ممددة بالكامل أمامه، الصدر، الرجلين، وكل شيء. شعرت برأسي وكأنه يطفو بعيداً عن جسدي؛ وشعرت بجسدي كأنه يطفو بعيداً عن دمي، كما لو أني أتحلل إلى طاقة واهتزاز.

قلت له بأقصى ما يمكنني من إثارة "لا أمانع بإثارة المشاكل".

حدّق الأستاذ ديملر بعينيي، دون أن ينظر إلى بقيتي، لكنني عرفت بطريقة ما أنه يبذل جهداً. "ما الذي تفعلينه؟".

كانت تنورتي مرتفعة جداً لدرجة أنها تكشف سروالي الداخلي. كان من نوع رباط الدانتيل وردي اللون، وهو أحد أوائل الألبسة الداخلية التي اقتينتها. الألبسة الداخلية من نوع الرباط تجعلني أشعر وكأن هناك حزاماً مطاطياً فوق عقبـي، لكن في العام الفائت اشتريت وليندزي زوجاً متشابهاً منها من متجر فيكتوريا سيكريت وأقسمنا على ارتدائها.

وصلتني الكلمات وكأنها مقطع من نص، من فيلم:

"يمكنني التوقف إن أردت". كان صوتي لاهثاً لكن ليس لأني أصطنع ذلك. في الواقع لم أعد أقوى على التنفس - كل شيء، العالم بأسره، تجمد في تلك اللحظة حين كنت بانتظار استجابته.

لكن حين تكلم بدا صوته متعباً، منزعجاً - ليس كما توقعته إطلاقاً. "ما الذي تريدينه، سامانثا؟".

أفزعتني نبرة صوته، وللحظة شعرت أن عقلي يدور في الفراغ. الآن هو ينظر إليّ بنفاد صبر، كما لو أني طلبت منه أن يغير درجتي. رن الجرس الثاني. شعرت أنه يمكن أن يصرفني في أي لحظة، مذكراً أياي باختبار يوم الاثنين. لقد فقدت بطريقة ما السيطرة على الموقف ولم أعد أعرف كيف أصلح الأمر. الذبذبات في الجو كانت لا تزال موجودة، لكنها الآن تنذر بالشؤم، وكأن الهواء تملؤه أشياء حادة وهي جاهزة للسقوط.

"أنا... أنا أريدك". لم أقصد بها أن تخرج غير واثقة بهذا القدر. هذا هو ما أريده. هذا هو ما كنت أريده منذ زمن: الأستاذ ديملر. للحظة دار رأسي بحالة ذعر أعمى، ولم أعد أتذكر اسمه الأول، وشعرت وكأني أضحك بشكل هستيري؛ أنا أتمدد نصف عارية أمام أستاذ الرياضيات ولا أعرف اسمه. ثم حضر ببالي. إيفان. قلت له "أنا أريدك، إيفان"، بجرأة أكثر قليلاً. إنها المرة الأولى التي أستخدم فيها اسمه الأول.

حدّق بـي وقتاً طويلاً. بدأت أشعر بالعصبية. أريد النظر بعيداً أو أن أسحب تنورتي نحو الأسفل أو أن أقاطع ذراعي، لكني أجبرت نفسي على البقاء دون حراك.

في النهاية سألته "ما الذي تفكر به؟"، لكنه بدل أن يجيب سار مباشرة حول طاولته ووضع ذراعيه على كتفي، وأرجعني إلى الخلف ممددة على مقعد

بيكا. ثم انحنى فوقي، يقبلني ويلعق عنقي وأذني ويصدر تأوهات خفيفة ذكّرتني ببيكل حين يريد الخروج لقضاء حاجته. حين ضغط علي شعرتُ بأني ضئيلة؛ فذراعاه قويتان، وتتحسسان كتفيّ وذراعيّ. مد إحدى يديه من تحت قميصي وضغط على نهديّ واحداً تلو الآخر، بقوة كدتُ أبكي معها. لسانه كبير ومكتنز. فكرتُ، *أنا أقبّل الأستاذ ديملر، أنا اقبّل الأستاذ ديملر، يستحيل أن تصدقني ليندزي،* لكن ما شعرت به كان مختلفاً تماماً عما تخيلته. ذقنه المحلوقة التي بدأت تظهر من جديد كانت قاسية على جلدي، وراودتني تلك الفكرة المريعة بأن هذا ما تشعر به أمي حين تقبّل أبــي.

حين فتحتُ عيني رأيت السقف المستوي المقطّع لغرفة الصف - قِطع السقف التي أمضيت ساعات أحدق بها خلال هذا الفصل - وبدأ عقلي يدور حولها، يعدُّها، كما لو أني حشرة تحوم في مكان ما خارج جسدي. فكرتُ، *كيف يمكن لنفس السقف ان يكون موجوداً هنا بينما يحدث هذا؟ لماذا لا ينخفض السقف إلى أسفل؟* وفجأة لم يعد ذلك ممتعاً البتة: كل تلك الأشياء الحادة سقطَت من الهواء دفعة واحدة، وفي ذات الوقت سقط شيء ما عميقاً بداخلي. أصابني شعور يشبه الاستيقاظ بعد تناول المشروب طوال الليل.

وضعتُ يدي على صدره وحاولتُ أن أدفعه عني، لكنه ثقيل جداً، وقوي جداً. يمكنني أن أشعر بعضلاته تحت رؤوس أصابعي - كان في الثانوية يلعب اللاكروس، كما اكتشفنا أنا وليندزي - وفوق ذلك طبقة رقيقة من الدهن. كان مستلقياً علي بكل ثقله ولم أعد أقوى على التنفس. كنتُ أنسحق تحته، ساقاي متباعدتان على جانبي ردفيه، معدته

دافئة ومكتنزة وثقيلة فوق معدتي. جاهدت لأبعد فمي عن فمه. "لا - لا يمكننا القيام بذلك هنا".

اندفعت الكلمات من دون أن أقصد. ما كنت أريد قوله هو، *لا يمكننا فعل ذلك. لا هنا، ولا في أي مكان اخر.*

ما كنت أريد قوله هو، *توقّف.*

كان يتنفس بقوة وهو يحدّق في فمي. هناك نقطة من العرق على خصلة شعره، وراقبتها وهي تسيل على جبهته وصولاً إلى رأس أنفه. أخيراً ابتعد عني، فرك يديه على فكّه، وهز رأسه.

بمجرد أن نهض عني وقفت على قدمي وأنزلت تنورتي، دون أن أنتظره ليرى أن يدي ترتجفان.

قال بهدوء "أنتِ محقة". هزّ رأسه بقوة كما لو أنه يحاول الإفاقة من النوم. "معك حق".

خطا بضع خطوات إلى الوراء ثم أدار ظهره لي. بقينا متسمرين في مكاننا للحظات، ولم ننبس ببنت شفة. كان ذهني متوقفاً تماماً. لم يكن يبعد عني سوى بضع خطوات، لكنه يبدو خائب الرجاء، وبعيداً بشكل لا يُصدّق، وكأنه شخص بالكاد تراه من مسافة بعيدة، خيال وسط عاصفة ثلجية.

"سامانثا؟" وأخيراً استدار نحوي، يفرك عينيه بيديه لاهثاً، وكأني أرهقته. "اسمعي، ما حدث هنا... لا أعتقد أنك بحاجة لأن أخبرك بضرورة أن يبقى هذا بيني وبينك حصراً".

وجّه ابتسامة إلي، لكنها لم تكن ابتسامته الطبيعية البسيطة. كانت تخلو من الطرافة. "هذا في غاية الأهمية، سامانثا. هل تفهمين؟" وتنهد ثانية، وكأنه يحاول شرح شيء بسيط وأنا ببساطة لا أفهمه. "الجميع يرتكب أخطاء..."، وأمسك عن الكلام، وهو

يراقبني.

"أخطاء"، كررتها خلفه، وكانت الكلمة تأزّ في رأسي. لم أكن واثقة إن كان يشعر أنه ارتكب خطأ، أم أنه خطأي. خطأ، خطأ، خطأ. كلمة غريبة: أزيز، بطريقة ما.

فم الأستاذ ديملر، عيناه، أنفه - وجهه بالكامل كان يبدو وكأنه يتراكب في أنماط غير مألوفة، مثل لوحة لبيكاسو. "أنا بحاجة للثقة بأنه يمكن الاعتماد عليك".

سمعت نفسي أقول "طبعاً يمكنك ذلك"، فنظر إلي نظرة ارتياح، كما لو أنه يرغب في التربيت على رأسي قائلاً، *فتاة طيبة*.

بعد ذلك وقفت هناك لبرهة. لم أكن واثقة إن كان سيأتي إلي ويقبّلني أو يضمّني - بدا لي الأمر جنونياً أن *أغادر*، أن أحمل أغراضي وأمضي وكأن شيئاً لم يحدث. لكن بعد أن رمش بعينيه نحوي قليلاً، قال في النهاية "لقد تأخرتِ على الغداء"، فعرفت حينها أنه يصرفني، فالتقطت حقيبتي ومضيت.

بمجرد أن أصبحت في الرواق استندت إلى الحائط، ممتنة لشعوري بأن هناك ما يسند ظهري. شيء ما كان يتفاعل في داخلي، ولم أعرف إن كان علي القفز لأعلى وأسفل أم الضحك أم الصراخ. لحسن حظي كان الرواق خالياً. الجميع يتناولون غداءهم.

أمسكت بهاتفي لأرسل رسالة إلى ليندزي، لكني تذكرت حينها أننا تشاجرنا. كما أني لم أجد أي رسالة منها تسألني إن كنت أرغب بحضور حفلة كينت. لا بد أنها لا تزال حانقة. لست متأكدة إن كانت إيلودي أيضاً حانقة علي، لكني حين تذكرت ما قلته في السيارة شعرت أني مريعة.

فكّرتُ بمراسلة آلي - على الأقل أنا واثقة إلى حد ما أنها ليست غاضبة مني - واستغرقتُ وقتاً طويلاً وأنا أفكر كيف سأصوغ الرسالة. سيبدو غريباً أن أكتب *لقد قبّلتُ الأستاذ ديملر،* وإذا كتبتُ *إيفان* سوف لن تعرف عمن أتكلم. *إيفان* ديملر لا تبدو جيدة أيضاً، والأهم من ذلك أننا فعلنا أموراً أكثر من مجرد تبادل القُبل. لقد كان *فوقي*.

في النهاية رميتُ هاتفي داخل حقيبتي دون أن أكتب شيئاً. فكرتُ أن أنتظر التقائي بليندزي وإيلودي وأخبرهما شخصياً. سيكون أسهل بتلك الطريقة، فأستطيع تجميل الموقف أكثر مما كان عليه، وبذلك سأرى وجهيهما أيضاً. وضعتُ شيئاً من مسحوق التجميل على ذقني لتغطية البقع الحمراء التي نتجت عن الاحتكاك بذقن الأستاذ ديملر الخشنة، ثم توجهتُ لتناول الغداء.

لا يمكنك الحكم على كتاب من غلافه.

حين قصدتُ الكافيتريا متأخرة عشر دقائق، كانت طاولتنا المعتادة خالية، فعرفتُ أنه تم التخلي عني بشكل رسمي ومتعمَّد.

لجزء من الثانية شعرتُ أن أعين الجميع تحوّلت باتجاهي، محدِّقة. ومن دون وعي وضعتُ يدي على وجهي، وقد تملكني الفزع فجأة من أن الجميع سيرى البقع الحديثة على ذقني ويعرف ماذا فعلت.

خرجتُ إلى الرواق ثانية. كنتُ بحاجة للانفراد بنفسي، بحاجة لاستجماع أفكاري. توجهتُ إلى الحمامات، لكن حين أصبحتُ قريبة اندفعت طالبتان من السنة الثانية خارجتان من الباب، تقهقهان وتمسكان بذراعي بعضهما. فترة الغداء هي ذروة الازدحام في الحمامات - جميعهن يردن إصلاح أحمر الشفاه، التشكي من شعورهن بالبدانة،

ويهددن بالتقيؤ في أحد الحمامات - وأخر ما احتاجه الآن بالتحديد هو سيل جارف من الغباء.

توجهث إلى الحمام القديم في آخر جناح العلوم، الذي أصبح استخدامه نادراً بعد إحداث الحمام الجديد - المجهز بمراحيض لا تنسد على مدار الأسبوع - العام الفائت بين المخابر. كلما ابتعدت أكثر عن الكافيتريا، انحسر صوت الأزيز، إلى أن أصبح مثل صوت محيط قادم من بعيد. مع كل خطوة أخطوها كنث أزداد هدوءاً، وأسمع صوت نعليّ يطرقان بإيقاع ثابت على الأرضية.

كان جناح العلوم خالياً، كما توقعت، وتفوح منه كما العادة رائحة المنظفات الكيميائية والكبريت. لكن اليوم هناك شيء آخر: رائحة دخان وشيء لاذع. حين دفعث باب الحمام لم ألاحظ في البداية شيئاً، لكن مع دفعه أكثر سمعث صوتاً مزعجاً؛ فثبتّث كتفي مقابل الباب، وتمكنت من فتحه في النهاية، لأدخل معه. عندها اصطدمت ركبتي بالكرسي الذي كان مسنوداً على قبضة الباب فآلمتني ساقي. كانت الرائحة في الحمام أقوى بكثير.

أفلث حقيبتي وانحنيت ممسكة بركبتي "تباً".

"من هنا بحق الجحيم؟".

جعلني الصوت أقفز. لم أكن أدرك أن هناك أحداً آخر في الحمام. نظرث فرأيت كاتي كارجوللو تقف هناك، ممسكة بسيجارة في يدها.

قلث "رباه. لقد أفزعتني".

"أنا التي أفزعتك؟"، واتكأت على الطاولة الرخامية ونفضت سيجارتها في الحوض. "تبدين وكأنك اقتحمت المكان. ألم يكن باستطاعتك النقر على الباب؟" كما لو أني اقتحمث للتو منزلها.

"آسفة على إفسادي حفلتك". وقمتُ بحركة فاترة نحو الباب.

"انتظري"، وأمسكت بيدي، والعصبية بادية عليها. "هل ستذهبين لتذيعي الخبر.

"أي خبر؟".

"ما رأيته هنا"، وأخذت نفساً ونفخت سحابة من الدخان. كانت السيجارة التي تدخنها رفيعة جداً وتبدو وكأنها لفّتها بنفسها. ثم كانت الصدمة: إنها سيجارة ممنوعات. لا بد أن الحشيشة ممزوجة بكثير من التبغ لأني لم أميز الرائحة فوراً، وحين كنتُ أعود إلى المنزل بعد كل حفلة كانت رائحتها تفوح من ملابسي. ذات مرة قالت إيلودي أني محظوظة لأن والدتي لا تدخل أبداً إلى غرفتي، وإلا لاعتقدَت أني أخبئ الممنوعات في سلة ملابسي المتسخة.

"وأين المشكلة؟ لقد أتيتِ إلى هنا لتدخني غداءك". لم أكن أقصد تحميلها أي معنى، لكنها خرجَت بتلك الطريقة. رنت بعينيها إلى الأرض، وحينها لاحظتُ وجود كيس ساندويش فارغاً وكيساً من الرقائق أكِل نصفه على الأرض، فتذكّرتُ أني لم أرها يوماً في الكافيتريا. لا بد أنها تتناول غداءها هنا كل يوم.

"أجل. يعجبني الديكور"، ولاحظت أني أنظر إلى كيس الساندويش، فرمت عقب السيجارة وقاطعت ذراعيها. "على كلٍ، ما الذي تفعلينه أنت هنا؟ أليس لديك...؟" وأحجمت عن المتابعة، لكني عرفتُ ما كانت تنوي قوله. *أليس لديك أصدقاء؟*

قلتُ لها "كنتُ أريد قضاء حاجتي"، ومن الواضح أنها كذبة لأني لم أحاول استخدام المرحاض، لكن التعب نال مني ولم أجد عذراً آخر، وهي لم تسأل.

خيّم صمت مريب علينا. لم أكن في حياتي قد تكلمت مع كاتي كارجوللو، باستثناء تلك المرة التي قلت فيها "لا تدعيها خادمة الشرير" بعد أن قالت ذلك عن ليندزي. لكني كنت أفضل البقاء هنا على الخروج إلى الرواق. وفي النهاية فكرت، *تباً لها*، فجلست على الكرسي وأسندت ساقي على أحد الأحواض. هنا خفّت حدة نظرة كاتي وبدت مسترخية أكثر، وأسندت كتفيها على أحد الجدران. ثم أومأت إلى ركبتي، "تبدو متورمة".

"أجل، صحيح، أحدهم حشر كرسياً خلف الباب مباشرة".

بدأت تقهقه. كانت حتماً منتشية. "حذاء جميل"، ورفعت حاجبيها مشيرة إلى قدمي، اللتين كانتا متدليتين فوق أحد الأحواض الدائرية. يمكنني أن أميز إن كانت ساخرة. "تجدين صعوبة في السير، هاه؟".

أجبتها بسرعة "يمكنني السير"، ثم أردفت بلامبالاة "لكن لمسافات قصيرة".

شخرَت ثم غطّت فمها.

"لقد اشتريته من باب المزاح". لا أعرف ما الذي يجعلني مضطرة للدفاع عن نفسي أمام كاتي كارجوللو، لكني أشعر أن كل شيء يسير على عكس ما كان مفترضاً به اليوم. جميع القواعد انتثرت أدراج الرياح. وكاتي مسترخية أيضاً، وهي تتصرف وكأنه ليس غريباً أن نكون محشورتين في حمام بقياس غرفة سجن في الوقت الذي من المفترض به أن نكون على الغداء.

قفزت وجلست على الزاوية ومدّت رجليها باتجاهي. لم أستغرب عدم ارتدائها لشيء له علاقة بعيد الحب. كانت ترتدي كنزة مزدوجة سوداء من

دون أكمام وسترة مفتوحة ذات قلنسوة. سروالها الجينز محروق عند حاشيته، وفيه دبوس يجمع طرفي السروال بدلاً من الأزرار المفقودة. وترتدي حذاءً ضخماً سميك النعل له سحّاب.

"تحتاجين لزوج من هذا"، وضربت نعليها ببعضهما. "إنه أكثر حذاء مريح اقتنيته يوماً".

نظرتُ إليها بما معناه، *أجل، صحيح*. فهزّت كتفيها. "لا تحكمي عليه حتى تجربيه".

"حسنٌ، إذاً، أعطني إياه".

أسهمَت كاتي في النظر وكأنها غير متأكدة إن كنتُ جادة.

"انظري"، وخلعتُ حذائي فارتطم بالأرض محدثاً قعقعة. "سوف نتبادل".

انحنت كاتي دون أن تنبس بكلمة، فكَت سحّاب حذائها، وخلعته. كان جورباها مخططين بألوان قوس قزح، وقد فاجأني ذلك. كنتُ أتوقع جماجم أو شيئاً من هذا القبيل. ثم خلعتهما أيضاً وجعلتهما على شكل كرة في إحدى يديها، وبدأت تمررهما إلي.

"أوه"، وفركتُ أنفي. "كلا، شكراً. أفضل البقاء من دون جوربين".

هزّت كتفيها، ضاحكة. "كما تشائين".

حين لبستُ الحذاء ورفعتُ السحاب أدركتُ أنها كانت محقة. إنهما مريحان فوق العادة، حتى من دون جوربين. الجلد بارد وطري جداً. أعجبني شكلهما في قدمي.

"أشعر وكأني يجب أن أتوجه لترويع الأطفال"، ونقرتُ بالرأس المعدني المدبب لفردتي الحذاء ببعضهما، فأحدث صوت نقر جميل.

قالت كاتي وهي ترتدي حذائي، "أشعر وكأنه من

المفترض بـي أن أغوي المارة". وها هي الآن تترنح في أرجاء الحمام لتجربه، وذراعاها مفتوحتان وكأنها تسير على حبل مشدود.

أشرت إليها، "نفس مقاس الأقدام"، ولو أن ذلك كان واضحاً.

"ثمانية ونصف. شائع جداً"، ورمقتني بنظرة من فوق كتفها، وكأنها تفكر بقول شيء آخر. ثم نزلت تحت الحوض وأخذت حقيبتها، وهي عبارة عن حقيبة متشردين مرقعة ورثة وتبدو وكأنها صنعتها بنفسها. أخرجَت منها علبة معطر أنفاس معدنية، كانت تضع بداخلها كيساً صغيراً من الحشيش - أعتقد أن أليكس ليمينت ينفع في شيء - وأوراق لف، وبضع سجائر.

بدأت تلف سيجارة ملغومة أخرى. كانت أصابعها نحيلة وتتحرك بسرعة. المراس كان واضحاً عليها. أتساءل إن كان هذا ما كانت تفعله هي وأليكس بعد ممارسة الجنس، التمدد هناك والتدخين. أتساءل إن كانت قد فكّرت يوماً ببريانا حين كانا يفعلان ذلك. وراودتني رغبة في السؤال.

قالت دون أن تنظر إلي، "كفي عن التحديق بـي".

"أنا لا أحدق"، وأسندت رأسي إلى الجدار ورحت أحدق بالسقف الأصفر اللون، وذكّرني ذلك بالأستاذ ديملر، فعدت أنظر إليها. "ليس لدينا الكثير من الخيارات الأخرى".

"لم يطلب منك أحد المجيء إلى هنا"، وقد عاد إلى صوتها شيء من الصرامة.

"ملكية عامة"، وخلال أقل من ثانية بدأ يسود وجهها وصرت متأكدة أنها سوف تنفجر من الغضب وسيكون ذلك نهاية الوقت السعيد المشرق الذي أمضيناه سوية، فتداركت بسرعة، "لنتكلم بجدية،

المكان هنا ليس بهذا السوء. بالنسبة لحمام، أنت تعلمين".

نظرت إلي بارتياب، كما لو أنها واثقة أني أستدرجها فقط لكي أسخر منها بعد ذلك.

"كان بإمكانك إحضار بعض الوسائد للأرضية"، ونظرث حولي. "شيء من الديكور أو ما شابه".

أخفضت رأسها وصارت تركز على أصابعها. "هناك هذا الفنان الذي لطالما أحببته - الشاب الذي يجعل جميع الدرجات تصعد وتهبط في نفس الوقت -".

"إم. سي. إتشر؟".

رمقتني بنظرة والدهشة بادية عليها لأني عرفت عمن تتحدَث. "أجل، هو"، وارتسمَت ابتسامة عريضة على وجهها. "كنث أفكر، لا أعلم، بتعليق إحدى صوره هنا. ألصقها ببساطة، تعلمين، ليكون هناك شيء تنظرين إليه".

اندفعث بالقول "لدي ما يقارب العشرة من كتبه في منزلي"، وفرحث لأنها لن تظل حانقة وتطردني من الحمام. "والدي مهندس معماري وهو يهتم بهذه الأمور".

لفّت كاتي السيجارة، لعقَت طرف الورقة، وأنهتها ببعض عمليات الفتل بأصابعها. أومأت نحو الكرسي، "إن كنت تنوين الجلوس عليه فيمكنك على الأقل سد الباب. فقط، وبتلك الطريقة فإنه سيصبح مُلكية *خاصة*".

صرّ الكرسي على الأرضية وأنا أرجع لأسد الباب، فجفلنا نحن الاثنتين، وحين رأت كل واحدة منا ما فعلت الأخرى رحنا نضحك. أخرجت كاتي ولاعة أرجوانية عليها رسوم أزهار - ليست الولاعة التي توقعث أن تحملها - وحاولت إشعال السيجارة.

فرقعت الولاعة عدة مرات ثم رمتها على الأرض وهي تشتم. بعدها عادت تنبش في حقيبتها فأخرجت ولاعة على شكل فتاة عارية. ضغطت على الرأس فخرج لهب أزرق ضعيف من الحلمتين. الآن *هذا* هو نوع الولاعات الذي أتوقع أن تحمله كاتي كارجوللو.

بدت الجدية الان على وجه كاتي، وأخذت سحبة طويلة من السيجارة، ثم حدّقت بـي وأطلقت سحابة من الدخان الأزرق.

قالت "إذاً. لماذا تكرهونني أنتِ ورفاقكِ؟".

كان ذلك آخر ما توقعتها أن تتكلم عنه. والأغرب من ذلك أنها مدّت يدها التي تمسك بالسيجارة نحوي، تعرض عليّ شيئاً منها.

ترددتُ لثانية، لكني فكرتُ في نفسي أني إذا كنتُ ميتة فهذا لا يعني أني قديسة.

"نحن لا نكرهك"، لكن النبرة لم تكن مقنعة. الحقيقة هي أني غير واثقة. أنا لا أكره كاتي، حقاً؛ أما ليندزي فكانت تُصرّح دائماً بذلك. أما معرفة دوافع ليندزي بخصوص أي شيء فهذا أمر صعب. أخذتُ سحبة من السيجارة. كنتُ قد دخّنت الحشيشة مرة واحدة من قبل، لكني رأيت طريقة تحضيرها مئات المرات. سحبتُ الدخان إلى رئتيّ: كان المذاق قوياً جداً مثل مضغ الطحالب. حاولتُ أن أحبس أنفاسي، بالطريقة المتّبعة لذلك، لكن الدخان صار يخز نهاية حلقي. بدأتُ أسعل فأعدتُ السيجارة لها.

"إذاً ما هو الدافع؟" لكنها لم تقل: *ما هو الدافع وراء كل الأشياء القذرة التي فعلتموها*. الرسومات على جدران الحمامات. الرسائل النصية في السنة الثانية: *كاتي كارجوللو مصابة بالكلاميديا*. لم تكن

مضطرة لذلك. عادت ومرّرت السيجارة إليّ.

أخذتُ سحبة أخرى. كانت الأشياء من حولي قد بدأت سلفاً تتبدل، بعضها أصبح ضبابياً وآخر أصبح أكثر حدة، وكأن أحدهم يعبث بتركيز عدسة الكاميرا. لا عجب أن الناس لا يزالون يتكلمون مع أليكس، مع أنه وغد كبير. "لا أعلم". عبارة سهلة. "أعتقد أنك يجب أن تلقي لومك على أحدهم".

كانت الكلمات تخرج من فمي حتى قبل أن أدرك أنها صحيحة. أخذتُ سحبة أخرى وأعدتُ السيجارة إلى كاتي. بدأتُ أشعر أن كل شيء أصبح مضخَّماً، وكأنه باستطاعتي أن أشعر بثقل ذراعيّ وساقيّ وأسمع نبضات قلبي وأشعر بالدم المتدفق في عروقي. في نهاية اليوم سيصمت كل شيء، على الأقل إلى أن تعود عجلة الزمن إلى دورانها الطبيعي وتبدأ من جديد.

رن الجرس. انتهت استراحة الغداء. قالت كاتي، "تباً، تباً، يجب أن أحضر في مكان ما"، وبدأت تحاول جمع أشيائها. وفي خضم ذلك أوقعتْ بالخطأ علبة السجائر، فوقعَت الحشيشة تحت الحوض، وتطايرت الأوراق وتبعثرت في كل مكان. "اللعنة".

قلتُ لها "دعيني أساعدك"، ونزلنا نحن الاثنتين على أيدينا وركبنا. بدأت أشعر بوخز وتورُّم في أصابعي، وصرت أجد صعوبة في رفع الأوراق عن الأرض. صدمني ذلك بطريقة غريبة، وبدأت أنا وكاتي نضحك ونميل على بعضنا الآخر ونحن نلهث. وهي تردد بين الحين والآخر "اللعنة".

قلتُ لها "يستحسن بك أن تسرعي". كل الغضب والألم الذي ألمّ بـي في الأيام القليلة الماضية اختفى، وسرت فيّ مشاعر الحرية واللامبالاة والسعادة. "سيغضب أليكس".

ثم تجعّدت. كان رأسانا قريبان جداً من بعضهما بل يكادان يتلامسان.

قالت لي، "كيف عرفت أني أواعد أليكس؟" وكان صوتها صافياً ومنخفضاً.

أدركت متأخرة جداً أني مشوشة تماماً. أجبتها بصوت غير واضح "رأيتكما تتخفيان في فسحة المدخنين بعد الحصة السابعة مرة أو اثنتين". فبدا عليها الارتياح.

سألتني، "لن تخبري أحداً، أليس كذلك؟"، وصارت تعضّ شفتها. "أنا لم أكن -" وأحجمت عن المتابعة، فتساءلت أن كانت تنوي الحديث عن بريانا. لكنها اكتفت بهز رأسها وتابعت جمع أوراق السجائر، بسرعة هذه المرة.

فكرة افتضاح كاتي كارجوللو لنومها مع أليكس بعد ما فعلته للتو - مع الأستاذ ديملر - تبدو مضحكة. لم أغد مخوّلة قول أي شيء عن أي أحد. أنا أدخن الحشيشة في حمام، ليس لدي أصدقاء، أستاذ الرياضيات دس لسانه في حلقي، وصديقي الحميم يكرهني لأني لا أرغب في النوم معه. أنا ميتة، لكن حياتي لا تتوقف. انعدام المنطق في كل ما يجري صدمني حقاً في تلك اللحظة فبدأت أضحك ثانية. كاتي صارت جدية، وعيناها ككرتين زجاجيتين كبيرتين ولامعتين.

قالت "ماذا؟ هل تسخرين مني؟".

هززت رأسي، لكنني لم أجد ما أقوله. صرت أضحك بقوة حتى تقطعت أنفاسي. ومع أني كنت أجلس القرفصاء بجوارها، صرت أرتجف بقوة، ومن شدة الضحك وقعت إلى الخلف وخبطت مؤخرتي بالأرض. عادت الابتسامة إلى كاتي.

قالت لي، "أنت مجنونة"، وصارت تقهقه.

استجمعت شيئاً من أنفاسي وقلت لها، "على الأقل أنا لا أحبس نفسي في الحمامات".

"على الأقل أنا لا أتخدَر من نصف سيجارة حشيش".

"على الأقل أنا لا أنام مع أليكس ليمنت".

"على الأقل ليس لديَ أصدقاء حاقدين".

"على الأقل لدي أصدقاء".

مضينا في شد وجذب، وضحكاتنا تتعالى أكثر فأكثر. إلى أن انهارت كاتي وارتمت على جانبها مستندة على مرفقها، ثم تمددَت بالكامل على أرضية الحمام مطلقة ضحكات هزلية لا تشبه صوت إنسان. ومن حين لآخر كانت تشخر فتجعلني انفجر ضاحكة من جديد.

بمجرد أن صرت قادرة على الكلام قلت لها، "دعيني أخبركِ شيئاً".

"اسمعي، اسمعي". حرّكَت كاتي يدها على شكل مطحنة ثم نخرَت في راحتها.

أحببت الشعور بالضبابية من حولي. كنت أسبح في الظلمة، والجدران الخضراء من حولي هي المياه. "لقد قبّلت الأستاذ ديملر". وبمجرد قولي ذلك انفجرت بالضحك من جديد. لا شك أنها كانت العبارة الأكثر هزلية في تاريخ اللغة.

رفعت كاتي نفسها مستندة على مرفقها. "*ماذا* فعلت؟".

"ه"، وأنا أهز رأسي للأمام والخلف. "تعانقنا. مد يده داخل قميصي. ووضع يده..." وأشرت إلى ما بين ساقيّ.

صارت تهز رأسها لليمين واليسار وشعرها يتطاير فوق وجهها، فتخيلت زوبعة. "محال. محال. محال".

"أقسم بالله".

انحنت إلى الأمام قريباً جداً مني حتى صرت أشعر بأنفاسها على وجهي. كانت تمص حبة معطر للفم. "هذا مقرف. أنتِ تعرفين ذلك، صحيح؟".

"أعرف".

"مقرف. مقرف. مقرف. لقد درس الثانوية هنا، قبل عشر سنوات".

"ثمان. لقد تحققنا من ذلك".

أطلقَت ضحكة مدوية عالية، وللحظة رمت رأسها على كتفي وقالت، "كلهم منحرفون". كانت الكلمات هادئة وفي مواجهة أذني تماماً. ثم ابتعدت عني وقالت، "اللعنة! لقد قُضي علي".

نهضَت، واستندَت بيدها إلى الحائط. ترنَّحت قليلاً قبل أن تتوازن أمام المرآة، وصارت تمسد شعرها. أخذت قطرة عينية من جيبها الخلفي وقطرَت نقطتين في كل عين. كنت لا أزال على الأرض، أحدق بها من أسفل. كانت تبدو بعيدة لأميال وأميال.

اندفعت بالقول، "أليكس لا يناسبكِ".

كانت قد خطَت من فوقي في طريقها إلى الباب، ورأيت ظهرها وقد تشنّج فاعتقدت أنها ستغضب. لكنها توقفت، وأسندَت إحدى يديها إلى الكرسي.

لكن حين استدارت كانت مبتسمة وقالت، "الأستاذ ديملر يناسبك كثيراً"، فانفجرنا بالضحك ثانية. وبعدها دفعت بالكرسي بعيداً وفتحت الباب، ثم انسلّت خارجة إلى الرواق.

حين ذهبت جلست وأسندت رأسي إلى الجدار، مستمتعة بالحلقات التي شعرت أن الغرفة تصنعها. وفكّرت في نفسي، *هذا هو الشعور الذي يراود*

الشمس، ثم فكّرت كم أنا محششة، وبعدها فكّرت كم هو طريف أن يعرف المرء أنه مُحشش لكنه لا يستطيع التوقف عن التفكير بأفكار حشاشين.

رأيت شيئاً أبيض يظهر من تحت الحوض: سيجارة. انحنيث قليلاً فرأيث واحدة أخرى. لقد نسيتها كاتي. وفجأة أسمع نقراً حاداً على الباب، فأخذث السيجارتين بسرعة ونهضث على قدمي. لكن بمجرد نهوضي بدأ الدوران والشعور بأني تحت الماء يزيد في حالتي سوءاً. شعرث أني أحتاج دهراً لإبعاد الكرسي عن الباب. كل شيء ثقيل جداً.

قلث، "لقد نسيتِ هاتين" وأنا أمسك بالسيجارتين بين أصابعي بينما أفتح الباب.

لكنها ليست كاتي. إنها الآنسة وينترز تقف في الرواق وذراعاها متقاطعتان، ووجهها مقطّب إلى درجة أن أنفها يبدو مثل ثقب أسود وبقية وجهها ينجذب إليه.

قالت، "ممنوع التدخين داخل حرم المدرسة"، وهي تلفظ كل كلمة بعناية فائقة. ثم شمّت الرائحة، وكشّرت عن أسنانها.

فتيات البوغ

مكتوب في كتيب النظام الداخلي لثانوية توماس جيفرسون أن *أي طالب يُقبض عليه يدخن في حرم المدرسة عقوبته الإيقاف ثلاثة أيام* (أنا حفظت ذلك عن ظهر قلب لأن جميع المدخنين يحبون تمزيق هذه الصفحة من الكتيب في الفسحة، وفي بعض الأحيان يجثمون ويدسون سجائرهم في اللهب لإشعالها، أما الكلمات على الصفحة فتتجعد وتستحيل سوداء ثم تتطاير دخاناً وتتلاشى).

لكني تلقيث تحذيراً فقط. أعتقد أن الإدارة تستثني بعض الطلاب المذنبين بحق مدير معين

أو أستاذ أو مدرب معين. الانسة وينترز بدت أنها ستصاب بأزمة قلبية حين بدأت أتظلم بشأن *نماذج القوانين وعقلي القاصر* - أحب ذلك التعبير، وكأن كل من هو تحت سن الحادية والعشرين لا يتمتع بقوىً عقلية كاملة - *ومسؤولية الإدارة في أن تكون قدوة*، وخاصة حين ذكّرتها بالصفحة التاسعة والستين في كتيب النظام الداخلي: يُحرّم على أي طالب الانخراط في أفعال بذيئة أو جنسية غير لائقة داخل حرم المدرسة أو حولها (أحفظ تلك الفقرة لأن الصفحة كانت قد اقتُطعت وغلّفت آلاف المرات في مختلف الحمامات، وزينت هوامشها برسومات ذات طبيعية بذيئة وجنسية غير لائقة. ولو أن الإدارة تتحمل المسؤولية الكاملة عن ذلك. من وضع قانوناً كهذا على الصفحة التاسعة والستين؟).

أقل ما في الأمر أن الساعة والنصف التي قضيتها مع الآنسة وينترز جعلتني أستفيق. قرعَ جرس النهاية، وخرج سيل من الطلاب من الصفوف يتزاحمون من حولي، ويسببون ضجيجاً أكثر من اللازم - صراخ، ضحك، خبط على الخزائن، إيقاع مجلدات، تدافع - ضجيج محموم ومتوتر تنفرد به عصريات الجمعة. كنتُ أشعر أني بحالة جيدة وقوية، وصرتُ أفكر، يجب *أن أجد ليندزي*. سوف لن تصدق ذلك. ستموت من الضحك. وبعدها ستضع ذراعها حول كتفي وتقول، "أنت نجمة روك، سامانثا كينغستون"، سيكون كل شيء على ما يرام. وفي نفس الوقت كنتُ أيضاً أنظر بحثاً عن كاتي كارجوللو - أثناء جلوسي في مكتب الانسة وينترز تذكّرتُ أننا لم نتبادل أحذيتنا ثانية، وأني لا أزال ألبس حذاءها الأسود الضخم.

خرجت من البوابة الرئيسية. البرد سبب لي وخزاً في عيني، وألماً حاداً في صدري. شهر شباط هو حقاً أسوأ الأشهر. أكثر من خمس باصات تقف في الصف بجوار الكافيتريا، والمحركات تزأر وتشخر، مطلقة سحابة سوداء هائلة من عوادمها. ومن وراء الزجاج المتسخ كانت الوجوه الشاحبة لطلاب السنوات الأدنى - وجميعهم غائر في مقاعدهم على أمل ألاّ يراهم أحد - عديمة الملامح ومتقلبة، وتبرز منها أعين كبيرة حزينة مثل شيء من فيلم كرتون أو من كابوس. بدأت أعبر موقف هيئة التدريس باتجاه موقف آلي الخروج، وحين أصبحت في منتصف الطريق رأيت سيارة رانج روفر ذات مؤخرة ضخمة - وتصدح منها أغنية "لا مزيد من الدراما" - تخرج من الممر الضيق وتأخذ طريقها باتجاه الموقف العلوي. توقفت، وكل المشاعر الجيدة التي كانت تعتمر فيّ تلاشت بسرعة ودفعة واحدة. لم أكن طبعاً أتوقع من ليندزي أن تقف بانتظاري، لكن ربما كنت في أعماقي آمل ذلك. ثم كانت الصدمة: ما من وسيلة مواصلات، لا مكان ألجأ إليه. وآخر مكان أرغب في الوجود فيه هو المنزل. وعندها بدأت، برغم الجو المتجمد، أشعر بالحرارة تتصاعد من أصابعي وتسري في عظامي.

هذا أغرب شيء. أنا محبوبة جداً - حقاً محبوبة - لكن ليس لدي أصدقاء كثر. والأغرب من ذلك كله أنها المرة الأولى التي ألاحظ فيها ذلك.

"سام!".

التفتّ حولي فرأيت تارا فلوت، بيثاني هاربس، وكورتني ووكر متجهاتٍ نحوي. كنّ معتادات على التجول معاً، ومع أننا كنا أصدقاء إلى حد ما معهن جميعاً، كانت ليندزي تسميهن فتيات البوغ (نوع من

الكلاب صغير الحجم وأفطس الوجه): جميلات من بعيد، قبيحات عن قُرب.

"ماذا تفعلين؟" كانت تارا تمتاز بابتسامتها الدائمة، وكأنها تُقدّم باستمرار تجربة أداء لمعجون أسنان 'كريست'، وقد وجهتها نحوي الآن. "وكأن، الحرارة، تحت الصفر بألف درجة".

أزحت شعري فوق أحد كتفي، محاولة إظهار عدم الاكتراث. آخر ما أحتاجه هو أن تعرف مجموعة البوغز أني مُخاصمة. "يجب أن أخبر ليندزي بشيء"، وأشرت بيدي باتجاه الموقف. "كانت هي والبنات مضطرات للذهاب بدوني - نوع من الخدمات الاجتماعية يقمن به مرة في الشهر. حجة واهية".

قالت باتني "واهية جداً"، وهي تهز رأسها بقوة. كل ما يمكنني قوله هو أن دورها الوحيد في الحياة هو الموافقة على كل ما يُقال.

"تعالي معنا"، وشبكَت تارا يدها في ذراعي وشدّت. "نحن ذاهبات إلى 'لا فيلا' للتسوق. وبعدها على الأرجح أن نذهب إلى حفلة كينت. ما رأيك؟

بدأت أستعرض بسرعة خياراتي: المنزل مستبعَد قطعاً. لن يكون مرحباً بـي في منزل آلي. لقد قالت ليندزي ذلك صراحة. ثم هناك روب... يجلس على الأريكة وهو يعزف أغنية 'بطل الغيتار'، يتودد بعض الشيء، متظاهراً أنه لا يلاحظ حين يمزق صدرية أخرى لأنه لم يعرف كيف يفك المشبك. يتكلم ويلوّح بينما يحزم والداه أغراضهما في السيارة لقضاء العطلة. بيتزا وبيرة فاترة من مخزن الكاراج بمجرد أن يذهبا. ثم مزيد من التودد. كلا، شكراً.

أجريت مرة أخرى مسحاً لموقف السيارات، بحثاً عن كاتي. أشعر بشيء من الانزعاج لذهابـي بحذائها

- لكن بالمقابل، لا يبدو لي أنها تبذل جهداً للبحث عني. وعلاوة على ذلك كانت ليندزي تقول دائماً إن حذاءً جديداً يمكن أن يغير حياتك، فإذا كنتُ يوماً بحاجة إلى تغيير حقيقي في حياتي - أو ما بعد حياتي، أو مهما يكن - فهو الآن.

قلت لهن "هذا رائع"، فحاولت تارا أن توسع ابتسامتها أكثر قليلاً، فظهرت الأسنان ناصعة البياض كالعظام.

لدى مغادرتنا المدرسة أخبرتُ فتيات البوغ - حاولت لكنني لم أستطع تسميتهم بغير هذا الاسم - عن مشواري إلى مكتب الآنسة وينترز وكيف نجوت حتى من الاعتقال حين وعدتها بأني سأتلف صور جلستها الغرامية في مكتب الأستاذ أوتو (هذا تلفيق طبعاً - لأنه ليس لدي أي دليل على علاقتهما، فما بالك بصورة رقمية). صارت تارا تلهث من شدة الضحك، وكورتني كانت تنظر إلي وكأني شفيتُ مريضاً بالسرطان أو طوّرتُ دواءً يساعد على النمو، أما بيثاني ففغَرت فمها وقالت عبارة لم أفهمها، لكنها قطعاً أكثر عبارة مبتكرة أسمعها تقولها يوماً. كل ذلك حسّن مزاجي وأعاد إلي الثقة من جديد، فذكّرتُ نفسي بأن اليوم هو يومي: يمكنني أن أفعل ما يحلو لي.

"تارا؟"، وانحنيت إلى الأمام. سيارة تارا هي من نوع سيفيك صغيرة ببابين، وكنتُ أنا وبيثاني محشورتين في المقعد الخلفي. "هل يمكننا التوقف لثانية عند منزلي قبل أن نتابع إلى المتجر؟".

"طبعاً"، وها هي ابتسامتها من جديد، تنعكس على المرآة الأمامية وكأنها قطعة من السماء. "هل تريدين ترك شيء هناك؟".

صححتُ لها، "بل أريد /خذ شيء من هناك"، وأنا

أرد لها الابتسامة بأوسع ما أستطيع.

كانت الساعة بحدود الثالثة، فتوقعتُ أن تكون أمي قد عادت من جلسة اليوغا وعلى الأرجح أن سيارتها ستكون في المدخل عند وصولنا إلى المنزل. بدأت تارا تتوقف خلف سيارة أمي الأكورد، لكني ربّتُ على كتفها وأشرتُ إليها بأن تتقدَم قليلاً إلى لأمام. تمهلت تارا عند جانب الطريق إلى أن أصبحنا مخفيات خلف الشجيرات الدائمة الاخضرار التي طلبت أمي من البستاني زراعتها قبل عد سنوات، بعد أن اكتشفت أن جارنا في ذلك الحين، السيد هورفيرلي، كان يحب التجول ليلاً حول منزله وهو عارٍ تماماً. وهذا يشبه كثيراً الحل لأية مشكلة قد تواجهها في الضواحي: ازرع شجرة، وتأمل ألا ترى الملكية الخاصة لأي أحد.

قفزتُ من السيارة والتففتُ إلى جانب المنزل، وأنا أصلي ألا تكون أمي تنظر من إحدى النوافذ في غرفة الاستراحة أو مكتب والدي. كنتُ أراهن على احتمال أن تكون في الحمام، تأخذ واحداً من حماماتها الطويلة الشهيرة قبل أن تذهب لإحضار إيزي من صالة الجمباز. وكما توقعت، فحين أدرتُ المفتاح في الباب الخلفي ودلفت إلى المطبخ سمعتُ صوت تدفق الماء في الطابق العلوي وبعض النغمات العالية: أمي تغني. تريثتُ لجزء من الثانية، وكانت كافية لأعرف اللحن - فرانك سيناترا، "نيويورك، نيويورك"- وشكرتُ الله على أن فتيات البوغ لا يسمعن أداء والدتي الارتجالي. ثم مشيت على رؤوس أصابعي إلى غرفة الغسيل حيث تضع والدتي في العادة جزدانها الضخم. كان ملقياً على جانبه وقد تدحرجت منه بعض القطع النقدية ولفافة معطر الأنفاس ووقعت على الغسالة،

وزاوية محفظتها تبرز شيئاً ما من تحت حزام الكتف الجلدي السميك. سحبت المحفظة بحذر، مصغية طوال الوقت لإيقاع الماء في الطابق العلوي، ومستعدة للانسحاب والهرب بمجرد توقفه عن الجريان. محفظة والدتي تعمها الفوضى، ومحشوة بالصور - إيزي، أنا، أنا وإيزي، بيكل ترتدي زي بابا نويل - وصفات، بطاقات عمل، وبطاقات ائتمان.

بطاقات الائتمان تحديداً.

سحبت بطاقة آمكس. والداي لا يستخدمانها إلا للمشتريات الرئيسية ولذلك ما من طريقة لتلاحظ والدتي أنها مفقودة. راحت يداي تتصببان عرقاً وقلبي يخفق بقوة لدرجة الألم. أغلقت المحفظة بهدوء وأعدتها إلى الجزدان، مع التأكد من وضعه كما كان تماماً.

من الأعلى سمعت دفقة أخيرة من الماء، صوت صرير نتيجة اهتزاز الأنابيب وهي تجف، ثم صمت. توقفت مقطوعة سيناترا التي تغنيها والدتي. استولى الذعر عليّ للحظة فلم أعد أقوى على تحريك قدمي. سوف تسمعني. ستمسك بي. ستراني وبيدي بطاقة آمكس. ثم بدأ الهاتف يرن، وسمعت وقع خطواتها يتجه خارجاً من الحمام، عابراً الرواق، وسمعتها تصيح "آتية، آتية".

في تلك اللحظة كنت قد انتهيت، متسللة من غرفة الغسيل، عابرة المطبخ، وخارج الباب الخلفي - وأركض، أركض، أركض حول الجهة الجانبية للمنزل، والعشب المغطى بالجليد يتكسر تحت قدمي، وأحاول الإحجام عن الضحك، ممسكة ببطاقة آمكس البلاستيكية الباردة بقوة لدرجة أني حين فتحت يدي لاحقاً كانت قد تركت أثراً على راحتي.

في الظروف الطبيعية كنت أتبع معايير صارمة في

الإنفاق داخل المول: كان والداي يعطياني مرتين في السنة خمسمائة دولار لشراء ملابس جديدة، وفوقها يمكنني أن أشتري كل ما أحتاجه لمجالسة إيزي أو للقيام ببعض الأعمال الخدمية التي يطلبها مني والداي، مثل تغليف الهدايا المخصصة للجيران في أيام الميلاد أو جمع أوراق الشجر في تشرين الثاني أو مساعدة والدي في فتح مصارف المياه. أعرف أن مبلغ خمسمائة دولار يبدو كبيراً، لكن ما رأيك أن حذاء آلي 'الباربري' يكلف هذا المبلغ تقريباً - وهي تلبسه في المطر. *في رجليها*. لهذا لا أتمادى كثيراً في التسوق، ولا أجد فيه تلك المتعة الكبيرة، وخاصة حين تكون أعز صديقاتك هما آلي، التي تحمل بطاقة ائتمان كارتر غير محدودة السقف، وليندزي، التي يحاول زوج والدتها إرضاءها مهما كلف الأمر.

اليوم لم أشعر بتلك المشكلة.

الوقفة الأولى كانت في قسم بيبي، وهناك انتقيث ثوباً رائعاً بحمالات على الكتفين كان ضيقاً جداً حتى اضطررث لابتلاع معدتي كي أتمكن من ارتدائه، وحتى بعدها كان لا بد من دخول تارا إلى غرفة تبديل الملابس لمساعدتي في سحب السحاب في آخر سنتمترين. أعجبني نوعاً ما تناسق حذاء كاتي مع الثوب، وكان فعلاً مثيراً وضخماً، فبدوث مثل قاتلة محترفة في لعبة فيديو أو بطلة في فيلم تشويق. فصرت أؤدي حركات 'ملائكة تشارلي' مقابل المرآة، أصنع شكل مسدس بأصابعي، وأصوب على صورتي في المرآة، وأضغط على الزناد، وأتخيل انفجاراً.

كورتني كادت تفقد صوابها حين سلّمث بطاقة الائتمان دون أن أنظر إلى المجموع، ولا حتى

بطرف عيني، إذ من الصعب تجاهل الرقم الأخضر $302.10 على صندوق المحاسبة وهو يومض أمامي وكأنه يتهمني بشيء ما. انتفضت معدتي قليلاً حين مررت موظفة المحاسبة الفاتورة إلي لتوقيعها، لكني أعتقد أن كل تلك السنوات التي كنت أزوّر فيها ملاحظات طبيبي الخاص وحجج التأخير جاءت بثمارها لأني أصبحت ماهرة في تزوير توقيع والدتي، وها هي موظفة المحاسبة تبتسم وتقول "شكراً لك سيدة كينغستون"، وكأني فعلت معها معروفاً. بتلك البساطة مشيت وأنا أحمل أجمل فستان أسود ملفوف بنسيج ورقي وموضوع في كيس تسوق أبيض. الآن عرفت لماذا تحب آلي وليندزي التسوق. إنه أفضل بكثير حين يكون بإمكانك الحصول على كل ما تريده.

قالت كورتني، "أنتِ محظوظة جداً إذ أعطاكِ والداكِ بطاقة ائتمان"، وهي تهرول خلفي لدى مغادرتنا المتجر. "كنت أتوسل للحصول على واحدة منذ سنوات، لكنهما قالا إن عليّ الانتظار حتى أدخل الجامعة".

أجبتها، "لا يمكنكِ تماماً القول إنهما أعطياني إياها"، وأنا أرفع أحد حاجبي في وجهها. فما كان منها ألا أن فتحت فمها.

"يستحيل"، وهزّت كورتني رأسها بسرعة حتى أصبح شعرها البني يتطاير. "يستحيل. أنت لم - هل تقولين أنك سرقتها -؟".

"ه". مول 'لا فيلا' مصمم على الطراز الإيطالي، ولهذا فهو كبير جداً، وفيه نوافير رخامية وممرات حجرية، وجميع الأصوات فيه ترتد وتمتزج ببعضها فيصبح من المستحيل معرفة ما يقوله الناس ما لم يكونوا واقفين بجوارك تماماً، لكن وإن يكن. ما من

سبب يدعو الآن للمغالاة في تسمية الأمور. "على كلٍ، أنا أفضّل تسميتها استعارة".

"كان والداي ليشنقاني"، واتسعت عينا كورتني بشكل يدعو إلى القلق من أن كرتي عينيها ستسقطان. "كانا ليضرباني حتى الموت".

"بالتأكيد"، قالت بيثاني.

بعدها قصدنا متجر ماك، وهناك قام بتزييني شاب اسمه ستانلي أكثر نحولاً مني، بينما كانت فتيات البوغ تجرّب ظلالاً مختلفة للعينين وتعرّض للتوبيخ لاستخدامهن أصابع أحمر شفاه غير مستخدمة. أنا اشتريث كل ما استخدمه ستانلي علي: مسحوق أساس، مسحوق لإخفاء العيوب، بودرة لإعطاء لون برونزي، أساس لظل العينين، ثلاثة ألوان من ظل العينين، لونين من تخطيط العينين (واحد أبيض لما تحت العين)، ماسكارا، تخطيط للشفاه، أحمر شفاه، أربع فراشٍ مختلفة، وأداة لحني الأهداب. كان ذلك يستحق التكلفة، إذ غادرث وأنا أبدو مثل عارضة مشهورة، ولاحظث كيف يحدق بـي الناس ونحن نتجول في أرجاء المول. مررنا بقرب مجموعة من الشبان لا بد أنهم على الأقل في الجامعة، فتمتم أحدهم "مثيرة". كانت تارا وكورتني تسيران إلى جانبيّ وبيثاني تلحق بنا، وفكرث في قرارة نفسي: *لا بد أن هذا هو ما تشعر به ليندزي طوال الوقت*.

وجهتنا التالية كانت متجر نيمان ماركوس: مكان لا أدخله إلا حين تسحبني إليه آلي عنوة، فكل غرض فيه يكلف مليار دولار. صارت كورتني تجرب القبعات الكلاسيكية الغريبة وبيثاني تلتقط لها صوراً وتهددها بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي. أنا اخترت السترة القصيرة الخضراء

المكسوة بفرو اصطناعي، والتي جعلتني أبدو وكأني ماضية إلى حفلة خاصة في مكان ما، وقرطين كشمعدانين من الفضة والعقيق.

العقبة الوحيدة التي واجهتها كانت حين طلبت المرأة على صندوق المحاسبة - إيرما، كما تشير بطاقتها - رؤية بطاقة هويتي.

"بطاقة الهوية؟" ورمشت إليها بكل براءة. "لم أعد أحملها معي إطلاقاً. في العام الماضي سُرقت مني".

حدّقت إلي لبرهة وكأنها تفكر بتجاوز الموضوع، ثم نفخت بالوناً من علكتها وابتسمت ابتسامة مصطنعة. دفعت السترة والقرطين إلى جانب الجهاز. "آسفة، إيلين. بطاقة الهوية مطلوبة من أجل المشتريات التي تتجاوز المائتين والخمسين دولاراً.

"أفضّل أن تناديني سيدة كينغستون". وبادلتها نفس الابتسامة المصطنعة. العاهرة. نفخ العلكة تلك هو خدعةٌ؟ ليندزي هي من اخترعها.

وأيضاً، كنت لأكون زانية أيضاً لو أسماني والداي إيرما.

وفجأة جاء الإلهام. بحثت في حقيبتي إلى أن وجدت بطاقة عضويتي في نادي هيلدبريدج للسباحة والتنس، صالة ألعاب أمي. أقسم أن الأمن هناك أشد مما هو عليه في المطار - وكأن السمنة في أميركا هي مؤامرة إرهابية، والشيء التالي الذي يجب أن تمر عليه هو أجهزة التنحيف الوطنية - وعلى البطاقة صورة صغيرة لي، رقم الانتساب، واسمي مع الأحرف الأولى: كينغستون، إس، إم.

تبدّلت ملامح إيرما. "ماذا يعني الحرف إس؟".

فجأة بدأت الحازوقة وتوقف عقلي بالكامل. "ام - سيفيروس".

حذقت إلي. "كما في هاري بوتر؟".

"في الحقيقة، إنه ألماني". ما كان ينبغي أبداً أن أقرأ تلك الكتب الغبية لإيزي. "يمكنك أن تري لماذا ينادوني باسمي الأوسط".

ظلّت إيرما مترددة، وهي تعض على زاوية شفتها. كانت تارا تقف بجواري تماماً، وهي تمرر أصابعها على بطاقة آمكس وكأنها ستمحو سطر الاسم. ثم انحنت إلى الأمام وقهقت.

"أنا واثقة أنكِ تفهمين"، وأطالت تارا النظر، كما لو أنها تحاول بجهد معرفة الاسم على البطاقة من مسافة نصف متر. "إنه إيرما، أليس كذلك؟".

جاءت كورتني من خلفنا، مرتدية طاقية ذات إبريم عريض تبرز من جانبها ريشات طائر طويلة. "هل حدث أن ناداكِ الناس *ورما* حين كنتِ صغيرة؟ أو سكويرما؟".

طوَت إيرما شفتيها حتى كادتا تختفيان، أخذَت البطاقة، ومررتها.

قلت لها "'غوتن تاغ' (نهارك سعيد)": العبارة الألمانية الوحيدة التي أعرفها.

ظلّت تارا وصحبها يضحكن بشأن إيرما ونحن نغادر مرأب 'لا فيلا'. "لا أصدق ذلك"، ظلّت كورتني تكررها، وهي تنحنى إلى الأمام لتراني، كما لو أني كنت سأختفي فجأة. هذه المرة أعطوني المقعد المجاور للسائق تلقائياً. "أكاد لا أصدق ذلك".

سمحت لنفسي بابتسامة صغيرة وأنا أستدير إلى النافذة، وللوهلة الأولى ذهلت من الانعكاس الذي رأيته: عينان قاتمتان واسعتان، دخان وظل، وأحمر شفاه صارخ. للحظة لم أتعرّف على نفسي.

قالت تارا، "أنت وسيمة جداً"، ثم دفعت بيدها على

عجلة القيادة وصارت تشتم حين تجاوزت الإشارة.

"أرجوك"، ولوّحت يدي في الهواء مستبعدة الفكرة. كنت أشعر أني على خير ما يرام، وأكاد أشعر بالسرور لكوننا تشاجرنا أنا وليندزي هذا الصباح.

"أوه، اللعنة، محال"، وضربتني كورتني على كتفي حين توقفت بجانبنا سيارة شيفروليه تاهوي ضخمة تصدح الموسيقى منها. مع أن الحرارة بحدود التجمد، كانت كل النوافذ مفتوحة: إنهم طلاب الجامعة الذين رأيناهم في مول 'لا فيلا'، أولئك الذين تحرشوا بنا، أو بالأحرى تحرشوا بـي. كانوا يضحكون ويتقاتلون على شيء ما في السيارة - صرخ أحدهم، "مايك، تلك هي مدللتك" - متظاهرين أنهم لا يروننا، كما يفعل الشبان حين يكونون على أحر من الجمر للنظر.

قالت تارا، "إنهم مثيرون جداً"، وهي تنحني فوقي لتحصل على رؤية أفضل، ثم تعود بسرعة إلى عجلة القيادة.

"يجب أن تحصلي على رقمهم".

"عفوا؟ إنهم أربعة".

"إذاً، على أرقامهم".

"جميعاً".

قلت لهن، "سوف أصعقهم"، واستولت علي السعادة فجأة من روعة الفكرة وبساطتها: سوف أفعلها. إنها أسهل وأفضل بكثير من القول *ربما يستحسن* أو *هل سنواجه المتاعب*؟ أو آه يا إلهي، لا يمكنني *إطلاقاً*. نعم. ثلاثة أحرف. استدرت نحو كورتني وقلت لها، "هل تتحدَينني؟".

عادت تجحظ بعينيها من جديد، أما تارا وبيثاني فكانتا تحدقان بـي وكأنه نمت لي مخالب.

قالت كورتني "لن تفعليها".

وقالت تارا "لا يمكنك".

"بلا، يمكنني، وسوف أفعلها".

أنزلت زجاج النافذة، فصفعني البرد، واستولى علي، فصار كل جسدي يخزني وصرت أشعر بكل قطعة مني على حدة. مرفق يهتز هنا، فخذ يتقلص، أصابع ترتعش. الموسيقى الصادرة من سيارة الشبان كانت عالية جداً وآلمت أذني، لكني لا أسمع أي كلمات أو نغمات، فقط الإيقاع، يخفق، ويخفق - عالٍ جداً إلى درجة انعدام الصوت، فقط شعور بالاهتزاز.

"أنتم". في المرة الأولى خرجت الكلمة مبحوحة، فقحت حنجرتي وجربت ثانية. "أنتم، يا شباب".

أدار السائق رأسه باتجاهي. بالكاد كنت أركز فقد كنت متوترة جداً، لكني في تلك اللحظة رأيت فيها أنه في الواقع ليس بتلك الوسامة - لديه سن مكسورة نوعاً ما ويضع قرطاً من حجر الراين على إحدى أذنيه، وكأنه مغني راب أو ما شابه - فأجاب "مرحباً يا حلوة"، ورأيت رفاقه الثلاثة يمدون رؤوسهم باتجاه النافذة للنظر، واحد، اثنان، ثلاثة رؤوس تبرز من خلف النافذة. عندها رفعت قميصي، فخرج هدير وحماس، صوت غناء في أذني - ضحك؟ صراخ؟ - وإذ بكورتني تصرخ "هيا، هيا، هيا"، فصرت عجلات سيارتنا وانطلقت السيارة إلى الأمام، وهي تنزلق نوعاً ما، فصارت الريح تلطم وجهي وعبقت في الأجواء رائحة المطاط المحروق والوقود. عاد قلبي على مهل إلى مكانه من حنجرتي إلى صدري، وعاد الدفء والشعور ثانية إلى جسدي. رفعت النافذة. لا يمكنني وصف المشاعر التي انتابتني حينها، ربما مثل الانتهاء من نوبة ضحك طويلة أو التوقف عن الالتفاف

في دائرة لفترة طويلة. لا يمكنني القول بأنه شعور بالسعادة، لكني راضية به.

"نفسية! *أسطورية!*" قالت كورتني وهي تدفعني بإصبعها من خلف المقعد، أما بيثاني فكانت تهز رأسها وتحاول مد نفسها لتلمسني، وعيناها متسعتان، مبهورتان، كما لو أني قديسة وهي تحاول لمسي لتشفى من مرضها. تارا كانت تصرخ من الضحك، وبالكاد تنظر إلى الطريق، وعيناها تدمعان بغزارة. قالت وهي تكاد تختنق، "هل رأيت وجوههم؟ هل *رأيتها*؟" وعندها لاحظت أني لم أنتبه. لم أكن أرى شيئاً، ولم أكن أشعر بشيء سوى هدير الأصوات من حولي، ثقيل ومرتفع، وبدأت أفكر بأني غير واثقة إن كان هذا هو الشعور بالحياة الحقيقية أم أنه الشعور بالموت، وصدمني ذلك كثيراً. دفعتني كورتني بإصبعها من جديد، ورأيت وجهها يشرق في المرآة الخلفية، أحمر كالشمس، فبدأت أضحك أيضاً وبقينا نحن الأربعة نضحك طوال طريق العودة إلى ريدجفيو - أكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً - بينما العالم يتلاشى من حولنا بخطوط طويلة باللونين الرمادي والأسود، وكأنه لوحة قبيحة لذاته.

توقفنا عند منزل تارا لنبدل ملابسنا. ساعدتني تارا مرة ثانية على ارتداء ثوبي الضيق، وبعد أن ارتديت السترة القصيرة ووضعت القرطين وفردت شعري - الذي تجعّد لأنه كان مجدولاً في نصف عقدة طوال اليوم - استدرت نحو المرآة فكاد قلبي يقفز من صدري. أبدو في الخامسة والعشرين على الأقل. أبدو شخصاً آخر. أغلقت عيني وتذكرت وقوفي في الحمام وأنا صغيرة والبخار يرتد عن المرايا وأصلي لكي أتحول. أذكر خيبة الأمل المريرة

في كل مرة أرى فيها وجهي على حاله دون تغيير. لكن حين فتحت عيني هذه المرة نجح الأمر. هاأنذا: مختلفة ورائعة ولا أشبه نفسي.

العشاء على حسابي، طبعاً. قصدنا مطعم 'لا جاردن دو روي' الفرنسي الباهظ حيث جميع النادلين العاملين فيه مثيرون وفرنسيون. طلبنا أغلى زجاجة نبيذ على اللائحة، ولم يطلب منا أحد رؤية هوياتنا، فبدأنا بجولة من الشمبانيا. كانت جيدة جداً، فطلبنا جولة أخرى حتى قبل وصول المقبلات. ثملت بيثاني في الحال وبدأت تجامل النادلين بفرنسية سيئة، إذ كانت قد أمضت الصيف الماضي في بروفنس بفرنسا. لا بد أن نطلب نصف لائحة الطعام: فطائر جبن صغيرة تذوب ذوباناً في الفم، شرائح باتي ثخينة على الأرجح أن فيها من الحريرات أكثر مما تحتاجه لكامل اليوم، سلطة بجبن الماعز ومحار مغمس بالنبيذ الأبيض وشرائح بصلصة البيرنيز وسمكة كاملة لا يزال رأسها متصلاً بها وكريم البروليه وشوكولاته الموس. شعرث أنه أفضل طعام أتذوقه يوماً، وقد أكلث حتى صرث بالكاد قادرة على التنفس، وإني إذا ما تناولت لقمة أخرى فسوف أفسد فستاني. بعدها، وأنا أوقع على الشيك، أحضرَ أحد النادلين (أجملهم) أربع كؤوس صغيرة من الليكيور الوردي *من أجل الهضم*، باستثناء أنه، طبعاً، قالها بالفرنسية.

لم أكن أدرك كمية المشروب التي تناولتها إلى أن وقفث والتفّ بـي العالم بجموح للحظة، كما لو أنه يحاول إيجاد توازنه، وقلث في نفسي ربما أن *العالم* ثمل، وليس أنا، وبدأت أقهقه. ها نحن الان في الخارج... في الهواء المتجمد وقد ساهم في صحوتي قليلاً.

t.me/yasmeenbook

تفقدت هاتفي فرأيت رسالة من روب. *كيف حالك؟ لدينا خطة من أجل الليلة.*

نادتني كورتني "هيا، سام"، وكانت هي وبيثاني قد تسلقتا إلى المقعد الخلفي لسيارة السيفيك. إنهن بانتظاري لأجلس في المقعد المجاور للسائق من جديد. "وقت الاحتفال".

كتبت على عجل رسالة إلى روب. *لا زال الاتفاق سارياً. أراك قريباً.*

ثم صعدت إلى السيارة، وتوجهنا إلى الحفلة.

لدى وصولنا كانت الحفلة قد بدأت لتوها، فذهبت مباشرة باتجاه المطبخ. ولما كان الوقت لا يزال مبكراً ولم يزدحم الناس بعد لاحظت آلاف التفاصيل في الغرف لم أكن قد رأيتها سابقاً. المكان مكتظ بتماثيل خشبية صغيرة ولوحات زيتية غير تقليدية وكُتب قديمة جديرة أن توضَع في متحف.

الإنارة في المطبخ كانت قوية وكل شيء يبدو حاداً ومنفصلاً، وهناك برميلان عند مدخل الباب مباشرة، ومعظم الناس متجمعون هنا. الشبان هم الأغلبية في هذه المرحلة، إضافة لبعض فتيات السنة الثانية. كانوا موزعين في مجموعات، يمسكون كؤوسهم البلاستيكية وكأنها تحتوي كامل طاقتهم الحيوية، وابتساماتهم عريضة لدرجة توحي بأن وجناتهم تؤلمهم.

"سام". رآني روب وتردد قليلاً بمجرد أن توجهت نحوه. شق طريقه نحوي، ثم أسندني إلى الحائط ووضع يديه على جانبي رأسي وكأني أصبحت رهينته. "لم أعتقد أنك سوف تأتين".

"أخبرتك أني قادمة"، ووضعت يدي على صدره فشعرت بنبضات قلبه المتقطعة تحت أصابعي. لكني لسبب ما شعرت بالحزن. "هل وصلتك

رسالتي؟".

هز كتفيه مستهجناً. "كنت تتصرفين بغرابة طوال اليوم. ظننت أن وردتي لم تعجبك".

أحبكِ (luv ya)، كنت قد نسيت هذا الأمر؛ نسيت كم كنت مستاءة من ذلك. لكن لم يعد أي من ذلك مهماً. إنها مجرد كلمات بكل الأحوال. "الوردة ظريفة".

ابتسم روب ووضع إحدى يديه على رأسي، وكأني هرة. ثم قال "تبدين مثيرة، صغيرتي. هل تريدين بيرة؟".

أومأت برأسي موافقة. كان مفعول النبيذ الذي تناولته في المطعم قد تلاشى، وأشعر أني صاحية تماماً ومدركة لكامل جسدي، وذراعاي تتدليان هناك مثل ثقل ميت. كان روب قد بدأ بالالتفاف حين توقف وهو يحدق في حذائي. نظر إلي، وعلى وجهه أمارات ذهول وحيرة. "ما هذا؟"، وأشار إلى حذاء كاتي.

"حذاء"، وحركت إصبع قدمي لكن الجلد لم يتزحزح أبداً. أسرّني ذلك لسبب ما. "هل أعجبك؟".

تغيرت ملامح روب. "يبدو وكأنه حذاء عسكري أو ما شابه".

"حسنٌ، *أنا* أحبه".

هزّ رأسه. "هذا لا يشبهكِ، صغيرتي".

فكرت بجميع الأشياء التي فعلتها اليوم وسوف تصدم روب: التغيب عن جميع الحصص، تقبيل الأستاذ ديملر، تدخين الحشيشة مع كاتي كارجوللو، سرقة بطاقة اعتماد أمي. أشياء لا *تشبهني*. لم أكن واثقة حتى مما يعني ذلك؛ ولست متأكدة كيف أنه يعرف". جزبت في ذهني أن أجمع كل ما فعلته

في حياتي، لكني لم أحصل على صورة واضحة، لا شيء يمكن من خلاله أن أعرف من أي نوع من الأشخاص أنا - فقط كثير من الضبابية والحواف المتبددة، وذكريات مشوشة من الضحك والتجول بالسيارة. شعرث وكأني أحاول أخذ صورة في الشمس: لكن جميع الناس في ذاكرتي انمحت معالم وجوههم وقد تبدلت صورهم.

قلث له، "أنت لا تعرف كل شيء عني".

ضحك قليلاً. "أعرف أنك تبدين جميلة وأنت غاضبة"، وضغط بإصبعه بين عينيّ. "لا تقطبي كثيراً، وإلا ستصبح لديك تجاعيد".

قلث له، "ماذا بشأن تلك البيرة؟"، وشكرث الله حين استدار مبتعداً. كنث آمل أن أشعر بالاسترخاء لدى رؤيته، لكني بدلاً من ذلك أشعر بالعصبية.

حين عاد روب حاملاً البيرة، أخذت كوبي وصعدث إلى الطابق الأعلى.

في نهاية الدرج كدث أصطدم بكينت، لكنه خطا بشكل سريع إلى الخلف حين رآني.

"عفواً"، قلناها سوية في نفس الوقت، وشعرث بوجهي وقد احمرّ.

ثم أردف، "لقد أتيتِ"، وبدت عيناه أكثر اخضراراً من أي وقت. على وجهه كان يرتسم تعبير غريب - فمه معوجَ وكأنه يمضغ شيئاً لاذعاً.

"بدا لي أنه المكان الذي أرغب أن أكون فيه"، ونظرث بعيداً على أمل أن يكفّ عن التحديق بي. بطريقة ما عرفث أنه بصدد قول شيء مريع. سيقول ثانية أنه يستطيع الرؤية من خلالي. فبدأت تلح عليَ رغبة مجنونة بسؤاله عما يراه - كما لو أن باستطاعته مساعدتي في اكتشاف نفسي. لكنني

خائفة من جوابه.

نظر إلى قدميه. "سام، أريد أن أقول...".

"كلا"، ورفعت يدي. ثم اعترتني صدمة: إنه يعرف ما حدث مع الأستاذ ديملر. يمكنه أن يقول. أعرف أن هذا جنون، لكن اليقين التام جعل رأسي يدور، فمددت يدي محاولة الاستناد إلى الدرابزين. "إن كان ذلك بشأن ما حدث في حصة الرياضيات فأنا لا أريد سماعه".

رفع رأسه ونظر إليَ ثانية، وقد اعتدل شكل فمه. "ماذا حدث؟".

"لا شيء"، وغدت أشعر من جديد بثقل الأستاذ ديملر يضغط علي، وحرارة فمه الممسك بفمي. "هذا ليس من شأنك".

"ديملر مجرد سلة من القذارة، أنتِ تعلمين. يجب أن تبقي بعيدة عنه". كان ينظر إلي مواربة. "أنتِ جيدة جداً في ذلك".

رحت أفكر بالملحوظة التي طارت وحطّت على مقعدي سابقاً. كنت أعرف أنها منه. وفكرة أن كينت ماكفولر يشعر بالأسف علي، ويعاملني بازدراء، جعلَت شيئاً ما ينكسر بداخلي.

اندفعت بالقول، "لست مضطرة لإيضاح أي شيء لك أنت. حتى أننا لسنا أصدقاء. نحن كنا - نحن كنا لا شيء".

تراجع كينت خطوة للوراء، وأطلق صوتاً ما بين الشخير والضحك. "أنت حقاً غير معقولة، أتعرفين ذلك؟"، وهز رأسه باشمئزاز أو حزن، أو ربما الاثنين معاً. "لعل الجميع محق بشأنك. ربما أنت مجرد شخص ضحل -"، وأحجم عن المتابعة.

"ماذا؟ ضحل؟". شعرت برغبة في صفعه لأجعله

ينظر إلي، لكنه ظل ينظر باتجاه الحائط. "حقيرة ضحلة، صحيح؟ هل هذا ما تراه؟".

عاد من جديد لينظر في عيني، وكانت عيناه صافيتين ومتبلدتين وقاسيتين، مثل صخرة. تمنيت الآن لو أنه لم ينظر إلي إطلاقاً. "ربما. ربما كما قلت أنت. نحن لسنا أصدقاء. نحن لسنا أي شيء".

"حقاً؟ حسنٌ، على الأقل أنا لا أتسكع متظاهرة بأني أفضل من أي أحد آخر"، وانفجرت دون أن أستطيع التوقف "أنت لست كاملاً، تعرف ذلك. وأنا واثقة أنك ارتكبت أخطاءً. وأنك لا تزال ترتكب الأخطاء". لكني بمجرد قولي ذلك بدأت أشعر بأن ذلك غير صحيح. فقط عرفتُ ذلك بطريقة ما. كينت ماكفولر لا يرتكب أخطاءً، أو على الأقل هو لا يسيء إلى الآخرين.

هنا بدأ كينت يضحك من قلبه، "أأنا هو من يتظاهر بأنه أفضل من الآخرين؟" وضاقت عيناه. "هذا مضحك حقاً، سام. هل أخبرك أحدٌ سابقاً كم أنتِ مضحكة؟".

"أنا لا أمازحك"، وأمسكتُ بقبضتيّ بجوار فخذيّ. لا أدري سبب كل هذا الغضب منه، لكني كنت قادرة على هزه، أو البكاء. إنه يعرف بشأن الأستاذ ديملر. هو يعرف كل شيء عني، وهو يكرهني لذلك. "لا يجدر بك أن تغيظ الآخرين فقط لأنهم ليسوا، كاملين، أو ما شابه".

فغر فاه، "أنا لم أقل يوماً -".

"ليس ذنبي إن لم أكن مثلك، جيد؟ أنا لا أنهض صباحاً وكلي شعور بأن العالم مكان شاسع مشرق وسعيد، جيد؟ أنا لا أعيش بهذه الطريقة. كما أني لا أشعر أن بالإمكان إصلاحي". كنت أقصد أن أقول، لا

اشعر *أن بالإمكان "إصلاحه"*، لكنها خرجت بالخطأ، وفجأة أصبحت على شفا البكاء، واضطرت لابتلاع أنفاسي كي لا تنهمر دموعي، فابتعدث عن كينت كي لا يراني.

سادت برهة من الصمت بدت أنها تمتد إلى ما لا نهاية، ثم وضع كينت يده على مرفقي للحظة، فكانت لمسته مثل أجنحة شيء أزال عني كل شيء. تلك اللمسة فقط كانت كافية لإعادة الغبطة إلى قلبـي.

"كنث على وشك أن أخبرك: تبدين جميلة وأنتِ ترخين شعرك. هذا كل ما كنث أنوي قوله"، قالها كينت بصوت راسخ وهادئ. استدار من حولي وصولاً إلى أعلى الدرجات، وتوقف في الأعلى تماماً. لكن حين استدار نحوي بدا حزيناً، برغم الابتسامة الصغيرة جداً على شفتيه.

"سام، أنتِ لا تحتاجين للإصلاح". قال تلك الكلمات، لكني كما لو أني لم أسمعها؛ كانت كما لو أنها سرت في كل جسدي دفعة واحدة، كما لو أني أمتصها من الهواء. هو يعرف أن ذلك غير صحيح، وفتحث فمي لأقول له ذلك، لكنه كان قد اختفى أسفل الدرجات، وذاب بين الحشود المتدفقة إلى المنزل. أنا أقل من شخص، ظل، شبح. ولسث متأكدة إن كنث حتى *قبل* الحادثة شخصاً تاماً - هذا ما أدركته الآن. كما أني غير متأكدة من أين بدأ الضرر.

أخذث رشفة من البيرة، وكلي أملي أن أغيب تماماً عن الوعي. كنت أريد أن يسقط العالم من حولي. أخذث جرعة كبيرة أخرى. على الأقل الجعة باردة، لكن طعمها مثل الماء العفن.

"سام!". كانت تارا تصعد الدرجات، وابتسامتها مثل شعاع مصباح كشّاف. "كنا نبحث عنك". حين وصلت للأعلى كانت تلهث، فوضعت يدها اليمنى على معدتها وانحنت على نفسها. كانت تحمل في يدها اليسرى سيجارة، نصف مدخنة. "كورتني تكفّلت بالأمر. لقد وجدت البضاعة الجيدة".

"البضاعة الجيدة؟".

"ويسكي، فودكا، جن، كاسيس، وتوابعها. بوز. البضاعة الجيدة".

أمسكَت بيدي ونزلنا على الدرجات، التي بدأت تحتشد بالناس. الجميع يتحرك في نفس الاتجاه: من المدخل إلى الجعة ثم على الدرجات. في المطبخ اضطرنا للتدافع بين الناس المتجمعين عند برميل البيرة. على الجهة المقابلة للمطبخ هناك باب عليه لافتة مكتوبة بخط اليد. يمكنني تمييز خط كينت.

العبارة تقول: يرجى عدم الدخول.

وهناك ملحوظة مكتوبة بأحرف صغيرة أسفل الصفحة: جدياً، يا رفاق. أنا مضيف الحفل وهذا هو الشيء الوحيد الذي أطلبه. خلفكم تماماً تجدون برميل بيرة!

بدأت بالقول، "ربما لا ينبغي -"، لكن تارا كانت قد انسلت سلفاً عبر الباب فتبعتها.

الجانب الاخر من الباب كان معتماً، وبارداً. الضوء الوحيد يأتي من نافذتين نافرتين ضخمتين تطلان على الحديقة الخلفية.

كنت أسمع قهقهة من مكان ما عميقاً في المنزل، ثم سمعت صوت أحد يرتطم بشيء ما. همس أحدهم "حاذري"، ثم سمعت كورتني تقول "أنت

تحاولين المضي في العتمة".

همست تارا "من هنا". غريب كيف يصبح صوت الناس أنعم في العتمة، وكأنه لا يسعهم غير ذلك.

صرنا في غرفة الطعام. هناك ثريا تتدلى من السقف مثل وردة غير مألوفة، وستائر ثقيلة تتدلى على جانبي النافذة. مررث أنا وتارا بمحاذاة طاولة الطعام - كانت أمي لتصاب بأزمة قلبية من شدة الحماسة، لا بد أنها تتسع لاثني عشر شخصاً على الأقل - ثم عبرنا ما يشبه القنطرة. هناك كان البار. وخلف القنطرة غرفة مظلمة أخرى: يمكنني التنبؤ من خلال الأرائك ورفوف الكتب أنها تشبه المكتبة أو غرفة المعيشة. تساءلث كم من غرفة هناك. يبدو المنزل وكأنه يمتد إلى ما لا نهاية. العتمة هنا أشد، لكن كانت كورتني وبيثاني تنبشان في بعض الخزائن.

قالت كورتني: "لا بد أن هناك خمسين زجاجة". الظلام لا يسمح بقراءة الملصقات، فصارت تفتح كل زجاجة وتشمها، وتخمن محتواها. "أعتقد أن هذا شراب الروم".

قالت بيثاني "منزل فظيع، هاه؟".

قلث بسرعة "أنا لا أكترث"، دون أن أعرف سبب موقفي الدفاعي. أراهن أنه جميل في النهار: غرفة تلو غرفة من الضوء. أراهن أن منزل كينت هادئ دائماً، أو أن الموسيقى الكلاسيكية تصدح فيه دائماً.

صوت زجاج يتحطم وشيء ما رطب يرش ساقي. قفزث بينما همست كورتني "ماذا فعلت؟".

قلث "لسث أنا"، وفي نفس الوقت قالت تارا "لم أقصد ذلك".

"هل هي المزهرية؟".

"أوه. لقد سال شيء منها على حذائي".

"دعونا فقط نأخذ الزجاجة ونخرج من هنا".

دلفنا عائدات إلى المطبخ وإذ بـ آر جي رافنر يصيح "نار في الحفرة!" ومات دورفمان يأخذ كوباً من الجعة ويبدأ بتجرعه. ضحك الجميع وصفق آبـي ماك غيل حين أفرغ الكوب. أحدهم شغّل الموسيقى، فصدح صوت جاي - زد وبدأ الجميع يغني معه. *أنا منحرف، صغيرتي، فقط أريدك أن تعرفي*...

سمعت ضحكات عالية، ثم انطلق صوت من الرواق الأمامي: "رباه، أعتقد أننا وصلنا في الوقت المناسب".

قفزت معدتي وصولاً إلى حنجرتي. ليندزي هنا.

هناك أشياء معينة لا ينبغي قولها إطلاقاً.

سأطلعكم على سر ليندزي الكبير: حين عادت من زيارتها لأخيها من زوج أمها في نيويورك، وكنا حينها في المدرسة المتوسطة، ظلت تتصرف بفظاعة لأيام - تتنمر على الجميع، تسخر من آلي لعاداتها الغريبة في الطعام، تسخر من إيلودي لكونها جذابة وسهلة المنال، وتسخر مني لكوني الأخيرة دائماً في كل شيء، من إبداء الاهتمام بالشبان إلى الانتقال إلى المرحلة الثالثة في العلاقة الجنسية (وهو ما لم أفعله لغاية السنة الثانوية الأولى). كنت أنا وإيلودي وآلي نعرف أن خطباً ما قد حدث في نيويورك، لكن ليندزي لم تكن تخبرنا حين كنا نسألها، ونحن لم نضغط عليها. لا يمكن أصلاً الضغط على ليندزي في أي شيء، فذلك يعقّد الأمور أكثر.

ثم في إحدى الليالي في نهاية العام الدراسي اجتمعنا في مطعم روزاليتا، المطعم المكسيكي المتواضع في البلدة والذي لا يسأل عن العمر، وكنا

نشرب المارغاريتا بانتظار وصول عشائنا. لم تكن ليندزي تأكل - وفي الحقيقة كانت مقلّة كثيراً في طعامها منذ عودتها من نيويورك. لم تلمس الرقائق المجانية زاعمة أنها غير جائعة، وبدلاً من ذلك كانت تغمس إصبعها في الملح الملتصق على حواف كأس المارغاريتا وتأكل الحبيبات واحدة تلو أخرى.

لا أذكر ما كنا نتحدث عنه حينها، لكن على حين غرة انتفضت ليندزي وقالت "لقد مارست الجنس". هكذا بكل بساطة. خيّم علينا الصمت جميعاً ونحن نحدق بها، ثم انحنت للأمام وبدأت تخبرنا بأنفاس متقطعة كيف كانت ثملة وكيف أن أخاها من زوج أمها لم يكن جاهزاً لمغادرة الحفلة فاقترح عليها الشاب - سيّئ الذكر - أن يتمشى معها إلى دورم حيث كانت تقيم مع أخيها. وهناك مارسا الجنس على سرير أخيها الطويل المزدوج بينما ليندزي شبه مخدرة، ليرحل بعدها الشاب - سيّئ الذِكر - حتى قبل عودة أخيها من الحفلة.

في النهاية قالت، "لم يستغرق ذلك أكثر من ثلاث دقائق"، وعرفت حينها أنها قد صنّفت ذلك تحت بند 'الأشياء التي لا ينبغي التكلم عنها إطلاقاً'، وأنها أبعدت الموضوع إلى زاوية بعيدة في ذهنها وأنها تحاول تكديس قصص أخرى فوقها، قصص أفضل: لقد ذهبت إلى نيويورك وأمضيت أوقاتاً رائعة. يوماً ما سأنتقل لأعيش هناك. قبلت هناك شاباً، وأراد أن يأتي معي إلى المنزل لكني لم أسمح له.

بعد ذلك مباشرة وصل الطعام. بدا على ليندزي ارتياح كبير بعد إخبارنا - ولو أنها جعلتنا نُقسم بحياتنا على الحفاظ على السرية - وتبدّل مزاجها في الحال. أعادت صحن السلطة الذي كانت طلبته ("وكأني أرغب في ابتلاع قذارة ذلك

الأرنب") وطلبت كعكات الذرة مع الجبن والفطر (كويساديلا)، كعكات الذرة مع لحم الخنزير (بوريتو) مع كثير من الكريم الحامض والغوكامول، ومقبلات مقلية من أجل الطاولة، وجولة أخرى من المارغاريتا. كما لو أن ثقلاً قد انزاح عن صدرها، وكان أفضل عشاء نمضيه لسنوات. جميعنا امتلأت وجوهنا، حتى آلي، وشربنا كأس مارغاريتا تلو آخر بنكهات مختلفة - المانغو، توت الغليق، البرتقال - وضحكنا بأصوات عالية حتى طلبت أكثر من طاولة الانتقال إلى قسم آخر من المطعم. لا أذكر كل ما تحدثنا عنه، لكن في إحدى اللحظات أخذت آلي صورة لإيلودي وهي تضع كعكة على رأسها وتحمل زجاجة من الصلص الحار. في زاوية الصورة كان يظهر جزء من ليندزي وهي ملتفة على نفسها ومنهارة من شدة الضحك، ووجهها أرجواني فاتح، وتمسك معدتها بإحدى يديها.

بعد العشاء وضعت ليندزي بطاقة ائتمان والدتها لتدفع ثمن كل شيء. من المفترض بها أن تستخدمها في الحالات الطارئة فقط، لكنها انحنت على الطاولة وجعلتنا نمسك بأيدي بعضنا كما لو أننا نصلي، وقالت "هذه، يا صديقاتي، حالة طارئة"، فضحكنا جميعاً لأنها كانت ميلودرامية كعادتها. كانت الخطة أن نذهب للاحتفال في المشتل: تقليد نتبعه في أول عطلة دافئة من السنة. وكان أمامنا الليل بطوله، والجميع بمزاج جيد، وقد عادت ليندزي لطبيعتها ثانية.

دخلت ليندزي إلى الحمام لتصلح مكياجها، وبعد خمس ثوانٍ من مغادرتها الطاولة صدمتنا كل كؤوس المارغاريتا تلك وكل ذلك الضحك دفعة واحدة: لم أشعر يوماً بحاجة ملحة للتبول طوال

حياتي. هرعث إلى الحمام وأنا لا أزال أضحك، بينما راحت إيلودي وآلي ترشقاني بالرقائق نصف المأكولة والمناديل المجعدة وهما تصيحان "أرسلي لنا بطاقة معايدة من شلالات نياغارا" و"إن كانت صفراء، حافظي على استرخائك!"، وهكذا طلبت طاولة أخرى الانتقال إلى مكان آخر.

كان الحمام مخصصاً لشخص واحد، فاتكأت على الباب منادية ليندزي لتسمح لي بالدخول، وأنا أفتل قبضة الباب في نفس الوقت. أعتقد أنها كانت مستعجلة للدخول لأنها لم تقفل الباب بشكل صحيح فانفتح في يدي. هرعث إلى الحمام وأنا لا أزال أضحك، متوقعة أن أجد ليندزي واقفة أمام المرآة بشفاهها المتغضنة وتضع طبقتين من أحمر شفاه 'ماك فيكسن'.

لكن بدلاً من ذلك رأيتها راكعة على الأرض أمام المرحاض وبقايا الطعام طافية على وجه الماء. فتحت الماء لكن ليس بالسرعة الكافية، ورأيت حبتي طماطم كاملتين غير مأكولتين تلتفان مع الماء في المرحاض.

فجأة اختفى كل الضحك، فسألتها "ما الذي تفعلينه؟"، ولو أنه كان واضحاً.

همست، "أغلقي الباب".

أغلقته بسرعة، فاختفت كل ضجة المطعم وساد الصمت.

نهضت ليندزي ببطء وقالت "حسنْ؟"، وهي تنظر إلي وكأنها تُجهّز حججها - وكأنها تتوقع مني اتهامها بشيء ما.

قلت لها، "يجب أن أتبول". كانت حجة ضعيفة، لكن لم يخطر ببالي شيء آخر. كانت هناك قطعة طعام عالقة بخصلة من شعرها ورؤيتها جعلتني

أشعر أني سأنفجر بالبكاء. إنها ليندزي إيدجكوم: إنها درعنا.

قالت لي، "إذاً تبولي"، وبدا عليها الارتياح، ولو أني أعتقد أني رأيت شيئاً آخر يلتمع في عينيها - ربما حزن.

كنتُ قد فعلت. لقد تبولت بينما كانت ليندزي منحنية فوق المغسلة تملأ يديها ماءً وترشف منهما، ثم تغرغر وتبصق الماء. هناك أمر طريف: ربما تعتقدون أنه حين تقع أمور فظيعة سيتوقف كل شيء آخر، كأن ينسى المرء أن يتبول أو يأكل أو يعطش، لكن ذلك غير صحيح في الواقع. كما لو أنك أنت وجسدَك شيئان منفصلان، كما لو أن جسدك يخونك، بشكل ساخر وحيواني، لاهثاً خلف الماء والساندويش واستراحات الحمام في الوقت الذي يتداعى فيه عالمك من حولك.

راقبتُ ليندزي وهي تقشر قطعة من معطر الأنفاس ليستيرين وتضعها في فمها، مع تكشيرة بسيطة. ثم بدأت تعمل على مكياجها، وتضع الماسكارا وأحمر الشفاه. لكن برغم حجم الحمام الصغير كانت تبدو بعيدة جداً عني.

في النهاية قالت، "إنها ليست عادة أو ما شابه، لكن ربما تناولت الطعام بسرعة كبيرة".

قلتُ لها "حسنٌ"، ومنذ ذلك الحين لم أعرف إن كانت تقول الحقيقة.

"لا تخبري آلي وإيلودي، موافقة؟ لا أريدهما أن يرتاعا من أجل لا شيء".

أجبتها "تماماً".

توقفَت، ثم مجّت شفتاها ببعضهما أمام المرآة، وبعدها استدارت نحوي "أنتن يا بنات عائلتي.

تعرفين ذلك، صحيح؟".

قالت ذلك من دون تكلُّف، كما لو أنها تطري على سروالي الجينز، لكني عرفت أن ما قالته اليوم كان الأكثر صدقاً. وتيقنت من أنها *تعني* ذلك حقاً.

بعد المطعم ذهبنا للاحتفال في المشتل كما خططنا. إيلودي وآلي استمعتا بوقتهما كثيراً، أما أنا فأصبت بوعكة في معدتي واضطررت للالتفاف على نفسي على غطاء محرك سيارة آلي. لست متأكدة إن كان الطعام هو السبب، لكني شعرت كما لو أن شيئاً في معدتي كان يحاول شق طريقه للخارج.

ليندزي حظيت بليلة عظيمة: الليلة التي قبّلت فيها باتريك لأول مرة. بعد أربعة أشهر من ذلك، في نهاية الصيف، مارسا الجنس. حين أخبرتنا عن فقدانها عذريتها مع صديقها الحميم - الشموع، البطانية على الأرضية، الأزهار، القصة بكاملها - وكم كان رائعاً أن تكون مزتها الأولى رومانسية جداً، لم يرف لأحدنا جفن، بل اندفعنا لتهنئتها وسؤالها عن التفاصيل وإظهار غيرتنا منها. فعلنا ذلك من أجل ليندزي، كي تكون سعيدة. وكانت هي لتفعل نفس الشيء معنا.

هذه هي قصة أفضل الأصدقاء. هذا ما يفعلونه. إنهم يحمونك حين تكون على حافة الهاوية.

أين بدأ ذلك؟

لا شك أن ليندزي وإيلودي وآلي توجهن إلى الطابق العلوي بمجرد وصولهن - وعلى الأرجح أنهن أحضرن معهن الشراب - لأني لم أراهن ثانية إلى ما بعد ساعة أو أكثر. كنت قد تناولت أربعة أقداح من شراب الروم ويبدو أن أثرها ظهر عليّ دفعة واحدة: الغرفة كانت مثل عالم ضبابـي دوّار من الألوان والأصوات، وكورتني كانت قد أفرغت اخر كأس

من الروم فذهبث إلى البيرة. كان علي التركيز على كل خطوة، وحين وصلث إلى البرميل وقفث هناك للحظة، وقد نسيث ما كنث آتية من أجله.

"بيرة؟". ملأ مات كارنيج كوباً وقدّمه إلي.

قلث له، "بيرة"، وسرني أن الكلمات خرجت واضحة، ولأني تذكرث أن هذا ما أريده.

تلمسث طريقي إلى الطابق العلوي. كانت الأشياء تُسجَّل كدفقات قصيرة، مثل شريط فيلم متقطع: الشعور بالدرابزين الخشبـي الخشن؛ إيما ماك لوري متكئة على الحائط، فمها مفتوح وتلهث - أو ربما تضحك؟ - مثل سمكة عالقة بخطاف؛ أضواء الميلاد تتلألأ، بأضواء مشوشة. لم أكن متأكدة إلى أين أنا ذاهبة أو عمن أبحث، لكن فجأة أرى ليندزي في الطرف المقابل من الغرفة، فأدركث أني قد عبرث كل المسافة حتى آخر المنزل، إلى غرفة السجائر. نظرنا أنا وليندزي إلى بعضنا الآخر للحظة، وكنث آمل أن تبادر بابتسامة نحوي، لكنها أشاحت بوجهها. آلي كانت واقفة بجوارها. انحنَت وهمسَت بشيء في أذن ليندزي، ثم شقَّت طريقها نحوي.

"هاي، سام".

"هل تحتاجين لطلب إذن كي تسيري نحوي؟" لكن الكلمات لم تكن تخرج صافية.

"لا تتصرفي بوقاحة"، وأدارت آلي عينيها. "ليندزي مغتاظة حقاً مما قلته".

"هل إيلودي غاضبة؟" كانت إيلودي في الزاوية مع ستيف دوف، تتمايل قبالته بينما يتكلم هو مع ليز هامر كما لو أنها غير موجودة إطلاقاً. أردث أن أذهب إليها وأعانقها.

ترددت آلي، ونظرت إلي من تحت خصلات شعرها

المنسدلة على عينيها. "هي ليست غاضبة. أنت تعرفين إيلودي".

شعرث أن آلي تكذب، لكني ثملة جداً ولا أستطيع محاصرتها.

"لم تتصلي بـي اليوم". وتمنيث لو لم أقل ذلك. جعلني ذلك أشعر من جديد وكأني دخيلة، كأني شخص يحاول اقتحام مجموعة. صحيح أنه يوم واحد فقط، لكني *أفتقدهم*: صديقاتي الحقيقيات الوحيدات.

أخذت آلي رشفة من الشراب الذي تحمله، ثم انكمش وجهها. "ليندزي كانت مغتاظة جداً. قلث لك، لقد كانت مستاءة حقاً".

"هو صحيح مع ذلك، أليس كذلك؟ ما قُلثه".

"لا يهم إن كان صحيحاً"، وهزّت آلي رأسها. "إنها ليندزي. إنها صديقتنا. نحن لبعضنا. ألا تعلمين؟".

لم أشعر يوماً أن آلي بهذا الذكاء، لكن هذا هو على الأرجح الأمر الاكثر ذكاءً الذي سمعثه منذ زمن طويل.

قالت آلي، "يجب أن تقولي أنكِ آسفة".

"لكني *لست* آسفة"، وصرث أتلعثم الآن. لساني سميك وثقيل في فمي. لا يمكنني حمله على فعل ما أريده. أريد أن أخبر آلي بكل شيء - بشأن الأستاذ ديملر وكاتي كارجوللو والآنسة وينترز وفتيات البوغ - لكني لا أقوى حتى على مجرد إيجاد الكلمات.

"فقط قوليها، سام"، وبدأت عينا آلي تجول في أرجاء الحفل، وفجأة خطت خطوة سريعة إلى الوراء. ارتخت شفتاها فوضعت يديها على فمها.

قالت، "آه يا إلهي" وهي تحدق من فوق كتفي.

وتكوّر فمها ليتحول إلى ابتسامة. "لا أصدّق ذلك".

حين استدرت شعرت وكأن الزمن قد توقف. قرأت ذات مرة أن الزمن يتوقف كلياً عند حافة الثقب الأسود، فإذا حدث وسافرت إليه فسوف تعلق هناك إلى الأبد، تظل ممزقاً إلى الأبد، وميتاً إلى الأبد. هذا ما شعرت به في تلك اللحظة. زحمة الناس المحيطة بـي، كأنها حافة لا نهائية، وحولي مزيد ومزيد من الناس.

وها هي تقف هناك في المدخل. جولييت سايكس. جولييت سايكس - التي في البارحة فجّرت رأسها ببندقية والدها.

شعرها كان مربوطاً كذيل حصان، ولم أستطع منع نفسي من تصورها تسبح في دمائها مع ثقب كبير تحت خصلة شعرها. لقد ارتعبت منها: شبح عند الباب، نفس الأشياء التي ترى كوابيس حولها حين تكون صغيراً، نفس الأشياء التي يصنعون أفلام رعب حولها.

حضرتني عبارة من برنامج إخباري حول المحكوم عليهم بالموت، وكنتُ قد اضطررت لمشاهدتهُ من أجل تقديم موضوع أخلاقي اختياري: الرجل الميت يسير. حين سمعت العبارة وجدتها مريعة، لكني *افهمها* الآن جيداً. جولييت سايكس هي شخص ميت يسير. وأعتقد أني أنا أيضاً كذلك، بطريقة ما.

قلت "كلا"، لكني لم أقصد قولها بتلك النبرة المرتفعة. تراجعت قليلاً، فصرخ هارلو روزن قائلاً، "هذه قدمي".

قالت آلي ثانية "لا أصدق ذلك"، لكن كان الصوت بعيداً إذ كانت قد استدارت بعيداً عني وهي تستنجد بليندزي برغم الموسيقى العالية. "ليندزي، هل رأيت من هذا؟".

بدأت جولييت تسير متمايلة في الممر. كانت تبدو هادئة، لكنها جمعت قبضتي يديها وكأنها ستلكم أحدهم.

تقدمتُ قليلاً، لكن كان الجميع قد اختار تلك اللحظة ليضيق الخناق حولي. لا يمكنني رؤية ذلك مجدداً. لا أرغب في رؤية ما سيحدث تالياً. لم أكن ثابتة تماماً على قدميّ، والناس حولي يدفعونني جيئة وذهاباً مثل كرة، فصرتُ أحاول يائسة الخروج من الغرفة. أعرف أني أدوس على أقدام الناس وأدفعهم بمرفقي في ظهورهم، لكن لا يهم. يجب أن أخرج.

أخيراً استطعتُ اختراق الكتلة البشرية حولي. كانت جولييت تسد الممر. لم تكن تنظر إليّ. فقط كانت تقف ثابتة مثل تمثال، وعيناها تبحثان لمسافة من فوق كتفي. إنها تنظر إلى ليندزي، فأدركتُ أن ما تريده حقاً هو ليندزي - ليندزي هي أكثر من يكرهها - لكن ذلك لم يجعلني أشعر بحال أفضل.

كنتُ على وشك أن أتجاوزها في الممر المظلم حين سرَت رعشة في جسدها ونظرَت إليّ عيناً بعين.

قالت لي، "انتظري"، وأمسكتني من معصمي. كانت يدها باردة كالثلج.

"كلا". أفلتُّ منها وتابعتُ تقدمي بتعثُّر، والخوف يكاد يخنقني. ظلّت تتبادر إلى ذهني صور مشوشة لجولييت: جولييت متكورة على نفسها، ويداها ممدودتان، غارقة بالبيرة وترتعش؛ جولييت ممددة على أرضية باردة في بركة دماء. لم أكن قادرة على التفكير بصفاء، وهاتان الصورتان تتزاحمان في رأسي وأراها هائمة في أرجاء الغرفة والجميع يضحك، وشعرها مبلل ويقطر دماً.

كنتُ مشوشة جداً فلم أر روب في الرواق، إلى أن هرعتُ مباشرة إليه.

"مرحباً". كان روب ثملاً، وتتدلى من شفتيه سيجارة غير مشتعلة. "مرحباً لك أنت".

"روب..." ودفعتُ بنفسي إليه. كان العالم يدور. "دعنا نخرج من هنا، موافق؟" سنذهب إلى منزلك. أنا جاهزة الآن، فقط أنا وأنت".

"واو، يا راعية البقر"، ورفع روب شفته العليا لكن الشفة الأخرى لم تتبعها تماماً. "بعد السيجارة"، وبدأ يتحرك باتجاه آخر المنزل. "ثم نذهب".

"كلا!"، قلتُها بصوت أقرب إلى الصراخ.

استدار عائداً إلي، مترنحاً، وقبل أن يأتي بحركة كنتُ قد سحبتُ السيجارة من فمه وبدأتُ أقبّله، ويداي تحيطان بوجهه، وأدفع بجسمي مقابل جسمه. للحظة لم يدرك ماذا يحدث، لكن بعدها بدأ يداعبني بأصابعه من فوق فستاني، يحركُ لسانه بشكل دائري، ويتأوه قليلاً.

بقينا نترنح جيئة وذهاباً في الرواق، كما لو أننا نرقص. وشعرتُ أن الأرض تنحني وتتدحرج تحتنا، ثم دفعني روب عن غير قصد مقابل الدرابزين فتأوهت.

"عذراً، صغيرتي"، وصارت عيناه تتقاطعان وتتباعدان.

"نحتاج إلى غرفة". ومن آخر المنزل بدأت أسمع الأنشودة. *المخبولة، المخبولة* "نحتاج الآن *إلى غرفة*".

أمسكتُ بيد روب وبدأنا نتعثر في طريقنا عبر الممر من زحمة الأشخاص الذين يتحركون في الاتجاه الاخر. كانوا جميعهم يسيرون ليروا ما سبب

تلك الضجة.

"هنا"، ودفع روب بكل قوته أول باب يأتي في طريقه. كان الباب المليء بالملصقات. سمعنا صوت فرقعة ودخلنا ونحن نتعثر ببعضنا. عدت أقبله من جديد محاولة نسيان نفسي مع الشعور بتلاصق جسدينا ودفئه، ومحاولة عدم سماع أصوات الضحك الصادرة من الغرفة الخلفية. تظاهرت أني مجرد جسد فيه عقل فارغ ومشوش مثل تلفاز مليء بالثلج. حاولت أن أنكمش على نفسي، وأتمركز داخل جلدي، كما لو أن الإحساس الوحيد الموجود هو بين أصابع روب.

بمجرد أن انغلق الباب ساد الظلام الدامس. العتمة من حولنا صارت تلفنا بالكامل - إما أنه لا توجد نوافذ هنا أو أن الستائر تسدها بالكامل. كان الظلام شديداً جداً لا يمكن معه الرؤية وراودني فجأة خوف هستيري من أننا محتجزون داخل صندوق. في هذه اللحظة كان روب يترنح بشكل واضح على قدميه، وذراعاه تلفاني بالكامل، فبدأت أشعر بالغثيان. شعرت بموجة من الدوار، فدفعته للخلف إلى أن اصطدمنا بشيء طري: سرير. تمدد هو على ظهره واستلقيت فوقه.

تمتم قائلاً، "انتظري".

همست له "أليس هذا ما تريده؟"، وكنت لغاية تلك اللحظة لا أزال أسمع أصوات الضحك والصراخ - *المخبولة، المخبولة* - تعلو فوق صوت الموسيقى. قبّلت روب بحرارة أكثر فصار يناور مع سحّاب فستاني. سمعت صوت النسيج يتمزق لكني لم أكترث. أنزلت الفستان إلى خصري، وبدأ روب هجومه على حمالات صدري.

همس روب في أذني "هل أنت متأكدة من هذا؟".

"فقط قبّلني". *المخبولة، المخبولة*. كانت الأصوات تتردد في الرواق في الأسفل. دسست يدي تحت كنزة روب وانتزعتها من رأسه، ثم بدأت أقبّل عنقه وما تحت ياقة قميصه القطني. كان جلده بطعم العرق والملح والسجائر، لكني تابعت تقبيله بينما تتحرك يده صعوداً إلى ظهري ونزولاً إلى ردفي. ثم في غياهب العتمة ظهرت لي صورة الأستاذ ديملر وهو فوقي - والسقف الملون - لكني أبعدتها مباشرة.

خلعت عن روب قميصه ونحن الآن متلاصقان على مستوى الصدر، ومع حركة أجسادنا مقابل بعضها كانت تصدر عن احتكاك الجلد أصوات غريبة. في لحظة معينة سقطَت يدا روب. كنت لا أزال أقبّله، وأتحرك نزولاً إلى صدره، وبدأت أشعر بالشعر الناعم المنتشر هناك. لطالما كان شعر الصدر يثير قرفي؛ إنه شيء آخر لم أفكر به بشأن الليلة.

بدأ روب يهدأ، وعلى الأرجح أنه مصدوم. لم أصل معه مطلقاً إلى هذا الحد قبل الآن. حين كنا نتغازل في الأحوال الطبيعية كان هو المبادر دائماً، إذ كنت أخشى دائماً أن أرتكب خطأ ما. من المحرج أن تتصرف وأنت لا تعرف ماذا تفعل. كما أني لم أقف مطلقاً عارية بالكامل أمامه.

همست له "روب؟"، فأنّ بهدوء. وكانت ذراعاي ترتعشان من حمل ثقل جسمي لمدة طويلة عليهما فوقفت. "هل تريدني أن أخلع فستاني؟".

صمت. صار قلبي ينبض بسرعة، وبرغم برودة الغرفة بدأ العرق يسيل من تحت إبطي. أعدت عليه "روب؟".

فجأة وإذ به يُطلق صوت شخير مرتفع ويتقلب على الفراش، واستمر الشخير بموجات طويلة.

للحظة ما كان مني إلا أن وقفت وصرت أصغي

إليه. حين كان روب يشخر كان دائماً يذكرني كيف كنت معتادة في صغري على الجلوس على الشرفة الأمامية ومشاهدة والدي وهو يصنع دوائر ضيقة من على ظهر جزازة العشب الأوتوماتيكية التي يملكها منذ ست سنوات، فتهدر بصوت عالٍ جداً اضطر معه لوضع يديّ على أذني. وبرغم ذلك لم أكن لأنتقل إلى الداخل، فقد كنت أحب مشاهدة المسارات الصغيرة المتراصة من العشب التي يتركها والدي وراءه، ومئات القصاصات الصغيرة من العشب تتطاير في الهواء مثل راقصة باليه.

من شدة العتمة في الغرفة بقيت أبحث إلى ما لا نهاية عن حمالات صدري والفرو الغبي؛ واضطررت للنزول على يدي وركبتي بحثاً عنها. لم أكن مستاءة. ولم يكن يسيطر علي شعور محدد، ولا أفكر بشيء محدد، فقط الأمور التي يجب أن أفعلها. العثور على حمالات الصدر، ارتداء الفستان، والخروج من الباب.

سرت عبر الرواق، وكانت الموسيقى على مستوى صوت طبيعي، والناس يتدفقون دخولاً وخروجاً من الغرفة الخلفية. كانت جولييت سايكس قد رحلَت.

نظر إليّ شخصان نظرة غريبة. كنت واثقة أني في فوضى عارمة لكن لم تكن لدي الطاقة لأعبأ بذلك. كان مدهشاً أن أكون متماسكة إلى هذا الحد، في الواقع، وبرغم الضبابية في ذهني فكّرت بشكل واضح جداً: *من المدهش أنك متماسكة إلى هذا الحد*. وفكّرت أيضاً، *كانت ليندزي لتفخر بي*.

"سحّاب فستانك مفتوح"، وسخرت مني كارلي جابلونسكي.

وخلفها قال أحدهم "ماذا كنت تفعلين هناك؟".

تجاهلتهما، وتابعت ببساطة السير - الطفو، حقاً، دون أن أعرف تماماً إلى أين سأتوجه - فنزلت

الدرجات وخرجت إلى الشرفة، وحين لطمني البرد عدت إلى الداخل ثم دخلت المطبخ. وفجأة بدأت تداعبني فكرة المنزل المعتم الهادئ القابع خلف لافتة 'ممنوع الدخول' وضوء القمر على الأرضية ودقات الساعات القديمة. فذهبت بذلك الاتجاه، خلف الباب، عبر غرفة الطعام، وعبر القنطرة التي أوقعت تارا المزهرية تحتها، وصرت أدوس بحذائي على الزجاج، حتى وصلت إلى غرفة المعيشة.

أحد الجدران كان بأكمله تقريباً عبارة عن نافذة، وهي تطل على الحديقة الأمامية. في الخارج بدا الليل فضياً ومتجمداً، وجميع الأشجار مغلفة بالصقيع وكأنها مصنوعة من الجبس. بدأت أتساءل إن كان كل شيء في هذا العالم، العالم الذي أنا عالقة فيه، هو مجرد نسخة أو طبعة رخيصة عن الشيء الحقيقي. ثم جلست على السجادة - تماماً في مركز المستطيل الذي صنعه ضوء القمر - وبدأت أبكي. النشيج الأول كان صرخة تقريباً.

لا أدري كم مكثت هناك - على الأقل ربع ساعة، على اعتبار أني بكيت حتى جفّت دموعي. وفي خضم ذلك سال المخاط والدموع على كل شيء، فأفسد سترة الفرو التي كنت أرتديها والماسكارا ومساحيق الوجه. لكن في لحظة معينة أدركت أن هناك أحد آخر في الغرفة.

جلست بلا حراك. كانت أجزاء من الغرفة ضائعة في الظل، لكني أرى بطرف عيني شيئاً ما يتحرك. إنها حركات حذاء رياضي مقطّع مثل رقعة الشطرنج. قلت "منذ متى وأنت تقف هناك؟"، وأنا أمسح أنفي للمرة الأربعين بذراعي.

"ليس كثيراً". كان صوت كينت هادئاً جداً، وشعرت أنه يكذب لكني لم أعر ذلك اهتماماً. بل في الحقيقة

أعطاني ذلك شعوراً أفضل لعلمي أني لم أكن وحيدة طوال هذا الوقت.

"هل أنت بخير؟"، وسار بضع خطوات في الغرفة حتى أضاء القمر وجهه وأحاله فضياً. "أقصد، من الواضح أنكِ لستِ على ما يرام، لكني فقط أردتُ أن أعرف إن كان هناك أي شيء يمكنني فعله أو أي شيء تريدين التكلم عنه أو -".

قاطعته "كينت؟". لطالما كانت لديه عادة الاستطراد في الكلام، حتى حين كنا صغاراً.

توقف. "نعم؟".

"من فضلك - هل يمكن أن أحصل على كوب ماء؟".

"أجل. أعطني ثانية". بدا عليه الارتياح لأنه سيفعل شيئاً، وسمعتُ صرير حذائه على السجادة. عاد بعد أقل من دقيقة وبيده كأس طويلة من الماء، وفيها المقدار المناسب تماماً من مكعبات الثلج.

بعد عدة رشفات قلتُ له، "آسفة لدخولي إلى هنا. اللافتة، وكل شيء".

"لا بأس"، جلس كينت بجواري على السجادة مقاطعاً ساقيه، ليس قريباً لدرجة التلاصق، لكن بما يكفي لأشعر بوجوده جالساً بجواري. "أعني، اللافتة كانت بشكل رئيسي من أجل بقية الأشخاص. تعلمين، لمنعهم من تكسير أشياء والديّ أو ما هنالك. لم أُقم في حياتي حفلة من قبل".

قلتُ له، "لماذا قررت الآن أن تقيم حفلة؟"، وذلك فقط لحثه على الكلام.

ضحك ضحكة بسيطة. "فكرتُ أني إذا أقمتُ حفلة فإنك ستأتين".

شعرتُ بدفقة من الإحراج، وحرارة تسري فيّ من أخمص قدمي. كان جوابه غير متوقع على الإطلاق،

فلم أعرف بماذا أجيب. أما هو فلم يبدِ عليه الإحراج، بل اكتفى بالجلوس والنظر إلي. هذا هو كينت. لم يفهم يوماً أنه لا يمكن بهذه البساطة قول شيء مثل ذلك.

ساد الصمت لثانيتين طويلتين جداً، وصرت أبحث عن شيء أقوله. "لا بد أن هذه الغرفة يدخلها نور وافر في النهار".

ضحك كينت. "كما لو أنها في قلب الشمس".

الصمت من جديد. كان باستطاعتنا سماع صوت الموسيقى، لكنه كان مكتوماً، كما لو كان يعبر أميالاً حتى يصل إلينا. أحببت ذلك.

"اسمع". مجرد محاولتي قول ما أريد قوله سبَب لي تشنجاً في حنجرتي. "أنا آسفة بشأن ما حدث باكراً. أنا حقاً - شكراً لأنك جعلتني بحال أفضل. أنا آسفة لأني كنت دائماً..." في اللحظة الأخيرة لم أستطع قولها آخر الأمر. *أنا آسفة لأني كنت دائماً مريعة. أنا آسفة لأن فيّ خطأً ما.*

"أنا عنيت ما قلتهُ سابقاً". قالها كينت بهدوء. "بخصوص شعرك".

تحرّك قليلاً جداً - لجزء من الإنش، مقترباً مني - وصدمتني فكرة أني جالسة وسط غرفة ينيرها القمر مع كينت ماكفولر.

"يجب أن أذهب"، ونهضت. كنت لا أزال غير قادرة على التوازن تماماً على قدمي، وشعرت أن الغرفة تدور بـي.

"واو"، نهض كينت ماداً يده لمساندتي. "ألأنت متأكدة أنك بخير؟".

"أنا -"، وفكّرت أني لا أعرف أين سأذهب، وليس لديَ من يوصلني. على أي حال. لم أكن أطيق فكرة

رؤية ابتسامة تارا نحوي، ومن الواضح أن ليندزي مستبعدة. في تلك اللحظة شعرث أن شر البلية ما يضحك، فأطلقث ضحكة قصيرة. "لا أريد الذهاب إلى المنزل".

لم يسأل كينت لماذا. كنث شاكرة لذلك. واكتفى بوضع يديه في جيبيه. كان الضوء ينعكس على تقاسيم وجهه، وكأنه يُشع.

"يمكنك..."، وابتلع ريقه. "يمكنك دائماً البقاء هنا".

حذقث به. شكراً لله على العتمة، إذ ليس لدي فكرة كيف يبدو وجهي.

تمتم بسرعة، "ليس من قبيل أن تبقي معي. طبعاً لا. أنا فقط أقصد - حسنٌ، لدينا غرفتا ضيوف، والملاءات مفروشة مسبقاً. *ملاءات نظيفة*. واضح، إذ من المستبعد أن نتركها بعد نوم أحدهم فيها -".

"حسنٌ".

"- استخدميها، سيكون ذلك مريعاً. في الواقع لدينا مدبرة منزل تأتي مرتين في الأسبوع -".

"كينت؟ قلث لك حسنٌ. أقصد، يسرني البقاء. إن كنتَ لا تمانع".

وقف مكانه للحظة وفمه مفتوح وكأنه لا يصدق ما سمعه، ثم أخرج يديه من جيبيه وصار يشدهما ويرخيهما، يرفعهما وينزلهما. "أكيد، أجل، لا، هذا جيد".

ومع ذلك ظل لدقيقة أخرى واقفاً لا يتحرك. فقط يحدق بـي. عادت الحرارة، لكنها هذه المرة تتحرك في رأسي فتجعل كل شيء يبدو ضبابياً وبعيداً. وفجأة شعرث بعينيّ ثقيلتين.

قال لي "أنت متعبة"، ومجدداً بصوته الناعم.

أجبته "كان يوماً طويلاً".

"تعالي". مد لي يده فأمسكتها من دون تفكير. كانت دافئة وجافة، وبينما يسير بـي أبعد داخل المنزل، بعيداً عن الموسيقى، ولداخل الظلال، أغلقت عيني وتذكّرت عادته في إمساك يدي والهمس، *لا تصغي إليهم. فقط تابعي المسير. أبقي رأسك مرفوعاً*. شعرت وكأنه لم يمض وقت على ذلك، ولم أره أمراً جنونياً أني ممسكة بيد كينت ماكفولر ومستسلمة ليأخذني أينما يريد - بدا ذلك طبيعياً.

الموسيقى كلها تلاشت في البعيد، وأصبح كل شيء هادئاً. أقدامنا بالكاد كانت تصدر صوتاً على السجادات، والغرف كلها مثل شبكة من الظلال ينيرها ضوء القمر. كانت تعبق في المنزل رائحة الخشب المصقول والمطر وشيء بسيط من دخان مدخنة التدفئة، كما لو أن أحدهم أشعل ناراً منذ وقت قريب. فكّرت، *هذا مكان مثالي ليحتجز فيه المرء بسبب الثلج*.

قال كينت، "من هنا"، وفتح الباب - فأحدثَت المفصلات صريراً - وسمعته يتحسس مكان مفتاح الإنارة على الجدار.

"كلا"، قلت له.

تردد قائلاً "من دون إضاءة؟

"من دون إضاءة".

قادني على مهل داخل الغرفة التي كانت معتمة بالكامل تقريباً. وبالكاد استطعت تمييز حدود كتفيه.

"السرير هنا".

تركته يسحبني إليه، ولم تعد تفصل بيننا سوى بضع إنشات، وشعرت وكأني أستطيع تمييز انطباعه في العتمة، كما لو أنه يأخذ شكلاً من حولنا. كنا لا

نزال نمسك بيدي بعضنا، لكننا الآن نقف بمواجهة بعضنا. لم أدرك يوماً كم كان طويلاً: أطول مني بعشر سنتمترات على الأقل. والآن أشعر بأغرب كمٍّ من الدفء ينبعث منه. إنه في كل مكان، يشع نحوي، مسبباً لي وخزاً في أصابعي.

"جلذك"، همست له. "إنه حار".

قال لي، "إنه دائماً هكذا". ثم سمعت صوت فرقعة في العتمة فعرفت أنه حزك ذراعه. ورفرفت أصابعه على بعد نصف إنش من وجهي، وشعرت وكأني أستطيع *رؤيتها*، وهي تشع حرارة وبياضاً. ثم أنزل ذراعه، فأخذ الدفء معه.

كان هذا غريباً جداً، لكن الوقوف مع كينت ماكفولر في غرفة حالكة الظلمة جعلني أشعر بأصغر أصغر الأشياء تتأجج في داخلي وبلهب صغير في قاع معدتي، وذلك جعلني غير خائفة. "هناك بطانيات إضافية في الخزانة"، قال لي ذلك وشفتاه عند وجنتيَ تماماً.

همست له، "شكراً لك".

مكث هناك إلى أن دخلت الفراش، ثم سحب البطانيات حول كتفيّ وكأنه أمر طبيعي، كما لو أنه يؤويني إلى السرير كل ليلة طوال حياتي. إنه كينت ماكفولر المثالي.

5

كما ترون، لا أزال أبحث عن أجوبة. لا أزال أرغب بمعرفة السبب. وكأن هناك من سيعطيني جواباً، وكأن أي جواب سيريحني.

لم يكن يحدث في السابق، لكن لاحقاً بدأت أفكر بالزمن، وكيف أنه يظل متحركاً ومتناقصاً ويستمر في التقدم للأمام إلى الأبد. ثوانٍ تصبح دقائق تصبح أياماً فسنوات، وكلها تفضي إلى نفس المكان، إنها تيار يسير في اتجاه واحد إلى الأبد. وجميعنا نستمر في السباحة بأسرع ما يمكننا، على أمل اللحاق به.

ما أقصد قوله: ربما بوسعكم الانتظار. ربما ينتظركم يوم آخر. وقد ينتظر بعضكم ألف يوم آخر، أو ثلاثة آلاف، أو حتى عشرة. وقتٌ طويلٌ يمكنكم الاستحمام فيه، قضاء حاجياتكم فيه، أو تركه ينزلق مثل قطعة نقود من بين أصابعكم. وقتٌ طويلٌ يمكنكم هدره.

لكن بالنسبة لبعضنا ليس أمامنا سوى اليوم. والحقيقة هي أنه لا يمكنك إطلاقاً أن تعرف.

استيقظتُ وأنا أتثاءب، وقد أخرجني المنبه من العتمة، كما لو أنه أخرجني من قاع بحيرة. إنها المرة الخامسة التي أستيقظ فيها في الثاني عشر من شباط، لكني اليوم مرتاحة. أطفأتُ المنبه وبقيتُ مستلقية في الفراش، أشاهد النور الأبيض يتسلق الجدران على مهل، في انتظار أن يعود نبض قلبي إلى طبيعته. وها هو شعاع من نور الشمس يضيء الملصق الذي صنعته ليندزي من أجلي. في الأسفل كتبت بحبر وردي مضيء، أحبك للأبد. اليوم أنا وليندزي صديقتان من جديد. اليوم لا أحد غاضب مني. واليوم لم أقبّل الأستاذ ديملر أو أجلس وحيدة

أبكي بحرقة في الحفلة.

صحيح. لم أكن وحيدة تماماً. يمكنني أن أتخيل الشمس تدخل منزل كينت على مهل، وتعلو شيئاً فشيئاً مثل الشمبانيا.

أثناء استلقائي هناك بدأت أُعدّ في ذهني لائحة بكل الأمور التي أود فعلها في حياتي، كما لو أنها لا تزال قابلة للتنفيذ. معظمها كانت جنونية وبسيطة، لكني لم أكن بصدد ذلك، فقط أفكر بأشياء وأشياء كما لو أنها سهلة المنال مثل كتابة ما تحتاجه من متجر البقالة. السفر في طائرة خاصة. تناول كرواسان مخبوز حديثاً من مخبز في باريس. امتطاء جواد من كونيكتيكيت إلى كاليفورنيا مع المبيت في أفضل غرف الفنادق على طول الطريق. وبعضها أكثر بساطة مثل أن آخذ إيزي إلى متنزه قمة الإوز 'غوس بوينت'، وهو مكان اكتشفته في أول مرة أجرب فيها الهروب من المنزل. أطلب وجبة الدسم على العشاء - تشيبز برغر بلحم الخنزير، لبن، وطبق كامل من البطاطس المقلية مع الجبن - وأن أتناولها بكل أريحية، كما كنث أفعل كل عام في عيد ميلادي. أركض في الجوار تحت المطر. أتناول البيض المقلي في السرير.

حين انسلّت إيزي إلى غرفتي وقفزت إلى السرير معي، كنث أشعر فعلاً بالاسترخاء.

قالت إيزي، "أمي تقول إن عليك الذهاب إلى المدرسة"، وهي تنطح رأسها بكتفي.

"لست ذاهبة إلى المدرسة".

هذه هي: *هكذا بدأ. واحد من أفضل - وأسوأ - أيام حياتي بدأ بهذه الكلمات الأربعة.*

بدأث أدغدغ إيزي في معدتها. كانت تُصرّ على ارتداء قميص 'دورا المستكشف'، مع انه أصبح

صغيراً عليها ويكشف بطنها المكتنزة - المنطقة الوحيدة المكتنزة في جسمها. فصارت تصرخ من الضحك، وتدحرجت بعيداً عني.

"توقفي، سام. قلت لك *أوقفي ذلك*".

كانت إيزي تصيح وتضحك وتتخبط حين وقفت أمي على الباب.

"إنها السادسة وخمس وأربعون دقيقة"، وهي في مكانها على الباب وقدماها محاذيتان تماماً للخط الأحمر الذي رسمته منذ سنوات. "ستصل ليندزي في أية لحظة".

صفقت إيزي يديها بيدي ونهضت، والبريق يملأ عينيها. لم أكن قد لاحظت ذلك أبداً من قبل، لكنها فعلاً تشبه أمي. جعلني ذلك أحزن لدقيقة، إذ كنت أتمنى أن تبدو أكثر شبهاً بـي. "سام كانت تدغدغني".

"سام على وشك أن تتأخر. وأنتِ أيضاً، إيزي".

"سام لن تذهب إلى المدرسة. وأنا سأفعلُ مثلها"، ونفخت إيزي صدرها في إشارة منها لاستعدادها للقتال من أجل ذلك. ربما ستغدو أكثر شبهاً بـي حين تصبح أكبر. ربما حين يعود الزمن لحركته الطبيعية - حتى لو جرفني معه مثل نفايات يسحبها تيار المد والجزر - سيرتفع عظما وجنتيها أكثر وتمر بمرحلة نمو سريع ويصبح شعرها أكثر قتامة. أحب أن أثق بذلك. أحب أن أثق بأن الناس سيقولون يوماً ما، إيزي تشبه كثيراً أختها، سام.

سيقولون، هل تذكرون سام؟ كانت جميلة. لست متأكدة حقاً مما قد يقولونه أيضاً: كانت لطيفة. كان الناس يحبونها. أو ربما شيئاً آخر مغايراً لذلك.

أبعدت الفكرة عن رأسي وعدت إلى لانحتي

الذهنية. قُبلة تجعلني أشعر بأن رأسي بأكمله يكاد ينفجر. رقصة 'سلو' وسط غرفة فارغة على إيقاع موسيقى رائعة. السباحة في المحيط في منتصف الليل، من دون ثياب.

فركَت أمي جبهتها. "إيزي، اذهبي وتناولي إفطارك. لا شك أنه أصبح جاهزاً الآن".

تدحرجت إيزي فوقي، فغدث ودغدغتها من بطنها، فصرخت لآخر مرة وقفزت عن السرير وخبطت الباب في طريقها. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعل إيزي تتحرك بمثل تلك السرعة هو الخبز المحمص كثير القرفة مع زبدة الفستق، وتخيلث لو أستطيع إعطاءها كل يوم خبزة محمصة كثيرة القرفة مع زبدة الفستق لبقية حياتها، وأن أملأ المنزل بأكمله بها.

حين ذهبَت إيزي نظرَت إليّ أمي بجدية أكثر. "ما القصة سام؟ هل تشعرين بتوعك؟".

"ليس تماماً". أحد الأشياء التي يستحيل أن أضعها على لائحة أمنياتي هو قضاء ولو ثانية واحدة في عيادة طبيب.

"ما القصة إذاً؟ لا بد من وجود خطبٍ ما. كنث أعتقد أن يوم عيد الحب هو أحد الأيام المفضلة لديكِ".

"إنه. أو أقصد، أنه كان"، واستندث إلى مرفقيّ ونفخث الهواء بقوة. "لا أدري، يبدو لي ضرب من الغباء، إذا ما فكرتِ بالأمر".

رفعت حاجبيها.

بدأث أتقلب في السرير، دون أن أفكر مسبقاً بما أريد قوله، لكني أدركث بعدها أنه صحيح. "القصة كلها هي أن تُظهر للناس كم عدد أصدقائك. في

حين أن الجميع يعرف ما عدد أصدقاء كل واحد منا. وهي لا تعني اكتساب مزيد من الأصدقاء بهذه الطريقة أو، لا أدري، التقرّب أكثر من أصدقائك".

ابتسمت أمي ابتسامة ناعمة، وهي ترفع زاوية فمها "حسنٌ، ستكونين محظوظة إن كان لديك أصدقاء طيبون، وأن تعرفي ذلك. أنا واثقة أن الورود تحمل دلالات كثيرة لبعض الأشخاص".

"ما عنيته هو أن الأمر برمته مقرف إلى حد ما".

"ما أسمعه ليس كلام سامانثا كينغستون التي أعرفها".

"حقاً، جيد، ربما أنا أتغير". حتى هذه الكلمات لم أكن أعنيها، إلى أن سمعتُها. وبعدها فكّرت أنها قد تكون صحيحة، وأني أشعر بوميض من الأمل. ربما لا تزال أمامي فرصة بعد كل ذلك. ربما يتوجب علي أن أتغير.

حدّقت بـي أمي وتعابير وجهها توحي بأني مثل وصفة لا يمكنها فهمها. "هل حدث شيء، سام؟ شيء ما مع صديقاتكِ؟".

لم يزعجني سؤالها اليوم. في الواقع، أشعر اليوم أنه ضرب من المزاح. كنت أتمنى فعلاً لو أن الشيء الوحيد الذي يقلقني هو شجاري مع ليندزي، أو شيء تافه قالته آلي، أو شيء كهذا.

"لا علاقة لصديقاتي بالموضوع"، وفكّرت بشيء يمكن أن يهزها. "إنه... إنه روب".

قطبت أمي جبينها. "هل تشاجرتما؟".

تدثّرت أكثر قليلاً في السرير، علّ ذلك يجعلني أبدو مكتئبة. "إنه... لقد هجرني". بشكل أو بآخر هذه ليست كذبة. أنا لا أعني تماماً أننا انفصلنا، لكن ربما نحن لم نكن يوماً جديين بالطريقة التي كنت

أتمناها دائماً. هل يمكن لأحد أن يواعد بشكل جدي شخصاً لا يعرفه جيداً؟

أعطى ذلك مفعولاً أكثر من المتوقع، إذ وضعت أمي يديها على صدرها. "آه، حبيبتي. ماذا حدث؟".

"أعتقد أن كل واحد منا يريد أموراً مختلفة"، وصرت أعبث بطرف لحافي وأنا أفكر بكل تلك الليالي التي قضيتها معه في القبو، يغمرنا ضوء أزرق، وأشعر أني محمية من كل العالم. لم يكن غريباً أن أشعر بالحزن لمجرد التفكير بذلك، فبدأت شفتي ترتعش. "لا أعتقد أنه أحبني يوماً. أعني حقاً حقاً". كان ذلك أصدق شيء أقوله لأمي منذ سنوات، وفجأة شعرت أني مكشوفة جداً. تذكرت حين وقفت مرة أمامها بعمر الخامسة أو السادسة عارية تماماً بينما تتفقد كل جسدي بحثاً عن القراد. تدثّرت أكثر تحت الأغطية، وصرت أشد على أصابعي حتى حفرت أصابعي في راحتي يدي.

بعدها وقع الحدث الأكثر جنوناً في العالم. تخطّت أمي الخط الأحمر وتقدّمت بسرعة إلى السرير، وكأنه ليس بالأمر الجلل. من هول المفاجأة لم أمانع حين انحنت فوقي وزرعَت قُبلة على جبهتي.

"أنا آسفة جداً، سام"، وصارت تهدهد جبهتي بيدها. "يمكنك طبعاً البقاء في البيت".

كنت أتوقع مزيداً من النقاش، لكن لم يحدث ذلك فأصابني الخرس.

سألتني، "هل تريدين أن أبقى معك في المنزل؟".

"كلا". وحاولت أن ابتسم بوجهها. "سأكون بخير. حقاً".

"أنا أريد أن أبقى في المنزل مع ساما". كانت إيزي قد دخلت من الباب مجدداً، لكن هذه المرة كانت

مرتدية شيئاً من ثياب المدرسة. كانت في مرحلة ارتداء اللونين الوردي والأصفر - صحيح أنها ليست بالتوليفة الجذابة، لكنه نمط من الألوان التي يصعب فهمها بالنسبة لبنت في الثامنة من عمرها - فكانت ترتدي ثوباً أصفر بلون الخردل فوق سروال وردي ضيق، وكانت أيضاً ترتدي جوارب صفراء طويلة، فكانت تشبه بطريقة ما وردة استوائية. أغرتني فكرة أن أستفز والدتي لكونها تدع إيزي ترتدي ما تريده. لا شك أن بقية الأولاد يسخرون منها.

لكني تذكرث مجدداً أن إيزي لا تبالي، وهذا شيء آخر صدمني بطرافته: أن شقيقتي ذات الأعوام الثمانية أكثر شجاعة مني، وأنها على الأرجح أكثر شجاعة من معظم سكان توماس جيفرسون. فتساءلث إن كان ذلك سيتغير، وإن كانت ستتأثر بمن حولها.

فتحت إيزي عينيها الواسعتين وضمّت راحتيها فبدت كما لو أنها تصلي، "أرجوكِ؟".

تنهدَت أمي بغضب، "قطعاً لا، إيزي. أنتِ لا تعانين من شيء".

قالت إيزي، "أشعر أني مريضة". لكن كان ذلك غير قابل للتصديق لكونها كانت تقفز وتتراقص من قدم لقدم وهي تقول ذلك، وهذا يؤكد أن إيزي لم تكن يوماً بارعة في الكذب.

"ألم تتناولي إفطارك بعد؟"، وقاطعت أمي يديها أمام صدرها وغيّرت ملامح وجهها إلى وجه "الأم الصارمة".

هزّت إيزي رأسها، "أعتقد أني تسممث من الطعام"، وانحنت على نفسها ممسكة بمعدتها، لكنها سرعان ما انتصبت من جديد وبدأت تقفز. لم أستطع أن أقاوم، فخرجت مني ضحكة صغيرة.

"هيا أمي". قلت لها. "دعيها تبقى في المنزل".

"أرجوك، سام، لا تشجعيها". واستدارت أمي نحوي وهي تهز رأسها، لكنني رأيت الحيرة على وجهها.

"إنها في الصف الثالث". قلت لها. "ولا يبدو أنهم فعلياً يتعلمون أي شيء".

نعقت إيزي، "بلا نحن نتعلم"، ثم وضعت يديها على فمها بسرعة حين رمقتها بنظرة. من الواضح أن شقيقتي الصغيرة غير بارعة أيضاً في التفاوض. هزت رأسها وتمتمت بسرعة، "أعني، نحن لا نتعلم الكثير".

أخفضت أمي صوتها. "تعرفين أنها سترهقك طوال النهار، صحيح؟ ألا تفضلين البقاء وحدك؟".

أعرف أنها كانت تتوقع مني كلمة نعم، إذ لطالما كانت تلك كلمة طنانة في المنزل: سام تريد أن تتركوها وحدها. أن تتناولي العشاء؟ سأصعد به إلى غرفتي. أين ستتوجهين؟ فقط أريد أن أكون وحدي. أيمكنني الدخول؟ فقط اتركوني وحدي. ابقوا خارج غرفتي. لا تتكلموا معي حين أكون على الهاتف. لا تتكلموا معي وأنا أستمع إلى الموسيقى. وحدي، وحدي، وحدي.

أعتقد أن الأمور تتغير بعد موت المرء - وأعتقد أن السبب هو في كون الموت أكثر حالة من الوحدة يمكن أن يصلها المرء.

قلت لهما، "أنا لا أمانع"، وكنت أعني ذلك. نفضت أمي يديها وقالت، "أياً يكن"، لكن قبل حتى أن تخرج من فم أمي كانت إيزي قد أصبحت فوقي وذراعاها تطوقان عنقي وهي تصرخ، "هل يمكننا مشاهدة التلفاز؟ هل يمكننا تحضير المعكرونة بالجبن؟" كانت تفوح منها رائحة جوز الهند كالعادة، وتذكرت حين كانت صغيرة وكنا نحممها في

المغسلة وهي جالسة تضحك وتبتسم وترش الماء، وكأن أفضل مكان في العالم بالنسبة لها هو حوض صغير من البورسلين، وكأن المغسلة بالنسبة إليها هي أكبر محيط في العالم.

نظرت أمي إلي بطريقة فحواها، أنت جلبت ذلك لنفسك.

ابتسمت من فوق كتف إيزي بحركة لامبالاة.

وبتلك البساطة تم الأمر.

إلى الغابات

إنه لأمر غريب كم يتغير الناس. على سبيل المثال، حين كنت طفلة كنت أحب جميع هذه الأشياء - مثل الجياد ووجبة الدهون ومتنزه قمة الإوز - ومع الوقت ذهب كل ذلك، واحداً تلو الآخر، وحل مكانه الصديقات والرسائل الفورية والهواتف الخلوية والشبان والملابس. قد يُشعرك ذلك بالحزن إذا ما فكّرتَ بالأمر. وكأن الناس لا تعيش وفق نسق مستمر. وكأن شيئاً ما يتمزق حين تبلغ الثانية عشرة، أو الثالثة عشرة، أو أياً يكن العمر الذي لا تظل بعده طفلاً بل "يافعاً"، وبعدها تصبح شخصاً مغايراً بالكامل. ربما شخصاً أقل سعادة. أو ربما أيضاً شخصاً أسوأ.

هاكم كيف اكتشفت لأول مرة متنزه قمة الإوز: في إحدى المرات، وقبل أن تولد إيزي، رفض والداي أن يشتريا لي تلك الدراجة البنفسجية الصغيرة ذات السلة الوردية والجرس عليها. لا أذكر السبب - ربما لأنه كان لدي أصلاً دراجة - لكن تملّكني حينها الغضب وقررت الهرب. إليكم القاعدتين الأساسيتين لتحقيق هروب ناجح.

1. اقصد مكاناً تعرفه.

2. اقصد مكاناً لا يعرفه غيرك.

لم أكن حينها أعرف هاتين القاعدتين، طبعاً، وفكّرتُ أن هدفي يجب أن يكون المعاكس: أي أن أذهب إلى مكان لا أعرفه ومن ثم يعثر عليّ والداي، بعد أن يشعرا بالمرارة لدرجة أن يقررا أن يشتريا لي كل ما أرغب به، بما في ذلك الدراجة (وربما مُهراً صغيراً).

كنا في شهر أيار والطقس دافئ، ومع كل يوم يطول النهار أكثر فأكثر. في إحدى العصريات وضّبت حقيبة التخييم المفضلة لديّ وتسللت خلسة من الباب الخلفي (أتذكر كيف فكّرت أن تجنُّب الباحة الأمامية، حيث يقوم والدي بأعمال الحدائق، هو ضرب من الذكاء)، وأتذكّر بالضبط ما وضّبته: مصباح كشاف؛ قميص قطني؛ ملابس السباحة؛ علبة كاملة من البسكويت الأوريو؛ نسخة من كتابي المفضل، ماتيلدا؛ وعِقد كبير من اللؤلؤ والذهب الزائف كانت والدتي قد أعطتني إياه في تلك السنة لارتدائه في عيد القديسين. لم أكن أعرف أين أنا ذاهبة، فمضيت بخط مستقيم، فوق الحظيرة نزولاً على الأدراج ثم عبر الباحة الخلفية، إلى الغابة التي كانت تفصل ملكيتنا عن ملكية الجيران. تبعث الأشجار لفترة، وأنا أرثي لحالي ولديّ بصيص أمل أن يجدني شخص فاحش الثراء فيشفق علي ويتبناني ويشتري لي كراجاً كاملاً مليئاً بالدراجات البنفسجية.

لكن بعد حين بدأت أعيش الحالة، بطريقة الأولاد. كانت الشمس خافتة وذهبية، وجميع الأوراق تبدو في الضوء وكأن حولها هالة من نور، وعصافير صغيرة تطير في كل مكان، وطبقات وطبقات من الطحالب الخضراء المخملية تحت قدمي. كل

البيوت أصبحت خارج نطاق الرؤية. كنت في عمق الغابة، وتخيلت أني الشخص الوحيد الذي بلغ هذا العمق. تخيلت أني أرغب بالعيش هناك طوال العمر، أنام على فراش من الطحلب، وأضع وروداً في شعري وأعيش بتناغم مع الدببة والثعالب ووحيدي القرن. بلغت جدولاً فتجاوزته، ثم تسلقت تلة مرتفعة تشبه جبلاً بضخامتها.

في أعلى التلة شاهدت أضخم صخرة أراها في حياتي. كانت منحوتة باتجاه الأعلى وناتئة عن سفح التلة مثل مقدمة سفينة، لكن سطحها مستو كطاولة. لا أتذكر عن تلك الرحلة أكثر من تناول بسكويت الأريو، واحدة تلو الأخرى، وشعوري بأني أملك كامل ذلك القسم من الغابة. وأذكر أيضاً أني حين عدت إلى المنزل أصبت بتشنج في معدتي بسبب كل تلك البسكويتات، وخاب أملي لأنَّ والديّ لم يكونا قلقين عليّ. كنت متيقنة بأني بقيت بعيدة لساعات وساعات، لكن الساعة أظهرَت أني خرجت قبل أقل من أربعين دقيقة. بعدها اعتبرت تلك الصخرة شيئاً خاصاً فالزمن يتوقف هناك عندها.

ذهبت كثيراً إلى هناك في ذلك الصيف، كلما أردت الهرب، وفي الصيف الذي تلاه. في إحدى المرات كنت مستلقية على الصخرة أحدق بالسماء الوردية والبنفسجية مثل الحلوى التي يبيعونها في الكرنفالات، فشاهدت سرباً من مئات الإوزات المهاجرة تتخذ شكل حرف V. ثم تسقط ريشة وحيدة وتتطاير في الهواء لتهبط بجوار يدي تماماً. أسميت المكان قمة الإوز، وبقيت لسنوات محتفظة بالريشة في علبة صغيرة مزخرفة محشورة في أحد الأخاديد تحت الصخرة. ذات يوم اكتشفت أن

العلبة قد اختفت. اعتقدت أنها طارت أثناء عاصفة فبحثت بين الأوراق والشجيرات الصغيرة لساعات، وحين لم أجدها أجهشت بالبكاء.

بقيت أصعد إلى قمة الإوز من حين لاخر، حتى بعد أن توقفت عن ركوب الخيل، لكن أصبحت المرات متباعدة أكثر فأكثر. في الصف السادس ذهبت مرة إلى هناك بعد أن سخر الصبية في حصة الألعاب من أن مؤخرتي "مسطحة جداً". وكنت أذهب إلى هناك حين لا تتم دعوتي إلى الاحتفالات بأعياد ميلاد ليكسا هيل، مع أننا كنا شريكتين في صف العلوم وبقينا نضحك لأربعة أشهر من وسامة جون ليبينكوت. في كل مرة أعود فيها إلى المنزل أجد أني أمضيت وقتاً أقل من المتوقع، وكنت في كل مرة أقول لنفسي، برغم علمي بأنها فكرة غبية، أن قمة الإوز خاصة.

ثم، ذات يوم، دخلَت ليندزي إيدجكوم إلى مطبخ تارا فلوت وكنت واقفة هناك، فوضعت عينيها في عيني وهمسَت، "هل تريدين أن تري شيئاً؟". ومن تلك اللحظة تغيرَت حياتي إلى الأبد، لأني منذ ذلك اليوم لم أغد إلى هناك ولا مرة واحدة.

ربما هذا هو السبب الذي جعلني أقرر أخذ إيزي إلى هناك، برغم الجو المتجمد في الخارج. كان لدي فضول أن أعرف إن كان لا يزال على حاله، أو إن كنت أنا لا أزال على حالي. كان لذلك أهمية لسبب ما. أضف إلى ذلك أنه من بين جميع الأشياء التي وضعتها على لائحتي الذهنية كان ذلك هو الأسهل، إذ من المستبعد أن تحط طائرة خاصة خارج المنزل لتقلّني، والسباحة وأنا عارية ستؤدي إلى اعتقالي أو إصابتي بذات الرئة أو كليهما.

لهذا شعرت أنه أفضل شيء أفعله تالياً. وأعتقد أنه

في تلك اللحظة بدأت أستوعب أن القصة بما فيها هي أن أفعل ما هو بالمستطاع.

"هل أنت واثقة أننا نسلك الطريق الصحيح؟"، وترنّحت إيزي بجواري وهي متدثرة بطبقات كثيرة جعلتها تبدو مثل رجل الثلج الشنيع. ومثل عادتها، أصرّت على ارتداء الإكسسوارات، فكانت تضع واقيات للأذنين وردية وسوداء منقطة مثل جلد الفهد ووشاحين مختلفين.

أجبتها، "هذه هي الطريق الصحيحة"، مع أني كنت في البداية أشعر أننا في المكان الخطأ. كل شيء صغير للغاية. الجدول - مسال رفيع من الماء المتجمد الأسود والمتشابك مع الثلج من كل الجهات - لا يزيد عرضه عن خطوة واحدة. التلة التي خلفه تنحدر للأعلى بلطف، مع أنها لطالما كانت عالقة في ذاكرتي كجبل.

أسوأ جزء في الموضوع هو المباني الجديدة، فقد اشترى أحدهم الأرض، وهناك منزلان في طورين مختلفين من الإنشاء. أحدهما لا يزال مجرد هيكل، ينتصب عالياً من الأرض وكله من الخشب المُبيّض والأوتاد والمسامير، وكأنه حطام سفينة جُرِف إلى اليابسة. البناء الثاني شبه منتهٍ. إنه ضخم ويبدو طبيعياً، مثل منزل آلي، وهو يقبع هناك على التلة وكأنه يحدّق بنا. وقد استغرقت بعض الوقت لأدرك السبب: لا حتى الآن، فأنا لا أرى أية ستائر على النوافذ.

شعرت بإحباط شديد، وأن المجيء إلى هنا كان فكرة سيئة، وتذكرت أمراً قالته مرة أستاذة اللغة الإنكليزية، الآنسة هاربور، خلال أحد استطراداتها العشوائية. قالت إن السبب الذي يمنعك كلياً من العودة إلى المنزل ثانية - كنا ندرس لائحة من

الاقتباسات الشهيرة ونناقش معناها، وكان ذلك أحدها، من كتابة توماس وولف، "لا يمكنك العودة إلى المنزل ثانية" - ليس بالضرورة بسبب تغيُّر الأماكن، بل بسبب تغيُّر الأشخاص. إذ يبدو بعدها كل شيء مختلفاً.

كنتُ على وشك اقتراح فكرة العودة، لكن كانت إيزي قد عبرت الجدول بالفعل وبدأت تسرع صعوداً على التلة.

"تعالي!" صاحت بـي من فوق كتفها. فقلتُ لها، وهي لا تبعد عن قمة التلة أكثر من عشرين متراً، "سأسابقك!".

على الأقل لا تزال قمة الإوز كبيرة كما أذكرها. رفعت إيزي نفسها لتصعد إلى القمة المسطحة، وأنا تسلقتُ بعدها، وكانت أصابعي قد بدأت تخزني داخل القفازات. كان سطح الصخرة مغطى بالأوراق المتجمدة الهشة وبطبقة من الصقيع، وهناك متسع لنتمدد نحن الاثنتين، لكننا جثمنا متلاصقتين كي نظلَّ نشعر بالدفء.

"إذاً ما رأيكِ؟"، قلتُ لها. "هل تجدينه مكاناً جيداً للاختباء؟".

"إنه الأفضل"، ومالت إيزي برأسها لتراني. "هل تعتقدين حقاً أن الوقت يمضي أبطأ هنا؟".

هززتُ كتفي بلامبالاة. "كنتُ مقتنعة بذلك حين كنتُ صغيرة"، ونظرتُ حولي. لم تعجبني رؤية المنازل من هنا. كنتُ في الماضي أشعر أنه مكان ناءٍ جداً، سريٌ جداً. "كان في الماضي يبدو مختلفاً تماماً، وأفضل بكثير. لم تكن هناك منازل، وكان ذلك يشعرني حقاً وكأني في وسط المجهول".

"لكن الآن إذا اضطررت لقضاء حاجتك أصبح بإمكانك الذهاب وقرع باب أحدهم وطلب ذلك

منه"، وطبعاً مع لدغتها المعروفة.

ضحكت. "أجل، أعتقد ذلك". جلسنا صامتتين لثانية. "إيزي؟".

"نعم؟".

"هل - هل سخر منك الأولاد يوماً؟ بسبب طريقة كلامك؟".

شعرت بها تتيبس داخل الطبقات والطبقات التي ترتديها. "أحياناً".

"إذاً لماذا لا تفعلين شيئاً بهذا الخصوص؟" سألتها. "كما تعلمين، يمكنك أن تتعلمي الكلام بطريقة مختلفة".

"لكن هذا هو صوتي"، قالتها بهدوء لا يخلو من الإصرار. "كيف ستستطيعين أن تعرفي أني أنا من يتكلم؟".

كان ذلك غريباً، جواب إيزي، ولم أجد رداً عليه فانحنيت عليها وعانقتها. لدي الكثير لأقوله لها، أشياء كثيرة لا تعرفها: كيف أني أتذكر حين دخلَت أول مرة إلى المنزل قادمة من المستشفى، فقاعة وردية كبيرة دائمة الابتسام، وكيف كانت معتادة أن تغفو وهي تمسك بسبابتي؛ كيف كنت أركِبها على ظهري وأسير بها صعوداً ونزولاً عن الأريكة، وهي ممسكة بربطة شعري لتوجهني من اتجاه إلى آخر؛ كيف يكون المرء متوتراً عند أول قبلة، ويجدها غريبة، ولا تكون جيدة كما يريدها، لكن لا يمانع؛ كيف يجب ألا يقع المرء في حب شخص لا يبادله هذا الحب. لكن قبل أن أنطق بشيء من ذلك صارت تمشي على يديها وركبتيها مبتعدة عني، وهي تصرخ، "انظري، سام!"، واقتربت من الحافة وهي تُحدّق بشيء عالق بشق صخري. استدارت على ركبتيها رافعة إياها مثل راية نصر: ريشة، بيضاء

شاحبة، ذات حواف رمادية، مكسوة بالصقيع.

شعرتُ في تلك اللحظة أن قلبـي يكاد ينفطر لأني أدركتُ أني لن أتمكن أبداً من إخبارها بأي من الأشياء التي أرغب بقولها. حتى أني لا أعرف من أين أبدأ. فأخذتُ الريشة منها ووضعتها في إحدى جيوب سترتي. قلتُ لها، "سأحافظ عليها آمنة"، ثم تمددتُ على الصخر المتجمد محدّقة بالسماء التي كانت قد بدأت تزداد قتامة مع اقتراب العاصفة.

"علينا أن نهرع إلى البيت، إيزي. سوف تمطر".

"حالاً"، وتمددَت بجواري مسندة رأسها على كتفي.

"ألا تشعرين بالدفء؟".

"أنا بخير".

في الواقع، لم نعد نشعر ببرودة الجو حين تمددنا بجوار بعضنا، ففتحتُ سحاب سترتي قليلاً. عندها اتكأت إيزي على مرفقها ومدَت يدها إلى قلادة الطائر الذهبـي على عنقي.

قالت "لماذا لم تعطني جدتي أي شيء؟". هذا روتين قديم.

"لم تكوني قد ولدتِ بعد، يا قليلة العقل".

استمرت إيزي بتقليب القلادة. "إنها جميلة".

"إنها لي".

"هل كانت الجدة لطيفة؟" وهذا أيضاً جزء من الروتين.

"أجل، كانت لطيفة". مع أني لم أكن في الحقيقة أتذكر الكثير عنها - توفيت حين كنتُ في السابعة - باستثناء حركة يديها في شعري حين كانت تمشطني، وطريقتها الدائمة في غناء ألحان الأفلام، مهما كان الشيء الذي تفعله. وكانت تشتهر بطهي كعكات الشوكولاته بالبرتقال الضخمة، أيضاً، وكان

تصنع لي أكبرها. "كنت لتحبينها".

زفرت إيزي بقوة وقالت، "أتمنى ألا يموت أحد أبداً".

شعرت بغصة في حلقي، لكني أرغمت نفسي على الابتسام. واعترتني في نفس اللحظة رغبتان متناقضتان، كل واحدة منهما حادة كالشفرة: الأولى هي أرغب في أن أراكِ تكبرين، والثانية هي ألا تتغيري أبداً. فوضعت يدي على رأسها قائلة "سيعج المكان بالناس".

ردّت إيزي ببساطة وواقعية، "سأنتقل إلى المحيط".

"كنت معتادة على الاستلقاء هنا على هذا النحو طوال الصيف"، قلت لها. "كنت أصعد إلى هنا وأتأمل السماء".

عادت وتمددت على ظهرها ثانية ليصبح نظرها إلى أعلى أيضاً. "أراهن أن هذا المنظر لم يتغير كثيراً، أليس كذلك؟".

كانت كلماتها بغاية البساطة حتى كدت أضحك. إنها محقة، طبعاً. "كلا. إنه نفسه تماماً".

تصورت أنه السر إذا ما كان المرء يتمنى أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً. يجب عليه أن يبحث.

خلال الظلام

تفقدت هاتفي حين عدت إلى المنزل: ثلاث رسائل جديدة. ليندزي، إيلودي، وآلي... ثلاثتهن أرسلن إليّ نفس الرسالة تماماً: عيد الحب، نحبك. على الأرجح أنهن كنّ معاً حين أرسلنها. هذا أمر نفعله أحياناً، أن نكتب ونرسل نفس الرسالة تماماً وفي نفس الوقت. كان ذلك سخيف، لكنه جعلني أبتسم. لم أرد. كنت

في الصباح قد أرسلت لليندزي رسالة أعلمها فيها بأن عليها الذهاب إلى المدرسة بدوني، وبرغم أننا لم نتشاجر اليوم فقد وجدت في النهاية من الغرابة أن نتبادل الإطراءات. في مكان ما - في زمان أو مكان أو حياة أو شيء ما آخر - لا أزال غاضبة منها وهي غاضبة مني.

أذهلتني السهولة التي تتغير فيها الأمور، ومدى سهولة البدء من جديد على نفس الطريق الذي كنت تسلكه دائماً والانتهاء في مكان جديد كلياً. فقط خطوة واحدة، وقفة واحدة، أو انعطافة واحدة خاطئة وستجد نفسك مع أصدقاء جدد أو سمعة سيئة أو صديق حميم أو انفصال. لم يحصل ذلك معي قط، إذ لم أكن قادرة على رؤيته. وقد جعلني ذلك أشعر، بشكل غريب، وكأن جميع تلك الاحتمالات المختلفة متواجدة معاً في نفس الوقت، كما لو أن لكل لحظة نعيشها آلاف اللحظات الأخرى المختلفة مكدسة في طبقات تحتها.

ربما أنا وليندزي أعز صديقتين ونكره بعضناً. ربما تفصلني حصة رياضيات واحدة عن أن أصبح فاسقة مثل كاتي كارجوللو. ربما أنا مثلها، في عمق أعماقي. ربما كلنا كذلك: تفصلنا استراحة غداء واحدة، بعيداً عن الأكل، وبمفردنا في الحمام. أتساءل إن كان ممكناً حقاً معرفة حقيقة شخص آخر، أم أن أقصى ما يمكننا فعله هو التعثر ببعضنا، ورؤوسنا للأرض، ونحن نأمل تجنب الاصطدام. أفكر بليندزي في حمام روزاليتا، وأتساءل كم هناك من أشخاص يخفون الأسرار كحفنة في قبضتي يديهم أو كحجارة في معدتهم. وربما يكون الجميع كذلك.

الرسالة الرابعة من روب وتقول باختصار، هل أنت

مريضة؟ محوتها وأطفأت هاتفي.

أمضيت أنا وإيزي بقية العصر نشاهد الأفلام القديمة، وأغلبها أفلام ديزني وبيكسر القديمة التي نحبها كلانا، مثل عروس البحر الصغيرة وإيجاد نيمو. صنعنا الفوشار بزبدة زائدة مع صلصة تاباسكو، بالطريقة التي يحضره بها والدي دائماً، وجلسنا في غرفة الهوايات، والإنارة كلها مطفأة، بينما كانت السماء في الخارج تزداد قتامة والأشجار تتمايل بشدة مع الرياح. حين حضرت والدتي إلى المنزل رجوناها لقضاء جمعة 'فورماجيو' - كنا معتادين على الذهاب إلى نفس المطعم الإيطالي كل ليلة جمعة ومن هنا جاء اسمها، لأن المطعم (الذي يمتاز بأغطية للطاولات المقطعة باللونين الأحمر والأبيض، ويضع أزهاراً بلاستيكية اصطناعية على الطاولات، ويُعزَف فيه على الأوكروديون) كان متواضعاً جداً - فقالت إنها ستفكر بالأمر، مما يعني أننا ذاهبون.

لم أكن قد بقيت في البيت ليلة العطلة منذ وقت بعيد جداً، وحين دخل والدي إلى المنزل ورآنا أنا وإيزي متكأتين على الأريكة ترنح عند الباب واضعاً يده على قلبه وكأنه أصيب بأزمة قلبية.

قال "هل أنا أهذي؟"، ووضع حقيبته على الأرض. "هل يمكن ذلك؟ سمانثا كينغستون؟ في المنزل؟ ليلة الجمعة؟".

أشحث بنظري. "لا أدري. هل أصبحت تتناول كثيراً من الممنوعات في الستينات؟ ربما هي مجرد ومضات من الماضي".

"كنث بعمر السنتين في عام 1960. وصلث إلى الحفلة متأخراً جداً". وانحنى علي وقبلني من رأسي، فسحبث نفسي بسرعة من باب العادة.

"وسوف لن أسألك من أين لك أن تعرفي عن الممنوعات وومضات الماضي".

صرخت إيزي "ما هي ومضات الماضي الناتجة عن الممنوعات؟".

"لا شيء"، قلناها أنا ووالدي في ذات الوقت، فابتسم بوجهي.

قررنا الذهاب إلى فورماجيو (الاسم الرسمي هو المطبخ المنزلي الإيطالي لويجي). الذي لم يغد اسمه في الواقع فورماجيو (أو لويجي) منذ سنوات. قبل خمس سنوات انتقل إليه مطعم سوشي واستبدل جميع الديكورات الاصطناعية والفوانيس الزجاجية بطاولات معدنية ملساء وبار من خشب البلوط. لكن لا يهم، سيظل دائماً هو فورماجيو بالنسبة لي.

كان المطعم مكتظاً للغاية، لكنا حصلنا على إحدى أفضل الطاولات بقرب أحواض السمك الغريبة المجاورة للنوافذ. كالعادة ألقى والدي دعابة سيئة عن مدى حبه للمطاعم التي تقدّم ثمار البحر، وطلبَت منه والدتي أن يبقى في مجال العمارة ويترك الكوميديا لمحترفيها. أثناء العشاء كانت والدتي بغاية اللطف معي لأنها كانت تعتقد أني أمر بصدمة عاطفية، وطلبنا أنا وإيزي نصف لائحة الطعام وانقضضنا على الفاصولياء والقريدس والتيمبورا وسلطة الأعشاب البحرية إلى أن شبعنا حتى قبل أن تصل الوجبة. والدي شرب كوبين من البيرا فثمل وبدأ يسلينا بقصص عن زبائنه المجانين، بينما ظلت والدتي تذكرني بأن أطلب كل ما يحلو لي، أما إيزي فوضعت منديلاً على رأسها متظاهرة بأنها رحّالة يتذوق لفائف كاليفورنيا للمرة الأولى.

حتى ذلك الحين كان يوماً جيداً - أحد أفضل

الأيام. قريباً من الكمال، حقاً، مع أنه لم يحصل إطلاقاً أي شيء مميز. فكّرت أني حظيت على الأرجح بأيام كثيرة كهذا، لكنها لسبب ما ليست الأيام التي أتذكرها. بدا لي ذلك خاطئاً الان، وفكّرت كيف كنا نستلقي في منزل ألي في الظلام وتساءلت إن كنت قد حظيت بيوم أتمنى أن أعيشه ثانية. بدا لي أن تكرار هذا اليوم مرة تلو مرة لن يكون بالأمر السيئ، وتخيلت أن هذا ما سأفعله - المتابعة على هذا المنوال، مراراً وتكراراً، إلى أن ينقضي الزمن بالكامل، وتتوقف حركة الكون.

قبل أن تصل التحلية مباشرة دخلت مجموعة كبيرة من طالبات السنتين الأولى والثانية، تعرفت إليهن من ثانوية توماس جيفرسون، وبعضهن لا زلن يرتدين سترات سباحة جي في. لا شك أنهنَ كنَ في اجتماع متأخر. كنَ في غاية النضارة، وشعورهن مرفوعة عن وجوههن، ومربوطة إلى الخلف، من دون مكياج - على نحو مختلف تماماً عما كنَ عليه حين يحضرن إلى حفلاتنا، حين يبدون وكأنهن أمضين ساعة ونصف للحصول على هدايا ترويجية من صندوق المحاسبة في متجر ماك. اثنتان منهن لاحظتا أني أراقبهن فأشاحتا بنظريهما بعيداً.

"مثلجات بالشاي الأخضر والفول السوداني"، ووضعت النادلة وعاءً ضخماً وأربع ملاعق أمامنا. فاندفعت إيزي مباشرة إلى المثلجات.

تأوه والدي ووضع يده على معدته. "لا أدري كيف أنكما لا تزالان جائعتين".

"فتيات في طور النمو"، وفتحت إيزي فمها مظهرة المثلجات وهي تسيل على لسانها.

"هذا مقزز، إيزي"، وتناولت ملعقتي وأخذت قليلاً من جهة الشاي الأخضر.

"سايكس! مرحباً! سايكس!".

أخذتُ أتلفت حولي عند سماع الاسم. كانت إحدى فتيات فريق السباحة نصف واقفة عند كرسيها، وتلوّح بيدها. أجريتُ مسحاً على المطعم بحثاً عن جولييت، لكن لم يكن هناك سوى شخص واحد عند الباب. كانت نحيلة وشاحبة وشقراء جداً، وهي تقف وتهز كتفيها لتنفض المطر عن سترتها. استغرقتْ ثانية للتعرُّف إليها، لكن بمجرد استدارتها بدائرة كاملة بحثاً عن صديقاتها عرفتها: إنها الفتاة بزي الملاك من حصة الرياضيات - الملاك الذي سلّمتني ورودي.

حين رأت بقية زميلاتها في الفريق رفعت يدها قليلاً وأومأت بحركة سريعة من أصابعها، ثم بدأت تشق طريقها نحوهن، وحين مرّت بطاولتنا لمحتُ سترة السباحة خاصتها ذات الألوان النيونية الزرقاء والبرتقالية، وشعرتُ وكأن كامل الصالة قد اختفت ولم يتبقَ سوى تلك الأحرف الخمسة، تضيء مثل الإشارات.

سايكس.

شقيقة جولييت الصغرى.

"نداء إلى سامي"، ووكزتني إيزي بطرف ملعقتها. "سوف تذوب مثلجاتك".

"لم أغدُ جائعة"، ووضعتُ ملعقتي ونهضتُ عن الطاولة.

"إلى أين أنت ذاهبة؟"، ومدّت أمي يدها ممسكة بمعصمي، لكنني بالكاد كنتُ أشعر بها.

"خمس دقائق"، وسرتُ باتجاه طاولة فريق السباحة، محدقة طوال الوقت بالفتاة الشقراء ووجهها الشبيه بشكل القلب. لا أصدق أني لم

أر الشبه من قبل. لهما نفس العينين الزرقاوين الواسعتين، نفس الجلد الشفاف والشفاه الشاحبة. علماً أني لم أكن حتى مؤخراً قد نظرت فعلاً إلى جولييت، مع أنه لا شك أني رأيتها آلاف المرات.

أمسكت فتيات فريق السباحة بلوائح الطعام، وكن يضحكن ويمازحن بعضهن. سمعت إحداهن تلفظ اسم روب بشكل صريح - على الأرجح أنها تقول كم هو جميل في قميصه اللاكروس (كان يجب أن أعرف؛ كنت أقول ذلك طوال الوقت). لم أكن آبه لشيء على الإطلاق. حين أصبحت على بعد مترين من الطاولة لاحظتني إحداهن، وفجأة خيّم الصمت على كامل الطاولة، والفتاة التي كانت تتكلم عن روب أصبحت بلون لائحة الطعام التي في يدها.

كانت سايكس الصغيرة محشورة في أقصى الطاولة، فسرت مباشرة نحوها.

"هاي". لكن بعد أن وقفت هناك لم أعد متأكدة لماذا جئت إلى هنا. وأطرف جزء في الموضوع هو أني الشخص المتوتر. "ما اسمكِ؟".

"ام... هل فعلت شيئاً؟"، وكان صوتها مرتعشاً بمعنى الكلمة. سلوك بقية الفتيات لم يكن مساعداً، إذ كنّ ينظرن إليّ وكأنهن يتوقعن مني في أية ثانية أن أنقضّ عليها وأبتلع رأسها أو ما شابه.

"كلا، كلا، كنت فقط..."، وبادرتها بابتسامة بسيطة. الآن وقد رأيته، أصبح الشبه بينها وبين جولييت يثير أعصابـي. "لديك شقيقة كبرى، صحيح؟".

زمّت فمها ليصبح كخط رفيع، وأصبحت عيناها ضبابيتين، وكأنها تضع جداراً بيننا. أنا لا ألومها طبعاً، فعلى الأرجح أنها تعتقد أني سوف أوبخها لأن لديها أختاً كبرى مخبولة. لا شك أن ذلك يحصل معها كثيراً.

لكنها رفعت ذقنها ونظرت إليّ مباشرة في عينيّ. ذكّرني ذلك بشيء يمكن أن تفعله إيزي. سام غير ذاهبة إلى المدرسة، وأنا كذلك أيضاً. "أجل. جولييت سايكس". ثم انتظرت بصبر، متوقعة مني أن أبدأ بالضحك.

كانت عيناها ثابتتين لدرجة أني أشحث بنظري عنها. "أجل. أنا، امم، أعرف جولييت".

"أتعرفينها حقاً؟"، ورفعت حاجبيها.

"حسنٌ، نوعاً ما". كانت جميع الفتيات يحدقن بـي الآن، وراودني شعور بأنهن يحجمن بصعوبة عن فتح أفواههن. "إنها - إنها نوعاً ما شريكة في المختبر".

وجدتها حجة مقنعة. فحصّة العلوم إلزامية، ويجب أن يكون لكل طالب شركاء في المختبر.

استرخى وجه شقيقة جولييت قليلاً. "جولييت جيدة حقاً في البيولوجية. أقصد أنها جيدة حقاً في المدرسة"، وسمحَت لنفسها بالابتسام. "أنا ماريان".

"هاي". اسم ماريان يناسبها: اسم نقي، بطريقة ما. صارت راحتا يديّ تتعرقان، فمسحتهما بسروالي الجينز. "أنا سام".

أخفضَت ماريان نظرها وقالت باستحياء، "أعرف من تكونين".

التفّت ذراعان حول خصري. إنها إيزي جاءت من خلفي. وطرف ذقنها وكزني في جنبـي.

"المثلجات تكاد تنتهي"، قالت لي. "أأنت واثقة أنك لا تريدين شيئاً منها؟".

ابتسمت ماريان نحو إيزي. "ما اسمك؟".

قالت إيزي بفخر، "إليزابيت"، ثم انكمشت قليلاً. "لكن الجميع ينادونني إيزي".

"حين كنت صغيرة كان الجميع ينادونني ماري"، وصنعت ماريان حركة بوجهها. "أما الان فالجميع ينادونني ماريان".

قالت إيزي، "لا أمانع كثيراً باسم إيزي"، وهي تعض على شفتها وكأنها قررت ذلك للتو.

نظرت ماريان نحوي. "لديك أخت صغرى أيضاً. هاه؟".

فجأة لم أعد أقوى على النظر إليها. لم أعد قادرة على التفكير بما سيحصل لاحقاً. أنا أعرف: الصمت في المنزل، والطلق الناري.

ثم... ماذا؟ هل ستكون هي أول شخص ينزل على الدرج؟ هل ستكون تلك الصورة الأخيرة لأختها هي التي ستدوم، وستمحو جميع الذكريات التي كانت قد خزّنتها على مدى السنين؟

أصبت بالذعر وأنا أحاول التفكير بنوع الذكريات التي تحتفظ بها إيزي عني - سوف تحفظها عني.

"تعالي، إيزي. دعينا نترك الفتيات يتناولن طعامهن". كان صوتي يرتجف، لكني لا أعتقد أن أحداً لاحظ ذلك. ربّث على رأس إيزي فهرعَت عائدة إلى طاولتنا.

عادت الثقة الآن إلى الفتيات الجالسات إلى الطاولة. بدأت الابتسامات تتزايد، وجميعهن ينظرن إلي باستغراب وكأنهن غير مصدقات كم أنا لطيفة. كأني منحتهن هدية. أكره ذلك. من المفترض أن يشعرن بالكره نحوي. لو عرفن أي نوع من الأشخاص كنت لكرهنني. أنا واثقة من ذلك.

لا أدري لماذا توارد كينت إلى ذهني حينها، لكنه كذلك. كان سيكرهني لو عرف كل شيء. وإدراك تلك الحقيقة جعلني منزعجة بشكل غريب.

بحث لها بالقول، "قولي لجولييت ألا تفعلها"، لكني بعدها لم أصدق أني قلت ذلك.

تجعّدت جبهة ماريان. "ألا تفعل ماذا؟".

قلت بسرعة، "قصة مشروع العلوم"، ثم أضفت، "سوف تعرف هي عما أتكلم".

"حسنٌ"، وابتسمت ماريان بوجهي. بدأت بالابتعاد، لكنها نادتني. "سام!". استدرت، فصفقت يديها على فمها وراحت تقهقه، وكأنها لا تصدق أنها امتلكت الشجاعة للفظ اسمي.

"يجب أن أخبرها غداً"، قالت لي. "جولييت ستخرج من المنزل الليلة". قالت ذلك كما لو أنها تقول، جولييت ستكون متفوقة. يمكنني أن أتخيل المشهد. الأم والأب والأخت في الطابق السفلي، وجولييت محبوسة في غرفة نومها كالعادة، ترفع صوت الموسيقى، وحيدة. ومن ثم - معجزة المعجزات - تنزل، شعرها إلى الخلف، واثقة، هادئة، وتعلن أنها ذاهبة إلى حفلة. لا شك أنهم كانوا سعداء للغاية، وفخورين. فابنتهم الصغيرة الوحيدة تبلي حسناً في نهاية السنة الأخيرة.

إلى حفلة كينت. للعثور على ليندزي - للعثور علي. ليتم دفعها وتعثرها وتبليلها بالبيرة.

فجأة لم يعد مطعم السوشي هذا مريحاً. لو كانت لديهم أدنى فكرة...

"لكني حتماً سأخبرها غداً". ابتسمت ماريان بوجهي، كمصباح سيارة أمامي يشع بوجهي في الظلام.

بقيت طوال طريق العودة إلى المنزل أحاول نسيان ماريان سايكس. حين تمنى لي والدي ليلة هانئة - من عادته دائماً أن يتداعى بعد شرب

البيرة، والليلة كان (يلهث!) أيضاً - كنث أحاول نسيان ماريان سايكس. حين دخلت إيزي بعد نصف ساعة، مستحمة وتفوح منها رائحة النظافة وترتدي بيجامتها الرمادية، وزرعت قبلة رطبة على وجنتي، كنث أحاول نسيانها؛ وبعد نصف ساعة من ذلك، حين وقفت أمي على بابـي قائلة، "أنا فخورة بك، سام"، كنث لا أزال أفكر بها.

أوت أمي إلى فراشها، وخيّم الصمت على المنزل. في مكان ما في الظلام الحالك كانت هناك ساعة تدق، وحين أغلقث عيني تخيلث جولييت سايكس تتقدم نحوي بهدوء، وحذاؤها ينقر على أرضية خشبية والدماء تسيل من عينيها...

جلسث في فراشي، وقلبـي يخفق بسرعة. ثم نهضث، وبحثث عن سترة 'نورث فيس' في الظلام.

كنث هذا الصباح قد أقسمث ألا شيء في العالم يمكن أن يجعلني أعود إلى حفلة كينت، لكن هاأنذا، أنزل الدرجات على رؤوس أصابعي، أسير بمحاذاة الجدران في الممرات المظلمة، أسرق مفاتيح أمي من على الرف في البهو. صحيح أنها كانت إنسانية على نحو لافت معي اليوم، لكن آخر ما أحتاجه هو حديث مطوّل عما جعلني أتغيب اليوم عن المدرسة وبعدها أخرج من المنزل.

حاولث أن أقنع نفسي بأن جولييت سايكس ليست هي مشكلتي الحقيقية، لكني لا أنفك أتخيل كم سيكون مرعباً أن يكون هذا يومها. إن كان عليها أن تعيشه مرة تلو أخرى. فكّرث ملياً في أن الجميع - وحتى جولييت سايكس - يستحق أن يموت في يوم أفضل من هذا.

مفاصل البابين الأمامي والخلفي تصرُّ بصوت عالٍ لدرجة أنها تصلح لتكون أيضاً ساعات منبه (أعتقد

أحياناً أن والديّ تعمدا أن تصبح على هذا النحو).
دخلت إلى المطبخ وسكبت بعض زيت الزيتون على منديل ورقي، ثم فركت به مفاصل الباب الخلفي. ليندزي هي من علّمتني هذه الحيلة، وهي لا تنفك تطوّر أساليب جديدة مبتكرة للتسلل من المنزل، مع أنها لا تخضع لقوانين حظر التجول، وليس مهماً لسبب ما متى تغادر المنزل ومتى تعود. أعتقد أنها تفتقد ذلك، فعلاً. وأعتقد أنها لهذا السبب مهووسة دائماً بالتفاصيل - إنها تحب أن تتظاهر بأن عليها أن تكون كذلك.

فتحت الباب وبالكاد أصدرت مفاصله المصممة على الطراز الإيطالي همساً، وخرجت.

لم أكن قد فكرت فعلياً بالسبب الذي يجعلني أتوجه إلى حفلة كينت، أو ماذا سأفعل حين أصبح هناك، وبدلاً من قيادة السيارة إلى هناك مباشرة وجدت نفسي أنعطف في الشوارع بشكل عشوائي وأدخل طرقات مسدودة وأدور في مكاني. معظم المنازل كانت على مسافة من الشارع، والنوافذ المضاءة تضفي جواً سحرياً في العتمة مثل القناديل المعلقة. أذهلني كم تبدو الأشياء مختلفة في الليل - تكاد تصبح غير معروفة، وخاصة تحت المطر. المنازل تنتصب شامخة ضمن حدائقها، حميمة وتنبض بالحياة. تبدو مختلفة تماماً عما هي عليه في النهار، حين يكون كل شيء في ريدجفيو نظيفاً ولامعاً ومقلّماً بعناية، حين يسود النظام لدرجة كبيرة، فالأزواج يتوجهون إلى سياراتهم وبأيديهم أكواب قهوتهم، تتبعهن الزوجات بعد قليل، بملابسهن الرياضية، والبنات الصغيرات في ثيابهن الطفولية يجلسن في مقاعد سيارات ليكسوس ذات الدفع الرباعي وأكواب ستاربوكس والمظاهر

الطبيعية الأخرى. أتساءل أي منهما هو الوجه الحقيقي للمدينة.

بالكاد توجد بضع سيارات على الطريق. تابعث الالتفاف والدوران بسرعة خمس وعشرين كيلومتر في الساعة. كنث أبحث عن شيء ما، لكني لا أدري ما هو. مررث بشارع إيلودي وتابعث طريقي. مصابيح الشارع تلقي بأضوائها وتنير قليلاً داخل السيارة، ثم أجد نفسي ثانية في العتمة.

كشفت مصابيحي الأمامية إشارة خضراء على بعد خمسة عشر متراً: مسكن الصفاء. وفجأة تذكرث حين كنا جالسين في مطبخ آلي في السنة الأولى ووالدتها تثرثر على الهاتف إلى ما لا نهاية، وهي تتمشى جيئة وذهاباً عارية القدمين وتلبس سروال اليوغا. "إنها تأخذ جرعتها اليومية من الثرثرة"، قالت آلي وهي تدير عينيها. "ميندي ساتشز أفضل من أسبوعية يو إس". حينها علّقت ليندزي على المفارقة في أن السيدة ساتشز تقطن في مسكن الصفاء - وكأنها لا تجلب الصخب معها - وعندها فهمت للمرة الأولى معنى كلمة مفارقة.

جذبث عجلة القيادة في اللحظة الأخيرة ودسث على الفرامل لأقف عند مسكن الصفاء. لم يكن الشارع طويلاً - ليس فيه أكثر من عشرين منزلاً - وهو مثل معظم شوارع ريدجفيو ينتهي بطريق مسدود. قفز قلبـي حين رأيت سيارة ساب فضية مركونة في أحد الممرات. على اللوحة مكتوب: أم لأربعة. تلك هي سيارة السيدة ساتشز. لا شك أني قريبة.

المنزل المجاور يحمل الرقم تسعةً وخمسين، ويميزه صندوق بريد من القصدير على شكل ديك يقف وسط أصيص أزهار لا يبدو في هذا الوقت من

السنة أكثر من مجرد صندوق قمامة. كلمة 'سايكس' مطبوعة على جناح الديك، بأحرف صغيرة جداً تجعلك مضطراً للبحث قبل أن تتمكن من رؤيتها.

لا يمكنني أن أشرح كيف، لكني بطريقة ما أشعر أني عرفتُ المنزل. لم تكن به أية مشكلة - وهو لا يختلف عن بقية المنازل، ليس الأكبر، وليس الأصغر، والعناية بادية عليه بطلائه الأبيض وعتباته القاتمة والمصباح الوحيد الذي ينير الدرجات. لكن هناك شيء آخر، فهناك ميزة فيه لم أستطع تحديدها تجعله يبدو كبيراً بالنسبة لنفسه، وكأن شيئاً ما في الداخل يجاهد للخروج منه، وكأن المكان بأسره يوشك على التشظي. إنه منزل بائس لسبب ما.

دخلتُ إلى الموقف. أعلم أنه ليس لديَ ما أفعله هنا، لكني لم أستطع المقاومة. وكأن شيئاً ما يجذبني من الداخل. كان المطر ينهمر بغزارة، فتناولتُ قميصاً من المقعد الخلفي - على الأرجح أنه لإيزي - واستخدمته لأحمي رأسي وأنا أنزل من السيارة إلى الشرفة الأمامية، وأنفاسي تتكاثف أمامي. وقبل أن أفكر ملياً فيما أنا فاعلة، قرعتُ الجرس.

مرّ وقت طويل قبل أن يجيب أحد، فصرتُ أهرول في مكاني وأنفاسي تتصاعد أمام وجهي في محاولة للبقاء دافئة. وأخيراً سمعتُ صوت جلبة من الداخل، وبعدها صرير مفاصل الباب. انفتح الباب، وإذ بامرأة تقف هناك وهي تنظر إلي مرتبكة: إنها والدة جوليت. كانت ترتدي بُرنس الحمام وتغلقه بإحدى يديها. كانت نحيلة مثل جوليت، ولها نفس العينين الزرقاوين الصافيتين والجلد الشفاف مثل ابنتيها. حين نظرتُ إليها تذكّرتُ سحابة دخان صغيرة تتصاعد في العتمة.

"هل يمكنني مساعدتك؟" كان صوتها ناعماً جداً.

كنت مرتبكة شيئاً ما، فقد توقعت لسبب ما أن ماريان هي من سيفتح الباب. "اسمي سام - سامانثا كينغستون. أبحث عن جولييت". وبما أنها نجحت في المرة الأولى، أضفت قائلة "هي شريكتي في المختبر".

من الداخل صرخ رجل - والد جولييت، على ما أعتقد - "من هذا؟" كان الصوت عالياً وحاداً ويختلف كثيراً عن صوت السيدة سايكس، ومن دون شعور تراجعت قليلاً إلى الوراء.

قفزت السيدة سايكس قليلاً وأدارت رأسها بسرعة، ومن دون شعور فتحَت الباب بضع سنتمترات إضافية. الممر الذي خلفها كان معتماً، وظلال زرقاء وخضراء تتراقص على أحد الجدران، وصور مسقطة من تلفاز في غرفة لا يمكنني رؤيتها. "لا أحد"، قالت بسرعة، وصوتها موجه إلى العتمة التي خلفها. "أحدهم يسأل عن جولييت".

"جولييت؟ أحد ما هنا من أجل جولييت؟" وكان صوته كالنباح تماماً، نباح، نباح، نباح. فصرت أقاوم رغبة جامحة عصبية للضحك.

"سأهتم بالأمر"، وعادت السيدة سايكس إلي. ومن جديد ضاقت زاوية الباب مع حركتها، وكأنها تتكئ عليه لتدعم وقفتها، وابتسامتها لم تصل لغاية عينيها. "جولييت ليست في المنزل الآن. هل هناك ما يمكنني مساعدتك به؟".

"أنا، امم، تغيبت عن المدرسة اليوم. كانت لدينا وظيفة صعبة..."، ثم عجزت عن متابعة الكلام، وتسرّب إليّ الشعور بالندم لمجيئي. وبرغم سترة 'نورث فيس' التي أرتديها صرت أرتجف كالمجنونة. لا شك أني أبدو كالمجنونة أيضاً وأنا أقفز من رجل

إلى رجل وأحمل قميصاً فوق رأسي مثل مظلة.

في النهاية بدا أن السيدة سايكس لاحظت الأمر، وأني أقف تحت المطر، فقالت "لماذا لا تدخلين". وتراجعت إلى الوراء، فتبعتها.

إلى اليسار كان هناك باب مفتوح على الممر، وفي الداخل كان التلفاز. لمحث كنبة وخيال شخص جالس عليها، وطرف فك ضخم ينعكس عليه اللون الأزرق من الشاشة. عندها تذكرث ما قالته ليندزي عن أن والد جولييت مدمن على الكحول، وتذكرث أيضاً بشكل مبهم أني سمعث نفس تلك الإشاعة، وأشياء أخرى أيضاً - أنه قد وقعت حادثة ما، شيء يتعلق بشلل نصفي أو الحبوب أو شيئاً آخر. تمنيث لو أني أعرث حينها اهتماماً أكبر.

لاحظت السيدة سايكس أني أنظر من الباب فتقدمت مسرعة إليه وأغلقته. ساد الظلام وبالكاد صرث أرى، وأدركث أني لا أزال أشعر بالبرد. وحتى لو كانوا يشغلون التدفئة في المنزل ما كنث سأشعر بها. من غرفة التلفاز سمعث صوت صراخ من فيلم رعب، والإيقاع الثابت لرشاش أوتوماتيكي.

لا شك أني الآن نادمة جداً على القدوم. للحظة راودني هذا التصور الغريب من أن جولييت تنحدر من عائلة كاملة من القتلة المتسلسلين المجانين، وأن السيدة سايكس ستنال مني في أية لحظة. العائلة كلها مخبولون، هذا ما كانت ليندزي قد قالته. العتمة تضغط علي من جميع الاتجاهات، وتصبح خانقة، وكدث أبكي من شدة الامتنان حين أدارت السيدة سايكس مصباح الإنارة وظهر الممر مضاءً وطبيعياً، وليس مليئاً بتذكارات لأشخاص موتى أو ما شابه. على طاولة جانبية رأيت تشكيلة من الأزهار المجففة مزينة بشريط، وبجانبها صورة

عائلية مؤطّرة. تمنيث لو أستطيع النظر إليها عن قُرب أكثر.

"هل هي مهمة، هذه الوظيفة؟" سألت السيدة سايكس بصوت أقرب إلى الهمس. ثم نظرت بطريقة عصبية باتجاه غرفة التلفاز، فتساءلث إن كانت تعتقد أن صوتها كان مرتفعاً جداً.

"أنا فقط... أنا أعطيث جولييت وعداً بأني سوف أجلب بعض الأغراض من أجل عرضنا التقديمي الأولي يوم الاثنين"، وحاولتُ أن أجعل صوتي خفيضاً، لكنها ظلت منقبضة. "اعتقدتُ أن جولييت قالت إنها ستكون في المنزل الليلة".

"لقد خرجَت جولييت"، قالت لي، ثم، وكأنها غير معتادة على قول تلك الكلمات وتريد اختبارها على لسانها، كررَت، "لقد خرجَت. لكن هل يمكن أن تكون قد تركتها لك؟".

قلث لها "يمكنني البحث عنها". كنث أريد رؤية غرفتها، وعندها أدركث سبب قدومي إلى هنا. يجب أن أراها. "على الأرجح أنها تركتها على سريرها أو ما شابه"، وحاولت أن يكون كلامي عادياً، كما لو أني أنا وجولييت على توافق جيد مع بعضنا - وكأنه ليس غريباً أن آتي إلى منزلها في العاشرة والنصف مساءً ليلة الجمعة وأتسلل بمكر إلى غرفة نومها.

تردّدت السيدة سايكس، فقالت لي، "ربما يمكنني الاتصال بهاتفها الجوال"، ثم أضافت مبرّرة، "جولييت تكره أن يدخل أحد غرفتها".

أجبتها بسرعة، "لست مضطرة للاتصال بها". على الأرجح أن جولييت ستطلب من أمها أن تحضر لي الشرطة. "ليس الأمر بتلك الأهمية. سآمر لاخذها غداً".

"لا، لا، سأتصل بها. سيستغرق ذلك ثانية واحدة"، وفجأة اختفت والدة جولييت في المطبخ. أذهلتني سرعتها وخفتها في الحركة، كأنها حيوان يظهر ويختفي في الظلال.

خطر لي أن أغادر المنزل بينما هي في المطبخ. فكّرت في الذهاب إلى المنزل والتقوقع في السرير ومشاهدة أفلام قديمة على الكمبيوتر، وربما أصنع قدراً من القهوة وأسهر طوال الليل. إذا لم أنم البتة فقد يتحول اليوم إلى الغد. وهنا تساءلت كم يمكن أن يمضي علي من وقت بدون نوم قبل أن أخلع قميصي وأبدأ بالجري في الشارع بملابسي التحتية وأنا أهلوس بالعناكب الأرجوانية.

لكن بدلاً من ذلك بقيت واقفة هناك، منتظرة. لم يكن هناك ما أفعله، فتقدمت بضع خطوات وانحنيت لأنظر إلى الصورة الموضوعة على الطاولة. لأول وهلة أصابني الارتباك، فهي صورة امرأة غير مألوفة، على الأرجح أنها في الخامسة والعشرين أو الثلاثين، تلف ذراعيها حول شاب بهي الطلعة يرتدي قميصاً من الفانيلا. الألوان كلها مشبعة وزاهية، والثنائي يبدو مثالياً، رائعاً، بأسنانهما الناصعة البياض والابتسامة المبهرة والشعر البني الجميل. بعدها رأيث الكلمات المطبوعة في زاويةِ أسفلَ الصورة - شركة صور 'شادو كاست' - فأدركث أنها ليست صورة عائلية حقيقية. إنها إحدى الصور العامة التي تُباع مع إطارات الصور كدعاية لكافة اللحظات السعيدة التي يمكن أن تحفظها للأبد ضمن إطار فضي مقاسه 5×7 إنش محفور عليه صور فراشات. لم يكلف أحد نفسه عناء استبدال الصورة.

وربما أن عائلة سايكس ليس لديها الكثير من

اللحظات السعيدة المشرقة لتتذكرها.

ابتعدث بسرعة متمنية لو أني لم أنظر، فبرغم أنها مجرد صورة لعارضين، انتابني شعور غريب بأني نظرث إلى شيء شخصي جداً، كما لو أني لمحث بمحض الصدفة منطقة حساسة أو ما شابه.

لم تغد السيدة سايكس بعد، فزحث أتجول خارجة من الممر لأدخل غرفة المعيشة إلى اليمين. كانت الغرفة شبه معتمة، وبدا كل شيء منقوشاً ومخرّماً ومزيناً بالأزهار المجففة، وكأن الغرفة لم يتغير ديكورها منذ الخمسينات.

وكان هناك ضوء واحد باهت يشع قرب النافذة، ملقياً انعكاساً دائرياً على لوح الزجاج الأسود، وبنتيجته يظهر جزء من الغرفة بشكل منمنم.

ووجه.

وجه يصرخ وهو يضغط على النافذة.

أطلقث زعقة من الفزع قبل أن أدرك أن هذا، أيضاً، هو انعكاس. كان هناك قناع موضوع على طاولة مقابل النافذة تماماً ووجهه إلى الخارج. ذهبث إليه ورفعتهٔ بحرص من على قاعدته. إنه وجه امرأة مصنوع من ورق الجرائد ومقطّب بخيوط حمراء متقاطعة تبدو مثل ندوب فظيعة، وهناك كلمات تمتد من عند جسر الأنف عبر الجبهة، يبدو أنها عناوين معينة بعضها واضح وبعضها الآخر لا، مثل "علاج للجمال" و"هجمات تراجيدية". وهناك أيضاً قصاصات صغيرة من الورق مسحوبة من أجزاء مختلفة من الوجه تجعله يبدو وكأنه ينسلخ. الفم والعينان مفتوحة بالكامل، وحين وضعث القناع على وجهي كان مقاسه ملائماً. الانعكاس على النافذة كان مريعاً، وبدوث كشيء مريض أو كوحش من فيلم رعب. لم أستطع إبعاد نظري، وتساءلث إن

كانت جولييت ترى نفسها بهذه الطريقة، أم أنها ترانا نحن على هذا الشكل. ربما الاثنين معاً.

"جولييت هي من صنعه".

الصوت القادم من خلفي جعلني أقفز. إنها السيدة سايكس تظهر ثانية وهي متكئة على الباب وتنظر إلي بتجهم.

نزعت القناع وأعدته بسرعة إلى قاعدته، وقلت لها متلعثمة، "أنا جد آسفة. رأيتهُ و... فقط أردت أن أجربه".

تقدّمت السيدة سايكس وصححت وضعية القناع. "حين كانت جولييت أصغر كانت دائماً ترسم وتلون وتخيط ملابسها بنفسها"، وهزّت السيدة سايكس كتفيها ولوّحت بيديها. "لا أعتقد أنها مهتمة جداً بهذه الأشياء الآن".

"هل تكلمتِ مع جولييت؟"، سألتها بتوتر منتظرة منها أن تطردني خارجاً.

رمشت السيدة سايكس في وجهي عدة مرات، وكأنها تحاول تصحيح تركيزها. "جولييت..."، وكرّرتها ثم هزّت رأسها. "اتصلت بهاتفها عدة مرات ولم تُجب. هي في العادة لا تخرج من المنزل أيام العطلة..."، ونظرَت إلي السيدة سايكس بقنوط.

قلت لها بأقصى ما أمكنني من الابتهاج "أنا متأكدة أنها بخير"، لكني شعرت بأن كل كلمة أقولها مثل سكين تنغرس في معدتي. "على الأرجح أنها لم تسمع الهاتف".

فجأة أصبح جل ما أريده هو الخروج من هنا. لم أعد أطيق الكذب على السيدة سايكس. كانت تبدو حزينة جداً وهي تقف هناك برداء نومها، مستعدة لتأوي إلى سريرها - كما لو أنها نائمة سلفاً، إلى حد

ما. هكذا كان يوحي المنزل بأكمله، وكأن نوماً عميقاً يلفه بأسره، نوم من النوع الخانق لا يدعك تستيقظ، ويسحبك مجدداً إلى أغطيتك لتغرق تحتها مهما قاومت.

تخيلت جولييت تتسلل إلى غرفتها في الظلام، السكون، سحابة النوم الكثيفة تخيم على المكان، صرير الأرضية ومشعات الحرارة التي تدور بصمت، وحركة أشخاص يدورون حول بعضهم الآخر دونما كلمة... ثم...

بانغ.

سارت معي السيدة سايكس إلى المدخل الأمامي. "يمكنك المجيء غداً"، قالت لي. "أنا واثقة أن جولييت ستكون قد جهّزت كل شيء. الشعور بالمسؤولية من طبعها. إنها فتاة طيبة".

"طبعاً. في الغد". لم أكن أرغب في قول هذه الكلمات، فلوّحت تلويحة وداع سريعة قبل أن أختفي في الظلام وصولاً إلى سيارتي.

كان الجو أبرد من ذي قبل. المطر الممزوج بالثلج ينهمر على سقف السيارة بينما أجلس بانتظار تحمية المحرك وأنا أنفخ على يدي وأفركهما ببعضهما، والفرح يغمرني لخروجي من هناك وكأن ثقلاً انزاح عن صدري بمجرد خروجي من المنزل، وكأن الجو والضغط في الداخل مختلف عما هنا وأثقل. انطباعي الأول كان صحيحاً: إنه حقاً منزل بائس. رأيت خيال والدة جولييت خلف النافذة، فتساءلت إن كانت تنتظر مغادرتي أم تنتظر عودة ابنتها.

هنا اتخذت قراراً. لقد عرفت ماذا سأفعل. سأذهب إلى منزل كينت وسأمسك بجولييت، وإذا ما اضطر الأمر، سألكمها في وجهها. سأجعلها ترى كم هي

فكرة الموت سخيفة برمّتها (لن يكون ذلك قطعاً نزهة بالنسبة لي) وفي أسوأ الأحوال سأقيدها في المقعد الخلفي لسياراتي كي لا تستطيع يديها بلوغ البندقية.

أدركت أني لم أفعل حقاً شيئاً نافعاً لأحد آخر، على الأقل في الآونة الأخيرة. كنت أتطوع أحياناً لإيصال الطعام إلى المحتاجين والمرضى، لكني كنت أفعل ذلك لأن الجامعات تحب مثل هذا النوع من الأعمال، وخاصة جامعة بـي يو التي تورِد الأعمال الخيرية على قسم الطلبات على موقعها الإلكتروني. صحيح أني لطيفة مع أصدقائي، وأقدّم هدايا رائعة في أعياد الميلاد (ذات مرة أمضيت شهراً ونصف في جمع ملّاحات على شكل أبقار لأهديها لالي، لأنها تحب الأبقار والملح)، لكني بشكل عام لا أقوم بأعمال صالحة كغاية بحد ذاتها. هذا العمل سيكون عملي الصالح.

بعدها التمعت في ذهني فكرة. تذكرت حين كنا ندرس دانتي في مادة اللغة الإنكليزية، وكان بن قوان يُلح في السؤال إن كان ممكناً للأرواح المعذبة أن تنجو من عذاب الجحيم (ذات مرة تم إيقاف بن قوان لثلاثة أيام لأنه رسم صورة قنبلة تفجّر الكافيتريا والرؤوس تتطاير في كل مكان، وهذا ما يجعل سؤاله عادياً)، وعندها استرسلت الآنسة هاربور في أحد استطراداتها وقالت لا، لا يمكن إطلاقاً، لكن بعض المفكرين المسيحيين المعاصرين يعتقدون أنه بالإمكان الخلاص من العذاب والانتقال إلى النعيم إذا ما كفّر المرء بشكل ملائم عن خطاياه. لم أكن مقتنعة يوماً بوجود الجنة، وكانت الفكرة تبدو لي جنونية: أن يكون الجميع سعداء ومتحدين، وأن فريد استير وأينشتاين يرقصون

التانغو فوق الغيوم، وكل تلك الأفكار.

لكن في نفس الوقت لم أعتقد يوماً أني سأعيش نفس اليوم مراراً وتكراراً إلى ما لا نهاية. هذا ليس أكثر جنوناً مما يحدث معي حالياً. قد تكون المسألة برمتها أنه عليَ أن أثبت أني شخص صالح. ربما يجب أن أثبت أني أستحق المتابعة.

ربما تكون جولييت سايكس هي الشيء الوحيد الذي يفصل بيني وبين الخلود وما فيه من نوافير الشوكولاته والحب الكامل والشبان الذين يتصلون حين يقولون إنهم سيفعلون ذلك والبوظة بالموز التي تساعد على حرق الحريرات.

ربما هي تذكرتي للخروج.

تأخير مستهجن

لم أكلف نفسي عناء ركن السيارة في موقف كينت. أنا أصلاً لا أنوي البقاء هنا طويلاً، ولا أريد أن تحتجزني السيارات الأخرى. وعلاوة على ذلك، راقتني فكرة السير في الغابة تحت المطر. إنه اختبار، طريقة أخرى لأضحي بنفسي. ومن خلال ذكرياتي المحدودة عن مدرسة الأحد (تراجعَت أمي عن الشجار بعد أن أصابتني ثورة غضب عارمة حين كنث في السابعة من العمر وهددث بأن أتحول إلى ساحرة فودو، برغم أني غير متأكدة تماماً ماذا يعني ذلك)، بث أعرف أن الأمور تسير بهذه الطريقة: عليك أن تضحي بشيء ما.

توقفث على كتف الطريق 9، أمسكث من جديد بقميص إيزي، الذي أصبح مبللاً الآن، لكنه أفضل من لا شيء. سترث رأسي به وخرجث من السيارة، ثم توقفث لثانية. كانت الطريق خالية ومعتمة وتتخللها بعض الأضواء الصفراء من إنارة الشارع. حاولث أن أحدد بدقة المنطقة التي انزلقت فيها سيارة ليندزي

خارج الطريق في الليلة الأولى، لكن بدا كل شيء متشابهاً. يمكن أن تكون في أي مكان. أغلقت عيني وحاولت استحضار بعض الذكريات من الحياة ما قبل الاصطدام، ما قبل العتمة، لكني لم أحصل على شيء. وحين فتحت عيني وجدت الطريق نفسها، تغطيها سبخات من المطر، منبسطة وطبيعية ولا أثر عليها، مثل أي طريق وسط بلدة صغيرة في ولاية ما على الساحل الشرقي للبلاد.

أحضرت مصباحاً كشافاً من السيارة وانطلقت وسط الغابة.

كانت المسافة أطول مما ظننت، والأرضية تتبدل ما بين طبقة رقيقة من الجليد القاسي والبقع الموحلة التي صار حذائي النيو بالانس الأرجواني يغوص فيها مثل الرمال المتحركة. بعد بضع دقائق بدأت أسمع نبضاً خافتاً للموسيقى قادماً من الحفلة، ينبض في العتمة وكأنه ينتمي لها، وكأن إيقاعه جزء من الليل، لكني احتجت لعشر دقائق أخرى قبل أن أتمكن من رؤية الأضواء المتلألئة الخافتة تومض بشكل متقطع خلف الأشجار - حمداً لله، إذ بدأت أشك أني أسير في دوائر - وخمس دقائق أخرى قبل أن تضمحل الغابة خلفي وأرى المنزل، وكعكة مثلجات ضخمة تقبع على ذلك المرج وتومض جيئة وذهاباً مع انعطاف المطر وتعكس الأنوار القادمة من الشرفة. كنت على وشك التجمد، وندمت كلياً على قراري بالقدوم سيراً على الأقدام. تلك هي المشكلة مع التضحية. إنها مؤلمة، حرفياً.

بمجرد دخولي من الباب مررت بفتاتين صارتا تقهقهان وزمرة كاملة من طلاب السنة الثانية ينظرون بأفواه مفتوحة. لا ألومهم طبعاً. لا شك أني أبدو كالحثالة. قبل أن أغادر المنزل لم أكلف

نفسي عناء تغيير سروال المنزل - سروال واسع جداً بلون القطيفة كانت أمي قد أعادته لي حين كانوا لا يزالون في المنزل.

لكني لن أهدر وقتي مع طلاب السنة الثانية، فأنا قلقة أصلاً من أن أكون قد وصلت متأخرة جداً.

بينما أشق طريقي صعوداً رأيث تارا تنزل على الدرجات، فأمسكث بها وكلمتها في أذنها، "جولييت سايكس!"، كان علي الصراخ حتى تسمعني.

"ماذا؟" ردّت علي بصراخ أيضاً، وهي تبتسم.

"جولييت سايكس! هل هي هنا؟".

وضعَت تارا يديها على أذنها دلالة على أنها لا تسمعني. "هل تبحثين عن ليندزي؟".

كورتني كانت تقف خلف تارا وتسند ذقنها على كتفها. "وجدنا المخبأ السري - النبيذ وتوابعه. وتارا كسرت المزهرية"، وهي تقهقه. "أتريدين بعضاً منه؟".

هززث رأسي. لم أكن يوماً صاحية بين مجموعة من الناس الثمالى، وتلوث صلاة قصيرة شكرث فيها أني لم أصل إلى نصف إزعاجهم حين أكون ثملى. تابعث طريقي على الدرجات بينما تارا تصيح، "ليندزي في الخلف".

قبل أن أصبح خارج مدى السمع سمعث كورتني تصيح، "هل رأيت ما ترتديه؟".

أخذث نفساً عميقاً وقلث لنفسي هذا غير مهم. المهم هو أن أجد جولييت. يمكنني على الأقل أن أفعل هذا الأمر.

لكن مع كل خطوة أخطوها كنث أفقد الأمل. الرواق في الطابق الأعلى مكتظ بالكامل، وما لم تكن لم تحضر إطلاقاً إلى الحفلة - وهذا يبدو أكثر

بكثير من المأمول - من المستبعد أن تكون لم تغادر بعد.

مع ذلك، بقيت أتقدم للأمام، حتى وصلت أخيراً إلى الغرفة الخلفية. وبمجرد دخولي إلى الغرفة انهالت علي ليندزي مثل قذيفة - في الواقع لقد قفزت فوق خمسة أشخاص - ولأول وهلة كنت ممتنة لرؤيتها، سعيدة وثملة وأعز صديقاتي، ولأن أتلقى واحداً من عناقها الشهير الساحق، لدرجة أني نسيت سبب وجودي هنا.

"فتاة سيئة"، وصفقت كفي وهي تبتعد عني. "تتغيبين عن المدرسة ثم تحضرين إلى الحفلة؟ شقية، شقية".

قلت لها، "أنا أبحث عن أحدهم". ومسحت الغرفة بنظري: جولييت ليست هنا. ليس لأني توقعتها أن تكون هنا، لا أدري، ربما تجلس على الأريكة وتثرثر مع غريغ بيم، لكني نظرت بدافع الغريزة - والتمني.

"روب في الأسفل"، وخطت ليندزي إلى الوراء رافعة يدها لتضعني في إطار ما بين إبهامها وسبابتها. "تبدين مثل الرجل المشرد الذي سرق وال مارت. هل تحاولين التهرب من اللقاء الحميم أو شيئاً من هذا القبيل؟".

واندلع الهياج ثانية. إنها ليندزي التي لديها دائماً ما تقوله.

سألتها، "هل رأيت جولييت سايكس؟".

حدّقت بي ليندزي لجزء من الثانية ثم انفجرت بالضحك. "هل أنت جادة؟".

عندها غمرني شعور هائل بالارتياح. ربما لم تحضر البتة. ربما لديها مشكلة في السيارة، أو فقدت أعصابها، أو -

"لقد نعتتني بالعاهرة". في تلك اللحظة صدمتني ليندزي. لقد أتت. "هل تصدقين ذلك؟" كانت ليندزي لا تزال فاقدة صوابها. لفّت إحدى ذراعيها حول كتفي ونادت، "إيلودي! آلي! سامي هنا! وهي تبحث عن أعز صديقاتها، جولييت!".

لم تكلّف إيلودي نفسها عناء الالتفات؛ فهي منشغلة جداً مع ستيف دوف. لكن آلي لوّحت لي، ابتسمت، صاحت، "هاي، عزيزتي!"، ثم رفعت زجاجة الشراب الفارغة.

"إذا رأيتِ جولييت"، صاحت بصوت عالٍ، "اسأليها ماذا فعلت ببقية شرابـي!" تعتقد هي وليندزي أن هذا هزلي، فصاحت ليندزي بالمقابل، "المخبولة الصغيرة!".

لقد تأخرتُ كثيراً. هذه الحقيقة جعلتني أشعر بالغثيان، وفجأة تجدد غضبـي على ليندزي.

"أعز صديقاتي؟"، كررتُ. "هذا ظريف. كنتُ أعتقد أنكِ أنت من كان الصديق الملازم لجولييت".

"ما الذي تتكلمين عنه؟" وأصبح وجه ليندزي جدياً.

"صديقتا الطفولة. أعز صديقتين. طفلتان تزحفان. أرنبتا الرمل". نظرَت ليندزي وكأنها تريد من جديد أن تقول شيئاً، لكنني قاطعتها. "لقد رأيتُ الصور. ما الذي حدث إذاً؟ هل أمسكت بك تطلقين ريحاً أو ما شابه؟ رأتك تطلقين قذيفة من المخاط؟ اكتشفت أن ليندزي إيدجكوم الشهيرة ليست كاملة في النهاية؟ ما الذي فعلته وكان بهذا السوء؟".

فتحت ليندزي فمها ثم أغلقته. "إنها مجنونة"، قالت بعنف، لكنني لمحتُ في عينيها شيئاً لم أره من قبل، تعبيراً لا يمكنني تحديده تماماً.

"مهما يكن". يجب أن أجد جولييت سايكس.

عدتُ أشق طريقي بصعوبة نحو الأسفل، متجاهلة كل الذين ينادون اسمي، يربتون على كتفي، ويهمسون بحقيقة ظهوري في مكان عام وأنا أبدو كأني على وشك الخلود للنوم - وهذا، طبعاً، ما حدث تماماً. اعتقدتُ أني إذا ما أسرعتُ فإن باستطاعتي اللحاق بجولييت في طريقها للخروج. لا بد أنها ركنت سيارتها في مكان ما. على الأرجح أن السيارات تسد طريقها. ستحتاج لأكثر من ساعة كي يبعد الناس سياراتهم (هذا إن استطاعت أصلاً إقناع أحد بمساعدتها، وهذا مشكوك فيه)، وتحتاج إلى وقت أطول إذا ما قررَت السير إلى المنزل.

لحسن حظي، تمكنتُ من النزول إلى الطابق الأسفل دون أن أصادف روب، فآخر ما أحتاجه الآن هو أن أشرح له شيئاً. كانت هناك مجموعة من طالبات السنة الأولى تقف قرب المدخل، ويظهر عليهن الفزع والقليل من الاتزان، فجرّبتُ حظي معهن.

"هل رأيتن جولييت سايكس؟".

حدّقن بي بصمت.

تنهدتُ، وحاولت ابتلاع إحباطي. "شقراء الشعر، زرقاء العينين، طويلة". بقين ينظرن إليَ بذهول، وأدركتُ أني غير متأكدة من كيفية وصفها. فكدتُ أقول، فاشلة - كان يمكن أن أقول ذلك قبل ثلاثة أيام. لكن لم يعد بإمكاني الآن قول ذلك. قلتُ، "جميلة"، وتذوقتُ الكلمة. حين لم يجد شيء من ذلك نفعاً ضغطتُ أصابعي في قبضتي. "على الأرجح أنها تقطر بللاً".

أخيراً أنارت أوجه الفتيات وقد تعرفن إليها. "الحمّام"، قالت إحداهن وهي تشير إلى كوة صغيرة

أمام المطبخ مباشرة. كان هناك طابور من الأشخاص متجمعين أمام باب مغلق. إحداهن كانت تقاطع ساقيها وتقفز في مكانها لأعلى وأسفل، وأخرى لا تتوقف عن قرع الباب، وأخرى تشير إلى ساعتها وتقول شيئاً لم أتمكن من سماعه، لكنها تبدو منزعجة.

"لا تزال هناك منذ حوالى العشرين دقيقة"، قالت طالبة من السنة الأولى. سقطت معدتي لغاية قدمي وكدث أتقيأ هناك.

في الحمامات حبوب. في الحمامات شفرات. والناس يقفلون على أنفسهم في الحمامات حين يرغبون بالقيام بأمور سيئة، مثل ممارسة الجنس أو التقيؤ. أو الانتحار.

ليس من المفترض أن تسير الأمور على هذا النحو. من المفترض بـي أن أنقذها. بدأت أزاحم للوصول إلى الحمام، وأتدافع مع طابور الأشخاص المتجمعين هناك.

قلت "ابتعدي" لجوان بوليرنو، فأرخت يديها في الحال وتنحّت جانباً.

ألصقث أذني بالباب علّي أسمع صوت بكاء أو تقيؤ أو أي شيء. لكن لا شيء. وعادت معدتي تنقر ثانية. ثم أنه من المحال سماع شيء فالموسيقى تصدح عالية جداً.

قرعث الباب بنعومة وناديت "جولييت؟ هل أنت بخير؟".

قالت راتشيل زورف، "ربما هي نائمة". رمقتها بنظرة أملث فيها أن تفهم كم كان هذا التعليق سخيفاً وغير نافع.

قرعث ثانية، وأنا أضغط بوجهي على الباب. من

الصعب أن أجزم إن كنت قد سمعت أنيناً خافتاً من الداخل - في تلك اللحظة علت الموسيقى أكثر، وطغت على كل شيء آخر. لكن بإمكاني تخيلها هناك، تتهاوى، مباشرة خلف الباب، شرايين معصميها مقطوعة والدماء في كل مكان...

قلت لهم، "نادوا على كينت"، وأخذت نفساً عميقاً.

"من؟" قالت جوان.

"يجب أن أتبول"، قالت راتشيل، وهي تقفز لأعلى وأسفل.

"كينت ماكفولر. الآن. هيا". صرخت على جوان، وبدا عليها الذهول لكنها انطلقت إلى الرواق. كل ثانية كانت تبدو أزلية. إنها المرة الأولى التي أفهم فيها ما قاله أينشتاين عن النسبية، وكيف أن الزمن ينحني ويتطاول مثل دب صمغي.

"لماذا تهتمين، بأي حال؟" قالت راتشيل، متذمرة بصوت كافٍ لأسمعه.

لم أجب. الحقيقة أني لا أملك جواباً، فعلاً. يجب أن أنقذ جولييت - هذا ما أشعر به. هذا هو عملي الصالح. يجب أن أنقذ نفسي.

فجأة لم أعد متأكدة إن كان ذلك يجعلني أفضل أم أسوأ من أحد لا يفعل شيئاً، لذلك أبعدت الفكرة عن ذهني.

بعد دقيقتين عادت جوان مع كينت. كان القلق بادياً عليه، وجبهته متجعدة تحت الشعر البني الكث الذي يغطي عينيه. شعرت بنقرة في معدتي. البارحة كنا في غرفة معتمة لا يفصل بيننا سوى بضع سنتمترات، كنا قريبين جداً إلى درجة أني شعرت بحرارة جلده المذهلة.

قال، "سام"، وانحنى قليلاً للإمساك بمعصمي، وهو

يحدق عميقاً في عيني. "هل أنت بخير؟".

من شدة دهشتي من لمسته المفاجأة تراجعت قليلاً، فسحب كينت يده. لا يمكنني أن أشرح كيف جعل ذلك داخلي مجوفاً.

قلت له، "أنا بخير"، وأنا أدرك تماماً كم سأبدو له في تلك اللحظة سخيفة: الشعر الأشعث، سروال المنزل. هو بالمقابل يبدو متناسقاً مع نفسه. هناك شيء من الجمال الوضيع يتعلق بحذائه الرياضي وسرواله الخاكي منخفض السرج، وأكمام قميصه المرفوعة التي يظهر من تحتها لونه الحنطي الذي لا أعلم من أين حصل عليه. حتماً ليس في ريدجفيو في الأشهر الستة الأخيرة.

بدا عليه الارتباك. "قالت جوان أنكِ تحتاجينني".

"أحتاجك فعلاً"، وقد خرجَت غريبة ومكثّفة، وشعرت بعدها بنوبة هياج من التوژد يسري في. "أقصد، لا أحتاجك. فقط أحتاج -"، وأخذت نفساً عميقاً. اعتقدت أني لمحت بريقاً لحظياً في عيني كينت وقد شتت ذلك انتباهي. "أخشى أن جولييت سايكس محبوسة في الحمام". لكن مباشرة بعد قولي ذلك شعرت بالانقباض. سأبدو سخيفة. وعلى الأرجح أنه سيقول لي أني مجنونة، ففي النهاية هو لا يعرف ما أعرفه.

خفت البريق وأصبح وجهه جدياً. تقدّم أمامي وحاول مع الباب، ثم توقف لثانية، يفكر. لم يقل لي أني مجنونة أو مرتابة أو ما شابه، بل قال ببساطة، "لا يوجد مفتاح. سأحاول فتح القفل. يمكننا دائماً خلعه إذا اضطررنا لذلك".

"سأذهب للتبول في الطابق العلوي"، قالت راتشيل، ثم استدارت على عقبها وترنّحت مبتعدة.

مد كينت يده إلى جيبه الخلفي وأخرج مجموعة

من دبابيس الأمان. وحين رفعت حاجبي قال لي، "لا تسألي". رفعت يدي ولم أركز على الموضوع، وأنا ممتنة لكونه تولى الأمر من دون طرح أسئلة.

نزل على ركبتيه، وأحنى دبوس الأمان واستخدمه لفتح القفل. كان يضغط بأذنه على الباب وكأنه يصغي لسماع طقطقة. في النهاية جعلني فضولي أخرج أفضل ما لدي.

"هل تعمل بعد المدرسة في سرقة المصارف أو ما شابه؟".

نظر إلي مكشراً، جرّب الباب، أعاد دبوس الأمان إلى جيبه، وأخرج بطاقة ائتمان من محفظته. "مُحتَمل"، وحشر بطاقة الائتمان في الشق ما بين الإطار والباب وصار يهزها. "أمي معتادة على إخفاء الطعام غير الصحي خلف باب حجرة المؤن".

وقف على قدميه وأدار القبضة، فانفتح الباب سنتمترات قليلة، فانتفض قلبـي وصولاً إلى حنجرتي. جزء مني كان يأمل ظهور وجه جولييت، مهتاجة، أو أن يُصفق الباب من الداخل لإغلاقه ثانية. هذا ما كنث لأفعله لو أن أحدهم حاول فتح باب الحمام وأنا في الداخل. هذا طبعاً إن كنث لا أزال صاحية - حية.

لكن ظل الباب على حاله، مفتوحاً تلك السنتمترات القليلة. نظرنا أنا وكينت إلى بعضنا الاخر في البداية، وأعتقد أن كلينا صار يخشى فتح الباب أكثر.

بعدها أعطى كينت الباب دفعة بقدمه منادياً "جولييت؟"، وفي نفس اللحظة انفتح الباب - ومن جديد تطاول الزمن، وبدا أنه سيمتد للأزل - وفي تلك اللحظة، أو نصف الثانية، وجدث بطريقة ما الوقت الكافي لاستحضار جميع الاحتمالات

المرعبة، وتخيلت جسدها مكوّماً على الأرض.

ثم اكتملت فتحة الباب، وها هو الحمام: نظيف تماماً، طبيعي جداً، وخالياً بالكامل. الأنوار مضاءة، وهناك منشفة يد ندية تغطي المغسلة. الشيء الوحيد خارج إطاره الطبيعي قليلاً هو النافذة. إنها مفتوحة على مصراعيها، والمطر يدخل منها مبللاً الأرضية تحتها.

"لقد خرجت من النافذة"، قالها كينت في نفس اللحظة التي كنث أفكر فيها بذلك. لكني لم أتمكن من استيضاح نبرة صوته، وكأن فيها شيء من الحزن وشيء من الإعجاب.

"اللعنة". بعد إذلال كهذا، من الطبيعي أنها بحثت عن أسهل احتمال للهرب، احتمال أقل ما يمكن لفتاً للانتباه. النافذة كانت تُطل على مرج منحدر، وبالطبع الغابة. لا شك أنها قفزت من هناك، وهي تخطط للاستدارة والعودة إلى مرأب السيارات.

خرجث مسرعة من الحمام، وناداني كينت، "انتظري!"، لكني كنت قد عبرث الممر وخرجث من الباب جرياً إلى الشرفة.

أمسكث بمصباحي الكشاف والقميص من خلف حوض الأزهار وتوجهث عبر المرج. لم يكن المطر غزيراً جداً في تلك اللحظة، وإنما ضباب متجمد يهبط بطبقات كثيفة من الأعلى، وهذا النوع من البرد هو الذي يتغلغل في الجسم. أبقيث المصباح الكشاف موجهاً على الأرض وأنا ألتف إلى جانب المنزل. صحيح أني لسث خبيرة في تتبع الاثار، لكني قرأث ما يكفي من الألغاز القديمة لأعرف أنه يجب أن أبحث عن آثار أقدام. لسوء الحظ كان الوحل كثيفاً جداً ومشبعاً بالماء لدرجة أن كل شيء كان ممخضاً. ومع ذلك فقد وجدث تحت نافذة

الحمام ثلماً عميقاً، لا شك أنه المكان الذي هبطت فيه، وسلسلة من الآثار تشبه دهس أقدام، على ما أظن، تتجه مباشرة إلى الغابة.

أحكمتُ إغلاق سترتي وانطلقتُ خلفها. لم أكن أرى شيئاً سوى بضع أقدام من الضوء تمتد في دائرة مرتدة أمامي. لم يكن من عادتي الخوف من الظلام، لكن الكمية الهائلة من البقايا وزئير الأشجار وهدير المطر المستمر على الأغصان جعل الغابة وكأنها تضج بالحياة وتمتلئ صخباً، مثل واحد من أولئك الأشخاص الذين تراهم في مدينة نيويورك يدفعون عربات البقالة المملوءة بالحقائب الفارغة.

لا جدوى على الإطلاق من محاولة تتبع آثار أقدام جولييت، فهي غير مرئية إطلاقاً في الخليط المشبع بالماء من الأوراق والوحل وقشور الأشجار المتعفنة. لهذا قررتُ سلوك ما آمل أنه الاتجاه الطبيعي نحو الطريق، على أمل اللحاق به وهي تسير باتجاه منزلها. أنا واثقة أنها تنوي فعل ذلك، فمن تريد بأي ثمن مغادرة حفلة - والناس الذين فيها - لدرجة أن يتسلق نافذة، سيكون من المستبعد أن يعود بعد دقائق ويطلب من الآخرين إبعاد سياراتهم لإخراج سيارته.

بدأ المطر ينهمر بغزارة، ويضرب بقوة على الأغصان المتجمدة، كصوت عظم يرتطم بعظم. صار صدري يؤلمني من البرد، ومع أني أتحرك بأقصى ما أمكنني من سرعة أشعر بخدر في أصابعي وبدأت أجد صعوبة في حمل المصباح الكشاف. لا أطيق الانتظار للذهاب إلى سيارتي وتشغيل مكيف الحرارة على أقصى استطاعة، وبعدها أجوب الشوارع بحثاً عنها. وفي أسوأ الأحوال سأتصيدها عند منزلها. فقط لو أني أستطيع التخلص من هذه

الغابة المرعبة.

دفعت نفسي للتقدم أسرع، وأنا الآن شبه أهرول علني أبقى دافئة. ومن لحظة لأخرى أصيح "جولييت!"، لكني لم أتوقع أن ألقى جواباً. المطر لا يزال يزداد ثقلاً وكثافة، وسقطت نقطة كبيرة على مؤخرة رقبتي كادت تقطع أنفاسي.

"جولييت! جولييت!".

غزارة المطر أصبحت مرعبة، وسكاكين من الماء المتجمد تنغرس فيّ. تابعت الهرولة، والمصباح الكشاف أصبح مثل الرصاص في يدي. لم أغد أشعر بأصابعي قدمي، كما أني لا أعلم إن كنت ماضية في الاتجاه الصحيح. ربما أنا أركض في دوائر، لا أعلم.

"جولييت!".

بدأ الخوف يتسلل إلي. لقد أكملت دائرة كاملة، ولا أزال أحرك المصباح الكشاف عبر الظلام: الأشجار الكثيفة تضغط علي من كلا الاتجاهين. حين مشيت عبر الغابة إلى منزل كينت لم أستغرق كل هذا الوقت، أنا واثقة من ذلك. أشعر بأن أصابعي صارت بضعف حجمها الأصلي. وبينما كنت أدور، طار المصباح الكشاف من يدي وسمعت صوت اصطدام وتشظٍ، ثم اختفى الضوء، وهكذا أصبحت في ظلام دامس.

"اللعنة. اللعنة، اللعنة، اللعنة". السباب بصوتٍ عالٍ جعلني أفضل حالاً بقليل.

تقدمت بضع خطوات مترددة باتجاه المصباح، وأنا أمد ذراعي أمامي كي لا أصطدم بشيء. وبعد بضع خطوات متعثرة نزلت على ركبتيّ، فأتلفت في الحال سروال المنزل المفضل لدي بعد أن تشرّب النسيج كل البلل على الأرض. بدأت أحرك يدي في

الأوحال التي أمامي، وأبذل قصارى جهدي كي لا أفكر كثيراً بما ألمسه. أغرق المطر عيني، والتصق الصوف بجلدي، فأصبحت رائحتي مثل كلب مبلل. صرت أرتعش من دون سيطرة. هذا ما يحدث حين تحاول مساعدة الناس. سوف تعاني كثيراً. أشعر بكتلة تكبر في حلقي.

وتجنباً للانهيار الكامل بدأت أفكر بما كانت ليندزي لتقوله لو أنها علقت معي في الظلام وسط غابة تمتد لأميال طويلة والريح تعصف من كل اتجاه، ولو أنها رأتني أزحف على الأرض مثل خلد مخبول، وملطخة بالكامل بالوحل.

"سمانثا كينغستون"، كانت لتقول، مبتسمة، "لطالما عرفت في قرارة نفسي أنك فتاة قذرة جداً".

الفكرة أبهجتني للحظة. لكن ليندزي ليست هنا معي، وعلى الأرجح أنها الآن تغازل باتريك في غرفة دافئة وجافة، أو أنها تتبادل سيجارة الحشيش مع البنات وتتساءل بصوت مرتفع مع آلي عن سبب تصرفاتي المجنونة بالكامل. أنا تائهة تماماً، بائسة تماماً، ووحيدة تماماً وكلياً. الألم في حلقي ازداد لدرجة أني أشعر بوجود حيوان يحاول بمخالبه شق طريقه خارج حلقي.

وفجأة أصبحت غاضبة من جولييت - غاضبة لدرجة أني مستعدة للكمها. لا أدري كيف بإمكانها أن تكون بهذه الأنانية. فبكل الأحوال - ومهما كانت درجة معاناتها - فهي لا تزال تملك خياراً. ليس الجميع محظوظاً إلى هذه الدرجة.

عندها سمعت أجمل صوت أسمعه طوال سنيني السبعة عشرة من حياتي (زائداً خمسة أيام من الحياة بعد الموت).

سمعت بوقاً.

الصوت بعيد جداً، وتلاشى بمجرد أن بدأ - عويل منخفض في الليل بعد أن ضغط شخص مسرع على البوق. أنا قريبة من الطريق أكثر مما توقعت.

وقفت على قدمي وركضت بأسرع ما يمكن باتجاه مصدر الصوت، فاتحة ذراعيّ أمامي مثل مومياء تتحرك، مبعدة الأغصان والحشائش الملساء دائمة الخضرة. قلبي يخفق من الإثارة، وأتوق بشدة لسماع ضجيج - أي ضجيج آخر - ليرشدني. بعد دقيقة أو أكثر سمعت بوقاً آخر. هذا كان أقرب. يمكنني البكاء من شدة الارتياح. دقيقة أخرى أيضاً وسمعت الضجيج المرتفع لنظام ستيريو، يقترب ثم يبتعد مع اندفاع السيارة بعيداً. بعد دقيقة أصبحت أرى، بشكل خافت عبر الأشجار، وميض إنارة الشارع. لقد عثرت على الطريق.

مع اقترابي أكثر من الضوء ونقصان كثافة الأشجار، أصبحت الرؤية أفضل قليلاً، وبدأت أقدّر المسافة. صرت مشغولة بتخيل أكوام وأكوام من البطانيات - سأحضر كل بطانية أجدها في المنزل - والشوكولاته الساخنة والنعل الدافئ والاستحمام لدرجة أني لم أرَ جولييت سايكس حتى آخر دقيقة، حين كدت أطأ فوقها.

كانت تجلس القرفصاء على بعد ثلاثة أمتار تقريباً من الطريق، وتلف ذراعيها حول ركبتيها. الماء كان قد جعل بلوزتها البيضاء شفافة بالكامل، وأمكنني رؤية حمالة صدرها - مقلمة - وكل عظام عمودها الفقري. من شدة مفاجأتي لرؤيتها على هذا الشكل نسيت، ولو مؤقتاً، أنها السبب الأساسي لوجودي هنا في المقام الأول.

"ما الذي تفعلينه هنا؟" سألتها بصوت أعلى من صوت المطر.

نظرت إليّ. أنوار الشارع أضاءت وجهها. كانت عيناها باهتتين. "ما الذي تفعلينه هنا؟" ردّت مقلّدة إياي.

"أنا، امم، في الحقيقة أبحث عنك". لم يظهر على وجهها أي انفعال - لا استغراب، لا صدمة، لا غضب، لا شيء، فأثارني ذلك. "ألا تشعرين بالبرد؟".

بالكاد هزّت رأسها، وظلّت تحدّق بـي بتلك العينين الباهتتين المتعبتين. لم يكن هذا ما تصورته تماماً. كنت أظن أنها ستسعد لمجيئي بحثاً عنها - أو حتى ممتنة. أو أن يثور جنونها. بكل الأحوال كنت أعتقد أنها ستفعل شيئاً.

"اسمعيني جولييت -" بالكاد كنت قادرة على الكلام، وأسناني تصطك بشدة. "إنها الساعة الواحدة صباحاً تقريباً، والجو متجمد. هل ترغبين بالمجيء إلى منزلي لبعض الوقت؟ والكلام؟ لقد عرفت ما حدث هناك" - وأشرت برأسي إلى منزل كينت - "وأنا أشعر حقاً بالأسف على ذلك". كل ما كنت أريده منها هو أن تركب السيارة اللعينة، لكن أجل؛ أنا أشعر بالأسف حقاً.

حدّقت جولييت بـي لثانية طويلة قاسية، والمطر يغشي المسافة القصيرة التي بيننا. بدأت تنهض، وتملّكتني الثقة بأني نجحت، لكنها بدلاً من ذلك استدارت مبتعدة ومشت بضع خطوات نحو الطريق.

قالت، "آسفة"، لكن لم يكن في صوتها نبرة اعتذار، بل كان مسطحاً.

تقدّمت منها وأمسكت معصمها. شعرت أنه صغير في يدي بشكل غير معقول، كما في تلك المرة التي وجدت فيها فرخ عصفور بالقرب من قمة الإوز، فوضعته في يدي حيث لفظ أنفاسه الأخيرة

وارتجف قليلاً ثم مات. لم تسحب جولييت يدها، لكنها حدّقت بيدي وكأنها أفعى على وشك أن تعضها.

"اسمعي"، حاولت ثانية. "اسمعي. أعلم أن هذا قد يبدو جنونياً، لكن..." وعصفت الريح في الأشجار وأطلقت دفقة جديدة من المطر. "أشعر أن هناك قاسم مشترك بيننا، أنا وأنت. فقط لو تقبلين أن نذهب إلى مكان ما ونتحدث عنه...".

قالت جولييت، "لن أذهب إلى أي مكان"، ونظرت إلى الطريق. اعتقدتُ أني رأيت ابتسامة صغيرة حزينة على شفتيها، لكنها اختفت فوراً.

لا أزال في الخارج منذ وقت طويل، وأشعر أن عقلي على وشك أن يتوقف. لم يَعُد هناك ما هو منطقي، وصور غريبة تومض في رأسي، كلها خيالات غريبة عن أشياء دافئة. بركة مليئة بشوكولاته ساخنة تتبخر. كومة من البطانيات مكدسة وصولاً إلى سقف غرفتي. وجزء مني يقول لي، تباً لها، دعيها تفعل ما تنوي فعله. بكل الأحوال ستُعاد الأسطوانة غداً.

لكنّ جزءاً أكبر مني - براءتي الداخلية، كما اعتادَت أمي على تسميتها - يقول لي أني مدينة لها بذلك. كان الوحل يغطيني وأنا متجمدة تماماً، ونصف طلاب ثانوية توماس جيفرسون يعتبرونني المخبولة التي ترتدي البيجامة.

"ما رأيك أن نذهب إلى بيتك؟" فكّرتُ أنها ستذهب آخر الأمر إلى هناك. نظرت إلي بطريقة غريبة، وللحظة شعرتُ أنها تحدّق مباشرة من خلالي. لكنها قالت لي، "لماذا تفعلين هذا؟".

كان عليّ الصراخ أعلى من السابق، فقد بدأت السيارات تغادر منزل كينت وهي تعبر بجوارنا

صاخبة على الطريق الرطبة. "أنا - أنا أريد مساعدتك".

هزّت رأسها بإيماءة بسيطة جداً. "أنت تكرهينني".

كانت تقترب أكثر فأكثر من الطريق، وقد جعلني ذلك متوترة للغاية. زأرَت سيارة بقربنا والموسيقى تصدح منها. وحين مرت تحت إنارة الشارع صارت تلمع، ولمحتُ خيال شخص يضحك. ومن مكان ما من جهة اليمين اعتقدتُ أني سمعتُ اسمي، لكن لم أستطع الجزم بذلك بسبب قوة صوت المطر.

"أنا لا أكرهكِ. حتى أني لا أعرفك. لكني أود تغيير ذلك، والبدء من جديد"، حينها كنتُ أصرخ تقريباً، ومع ذلك لستُ متأكدة إن كانت لا تزال تسمعني.

قالت شيئاً لم أسمعه. ومضَت سيارة أخرى بجوارنا، كرصاصة فضية.

"ماذا؟".

أدارَت جولييت رأسها سنتمتراً واحداً وقالت، بصوت أعلى، "أنتِ محققة. أنتِ لا تعرفينني".

مرّت سيارة أخرى. وترددَت الضحكات حين أصبحت بجوارنا. ورمى أحدهم زجاجة جعة بين الأشجار فتكسّرَت. وبعدها أنا متأكدة أني سمعتُ أحدهم ينادي اسمي، لكني لم أستطع أن أحدد بالضبط الاتجاه الذي أتى منه. عصفَت الريح، وفجأة أدركتُ أن جولييت لا تبعد سوى بضع سنتمترات عن حافة الطريق، متأرجحة على الخط الرفيع الذي يبدأ الرصيف عنده، وكأنها تتوازن على حبل مشدود.

"ربما من الأفضل أن تبتعدي عن الطريق"، قلتُ لها، لكن طوال الوقت كانت هناك فكرة تنمو وتتضخم في رأسي، تصوُّر مرعب يتكون ويأخذ شكلاً مثلاً

غيوم في الأفق. سمعث اسمي، وبعدها سمعث، برغم المسافة، النغمة الحزينة لأغنية "معك أو بدونك" تعلو من سيارة أحدهم.

"سام! سام!" ميّزثُ صوت كينت.

وتخليت عن نفسك، وتخليت عن نفسك...

عندها استدارت جوليبت لتواجهني. كانت تبتسم، لكنها أتعس ابتسامة رأيتها في حياتي.

"ربما في المرة المقبلة"، قالت لي، "لكن على الأرجح لا".

حاولث أن أقول "جوليبت" لكن الاسم تجمد في حنجرتي. شعرثُ أن الخوف جعل مني حجراً. أردث أن أقول شيئاً، أن أتحرك، أن أتقدم وأمسك بها، لكن مضى الوقت بسرعة مذهلة، وبعدها تحقق التصور وانفجر مع اقتراب الموسيقى القادمة من مكبرات صوت سيارة رانج روفر فضية تشق الظلام. مثل طائر أو ملاك - كأنها ترمي نفسها من على جرف صخري - رفعَ جوليبت يديها وقذفَت بنفسها إلى الطريق، فدوى صراخ ملأ الجو وصوت انسحاق مقزز، ولم أدرك أني أنا من كان يصرخ إلى أن ارتطم جسد جوليبت بغطاء سيارة ليندزي وسقط على الطريق مسحوقاً ووجهها للأسفل، وانزلقَت الرانج روفر إلى الغابة وتحطمت أشلاءً وتكومَت مقابل شجرة، وبدأ شريط طويل من الدخان واللهب يلعق الهواء.

قبل أن أستيقظ

هرع كينت حينها وأمسك بي. وقال منقطع الأنفاس، "سام"، وعيناه تبحث عن وجهي. "هل أنت بخير؟".

بالكاد استطعث أن أقول، "ليندزي". كان الشيء

الوحيد الذي استطعت التفكير فيه. "ليندزي وإيلودي وآلي كانوا في تلك السيارة".

التفت إلى الطريق. عمود أسود من الدخان كان يصعد من الغابة. ومن حيث كنا واقفين لم نرَ سوى المصد الأمامي المعدني المحطم يرتفع مثل إصبع فوق الأرض.

قال لي، "انتظري هنا". إنها معجزة، لكنه بدا هادئاً. ركض نحو الطريق وهو يسحب هاتفه من جيبه، وسمعته يحدد اتجاهات للشخص على الطرف الآخر من الخط.

وقع حادث. النار تشتعل. الطريق 9، قبل ديفون درايف مباشرة. انحنى على ركبتيه عند جثة جولييت. شخص واحد على الأقل تعرّض للأذى.

بدأت السيارات الأخرى تتوقف، وصار الجميع يخرجون من سياراتهم غير مدركين ما حدث. الدهشة تعلو وجه الجميع، والكل يتكلم بصوت هامس وهم يحدقون بالجثة المكومة على الطريق وبالدخان والنار المتصاعدين من الغابة. صرخَت إيمي ماكإيلوري حتى انقطع صوتها وخرجَت وهي تغطي فمها بيديها وعيناها تكادان تقفزان من وجهها، تاركة باب سيارتها الميني هانغنغ مفتوحاً والراديو على أعلى صوت، وأغنية نيللي "هوت إن هير" تكسر وطأة الليل، والطبيعية التي فيها كانت أفظع ما في الأمر. "حُباً بالله، إيما، أطفئي ذلك". هرعت إيما إلى سيارتها وساد الصمت، باستثناء صوت المطر، وصوت شخص يبكي بانفعال.

شعرت وكأني في حلم. حاولت الاستمرار في الحركة، لكني لم أستطع. حتى أني لم أعد أشعر بالمطر. لم أعد أشعر بجسدي.

هناك فقط فكرة واحدة تدور وتدور وتدور في

رأسي. الوميض الأبيض مباشرة قبل انزلاقنا إلى فم الغابة، وصراخ ليندزي الذي لم أستطع فهمه.

ليس سائر أو ساتر أو سائس.

سايكس.

بعدها خرج نواح طويل متقطع من الجهة الأخرى من الغابة، وظهرت ليندزي على حافة الطريق، فمها مفتوح والدموع تنهمر من عينيها. كينت كان هناك. يساعد آلي التي كانت تعرج وتسعل لكنها تبدو بخير.

صرخت ليندزي "النجدة! النجدة! إيلودي لا تزال هناك! فليساعدها أحدكم! رجاءً"، كانت تتكلم بطريقة هيستيرية والكلمات تمتزج ببعضها لتخرج مثل عواء ذئب.

انهارت على الرصيف وبدأت تنوح واضعة رأسها بين يديها. ثم انضم إليها نواح آخر يقترب من بعيد.

لم يتحرك أحد. وبدأ كل شيء يحدث بدفعات قصيرة متقطعة - على الأقل هذا ما بدا لي - وكأني أشاهد فيلماً والوميض يظهر ويختفي. تجمّع مزيد من الطلاب، ووقفوا جامدين تحت المطر كالتماثيل. ثم وصلت سيارة الشرطة فأضاءت المشهد باللون الأحمر، ثم الأبيض، ثم الأحمر، ثم الأبيض. وأشخاص بزي رسمي - سيارة إسعاف - حمالة - حمالتين. جثة جولييت كانت هامدة بالكامل، ضئيلة وهشة، مثل ذلك العصفور قبل تلك السنوات الطويلة. تقيأت ليندزي حين حملت الحمالة الثانية جثة من السيارة المحطمة، فصار كينت يفرك رقبتها. نشجت آلي وفمها مفتوح، وهذا غريب، لأني لم أسمع صوتها. في تلك اللحظة رفعت عيني إلى السماء فلاحظت أن المطر تحول إلى ثلج - ندف بيضاء كبيرة تلتف في الظلام مثل السحر. لا أعرف

كم مضى علي من الوقت وأنا واقفة هناك، وما أثار دهشتي أني حين غدث ونظرث إلى الطريق بالكاد رأيت أحداً متبقياً هناك، فقط بضع متطفلين وسيارة شرطة واحدة، وكينت يقفز لأعلى وأسفل ليبقى دافئاً وهو يتكلم مع الضابط. سيارة الإسعاف ذهبت. ليندزي ذهبت. آلي ذهبت.

ثم وقف كينت أمامي مع أني لم أره يتحرك. حاولت أن أقول له كيف فعلت ذلك؟ لكن لم تخرج من فمي كلمة.

"سام". كان كينت يتكلم معي، وراودني شعور بأنه لفظ اسمي أكثر من مرة. كان يسيطر علي شعور ضاغط واستغرقث بعض الوقت لأدرك أنه يضع يديه على ذراعي. استغرقث بعض الوقت لأدرك أني لا أزال بذراعين، وفي تلك اللحظة شعرث وكأني غدت إلى جسدي، لكن من هول كل ما رأيته تشابكت ساقاي وألمَ بـي انهيار، فأمسكني كينت وأسندني.

"ما الذي حدث؟"، همست له مشوشة. "هل إيلودي...؟ هل جولييت...؟".

"هسس"، وشفتاه قريبتان من أذني. "أنتِ متجمدة".

"يجب أن أذهب لأجد ليندزي".

"أنتِ هنا في الخارج منذ أكثر من ساعة. يداك كالثلج"، وخلَع سترته الثقيلة التي يرتديها وألقاها علي. كانت هناك ندف ثلج بيضاء عالقة على أهدابه. وضع يديه برفق تحت مرفقيّ وسار بـي باتجاه الطريق. "تعالي. دعينا نذهب لندفئك".

لم أكن أقوى على المجادلة، فتركته يسيرني في طريق العودة إلى المنزل. لم تفارقني يداه، وبرغم أنه بالكاد يسند ظهري فقد كنث أشعر أني بدونه

سوف أسقط.

أصبحنا في منزل كينت دون أن أشعر أننا تحركنا من أساسه. بعدها وجدتُ نفسي في المطبخ، وسحب كرسياً ووضعني عليه. كانت شفتاه تتحركان ونبرته مريحة لكني لم أكن أفهم ما يقوله. بعدها وإذ ببطانية سميكة توضع فوق كتفي وألم مبرح في أصابع يديّ ورجليّ مع عودة الشعور إليها، وكأن أحدهم يغرس إبراً حادة وساخنة فيها. برغم ذلك لم أستطيع التوقف عن الارتجاف، وأسناني تصطك ببعضها مُصدرة صوتاً مثل جلجلة النرد في فنجان.

براميل الجعة لا تزال في الزاوية، والكؤوس نصف الفارغة مبعثرة في كل مكان، وأعقاب السجائر تسبح فيها، لكن الموسيقى توقفت ويبدو المنزل مختلفاً كلياً بدون أي أشخاص فيه. مجموعة من التفاصيل الدقيقة تدور في ذهني وينتقل من واحد لآخر مثل كرة الطاولة: اللافتة المطرّزة فوق المغسلة التي تقول 'مارثا ستيوارت لا تعيش هنا'؛ الصور الملصقة على الثلاجة لكينت وعائلته على أحد الشواطئ، لأقارب له لا أعرفهم، ولبطاقات بريدية من باريس، موسكو، سان فرانسيسكو؛ صفوف من الأكواب معروضة خلف خزائن زجاجية وعليها شعارات مثل 'كافيين أو لا شيء' و'إنه وقت الشاي'.

قال كينت، "قطعة مارشميللو أم اثنتين؟".

"ماذا؟" خرج صوتي مبحوحاً وغريباً. وفجأة عادت إلي جميع حواسي دفعة واحدة: صرتُ أسمع هسيس الحليب يسخُن في قدر؛ بدأت أرى ملامح وجه كينت، عذب وقلق، ونُدف من الثلج تذوب عن شعره البني الأشعث. رائحة البطانية حولي كتفيّ

مثل الخُزامى.

قال كينت، "سأنشغل لدقيقتين فقط"، والتفت إلى الموقد. وخلال دقيقة كان هناك كوب ضخم (هذا مكتوب عليه 'المنزل هو حيث توجد الشكوكولاته') يتبخر أمامي، مملوء بالشكوكولاته الساخنة كثيرة الرغوة - النوع الحقيقي، وليس النوع الذي تحصل عليه كعرض - وقطع مارشميللو كبيرة لدنة. لا أعرف بالضبط إن كنت قد طلبت ذلك علناً أم أنه قرأ أفكاري.

جلس كينت قبالتي على الطاولة وراح يراقبني وأنا آخذ رشفة. إنها لذيذة، حلاوتها كافية وغنية بالقرفة وبشيء آخر لم أستطع تحديده، وأعدت الكوب إلى الطاولة بيدين أكثر ثباتاً بقليل.

"أين ليندزي؟"، سألته حين عاد المشهد إلي: ليندزي على ركبتيها أمام الجميع، تتقيأ. لا شك أنها فقدت صوابها - ما كانت ليندزي لتفعل شيئاً كهذا على الملء. "هل هي بخير؟".

أومأ كينت، وعيناه مسمرتان على وجهي. "ليندزي بخير. كان لا بد من ذهابها إلى المشفى للتقصي عن صدمة أو ما شابه. لكنها ستكون على ما يرام".

"هي - جولييت، أتت مسرعة جداً"، وأغلقت عيني متصورة الغشاوة البيضاء، وحين فتحتهما رأيت كينت وكأنه ممزق من الداخل. "هل هي... أعني، هل جولييت...؟".

هزّ رأسه مرة. "لم يكن هناك ما بوسعنا فعله"، قال بهدوء شديد لدرجة أني ما كنت لأسمعه لو أني لم أكن أعرف ما ينوي قوله.

"أنا رأيتها..."، بدأت بالكلام لكني اكتشفت أني لا أستطيع. "كان باستطاعتي إمساكها. كانت قريبة جداً".

"كان ذلك حادثاً"، وأطرق كينت رأسه. لست واثقة إن كان يصدق ذلك فعلاً.

كلا، لم يكن، ما كنت لأقول ذلك. وفكرت بنصف ابتسامتها الغريبة وهي تقول، ربما في المرة القادمة، لكن على الأرجح لا، وأغلقت عيني، على أمل إبعاد الذكرى.

"ماذا بشأن آلي؟ هل هي بخير؟".

"آلي بخير. لم تُخدش حتى"، وأصبح صوت كينت أقوى، لكن فيه شيء من الالتماس، ففهمت أنه يحاول حثي على التوقف عن الكلام - يبدو أنه لا يريدني أن أسأل ما أنا بصدد السؤال عنه.

"إيلودي؟"، وخرج صوتي كالهمس.

نظر كينت بعيداً. وتشنجّت عضلة في فكه.

"كانت تجلس في المقعد الأمامي"، قال أخيراً، وكل كلمة تقطر ألماً، فتخيلت إيلودي تميل إلى الأمام وتتأفف، لماذا سام هي من يجلس دائماً في المقعد الأمامي؟ "جهة الراكب المرافق تلقّت القدر الأكبر من الاصطدام".

أتساءل إن كان هذا هو الشرح الذي أعطوه لأهلي في المشفى - اصطدام، الراكب المرافق، صدمة. "هل هي...؟"، ولم أستطع نطق الكلمة.

نظر إليَ وكأنه على وشك البكاء. بدا أكبر في السن أكثر مما رأيته يوماً. كانت عيناه قاتمتين ويغمرهما الحزن. "أنا آسف جداً، سام"، قال بهدوء.

"ما الذي تخبرني به؟" وجمعت قبضتي لأعلى بإحكام شديد لدرجة أني شعرت بأظافري تنغرز في جلدي. "هل تقول إنها - أي أنها -"، وصمت، غير قادرة على نطقها. قولها سيجعل الأمر حقيقة.

بدا على كينت كما لو أن كلماته كسكاكين حادة

عليه إخراجها من معدته. "كان ذلك - لا شك أنه كان فورياً. بدون ألم".

"بدون ألم؟"، كررتُ خلفه بصوت مرتجف. "بلا ألم؟ أنت لا تعرف ذلك. لا يمكن أن تعرف ذلك". كان هناك شيء يقبض على حنجرتي. "هل هذا ما قالوه؟ قالوا إنه كان بلا ألم؟ كما لو أنه وادع؟ كما لو أنه جيد؟".

مد كينت يده عبر الطاولة ووضعها على يدي. "سام...".

"كلا"، وسحبتُ كرسيّ من خلف الطاولة ووقفت. كان الغضب يهزني بالكامل. "كلا. لا تقل لي أن الأمر سيكون على ما يرام. لا تقل لي إنه لم يؤذها. أنت لا تعلَم - ليست لديك فكرة - لا أحد منكم لديه أدنى فكرة كم ذلك مؤلم. إنه يؤلم -".

لم أكن متأكدة إن كنتُ أتكلم عن إيلودي أم عن نفسي. وقف كينت ولفّ ذراعيه حولي، فوجدتُ نفسي أبكي على كتفه. ضمّني بقوة إليه، وراح يربّت على رأسي وشعري، وقبل أن أتخلى بالكامل عن كل شيء وأستسلم كلياً للسواد الذي يسري فيّ راودتني أغرب وأغبى فكرة - أن رأسي متناسب تماماً مع كتف كينت.

بعدها عادت تضغط علي الأفكار المتعلقة بإيلودي وجولييت، وأرخي ستار ثقيل داخل رأسي، فرحتُ أبكي. إنها الليلة التالية على التوالي التي أنهار فيها بالكامل أمام كينت، لكنه، طبعاً، لا يمكن أن يعرف ذلك. يجب أن أكون ممتنة لكونه لا يتذكر أننا في البارحة فقط كنا جالسين معاً في غرفة مظلمة وساقانا تكادان تتلامسان، لكن الغريب أن هذا يجعلني أشعر بوحشة أكبر. أنا تائهة في ضبابة، في سحابة، وعند نقطة معينة، حين بدأت أعود لنفسي، أدركتُ أن كينت يحملني بمعنى الكلمة، وأن قدمي

بالكاد تلامسان الأرض.

فمه كان مدفوناً في شعري وأشعر بأنفاسه قريبة من أذني. ثم سرت فيّ شحنة من الكهرباء جعلتني أشعر أني مريعة ومشوشة أكثر من أي وقت مضى. أفلت منه، تاركة مساحة صغيرة بيننا. لكنه أبقى ذراعيه على جانبيّ محتضناً إياي، وكنت مسرورة. إنه صلب ودافئ.

قال لي، "لا تزالين متجمدة". وضع وجه يده الخلفي على وجنتي لجزء من الثانية، لكن حين أبعدها كنت لا أزال أشعر بخطوط يده، وكأنها تحرقني. "ملابسك مبللة".

"التحتية"، قلت من غير تفكير.

تجعدَت جبهته. "ماذا؟".

"ملابسي... امم، التحتية. أعني سروالي وكنزتي وملابسي التحتية... إنها مليئة بالثلج. لكن أغلبها ذاب الآن. أشعر حقاً بالبرد". من شدة إرهاقي لم أعد أحفل بالإحراج، أما كينت فاكتفى بعضّ شفته وهزّ رأسِه.

"ابقي هنا"، قال لي. "واشربـي هذا"، مشيراً إلى الشوكولاته الساخنة.

أعادني وأجلسني على الكرسي واختفى. كنت لا أزال أرتجف، لكني أستطيع الآن - على الأقل - حمل الكوب من دون أن أهرقه على الطاولة. لم أفكر بأي شيء سوى بحركة الكوب إلى شفتيّ وبطعم الكاكاو، صوت تكتكة ساعة على شكل ذيل قط، وبالهطول الأبيض خارج النوافذ. بعد بضع ثوان عاد كينت ومعه كنزة صوفية كبيرة، سروال مجعد، وسروال تحتي مقلم مطوي.

"إنها لي"، قال لي، واحمرَ خجلاً. "أعني، ليست لي.

أنا لم أرتدها... أمي اشترتها لي -"، وأمسك نفسه وبلع ريقه. "أعني، أنا اشتريتها لنفسي، تقريباً يوم الثلاثاء. الأوراق لا تزال عليها".

"كينت؟"، قاطعته.

أخذ نفساً عميقاً. "نعم؟".

"أنا آسفة حقاً، لكن... هلا تبقى صامتاً من فضلك؟" وأشرث إلى رأسي. "دماغي مليء بالتشويش".

"أنا آسف"، وزفر. "لا أدري ما أفعل. أتمنى... أتمنى لو كان هناك المزيد".

"شكراً"، قلث له. عرفث أنه يبذل جهداً فبادلته بابتسامة.

وضع الملابس على الطاولة، ومعها منشفة كبيرة زغبية. "لا أدري... فكرث أنكِ إذا كنتِ لا تزالين تشعرين بالبرد فربما تأخذين حماماً"، واحمر وجهه عند كلمة حمام.

هززث رأسي. "أنا أرغب حقاً بالنوم". كنث قد نسيث مسألة النوم، لكني شعرث باندفاعة شديدة حين قلث ذلك: كل ما أحتاج إليه هو النوم.

بمجرد أن أخلد إلى النوم فإن هذا الكابوس سينتهي.

ومع ذلك فقد سيطر علي شعور داهم بالقلق. ماذا لو لم يتكرر اليوم هذه المرة؟ ماذا لو أنه هنا ينتهي كل شيء؟ فكّرث بإيلودي وشعرث بالشوكولاته الساخنة ترتجع إلى حلقي.

لا شك أن كينت رأى تعابير وجهي لأنه انخفض أمامي حتى أصبحت أعيننا بمستوى بعضها. "هل باستطاعتي القيام بشيء؟ هل أحضر لك أي شيء؟".

هززث رأسي محاولة عدم الوقوع في البكاء

ثانية. "سأكون بخير. إنها فقط... الصدمة"، وبالكاد استطعت ابتلاع ريقي. "كل ما أريده هو... أريد أن أرجع قليلاً. أنت تعلم؟".

هز رأسه مرة واحدة، ووضع يده فوق يدي. لم أسحب يدي. ثم قال، "إن كان باستطاعتي أن أجعل الأمور أفضل فسأفعل".

كان قول ذلك لا يخلو من الغباء بطريقة ما، لكن الطريقة التي قالها بها، إنها صادقة وبسيطة وكأنها أصدق ما لديه، فجعل الدموع ترغرغ في عيني. أخذت الملابس والمنشفة وذهبت عبر الرواق إلى الحمام الذي اقتحمناه للعثور على جولييت. دخلت إلى هناك وأغلقت الباب. كانت النافذة لا تزال مفتوحة ونُدف الثلج تتطاير إلى الداخل. أغلقت النافذة، وجعلني ذلك بحال أفضل، كما لو أنني أبدأ بعملية محو كل ما حدث الليلة. إيلودي ستكون بخير.

في النهاية، أنا هي من يُفترض أن تكون جالسة في المقعد الأمامي.

علّقت منشفة اليدين التي تركتها جولييت على المغسلة وخلعت ملابسي، مرتجفة. بعد كل هذا لا يمكن مقاومة الحمام. فتحت الماء على أشد غزارة وحرارة ممكنة ودخلت. كان الدش من النوع الذي ينهمر عليك الماء منه بشكل مستقيم على شكل جدول كثيف طويل. حين وصل الماء إلى الأرضية الرخامية تحت قدمي أطلق سحابة كثيفة من البخار. بقيت تحته حتى أصبح جلدي كالبرقوق.

ارتديت كنزة كينت، وكانت في غاية النعومة وتفوح منها رائحة الغسيل و، لسبب ما، رائحة عشب مجزوز حديثاً. ثم نزعت الأوراق عن السروال الداخلي ولبسته. كان كبيراً جداً عليّ، طبعاً، لكنني

أحببت الإحساس بنظافته وطراوته على جسمي. السروال الداخلي الرجالي الوحيد الذي كنت قد رأيته يعود لروب، وكان كالعادة مرمياً على أرضيته أو مخبأ تحت سريره وملطَخاً بأشياء لا رغبة لدي بتحديدها. أخيراً، لبست السروال الذي كان أطول من قدمي. وقد أعطاني كينت جوارب أيضاً، من النوع الكبير المزغب. جمعت كل ملابسي ككرة وتركتها خارج باب الحمام مباشرة.

حين غدث إلى المطبخ كان كينت واقفاً هناك، كما تركته تماماً. وبرق شيء في عينيه حين دخلت، لكني غير واثقة ما هو.

"شعركِ مبلل"، قال لي بنعومة، لكنه قالها وكأنه في الحقيقة يقول شيئاً آخر.

ملث برأسي. "كيف سيكون إذاً، لقد استحممت".

ساد الصمث بيننا لعدة ضربات، ثم قال، "أنتِ متعبة. سأوصلك إلى المنزل".

"كلا"، قلتها بقوة أكثر بكثير مما كنث أقصد، فنظر كينت إلي مذهولاً.

"كلا - أقصد. لا يمكنني. لا أرغب في الذهاب إلى المنزل الآن".

"أهلك..."، وأحجم كينت عن المتابعة.

"أرجوك". لا أدري أيهما الأسوأ: إن كان والداي قد سمعا بالخبر ويجلسان بانتظار عودتي، بانتظار الانقضاض عليَ وطرح الأسئلة والكلام عن زيارة المشافي في الصباح والمعالجين لمساعدتي في تجاوز الأمر - أم أن يكونا لم يسمعا بعد فأدخل المنزل وأجد الكل نيام.

قال كينت، "لدينا هنا غرفة للضيوف". وأخيراً كان شعره قد جف وظهرت خصاله المتموجة.

"ليس في غرفة الضيوف"، قلت بحزم. "أرغب في أن أكون في غرفة غرفة. غرفة يعيش فيها أحدهم".

حذق بي كينت لثانية ثم قال لي، "تعالي معي"، ومد يده ليمسك يدي عند مروره من أمامي فتركته يأخذها. صعدنا إلى الطابق الأعلى وعبرنا الرواق وصولاً إلى غرفة النوم المليئة بالملصقات على جدرانها. كان يجب أن أعرف أنها غرفته. حاول فتح الباب - "إنها عالق"، كما شرح لي - ثم تمكن أخيراً من فتحه. تنفست بعمق. الرائحة هي نفسها كما كانت الليلة الفائتة حين كنت هنا مع روب، لكن كل شيء مختلف - الظلام يبدو ألطف، بطريقة ما.

"أمهليني ثانية"، وشد كينت على يدي ثم ابتعد. سمعت هسيس الستائر فشهقت: فجأة انكشفت ثلاث نوافذ هائلة تمتد من الأرض إلى السقف وتغطي جداراً بأكمله. لم يكن قد أنار الضوء، لكن بدا وكأنه فعل. القمر ضخم ومنير وينعكس على الثلج الأبيض الرائع فيزيد نوره نوراً، ملأ الغرفة بضوء فضي جميل.

قلت له، "هذا مذهل"، وتنفست الصعداء؛ لم أكن أشعر أصلاً أني حبست أنفاسي.

ابتسم كينت بسرعة، وكان القمر يظلل وجهه. "إنها رائعة في الليل، لكنها ليست بتلك الروعة عند شروق الشمس"، وبدأ يغلق الستائر.

"اتركها مفتوحة"، ناديته بشجن، ثم أضفت، "من فضلك". انتابني الخجل فجأة.

غرفة كينت كبيرة جداً ورائحتها مثل ذلك المزيج الرائع من رائحة الغسيل والعشب المجزوز التي تفوح من ملابسه الداخلية المزغبة. إنها الرائحة الأكثر إنعاشاً في العالم، رائحة النوافذ المفتوحة والملاءات المجعدة. الليلة الماضية لم انتبه لأي

شيء باستثناء السرير، لكني الان أرى الغرفة مرصوفة بالكامل برفوف الكتب. في الزاوية طاولة عليها كمبيوتر ومزيد من الكتب، وعلى الجدران صور مؤطرة لأشخاص متحركة مغبشة، لكني لا أستطيع استيضاح التفاصيل. وهناك كرسي ضخم محشو بالحبيبات البلاستيكية يجثم في أحدى الزوايا، وقد لمحني كينت أحدق بها.

"إنها عندي منذ الصف السابع"، قال لي. وأعتقد أني رأيته يحمر خجلاً في العتمة.

قلث له، "كانت لدي واحدة مثلها". لكني لم أذكر السبب الذي جعلني أرميها: قالت ليندزي إنها تشبه ثدياً ضخماً متكتلاً. الآن لا يمكن التفكير بليندزي، أو آلي، وحتماً لا يمكنني التفكير بإيلودي.

سحب كينت البطانيات عن سريره، ثم تراجع واستدار لناحية أخرى لإعطائي شيئاً من الخصوصية. اعتليت السرير واستلقيث فيه، كانت أطرافي ثقيلة ومتصلبة حتى الألم، وشعرث بشيء من الاستحياء، لكن الخدر الذي أشعر به من شدة الإعياء جعلني لا أعبأ. كان للسرير لوحان منقوشان من الأعلى والأسفل، وبمجرد أن تمددث فيه تذكرث ركوب الزلاجة. أمَلث رأسي لأتمكن من رؤية تساقط الثلج، ثم أغلقث عيني وتخيلث أني أطير عبر غابة في طريقي إلى مكان رائع: منزل أبيض صغير مزيّن يظهر من مسافة والشموع تحترق عند نوافذه.

همس كينت، "طابت ليلتك". كان هادئاً جداً لدرجة أني نسيث أنه كان يقف هناك. فتحث عينيَ واستندث على مرفقي. "كينت؟".

"نعم؟".

"هلا تفضلت وبقيت معي قليلاً؟".

هز رأسه، وسحب كرسي الطاولة إلى جانب

السرير دون أن ينبس ببنت شفة. رفع ركبتيه إلى مستوى ذقنه ونظر إليَ. وضوء القمر الداخل من النوافذ جعل شعره يبدو فضياً ناعماً.

"كينت؟".

"نعم؟".

"هل تجد غرابة في كوني معك هنا؟" أغلقت عيني وأنا أقول ذلك كي لا أضطر للنظر في وجهه.

"أنا رئيس تحرير صحيفة 'التريبيوليشن'"، قال لي. "وذات مرة بقيت ثلاثمائة وخمس وستين يوماً أرتدي منتجات 'كروكس'، لهذا لم أعد أجد ما هو غريب".

قلت له، "لقد نسيت مرحلة الـ 'كروكس'". وأخيراً بدأت أجد الدفء تحت الأغطية، وشعرت أن النعس يتسلل إليَ، كما لو أني أقف على شاطئ حار ومدٌ لطيف يزحف إلى أصابع قدمي. "كينت؟".

"نعم؟".

"ما سبب لطافتك معي؟".

ساد الصمت لوقت طويل حتى اعتقدت أنه لن يجيب، وأثناء ذلك تخيلت أن باستطاعتي سماع سقوط الثلج على الأرض طوال اليوم مغطياً إياها بحلة بيضاء. خشيت كثيراً أن أفتح عيني، خشيت أن ذلك سيكسر الأحجية، وخشيت أن يظهر عليه الغضب أو الألم.

"أتذكرين تلك المرة في الصف الثاني بعد وفاة جدي؟"، أخيراً أجاب بصوت منخفض وهادئ. "انفجرت بالبكاء في غرفة الطعام وقال عني فل هويل يومها أني مخنث، وجعلني ذلك أبكي بمرارة أكثر، مع أني لم أكن حينها أعرف معنى كلمة مخنث"، وضحك برقة في العتمة.

أبقيتُ عيني مغمضتين، مركّزة على صوته. العام الماضي وُجد فل هويل نصف عارٍ مع شين تريبور في المقعد الخلفي لسيارة والده البي إم دبليو. كم هو طريف المنحى الذي تأخذه الأمور.

"على كل حال، حين طلبتُ منه أن يدعني وشأني ضرب صينيتي فتطاير الطعام في كل مكان. لا يمكن أن أنسى: كنا قد أعددنا البطاطس المهروسة والبرغر بلحم الحبش، وحينها كنت أنت من رفع البطاطس عن الأرضية بيديكِ ومرّغت بها وجه فل. وبعدها أخذتِ البرغر وأقحمته في قميص فل وأنتِ تقولين، أنتَ أسوأ من الطعام الساخن". ضحِك ثانية. "كانت تلك إهانة كبيرة في الصف الثاني، واعتلى الذهول وجه فل وبدا سخيفاً جداً وهو يقف هناك ممرغاً بالبطاطس وكريم الثوم. عندها بدأتُ أضحك وأضحك، وكانت المرة الأولى التي أضحك فيها منذ أن سمعتُ الأخبار عن - عن جدي". توقّف قليلاً ثم تابع، "هل تذكرين ما قلتهُ لكِ في ذلك اليوم؟".

الذكرى هناك، بالون ينتفخ من مكان ما بعيد في داخلي كنتُ أعتقد أنه ضاع، وأصبح المشهد كله حاضراً ومكتملاً الآن.

"أنتِ بطلتي"، قلناها معاً في ذات الوقت. لم أسمع أن كينت تحرّك، لكن فجأة أصبح صوته أقرب، ووجد يديّ في العتمة، فحضنها بيديه.

همس لي، "أقسمتُ منذ ذلك اليوم أن أصبح بطلك، أيضاً، مهما طال الزمن".

بقينا على تلك الحال لفترة بدت كساعات، وكان النوم طوال الوقت يسحبني إليه، مبعداً إياي عنه، لكن قلبي كان يرفرف مثل فراشة، ويخفق بكل الأحلام والظلام والضباب المحتشدين في عقلي.

بمجرد أن أنام سوف أفقده. سأفقد هذه اللحظة للأبد.

قلث له، "كينت؟"، وبدا لي وكأني مضطرة إلى رفع صوتي من داخل الضباب، في زمن لا نهائي لوصوله من عقلي إلى فمي.

"نعم؟".

"أتعدني بأن تبقى معي هنا؟"، قلث له.

فردّ هامساً، "أعدك".

وعندها، فقط في تلك اللحظة، حين لم أعد متيقنة إني كنث أحلم أم أني صاحية أم أسير في وادٍ ما بينهما يصبح فيه كل ما تتمناه حقيقة، شعرثُ برفرفة شفتيه على شفتيّ، لكن فات الأوان، وأنا أمضي، أذهب، وهو يذهب، واللحظة تفتح وتنغلق على نفسها مثل وردة تطوي بتلاتها مع قدوم الليل.

6

هذه المرة سمعث صوتاً وأنا أحلم. كما لو أني أسمع أثناء سقوطي في العتمة نوعاً من الموسيقى الرنانة الحادة، كتلك التي تسمعها في عيادات الأطباء والمصاعد، ومن دون أن أعلم كيف عرفث، أدركث أن تلك الموسيقى تنطلق من بعيد من مكتب المدير في ثانوية توماس جيفرسون.

بمجرد إدراكي ذلك بدأت بُقع مضيئة صغيرة تنفجر في العتمة، ورأيث معرضاً مكبراً لجميع الملصقات المُلهِمة المزعجة التي تحتفظ بها الآنسة غاردنر على جدرانها، مع فارق أني في منامي كانت جميعها أكبر بمئات المرات وكل واحدة بحجم منزل. في إحداها تظهر صورة لأينشتاين فوق عبارة 'الجاذبية غير مسؤولة عن الوقوع في الحب'. وملصق للعبارة المقتبسة من توماس أديسون: 'العبقرية هي 1 بالمائة إلهام و99 بالمائة جُهد'. فكرث في محاولة التقاط أحدها وقلقث مما إذا كانت ستحمل وزني حين استدرث خلف صورة لقطة مخططة تتعلق بأظافرها بغصن شجرة. كان مكتوب عليها: 'معلقة هناك'.

أطرف ما في الأمر أني بمجرد أن رأيتها توقف الصفير في أذني وزال الشعور بالخوف، وأدركث هذه المرة أني لم أكن أسقط أصلاً. لقد كنث أطفو.

المنبه الذي أيقظني هو أعذب صوت سمعته يوماً. جلسث، وفي داخلي تتصاعد فقاعة من الضحك. كانت تلح علي رغبة للمس كل شيء في الغرفة - الجدران، النافذة، الملصق، الصور المبعثرة على طاولتي، سروال تاهاري الجينز المرمي على الأرض ودفتر العلوم وحتى الضوء الباهت الزاحف عبر عتبة النافذة. لو كان باستطاعتي غرفه بيدي

t.me/yasmeenbook

وتقبيله لفعلت.

"أحدهم في مزاج جيد"، قالت أمي حين نزلت الدرج. إيزي كانت جالسة على الطاولة أمام الخبز بزبدة الفستق، تأخذ قضمات بطيئة حذرة، كالعادة.

"عيد حب سعيد"، قال والدي. كان جالساً عند الفرن يحمص البيض من أجل إفطار أمي.

قلت له "هذا طبقي المفضل"، وأسرعت لأسرق قضمة من خبزة إيزي. صرخت إيزي وصفعتني على يدي، فزرعت قبلة كبيرة لزجة على جبهتها.

قالت لي، "توقفي عن تلطيخي باللعاب".

قلت لها، "أراكِ لاحقاً، أيتها السحلية الفوّارة".

قالت لي، "لا تناديني سحلية"، ومدّت لي إيزي لسانها الذي كان مغطى بزبدة الفستق.

"تبدين كالسحلية حين تفعلين ذلك".

"أترغبين بتناول الفطور، سام؟"، سألتني أمي. لم أكن يوماً قد تناولت الفطور في المنزل، ومع ذلك تظل أمي تسألني نفس السؤال كل يوم - طبعاً حين كانت تراني وأنا خارجة من المنزل - وفي تلك اللحظة أدركت كم أحب التفاصيل الروتينية اليومية في حياتي: حقيقة أنها تسألني دوماً، حقيقة أني أقول دائماً لا، لأن هناك خبزاً بالسمسم بانتظاري في سيارة ليندزي، حقيقة أننا نستمع دوماً لأغنية 'لا مزيد من الدراما' عند دخولنا المرأب، حقيقة أن أمي تطهو دائماً السباغيتي بكرات اللحم يوم الأحد، وحقيقة أن والدي يستلم زمام المطبخ مرة في الشهر ويصنع "حساءه الخاص"، المكون ببساطة من النقانق والفاصولياء المخبوزة والكثير من الكاتشب والدبس، والذي لم أعترف يوماً أني أحبه برغم أنه في الحقيقة أحد وجباتي المفضلة.

التفاصيل الصغيرة التي تُشكّل حياتي هي تلك الأنماط البسيطة والخاصة، كما السجاد اليدوي، فما يجعله فريداً هو تلك العيوب الصغيرة في النسج، والثغرات والقفزات البسيطة التي لا يمكن أبداً تكرار صناعتها.

أشياء كثيرة تصبح جميلة حين نحاول أن نراها بدقّة.

"لكن لا إفطار، شكراً"، واقتربث من أمي وحضنتها بذراعي. شهقت، متفاجئة. أظن أنها المرة الأولى التي نتعانق فيها منذ سنتين، باستثناء الضمة الإلزامية التي لا تتجاوز الثانيتين في أعياد الميلاد. "أحبكِ".

حين تركتها حدّقت بـي كما لو أني أعلنث للتو أني سأترك المدرسة لأصبح بهلواناً في سيرك.

"ماذا؟"، قال والدي وهو يرمي مقلاة في مغطس الجلي ويمسح يديه بمنشفة الصحون. "ألا يستحق رجلك الكبير شيئاً من الحب؟".

دوّرث عيني. أكره حين يحاول والدي أن "يتكلم كالمراهقين"، كما يسميها هو، لكني لم أعاتبه عليها. لا شيء يمكن أن يحط من عزيمتي اليوم.

"وداعاً، أبـي"، وسمحث له أن يضمني إحدى ضماته الساحقة السيّئة السمعة. الحب يملأني من قمة رأسي حتى أخمص قدمي، شعور فوّار، وكأن أحدهم هزّ داخلي مثل زجاجة مياه غازية. كل شيء - الأطباق في حوض الجلي، خبزة إيزي، ابتسامة أمي - يبدو حاداً، وكأنه مصنوع من زجاج أو أني أراه للمرة الأولى. يا له من شعور رائع، وتملّكتني الرغبة مجدداً لأدور وألمس كل شيء، لأتأكد أنه حقيقي. إذا تسنى لي الوقت سأفعل ذلك أيضاً. سألف يديّ حول حبة الكريب المأكول نصفها على

المنضدة وأشمها. سأمرر أصابعي في شعر إيزي.

لكن ليس لديَ متسع من الوقت. إنه عيد الحب، وليندزي تنتظرني في الخارج، ولدي عمل يجب إنجازه. اليوم سأنقذ حياتين: جولييت سايكس، وأنا.

ليكن هناك نور

"بيب، بيب!" أسدلت ليندزي نافذتها بينما أنزل مسرعة على الممر المتجلد. صرت أسحب الهواء البارد لداخل رئتي، وراقني كيفية احتراقه بداخلي، وراقني أكثر رائحة سيجارة ليندزي الكريهة اللاذعة والدخان الذي يعبق في الجو. "يا للإثارة! كم ثمنها؟".

"إذا كنتِ مصرة على السؤال"، قلث لها وأنا أصعد إلى مقعد المرافق، "لا يمكنكِ تحمله".

كشَرت وناولتني قهوتي قبل أن أمد يدي لآخذها. "عيد حب سعيد".

"عيد حب سعيد"، قلث لها، ونقرنا الكوبين البلاستيكيين ببعضهما.

هي أيضاً تبدو لي أصفى من أي وقت مضى. ليندزي، بوجهها الملائكي وشعرها الأشقر الكث المتسخ، وأظافرها المقصوصة المطلية بالأسود، وحقيبتها الجلدية الرثة من ماركة 'دوني وبورك' التي يستقرَ في أسفلها دائماً طبقة من التبغ ومعطر الفم 'تريدينت أوريجينال'. ليندزي، التي تكره أن تشعر بالضجر، دائمة الحراك، دائمة الجري. ليندزي، التي قالت مرة - "إنها معركة بيننا وبين العالم، يا بنات" - وهي ثملة وتلف ذراعيها حول أكتافنا حين كنا في نزهة إلى المشتل وكانت تعني ذلك حقاً. ليندزي، اللئيمة والمرحة والشرسة والمخلصة والخاصة بـي.

انحنيت نحوها بحرارة وقبّلت وجنتها.

"واو، هل هذا تحرش؟"، رفعت ليندزي كتفها إلى وجنتها ومسحت به أحمر شفاهي. "أم أنك تتمرنين من أجل الليلة؟".

"ربما الاثنين"، قلت لها، فضحكت ضحكة طويلة وعالية.

أخذت رشفة من القهوة. كانت محرقة ويجب أن تكون أفضل قهوة في كل ريدجفيو، بل وفي كل العالم. بارك الله بـ 'دنكن دوناتس'.

بدأت ليندزي تثرثر بشأن عدد الورود التي تتوقع أن تتلقاها وما إذا كانت مارسي بوسنر، كالعادة، ستنهار وتبكي في الحمام خلال الحصة الخامسة لأن جاستن ستريمر هجرها قبل ثلاث سنوات في يوم عيد الحب، وبالتالي تغلق الباب نهائياً على قدرها كفتاة نصف محبوبة. أما أنا فكنت أنظر من النافذة وأراقب ريدجفيو وهي تمر أمامي بلون رمادي مغبش. حاولت أن أتخيل كيف ستطلِق الأشجار خلال بضعة أشهر أغصانها الصغيرة نحو السماء، وتنتشر الأزهار والخضار لتغطي كل شيء مثل الضباب. ثم، بعد بضعة أشهر من ذلك ستكتسي البلدة بأكملها بحلّة خضراء: كثير من الأشجار وكثير من العشب حتى تبدو مثل لوحة لم تجف ألوانها. يمكنني أن أتخيلها تنتظر تحت سطح العالم مثل شرائح صور يجب تقليبها في جهاز الإسقاط، وبعدها يحل الصيف.

وها هي إيلودي، تتمايل بحذائها على المرج من دون سترة، وذراعاها ملتفتان على صدرها. حين رأيتها، حيوية ومتألقة، غمرني ارتياح عارم جعلني أطلق ضحكة في غاية الطلاقة. نظرت إلي ليندزي ورفعت حاجبيها.

"سوف تتجمد"، وتنهدث كنوع من طلب تفسير.

وضعت ليندزي إصبعها في أذنها ودوّرتها، "ستفقد صوابها للحصول على قطعة كوكوا بافز" (هذه عبارة من مسلسل كرتوني). "هل ذكر أحد شيئاً عن الكوكوا بافز؟"، قالت إيلودي وهي تصعد إلى السيارة. "أنا أتضور جوعاً".

التفتُّ إلى الخلف لأنظر إليها، وقاومتُ بشدة الرغبة في التسلق إلى المقعد الخلفي والقفز عليها، إذ كانت تطغى علي رغبة ملحّة في لمسها للتأكد من أنها حقيقية وأنها *حيّة*. إنها في بعض النواحي الأكثر شجاعة والأكثر رقة بيننا جميعاً. أتمنى لو أستطيع إخبارها بذلك بطريقة ما.

"ماذا؟"، وفركَت إيلودي أنفها، وعندها فقط انتبهتُ أني أحدق بها. "ما المشكلة؟ هل هناك معجون أسنان على وجهي أو ما شابه؟".

"كلا"، ومن جديد تصاعد الضحك في داخلي، في جرعة من السعادة والارتياح. فكرتُ: يمكنني أن أبقى إلى الأبد في هذه اللحظة بالذات. "تبدين جميلة".

قهقهت ليندزي وهي تنظر إلى إيلودي في المرآة الأمامية. "أرى بعض خبز الباغل تحت عقبك، يا *جميلة*".

"امممم، خبز العقب"، ومدّت إيلودي يدها إلى الكيس وأخرجت الخبز، نصف مهروس، ثم أخذت قضمة كبيرة جداً من واحدة منها. "طعمها مثل فيكتوريا سيكريت".

قلتُ لها، "طعمها مثل خيط حريري".

قالت ليندزي، "طعمها مثل شق".

قالت إيلودي، "طعمها مثل ريح المعدة"، وعندها

سكبت ليندزي القهوة على لوحة القيادة، وبدأت أنا أضحك دون أن أستطيع التوقف، وبقينا طوال الطريق نفكر بطعمات لخبز العقب، وفكرت في قرارة نفسي أن هذا - حياتي، وأصدقائي - قد يكون غريباً أو فاشلاً أو فاسداً أو مهما يكن، لكن ما من شيء أفضل منه بالنسبة لي.

عند دخولنا إلى مرأب المدرسة صرخت على ليندزي لتدوس على المكابح فداست بكل قوتها، ما جعل إيلودي تشتم حين أريقت القهوة عليها بالكامل.

"ماذا بحق الجحيم؟"، ووضعت ليندزي يدها على صدرها. "لقد أخفتني حتى الموت".

"أوه - اممم. آسفة. ظننت أني رأيت روب"، وقبالتنا كنت أشاهد سيارة سارا غروندل الشيفروليه تلتف لتدخل الموقف الآلي قبلنا بخمس عشرة ثانية. قد يكون الموقف في المرأب أمراً ضئيلاً، تفصيلاً، لكني لن أسمح اليوم بوقوع أي خطأ. لا أريد أن أغامر إطلاقاً. هذا يشبه اللعبة التي كنا معتادين ونحن صغار على لعبها، والتي تقتضي بأن نتجنب كل الشقوق التي في الرصيف وإلا فسنتسبب بمقتل أمهاتنا. حتى وإن كنت لا تصدق ذلك، فستظل حريصاً على السير بشكل صحيح، من باب الحيطة. "آسفة. هذا خطأي".

دوّرت ليندزي عينيها وداست على الوقود ثانية. "أرجوك أخبريني أنك لا تنوين مطاردة المخبولين".

"دعيها وشأنها"، وانحنت إيلودي إلى الأمام وهي تربّت على كتفي. "إنها فقط متوترة بشأن الليلة".

عضضت على شفتي لأمسك عن الضحك. لو كانت لدى ليندزي وإيلودي أدنى فكرة عما يجول فعلاً

في خلدي لكانتا اعتقلتاني على الأرجح. طوال الصباح، كلما أغمضت عيني، أظل أتخيل الشعور بشفتي كينت ماكفوللر على شفتي، خفيفتان مثل جناحي فراشة؛ من تاج النور المحيط بخصلات شعره المجعدة والشعور بذراعيه حين كان يمسك بي ليبقيني واقفة. أسندت رأسي على النافذة، فانعكست ابتسامتي أمامي وصارت تكبر وتكبر بينما تدور ليندزي وتدور في الموقف الآلي الخروج وهي تشتم لأن ساره غروندل أخذت آخر موقف فارغ.

بدلاً من اللحاق بإيلودي وليندزي إلى المدخل الرئيسي، انفصلت عنهما وتوجهت نحو المبنى A، حيث مكتب الممرضات، لألتمس مبرر غياب بحجة الصداع. هناك تُخبأ الورود في عيد الحب، ولدي بعض التعديلات يجب أن أفعلها. حسنٌ، قد لا يكون الكذب شرعياً مائة في المائة على مقياس الموتى الأخيار (وخاصة الكذب على أعز أصدقائك)، لكن لدي سبب وجيه جداً جداً.

مكتب الممرضات طويل وضيق، وكان في العادة مرصوفاً بصفين من الأسرّة على طوله، لكن تمت إزالة جميع الأسرّة واستبدالها بطاولات ضخمة قابلة للطي. الستائر الثقيلة التي تجعل المكان في العادة مُعتماً كالمسرح مسحوبة بالكامل، والغرفة تشع حرفياً بالنور. والضوء يرتد عن المثبتات المعدنية على الجدران ويلتوي على الجدران ناصعة البياض. الورود في كل مكان - وتطفح من صوانيها، وتملأ الزوايا، بل إن بعضاً منها مبعثر على الأرض وتعرض للدهس - وإذا كنت لا تعرف أن هناك في الواقع مبدأ تنظيمياً لكل ذلك، وهدفاً، قد تعتقد ببساطة أن أحدهم قد وضع نوعاً من قنبلة تنفجر

وروداً.

الانسة ديفان، المشرفة الفعلية على عيد الحب، ليست في المكان، لكن هناك ثلاث ملائكة حب يقفن فوق واحد من الصناديق، ويقهقهن. حين دخلت، قفزن وتراجعن للخلف. من الواضح أنهن كنّ يقرأن الملحوظات. التفكير فيها يثير الحيرة - تلك القصاصات الورقية الصغيرة، الكلمات، أنصاف المجاملات والمجاملات الساخرة والوعود المنكوثة وأشباه الأمنيات ومعظم التعبيرات التي قد ترغب بقولها: إنها لا تروي القصة كاملة، ولا حتى نصفها. غرفة مليئة بكلمات تقارب الحقيقة لكن ليس بالضبط، وكل ملحوظة تتدلى من ساق وردتها مثل جناح فراشة مكسور. لم تكلمني أي من الفتيات حين بدأت أسير في الممر مستعرضة اللصاقات على الصواني بحثاً عن حرف 'س'. أشك أن أحداً آخر قد سمح له بالتجول في غرفة الورود، وخاصة إذا كان من السنة الأخيرة. وأخيراً وجدث الصينية التي تحمل اللصاقة 'س، ت - ت، أ'. هناك ستة ورود لتامارا ستوغن وستة أخرى لأندرو سفوك وثلاثة لبرت سورتني، صاحبة الاسم الأكثر تعاسة الذي سمعته منذ وقت طويل. وها هي: الوردة الوحيدة لجولييت سايكس وعليها ملحوظة ملفوفة بعناية حول ساقها. 'ربما في السنة القادمة، لكن على الأرجح لا. *ربما في المرة القادمة، لكن على الأرجح لا*'.

"اممم... هل يمكنني مساعدتك بشيء؟"، وتقدّمت إحدى الفتيات خطوتين. كانت تلف يديها على بعضهما وتبدو متخشبة تماماً.

كانت وردة جولييت ضئيلة ويافعة، ومخضّبة قليلاً باللون الوردي. جميع بتلاتها مغلقة. لم تتفتح

بعد.

"أحتاج وروداً"، قلت لها. "الكثير من الورود".

إصلاحات وتعديلات

غادرت غرفة الورود متحمسة ومشحونة، كما لو أني تناولت للتو ثلاثة أكواب قهوة لاتيه من متجر 'كافيين راش' في المول. استبدلت وردة جولييت الوحيدة بباقة ضخمة - دفعت أربعين دولاراً مقابل دزينتين - وملحوظة مطبوعة بأحرف كبيرة تقول: 'من المعجب بك السري'. فقط أتمنى أن أكون في الجوار حين تحصل عليها. أنا واثقة أنها ستجعلها في يومها، والأكثر من ذلك أني واثقة أنها ستصلح الأمور. سوف تحصل على ورود حتى أكثر من ليندزي إيدجكوم، وهنا بدأت أتخيل كيف ستجحظ عينا ليندزي حين ترى أن جولييت تغلّبت عليها في إحراز لقب 'الأكثر إهداءً' هذا العام وأطلق شخرة كبيرة من الضحك وسط حصة تاريخ أميركا، ويبدأ الجميع بالتهامس والتحديق بـي لكني لن أهتم. لا بد أن هذا هو شعور من يتعاطى المخدرات: الشعور بالعوم فوق كل شي، والشعور بكل شيء أنه جديد ونضر ومضاء من الداخل. باستثناء الشعور بالذنب والضياع في اليوم التالي، وربما الوقوع في قبضة الشرطة.

حين وزّع الأستاذ تيرني أسئلة الاختبار المفاجئ، أمضيت طوال العشرين دقيقة أرسم قلوباً وبالونات حول الأسئلة، وحين تقدّم ليجمع الأوراق رمقته بابتسامة في غاية البريق فجفل حقيقة، وكأنه غير معتاد على رؤية الناس سعداء.

أمضيت طوال الصباح أمشّط الأروقة بحثاً عن كينت، مع إني لست متأكدة مما سأقوله له حين أراه. لا يمكنني في الحقيقة قول شيء، فهو لا

يعرف أننا أمضينا الليلتين الماضيتين سوية، وأننا في كلا الليلتين كنا قريبين جداً لدرجة أنه إذا ما تنفس أحدنا كنا سنجد بعضنا نقبّل بعضاً، وهذا ما أعتقد أننا فعلناه في الليلة الماضية. لكن تغمرني هذه الرغبة الجامحة لأكون حوله، لرؤيته يقوم بتلك الأعمال الخاصة بكينت: إبعاد شعره عن عينيه، الابتسام بتلك الطريقة المائلة، تعديل حذائه الرياضي السخيف، وإدخال يديه تحت الثنيات الطويلة لياقته. وفي كل مرة أعتقد أني رأيت مشيته الواسعة أو أني لمحت شعراً بنياً لشاب كان قلبي يقفز إلى حلقي - لكن لم يكن هو ولا مرة، وفي كل مرة لا يكون هو، كان قلبي يأخذ مساراً معاكساً وصولاً إلى أسفل معدتي.

على الأقل سأضمن رؤيته في حصة الرياضيات، على الأقل. بعد مهارات الحياة، توقفت في الحمام، وأمضيت الدقائق الثلاث المتبقية لقرع الجرس أتبرج أمام المرآة، متجاهلة الأحاديث عن الحلوى من كلا جانبي، ومحاولة جهدي عدم التركيز على حقيقة أني سآتي وجهاً لوجه مع الأستاذ ديملر بعد أقل من خمس دقائق. وبين حين وآخر تحدث في معدتي حركات غريبة - مزيج من الترقُّب لرؤية جولييت وهي تحصل على ورودها، الأمل في رؤية كينت، والوقوع في خيبة الأمل - ولست واثقة إن كان باستطاعتي احتمال خمس وأربعين دقيقة وأنا أرى الأستاذ ديملر يتكلف الابتسام ويغمز ويكشّر في تلك الحصة. سوف أبعد ذكرى لسانه الرطب واللزج داخل فمي.

"*يا لها* من حقيرة". خرجت إحدى طالبات السنة الأولى من إحدى حجرات الحمام وهي تهز رأسها.

في لحظة من الذعر كنت واثقة أنها تتكلم عني -

أنها بطريقة ما قرأت أفكاري - لكن بعد ذلك انفجرت صديقاتها بالضحك وقالت إحداهن، "أنا أعرف. سمعث أنها مارست الجنس مع ما يقارب ثلاثة طلاب من فريق كرة السلة"، فأدركث أنهن يتكلمن عن كاتي كارجيللو. تأرجح باب الحجرة وانفتح فظهرت واضحة خربشة ليندزي *ك*. *ك* = ح. ب، وتحتها عبارة: غد *إلى مقتفي الأثر*، هو.

"لا ينبغي أن تصدقي كل ما تسمعينه"، صحث عليها، وفي الحال أغلقت الفتيات الثلاث أفواههن وحدّقن بـي.

قلث لهن، "أجل، صحيح"، وأشعر الآن بمزيد من الجرأة لأن لدي مثل هذا الجمهور المبهور. "أتعرفن كيف تبدأ معظم الإشاعات؟".

هزت الفتيات رؤوسهن. كن واقفات قريباً جداً حتى ظننث للحظة أن جماجمهن سوف تضرب بعضها.

"لأن أحدهم شعر أنها أعجبته".

بعدها رن الجرس، فهرعت طالبات السنة الأولى إلى الباب وكأنما سمح لهن فجأة بالخروج من الدرس. وقفث هناك، أرغب في أن تخرج قدماي من الباب عبر الرواق نزولاً على الأدراج وإلى اليمين إلى حصة الرياضيات، لكن لم يحدث شيء. وبدلاً من ذلك بقيث مسمّرة من الكتابة على باب الحجرة، وتذكرث كيف ضحكت آلي وأشارت إلى الفنان المقلّد في مكان آخر. *ك*. *ك* = ح. ب. أنا واثقة أن ليندزي كتبتها في نزوة - أربعة أحرف تافهة، غبية، عديمة المعنى - على الأغلب لتجرّب قلم تخطيط جديد وترى مقدار الحبر الذي فيه. كان من الأفضل، إلى حد ما، لو أنها كانت تعني ذلك. كان سيكون أفضل لو كانت حقاً تكره كاتي. لأن ذلك يحمل

معنى. كان ليحمل معنى.

من دون التفكير بحقيقة أني أصبحث رسمياً متأخرة عن حصة الرياضيات، بللث منديلاً ورقياً بالماء، من باب التجربة، وبدأث أحك الكتابة على باب الحجرة. لم تتأثر. لكن بعدها، بما إني بدأت فلن أتوقف. نظرث تحت المغسلة فوجدث ليفة معدنية جافة وزجاجة من سائل تنظيف. كان علي سند الباب بيد والفرك بقوة باليد الأخرى، وبعد فترة بدأت الكتابة على الباب تبهت، وبعد وقت أطول أصبحت الأحرف بالكاد مرئية. راودني شعور طيب جداً بمجرد أن محوتها عن الباب الأول، فتابعث وفركث البابين المتبقيين، لكن يديَ صارتا تؤلماني، وبدأت فعلاً أتعرق، وأنا في ذهني أشتم ليندزي طوال الوقت على نزوتها، ولاستخدامها قلم تخطيط لا يزول حبره.

حين انتهيت من الحجرات الثلاث فتحث الأبواب ونظرث إلى انعكاسها في المرآة: خالية، نظيفة، وعديمة الملامح، بالشكل الذي يجب أن تكون عليه أبواب الحجرات. ولسبب ما ملأني ذلك بمزيج من الفخر والسعادة، فأديث رقصة في مكاني وصرث أنقر بكعب حذائي على الأرضية السيراميكية. جعلني ذلك أشعر أني غدت إلى الزمن الصحيح وصححث شيئاً، وبين هذا وما فعلته بالورود هذا الصباح لم أشعر قط أني حية كاليوم، ولم أشعر قط بهذه القدرة على التصرف.

الآن فسد تبرجي بالكامل، إذ كانت قد سالت بعض قطرات العرق على جبهتي وجسر أنفي. رشقث ماءً بارداً على وجهي وجففته بمنديل ورقي خشن، ثم بدأث من جديد بالماسكارا ودهن أحمر الخدود ببتلة وردة وذلك ما نفعله أنا وليندزي من منطلق ديني.

قلبـي يقفز بجنون في صدري، أولاً بسبب الابتهاج وثانياً بسبب التوتر. الفترة القادمة هي استراحة الغداء، ووقت الغداء هو وقت الاستعراض.

"هلا توقفت عن فعل ذلك؟" انحنت إيلودي عليَ وضغطَت على أصابعي - التي كانت تنقر - على الطاولة. "ستجعلينني أفقد صوابـي".

"هل أنتِ مصابة بفقدان الشهية؟" وأشارت ليندزي إلى شطيرتي، التي لم آكل منها سوى قضمات صغيرة من أطرافها.

"هذا ما تحصلين عليه حين تطلبين اللحم الغامض"، وصنعت آلي حركة بوجهها وهي تشير إلى شطيرة اللحم المشوي، وقد طلبتُها برغم معرفتي أنها غير مقبولة فيما بيننا. هناك أشياء تصبح غير مهمة حين تعيش اليوم نفسه ست مرات على الأقل، وتموت في اثنين منها على الأقل، من الأشياء غير المهمة هو هذا النوع من اللحم على الغداء والتفاصيل المتعلقة به.

ما أثار دهشتي أن ليندزي ساندتني. "كلُه لحم غامض، آل. لحم الحبش مذاقه مثل نعل حذاء".

"مقرف"، وافقت إيلودي.

"لطالما كرهتُ لحم الحبش الذي يقدمونه هنا"، اعترفت آلي، فنظرنا إلى بعضنا الآخر وانفجرنا بالضحك.

انتابني شعور جيد حين ضحكتُ، واسترخت كتفاي. لكن عادت أصابعي من جديد لتنقر بشكل لاإرادي، وكل واحد منها يتحرك من تلقاء ذاته. صرتُ أعاين كل شخص يدخل الكافيتريا، باحثة بالتناوب عن كينت - الذي يبدو أنه، ماذا، لا *يأكل* الآن؟ - وعن جولييت.

"... إلى جولييت؟".

لقد كنت مشتتة بالكامل، أفكر بجولييت، حين أسمع اسمها، بل ظننت أني أسمع اسمها يتردد - أو بل قد يكون الأسوأ، أني أنا من ذكرته بصوت عالٍ. ولكن في تلك اللحظة، كنت أرى أن ليندزي تنظر إلى آلي، وترسم على شفتيها ابتسامة غريبة، فأعلم على الأغلب أنها سألت لتوها إن استلمت جولييت زهرتنا. نسيت تماماً أن آلي وجولييت تحضران حصة الأحياء معاً، وفجأة انقطعت أنفاسي. شعرث بأن الغرفة تميل بينما أنتظر رد آلي. يا *إلهي، اسمعني، لقد كان ذلك غريباً جداً... حصلت على باقة كبيرة من الزهور.. حتى أنها* ابتسمت.

وضعت آلي يداً على فمها، وجحظت عيناها. "يا إلهي، نسيت تماماً أن أخبركن -".

غطت يدان عينيّ، فشعرث بالغبطة الشديدة لدرجة أني صرخت صرخة قصيرة. فاحت رائحة الشحم و - بالطبع - مرطب الليمون - من اليدين. انفجرت ليندزي وآلي وإيلودي بالضحك بينما أزال روب يديه عن عينيّ. عندما نظرت إلى الأعلى رأيته يبتسم، ولكن هنالك ما يشير إلى أنه يقطّب حاجبيه مما يجعلني أرى أنه غير مسرور.

قال: "أنت تتجنبينني الآن؟". وضربني برباط بلوزتي وكأنه في الخامسة من عمره.

قلت: "ليس تماماً". محاولة أن أبدو لطيفة. "ما الذي ترمي إليه؟".

أمال رأسه نحو آلة الصودا. "إنني أقف هناك منذ ربع ساعة تقريباً".

بدا واضحاً من صوته المنخفض أنه لا يرتاح للتحدث أمام صديقاتي. "لم تمري أو تأتي أو ما شابه".

أردت أن أقول له إنه جعلني أنتظر لأكثر من ذلك، ولكن من الواضح أنه لن يفهم أبداً. وفوق ذلك، بينما كنت أراقبه وهو يقلب حذاءه الرياضي المهترئ من نوع نيو بالانس، وقد أدرك أنه ما زال صالحاً إلى حدٍّ ما. نعم، إنه أناني، وليس ذكياً للغاية، وهو يشرب أكثر من اللازم، ويغازل الفتيات... وأنا لن أخلع حمالة صدري لأجله ولو مات، من دون ذكر ما الذي سيحصل بعدها، ولكن يوماً ما سينضج قليلاً وسيجعل إحدى الفتيات سعيدةً.

"أنا لا أتجاهلك يا روب، كل ما في الأمر..." أزفر وأماطل. لم يسبق أن قطعت علاقتي بأحد من قبل، وراودتني جميع الجمل المبتذلة. *لست السبب بل أنا*. (لا - هو السبب. وأنا كذلك). *ستكون حالنا أفضل كأصدقاء*. (لم نكن أصدقاء يوماً). "لقد كانت الأمور بيننا...".

أغمض عينيه وهو ينظر إليَ وكأنه يحاول قراءة لغة أخرى. "لقد حصلتِ على زهرتي، أليس كذلك؟ في الحصة الخامسة؟ هل قرأتِ الملاحظة؟".

وكأن هذا سيجعل الأمر أفضل. قلت: "في الواقع" محاولة إخفاء نفاد صبري. "لم أحصل على زهرتي. لقد تغيبت عن الحصة الخامسة".

"آنسة كينغستون". في الجهة الأخرى من الطاولة، وضعت إيلودي يدها على صدرها وتظاهرت بالصدمة. "لقد خيبت ظني كثيراً". مزيد من القهقهة.

رمقتها بنظرة، والتفت مجدداً نحو روب. "ولكن ليس هذا ما أحاول قوله. ما أحاول قوله هو -".

قال روب: "لم أحصل على زهرة منك". استطعت أن ألاحظ أنه يستوعب الأمر ببطء شديد: هنالك خطب ما. حين يفكر روب، يمكنك تقريباً أن ترى المحركات وهي تدور في دماغه. هذا الصباح قمت

بتغيير إضافي في غرفة الزهور. توقفت عند الحرف C وبحثت بترو بين زهور روب - متخطية الزهرة المرسلة من غابي هاينز، صديقته السابقة، والتي تقول، *متى سنتسكع كما قلت، أيها المثير؟* - وأزلت الوردة المرسلة مني، مع الملاحظة الصغيرة التي أمضيت ساعاتِ وأنا أفكر فيها.

ضربت ليندزي ذراع روب، وهي تظن أن كل هذا مزحة. قالت: "اصبر يا روب" وغمزته. "ستأتي وردتك".

"أصبر؟". استهجن روب وشعر بطعم الكلمة كريهاً بين أسنانه. كتّف يديه وحدّق إليَ. "فهمت الأمر. لن أحصل على وردة، صحيح؟ هل نسيت الأمر أو ما شابه ذلك؟".

شيءٌ ما في صوته جعل صديقاتي أخيراً يفهمن ما يحصل. صمتن، وحدقن إليّ وإلى روب وبالعكس.

دعوني أعيد صياغة ما قلته: يوماً ما سيجعل إحدى فتيات *الأخوية* سعيدةً جداً، شقراء تدعى بيكي مع ثديين بقياس D لا تمانع أن يعاملها الرجل مثل اللحم في المرقة.

بدأت بالتكلم: "لم *أنس* الأمر" ولكنه قاطعني.

صوته هادئ، منخفض جداً، ولكن يمكنني أن أسمع الغضب الذي يكمن خلفه - قاسِ وبارد ومؤلم.

"إنك تضخمين ما حصل يوم عيد الحب. ولا تقومين بما يلزمك به الاتفاق. تصرف متوقع".

كانت معدتي تعمل وكأنها تحاول هضم بقرة كاملة، ولكني رفعت ذقني وحدقت إليه: "تصرف متوقع؟ ماذا تعني بذلك تماماً؟".

"أعتقد أنك تعلمين". مرر روب يداً أمام عينيه، وبدا لئيماً فجأة، وذكرني بتلك الخدعة التي كان

يقوم بها أبـي حين كان يمرر يده على وجهه، مغيراً تعابيره من سعيد إلى حزين، ثم من حزين إلى سعيد، في لحظة. "أنت لا تملكين سجلاً مثالياً في مجال الوفاء بوعودك -".

صرخت ليندزي: "احذروا لدينا مريض نفسي هنا". قالت ذلك على أمل كسر التوتر، وهذا ما حصل بالفعل. وقفت فأوقعت كرسيي بسرعة، فنظر إليّ روب بقرف، ثم ركل الكرسي بقدمه - ولكن بقوة كافية لإصدار صوتٍ عالٍ - وقال: "جديني لاحقاً".

غادر إلى الكافيتريا، بعدها كففت عن ملاحقته بنظراتي. راقبت جولييت وهي تطوف، وتنزلق، وتطفو إلى داخل الغرفة. وكأنها ميتة بالفعل ونحن نراها تعود إلى الحياة بقعةً تلو الأخرى، بشكلٍ غير منتظم.

إنها لا تحمل أي شيء، ولا حتى وردة واحدة، بل مجرد كيسٍ بني منتفخ كالعادة. إن خيبة أملي كبيرة جداً لدرجة أنني أستطيع *تذوقها* على لساني، وكأنها كتلة مرَة في حلقي.

"... دخلت أحد أماكن الاحتفالات بعيد الحب، وأقسم إنها كانت تحمل ثلاث دزيناتٍ من الورود، وكلها لجولييت".

التفت نحوها: "ماذا قلتِ؟".

عبست آلي قليلاً بسبب نبرة صوتي، ولكنها كررت: "حصلت ببساطة على هذه الباقة الهائلة الحجم من الورود التي أوصلت لها. لم يسبق لي أن رأيت باقة بهذا الحجم". وأخذت تقهقه قائلة. "ربما تملك المعتوهة مُطارداً".

قالت ليندزي عابسة: "لكني لا أفهم ما حصل *لوردتنا*، أوصيتهم أن يوصلوها في الحصة الثالثة".

أقاطع: "ماذا فعلت بها؟".

حدقت آلي وإيلودي وليندزي إليَ. وقالت آلي: "تفعل بماذا؟".

"الورود. هل - هل تخلصت منها؟".

"ما علاقتك في ذلك؟". جعدت ليندزي أنفها وكأنها شمت رائحة كريهة.

"أنا فقط - *لا علاقة لي*. إنه فقط..." حدقن إليَ بنظرة فارغة. فم إيلودي مفتوح، ويمكنني أن أرى البطاطس المهروسة فيه. "أعتقد أن الأمر لطيف، حسناً؟ إن أرسل أحد ما إليها كل هذه الورود... لا أدري. أعتقد أنها لفتة لطيفة".

قالت إيلودي: "لا بد أنها أرسلتها لنفسها" وعاودت القهقهة مجدداً.

فقدت أعصابـي بعدها: "لماذا؟ لماذا تقولين هذا؟".

مالت إيلودي إلى الخلف وكأنني ضربتها. "أنا فقط - إنها *جولييت*".

"نعم، تماماً. إنها *جولييت*. ما المغزى؟ لا أحد يهتم بشأنها البتة. لا أحد ينتبه". أميل إلى الأمام، وأضغط بكلتا يدي على الطاولة، ورأسي ينبض من شدة الغضب والإحباط.

"ما المغزى؟".

عبست آلي في وجهي. "هل هذا لأنك محبطة بسبب روب؟".

ثنت ليندزي ذراعيها: "نعم. ما الأمر؟ هل أنتما على ما يرام؟".

"لا علاقة لروب بالأمر". قلت ذلك من بين أسناني المطبقة.

تدخلت إيلودي. "كانت تلك دعابة يا سام. قلت البارحة إنك كنت خائفة من أن تعضك جولييت إن

اقتربت منها كثيراً. قلت إنها تحمل داء الكلب على الأغلب".

هذا ما كسرني حقاً - في تلك اللحظة، حين قالت إيلودي ذلك. أو أقصد، حين ذكرتني بقولي ذلك: البارحة، قبل ستة أيام مضت، قبل *عالمٍ* مختلفٍ تماماً مضى. أفكر، كيف لهذا أن يكونا ممكناً، أن أتغير إلى هذا الحدّ من دون أن أملك القدرة على تغيير أي شيءٍ على الإطلاق؟ كان هذا أسوأ جانبٍ في كل ما يحصل، شعورٌ باليأس الإكتئابـي، فأدركت أن سؤالي الذي طرحته على إيلودي هو السؤال الذي كان يدمرني طوال الوقت. ما المغزى؟ إن كنت ميتة - إن كنت غير قادرة على تغيير شيء، إن كنت غير قادرة على إصلاح شيء - *ما المغزى*؟

غمزتني ليندزي ولم تفهم حقيقة الأمر: "سام محققة. إنه عيد الحب، أتعلمين ما أقصد؟ وقتٌ للحب والتسامح، حتى بالنسبة إلى مرضى العالم النفسيين". رفعت وردةً وكأنها كأسُ شراب فاخر. "نخب جولييت".

رفعت آلي وإيلودي وردتيهما، وقهقهتا وقالتا بصوتٍ واحد: "نخب جولييت".

رفعت ليندزي حاجبها: "سام؟ ألن تشاركينا نخبنا؟".

استدرت واتجهت إلى الجهة الخلفية من قسم طلاب السنة الأخيرة، إلى الباب الذي يؤدي مباشرةً إلى المرأب. صرخت ليندزي شيئاً ما، ونادت آلي: "لم تتخلص من الورود، حسناً؟".

تابعت طريقي بين الطاولات التي تتكدس عليها المأكولات والورود والأكياس، الجميع يتكلم ويضحك، غافلون عمّا يجري. أشعر بغصة في بطني تشبه شعور الندم. بدا كل شيءٍ بحالٍ طبيعية غبية

وسعيدة: يضيّع الجميع الوقت لأنهم يملكون الكثير منه، تتبدد الدقائق على أحاديث مثل *من يصاحب من وهل سمعتم ما حصل*.

هناك سحاب أسود يحيط بالأفق، وكأنه ستارٌ على وشك أن ينسدل. فتشت في المرأب باحثة عن جوليت، وأنا أقفز على أصابع رجليَ لكي أبقى دافئة. صدحت الموسيقى من سيارة آلي وميزت أنها سيارة كريستنا مورفي الفضية من نوع توروس وهي مسرعة نحو المخرج. عدا ذلك كان المرأب هادئاً تماماً. تلاشت جوليت بعيداً في مكانٍ ما في مشهد المعدن والأرصفة.

أخذت نفساً وزفرته على شكل غيمة، مستمتعة بلسعة الهواء البارد في حلقي. شعرت بشيء من الراحة لأن جوليت غادرت، لأنني لم أكن متأكدة مما سأقوله لها. وكما تبين لم يبدُ أنها تخلصت من الورود. هذه إشارة جيدة. وقفت مكاني لبرهة، وأخذت أقفز على رؤوس أصابع قدميَ وأفكر، *الليلة هي الليلة التي سأتحرر فيها من هذا الشيء*. مفكرةً بكل الأشياء التي سأقوم بها بشكلٍ مكثف أكثر في حياتي. سأذهب إلى غوز بوينت مع إيزي، سأتسكع مع إيلودي وحدنا، سأقود إلى نيويورك، وسأحضر مباراة لفريق اليانكيز مع ليندزي، وسأحشو وجهي بالهوت دوغ، وسأصفِر لجميع اللاعبين، وسأقبِّل كينت؛ أقبِّله حقاً، ببطء ولوقتٍ طويل، في مكانٍ ما في الخارج - ربما والسماء تثلج. ربما ونحن واقفان في الغابة. سينحني نحوي، وسيكون هناك ندفات ثلج على رموشه من جديد، وسيرفع شعره بعيداً عن وجهه، وسيضع يده الدافئة على مؤخرة رقبتي، يده الدافئة لدرجة أنها تحرق - صوت كينت: "مرحباً سام".

التففت وتعثرت بقدمي. تماماً مثل جولييت سكايز، كنت غارقة جداً في حلمي عن كينت لدرجة أن رؤيتي له على أرض الواقع بدت كحلمٍ أو أمل وهمي. إنه يرتدي سترة كوردوري قديمة مع رقعتين محاكتين على المرفقين مثل أستاذ لغة إنكليزية مجنون - ومحبب -. بدت السترة ناعمة، وشعرت بحاجة ملحة إلى أن أمدَ يدي وألمسها، حاجة لا علاقة لها بشعوري العام اليوم وبقيمة الأشياء.

إن يديَ كينت مدفونتان في جيببه، وكتفيه مرفوعان نحو أذنيه وكأنه يحاول أن يقاوم البرد. "حسناً، لا درس حساب اليوم؟".

"مممم... لا". لقد انتظرت طوال اليوم لكي ألتقي به، ولكن رأسي أصبح فارغاً الآن.

ابتسم كينت لي وهو يهرول: "هذا مؤسف، لقد فوَتِ عليك بعض الورود". أزال حقيبته عن كتفه، وفتح السحاب، وأخرج وردة ملتفة ذات لونين حليبي وزهري مع بطاقة ملاحظة ذهبية تتدلى من طرفها. "تمت إعادة بعضها إلى المكتب على ما أظن. ولكن - آه، أردت أن أحضر هذه لكِ شخصياً. إنها مسحوقة قليلاً. سامحيني".

أجبته: "إنها ليست مسحوقة، إنها جميلة".

عضَ على طرف شفته - ألطف ما رأيته في حياتي. أعتقد أنه متوتر. نظر إلى عينيَ قبل أن يجول بصره في الأرجاء، وفي كل مرة وقعت عيناه عليَ كنت أشعر وكأن العالم قد اختفى، ولا أحد من حولنا، ونحن في وسط حقل أخضر زاهٍ.

قال: "لم تفوَتي شيئاً مهماً في الرياضيات". توقعت بعضاً من ثرثرة كينت ماكفولر: "أعني، راجعنا بعض الأمور من فرض الأربعاء لأن بعض الطلاب مرتعبين من اختبار يوم الاثنين. ولكن الجميع كانوا ضجرين

وعديمي الصبر، ربما بسبب عيد الحب، ولم يهتم ديملر حقاً بأن -".

"كينت؟".

غمز بعينيه وسكت: "نعم؟".

حملت الوردة: "هل أرسلت هذه لي؟ أعني هل هي منك؟".

أشرق وجهه بابتسامة عريضة تشبه إشراقة الشمس. قال: "لن أخبرك أبداً". وغمزني.

من دون وعي خطوت نحوه عدة خطوات، وشعرت بالحرارة الصادرة من جسده، وأخذت أتساءل عما سيفعله إن جذبته نحوي الآن، ولثمت شفتيه كما فعل - أو بالأحرى كما تمنيت ليلة أمس أن يفعل -. ولكن حتى تلك الفكرة أشعرتني بوجود فراشات في معدتي، وشعرت بقشعريرة تسري في جسدي.

في تلك اللحظة، تذكرت ما قالته آلي لنا في اليوم الأول، اليوم الذي بدأ فيه كل هذا: "إن طارت مجموعة من الفراشات في تايلندا، فقد يتسبب ذلك في حصول عواصف مطرية في نيويورك". فكَّرت بكل آلاف مليارات الخطوات والتعثرات والفرص والصدف التي قادتني إلى هنا، لأقف أمام كينت، ممسكة بوردة ذات لون حليبي وزهري، وأشعر أن هذه المعجزة الأكبر في العالم.

قلت: "شكراً لك". وأضفت على الفور: "أعني... لأنك أحضرت هذه لي".

أخفض رأسه، وبدا مسروراً ومحرجاً: "لا داعي...".

"... سمعت أنك تقيم حفلة في منزلك الليلة؟".

ما هذا الهراء الذي تفوهت به. فأمال رأسه وقام بالشيء نفسه الذي يقوم به في شفتيه، تلك الحركة

الناعمة اللطيفة. أتوق لجعل كل شيء يجري على ما يرام، أتوق لأستعيد ذاك الشعور الذي شعرت به الليلة الماضية - الذي شعرنا به الليلة الماضية، لا بد من أنه قد شعر به - ولكني أشعر أن كل ما قد أقوله سيخرب الأمر. انتابني شعورٌ لحظي بالحزن على كلَ ما فقدته. في مكانٍ ما عبر الدوران اللانهائي، ذاك الجزء الصغير من الثانية الذي التقت فيه شفاهنا قد ضاع إلى الأبد.

أضاء وجهه: "أجل، والداي خارج البلدة كما تعلمين. هل ستأتين؟".

قلت: "بالتأكيد، يبدو أن الأمر مدهش إلى حدٍّ ما -". أتابع بنبرة طبيعية. "سيقصد الجميع منزلك، أليس كذلك؟".

"آمل ذلك". نبرة صوته الدافئ بطيئة، مثل الشراب المحلى، وأتمنى لو أن في وسعي أن أغمض عيني وأصغي إليه. "جلبت برميلين من الجعة". ولف أصبعه في الهواء، ووب - دي - دو.

"سآتي". ما هذا الهراء الذي أتفوه به... وحتى ما الذي يعنيه مثل هذا الكلام؟

يبدو أن كينت فهم ما أعنيه، لأنه تورد خجلاً. قال: "شكراً، كنت آمل حضورك. أعني، اعتقدت أنك ستأتين لأنك دوماً ترتادين الحفلات، كما تعلمين، في الخارج وما إلى ذلك، ولكني لم أعلم إن كان هنالك حفلة أخرى أو ما شابه ذلك، أو ربما تفعلين ورفاقك أشياء أخرى يوم الجمعة".

"كينت؟".

يوقف فمه بتلك الطريقة المحببة. "نعم؟".

ألعق شفتي، غير متأكدة من كيفية قولي لما أردت قوله، وكوّرت يدي على شكل قبضتين.

"لديَ - لدي ما أريد قوله لك".

يجعد جبينه. محبب - كيف لم أدرك من قبل كم هو محبب؟ - وهذا لا يسهل الأمر على الإطلاق.

أنفاس عميقة، شهيق وزفير. "سيبدو هذا جنونياً تماماً، ولكن -".

"أجل؟" يميل نحوي أكثر حتى أصبحت شفتانا متقاربتان بأقل من أربعة إنشات. يمكنني أن أشتم رائحة حلوى النعناع في أنفاسه، بدأ رأسي بالدوران وكأنه تحول إلى لعبة دوامة خيل هائلة الحجم.

"أنا، ممم، أنا -".

"سام".

بشكل غريزي خطوت وكينت خطوة إلى الخلف، بينما اندفعت ليندزي خارجةً من باب الكافتيريا، معلقةً حقيبتي وحقيبتها على ذراعها. أنا ممتنةٌ في الواقع لهذه المقاطعة، بما أنني كنت إما سأعترف أنني مِت منذ عدة أيام أو أنني بدأت في الوقوع في حبه، ولست متأكدة إن كنت سأستطيع تحمل مسؤولية أي من هذين الاعترافين، وسيضحك مني غالباً بسبب الاثنين (أو سيشكوني لطبيب المدرسة النفسي أو ما شابه).

اقتربت ليندزي، وهي تتصرف بطريقة ميلودرامية بسبب حملها لحقيبتين، وكأنهما مصنوعتين من الحديد. "حسنا هل سنذهب؟".

"ماذا؟".

تنتقل عيناها سراً وبشكل مؤقت إلى كينت، ولكن ما عدا هذا، بدت وكأنها لم تشعر بوجوده. وقفت أمامه مباشرةً تقريباً وكأنه غير موجود، وكأنه لا يستحق وقتها، وحينها نظر كينت بعيداً متظاهراً بأنه لم يلحظ شعوري بالتقزز. أريد أن أعبر، بطريقةٍ

ما، عن أنها ليست أنا - أنني أدرك أنه يستحق وقتي. إنه أفضل من وقتي.

"هل سنذهب إلى متجر كونتريز بيست يوغرت أم ماذا؟". وضعت يداً على معدتها وغيّرت تعابير وجهها.

"أقسم إن تلك البطاطا المقلية أصابتني بنفخة لن تختفي سوى عن طريق المواد الكيميائية الشهية".

أومأ كينت برأسه بشكلٍ سريع، وبدأ بالابتعاد، من دون قول وداعاً، من دون قول أي شيء، محاولاً فقط أن يخرج من هنالك في أسرع وقتٍ ممكن.

انحنيت قرب ليندزي وصرخت: "وداعاً كينت، أراك لاحقاً".

فاستدار على الفور، متفاجئاً موجّهاً ابتسامةً عريضة لي. "لاحقاً، سام". يلمس رأسه، محييا، مثل واحد من أولئك الرجال في الأفلام القديمة بالأبيض والأسود، ومن ثم يسير عائداً إلى مين.

راقبته ليندزي للحظة، ثم نظرت نحوي وضيّقت عينيها "ما الذي يحصل؟ هل استمر كينت بملاحقتك حتى خضعتِ؟".

قلت: "ربما" لأنني لا أهتم بما تفكر به ليندزي. إنني أشع بالطاقة بسبب ابتسامته وقربي منه. شعرت بالخفة وبأني لا أقهر، وكأنني ثملةً بالنوع الأروع من الثمل.

حدقت إليَ لبرهةٍ ومن ثم هزت كتفيها. "لا شيء يعبر عن كلمة 'أحبك' مثل طوبة مرمية عبر النافذة". ثم لفّت ذراعها خلف ذراعي وقالت: "زبادي؟".

هذا، بغض النظر عن كل عيوبها البالغ عددها مليون وواحد، هو السبب وراء حبي لليندزي

إيدجكومب.

الجذر والبرعم

"هيا، سام" نظرت ليندزي إلى الأعلى، إلى حيث منزل كينت بعينين جشعتين، وكأن البيت مصنوع من الشوكولاتة. "يبدو وجهك جميلاً".

تفقدت تبرجي للمرة الخمسين في مرآة السيارة القابلة للثني، وضعت لمسةً أخيرة من ملمع الشفاه، والتقطت قطعة زائدة من الماسكرا عن زاوية رموشي، أتدرب على الخطاب الذي أعددته في رأسي. *اصغ لي يا كينت، قد يبدو هذا عشوائياً، ولكني كنت أتساءل إن كنت تريد، أنت تعلم ما اقصد، أن نتسكع سويةً في وقتٍ ما.*

من المقعد الخلفي مالت آلي نحوي وقالت: "لا أفهم الأمر". سترتها من ماركة بربري تصدر صوت طقطقة. "إن كنت لن تفعليها مع روب، ما الذي يجعلك مذعورة هكذا؟".

سألت متعجبة: "أنا لست مذعورة". بالرغم من حقيقة أنني كنت أضع كريم أحمر الخدود والمرطب الخفيف اللون، ولا زلت أبدو مثل مصاصي الدماء من شدة شحوبـي.

قالت كل من ليندزي وإيلودي وآلي معا: "بل أنت مذعورة". وأخذن يضحكن.

"أأنت متأكدة من عدم رغبتك بشرب كأس؟". نكزت آلي كتفي بقنينة شراب روسي.

هززت رأسي: "أنا على ما يرام". على نحو غريب، كنت متوترة إلى حد أنني لم أكن قادرة على الشرب. ومن ناحية أخرى، هذا اليوم الأول من بدايتي الجديدة. من الان فصاعداً سأقوم بالأشياء بالطريقة الصحيحة. سأكون شخصاً مختلفاً، شخصاً جيداً.

سأكون من الأشخاص الذين يتذكرهم الناس جيداً، ولن أكون مجرد ذكرى عابرة. كررت هذا مرةً تلو الأخرى، لقد منحني التفكير في ذلك قوةً، بل شيئاً ثابتاً يمكنني التشبث به، لقد منحني عمراً كاملاً.

ساعدني ذلك على تخطي شعور الخوف والرهبة الكامنين عميقاً في داخلي والذي يعترين عندما أنسى القيام بشيءٍ ما، وبأن هنالك خطبٌ ما.

لفت ليندزي ذراعيها حولي وطبعت قبلةً على وجنتي. رائحة أنفاسها عبارة عن شراب روسي ممزوج بحبات النعناع تيك تاك. تقول: "سائقتنا الخاصة. أشعر وكأنني في حلقة من برنامج ما بعد المدرسة".

قالت إيلودي: "أنت *بالفعل* في حلقة ما بعد المدرسة، في نوعٍ من البرامج التحذيرية".

وقالت آلي: "عليك أنت تتكلمي، سلاتسكي". التفتت لتنكز إيلودي بأنبوب من ملمع الشفاه. فأمسكته الأخيرة وأطلقت صرخة انتصار، ثم وضعت قليلاً منه على شفتيها.

قالت آلي: "حسناً أنا من النوع الذي يتجمد بسرعة، هل يمكننا الدخول الآن من فضلكن؟".

التفتت ليندزي نحوي: "مدام؟" ومدّت ذراعها وانحنت قليلاً.

"حسناً لنقم بهذا". أعيد السطور في رأسي. *كما نعلم، نشاهد فيلماً ما أو نتناول شيئاً ما أو ما شابه... اعلم أن سنوات قد مرت منذ أن تكلمنا آخر مرة بشكل حقيقي...*

الحفلة صاخبة، أصواتٌ عالية. ربما تبدو كذلك لأني صاحية، ولكن الجميع يتزاحمون بشكلٍ مثير للضحك، الجو حار وغير مريح، وللمرة الأولى منذ

وقتٍ طويل، أشعر بالخجل لدخولي المكان، وكأن الجميع يحدقون إليَ. أركّز تفكيري على ما أنا هنا للقيام به: العثور على كينت.

"مجانين". تنحني ليندزي إلى الأمام وتدوِر يدها في الهواء، قاصدةً كل الناس المسحوقين معاً، متحركين إنشاً واحداً في كل مرة، وكأنهم متصلون ببعضهم عبر حبلٍ خفيَ.

شققنا طريقنا إلى الأعلى. بدت أعين الجميع مبتهجةً، مثل أعين الألعاب، ربما بسبب الكحول وربما لأسباب أخرى. إنه في الواقع مخيف إلى حدٍّ ما. مع أنني كنت مع جميع هؤلاء الأشخاص في المدرسة منذ وقتٍ طويل، إلا أنهم يبدون مختلفين، غير مألوفين، وحين يبتسمون لي أرى فقط أسناناً في كل مكان، مثل أسماك الضاري المفترسة المتأهبة لأكل شيءٍ ما. أشعر وكأن الستائر قد رفعت وأني أرى الناس على حقيقتهم، مختلفين وحادين ولا يمكن معرفتهم. للمرة الأولى منذ أيام، أفكر بالحلم الذي راودني لفترة، حيث كنت أسير في حفلة، وبدا أن الجوّ كان مألوفاً ما عدا أمراً واحداً...

فقد بدا وكأنّ هناك خطباً ما... أتساءل إن كان المغزى الحقيقي من ذلك الحلم أنني أنا من أتغير وليس الناس.

تبقي ليندزي إصبعاً مغروساً في ظهري، مشجعةً إياي على الاستمرار في التقدم، وكنت مسرورةً لذلك. تلك النقطة الصغيرة من الاتصال منحتني الشجاعة.

أدفع نفسي لدخول أول غرفة عند نهاية السلالم، واحدة من أكبر الغرف، ويهوي قلبي نزولاً إلى قعر بطني: كينت. إنه واقف في الزاوية يتحدث مع فيبي رايفر، ويتشوش ذهني على الفور، عاصفة

ثلجية كبيرة وعديمة الفائدة. أشعر بجفاف في فمي وكأنه محشوٌ بالقطن، وأندم لأنني لم أحتس كأساً على الأقل، كي لا أكون واعيةً لهذه الدرجة بشعور أني أبدو غريبة وخرقاء وطويلة، وكأنني أليس في بلاد العجائب، وأصبحت أكبر حجماً من أن تتسع لي هذه الغرفة.

أستدير لأقول شيئاً ما لليندزي - لا أعلم ما سأقوله، لكن عليَ أن *أتحدث* مع أحدٍ ما، كي لا أبدو جامدةً أو كمن يحدَق في الفراغ - ولكنها اختفت. بالطبع، لا بدَ أنها ذهبت للبحث عن باتريك. أكوَر يدي على شكل قبضتين وأغمض عيني. هذا يعني أنه في أي لحظةٍ الآن، خلال *ثلاثة، اثنان، واحد*...

"سام". لا يضع روب ذراعيه حولي، وحين أستدير، أراه ينظر إلى الأسفل نحوي وكأنني أصدر رائحة كريهة. قد يبدو هذا غير منطقي، ولكني في الواقع نسيت أنه سيكون في الحفلة. لم أفكر به أبداً. "لم أعتقد أنك ستأتين".

"لم قد لا آتي؟". كتفت يدي أمام صدري بعد أن نظر روب بشكلٍ غريبٍ إلى ثديي.

"تصرفت بجنون اليوم". ها هي: التمتمة آتية. "حسنا هل ستعتذرين مني؟". يضحك، بطريقة كسولة وغبية. "يمكننا أن نجد طريقة ما لتعوضي لي عما حصل". يتصاعد الغضب في داخلي. ينظر إليَ من الأعلى إلى الأسفل، وكأن عينيه أصابع تحاول لمسي من كل الأماكن في آنٍ واحد. لا أستطيع أن أصدق كم من الليالي أمضيتها على أريكة في قبو منزله، سامحةً للعابه أن يسيل عليَ. سنواتٌ وسنواتٌ من التخيل والتشوق ضاعت في لحظة واحدة.

"حقاً؟". بذلت قصارى جهدي لكي أسيطر على

أعصابي، ولكن صوتي لم يخف غضبي الواضح. لحسن الحظ، روب ثملٌ أكثر من قدرته على الملاحظة. "أريد ذلك، أقصد أن أعوّض لك عما حصل".

"نعم؟". بدت السعادة على وجه روب الذي خطا خطوة نحوي، وطوق خصري بذراعيه، فسرت قشعريرة في جسدي، لكنني أرغمت نفسي على الصمود.

"هممم". رقصت أناملي على صدره، واسترقت نظرة باتجاه كينت، الذي لا يزال يتحدث مع فيبي. يتشتت تفكيري للحظة - تملك فيبي شخصية عود شعيرية، بحق الآلهة - ولكن أعدت النظر إلى وجه روب، وأرغمت نفسي على المغازلة. "أعتقد أننا بحاجةٍ لنكون وحدنا لبعض الوقت، ألا تعتقد ذلك أيضاً؟".

"بالتأكيد". يترنح روب جانباً. "بماذا تفكرين؟".

أقف على رؤوس أصابعي لكي أهمس في أذنه. "هنالك غرفة نومٍ في هذا الطابق. وهنالك لافتات معلقة على بابها. ادخل إليها وانتظرني. انتظرني وأنت *عارٍ*". أنسحب بعيداً، وأبتسم ابتسامتي المثيرة له. "وأعدك أنك ستحصل على أفضل اعتذار على الإطلاق".

عينا روب تكادان تخرجان من محجريهما. "الآن؟".

"الآن".

يبتعد عني، ويخطو خطوة متعثرة نحو الرواق، ثم يخطر في باله أمرٌ ما ويستدير. "ستصلين بعد قليل من الوقت، أليس كذلك؟".

هذه المرة، كانت ابتسامتي حقيقية. أقول: "خمس دقائق". وأرفع يدي اليمنى وأصنع إشارة الوعد

بأصابعي. "أعدك".

أنازع كي لا أنفجر ضاحكة، وأنا أبتعد عن روب، ويتبدد كل التوتر الذي شعرت به حيال التحدث مع كينت. إنني مستعدة كي أسير في اتجاهه، وأقحم لساني في فمه إن اضطررت إلى ذلك.

ولكنه اختفى.

تمتمت: "تباً".

"لا تتحدث السيدات اللبقات بهذه الطريقة". تقترب آلي، وترفع حاجبيها وهي تأخذ رشفة من القنينة. "ما خطبك؟ هجوم أزمة كوكران؟".

أفرك جبهتي: "شيءٌ من هذا القبيل. هل... ممم... رأيت كينت ماكفولر؟".

نظرت آلي إليّ مستغربة: "من؟".

قلت بصوت أعلى بقليل: "كينت، ماكفولر" وتأتي طالبتان من السنة الثانية لتحدقا إليّ، أبادلهما التحديق قبل أن تبتعدا

رفعت آلي قنينتها: "المضيف المثالي. لماذا تريدينه؟ هل كسرت شيئاً ما بهذه السرعة؟ إنها حفلةٌ جيدة بعض الشيء، ألا توافقيني الرأي؟".

"نعم، حفلةٌ جيدة". أحاول ألا أدوّر عيني. إنها ثملة لدرجة تجعلها عديمة الفائدة. أشير إلى القسم الخلفي من المنزل. لا بد أن ليندزي وإيلودي في الغرفة الخلفية، وكينت في الجوار بالتأكيد. "لنختلط بالناس".

تمسك آلي بذراعي. "حاضر سيدتي".

ألمح إيمي ويس - صاحبة أكثر عدد من الإشاعات في المدرسة بأكملها على الأغلب - وهي تقبل أورين تالمادج في الرواق، وكأنها تتضور جوعاً، وفمه مملوءٌ برقائق البطاطا. أجرّ آلي نحوهما.

تهمس آلي في أذني: "تودين الاختلاط مع *إيمي ويس*؟". نشرت إيمي في سنتها الأولى شائعة مفادها أن آلي سمحت لمات دانون وفتيين آخرين بلمس ثدييها خلف النادي الرياضي مقابل شهرٍ كامل من وظائف الرياضيات. لم أكن متأكدة يوماً إن كانت القصة حقيقية أم لا - تقسم آلي أن ذلك لم يحصل، ويقسم مات أنه حصل، وتعتقد ليندزي أنها سمحت لهما بالنظر فقط من دون اللمس - ولكن على أي حال تحولت آلي وإيمي إلى عدوتين لدودتين بشكلٍ غير رسمي منذ ذلك الحين.

"محطةُ مهمة". أنكز كتف إيمي فتحرر نفسها من فم أورين.

"مرحباً سام". تظهر معالم وجهها. تنظر بسرعة إلى آلي، ومن ثمَ شابكةً ذراعيها حول عنق أورين. يبدو أورين مرتبكاً للغاية، يتساءل غالباً عما حصل للسمكة الشفاطة التي كانت على وجهه. "آسفة، هل أقف في طريقكما؟".

تقول آلي ببهجة: "مؤخرتك فقط". أعتصر ذراعها فتصرخ. إن آخر ما أحتاج إليه هو شجارٌ ما بين إيمي وآلي.

قلت: "هنالك مكان أفضل بكثير لهذا. إن كنتِ وأورين تريدان... كما تعلمين... المزيد من *الخصوصية*".

قال أورين: "نريد خصوصية".

ابتسمت له. "غرفة نوم مفتوحة. مع لافتات معلقة على بابها. سرير مريح *كثيراً*". أطلق قبلةً لإيمي بإصبعي. "احصلا على بعض المرح".

"ما الذي حصل للتو؟". تنفجر آلي حالما نبتعد عن مجال سمعهما. "منذ متى أصبحت صديقة إيمي المقربة؟".

"قصة طويلة". أشعر إنني على نحو أفضل، أشعر بالقوة وبالسيطرة. إن الأشياء تسير كما يجب. أضع يدي على باب غرفة كينت وأنا مارة بالقرب منها. *اسفة، روب*.

أتقدم وآلي في الممر. أمسح الحشد باحثةً عن كينت، ندخل إلى غرفٍ جانبية متعددة، وأصاب شيئاً فشيئاً بمزيد من الإحباط حين لا أراه.

سمعت أحداً ما يصرخ وبعدها انفجارٌ من الضحك. توقف قلبـي للحظة وفكرت، كلا، لا يمكن ذلك، ليس الليلة، ليس مجدداً، ليست تلك جولييت، ولكن أسمع بعدها أورين يصرخ: "يا رجل، ارتد سروالك بحق السماء". تُخرج آلي رأسها من باب الغرفة التي نحن فيها وتنظر باتجاه غرفة كينت. جحظت عيناها، الأمر الذي جعلها تبدو كشخصية كرتونية.

"سام أتريدين رؤية هذا؟".

نظرت فرأيت روب يهرب أو على أقل تقدير يحاول الهرب، لأنه ليس من السهل عليه التحرك بسرعة بما أنه (أ) محاط تماماً بأناس يحدقون إليه و(ب) أكثر من غير متوازن على قدميه - لا يرتدي شيئاً سوى السروال الداخلي وينتعل حذاءه من نوع بالانس مع جوربين مختلفين. وقبعته بالطبع. إنه يمسك بباقي ملابسه أمام عضوه ويصيح بشكلٍ متكرر: "ما الذي تنظرون إليه...؟".

لولا الحذاء لكنت تعاطفت معه. ما الأمر؟ ألم يرد أن يكبد نفسه عناء خلعه؟ كان مشغولاً بالتخطيط لطريقة فك حمالة صدري أو ما شابه ذلك؟ وأيضاً، يلتقي صدفةً بإحدى طالبات السنة الثانية، ولكن بدلاً من متابعة طريقه يقوم بمعانقتها.

لا يمكنني سماع ما يقوله، ولكن حين تحرر نفسها منه يمكنني أن أرى أنها تقهقه، وكأن تعرضها للهجوم

من قبل طالب في السنة الأخيرة عارٍ ومتعرق وفاقد لصوابه هو أفضل ما حصل معها طوال اليوم.

أقول لآلي: "نعم. لقد انتهينا بالتأكيد. إن الأمر رسمي الآن".

تنظر إليّ بشكل غريب. "كينت".

يتسرَع نبض قلبـي: "ماذا؟".

"إنه كينت".

مجدداً أنفصل عن الواقع. إنها تعرف ما يحصل. من الواضح أنني كنت مهووسة به بالكامل؛ ربما قالت ليندزي شيئاً ما بعد أن رأتنا سوية خارج الكافيتريا. "أنا - لا يتعلق أمر روب بما -".

تهزّ آلي رأسها، تخز كتفي بإصبعها. "كينت. خلفك. أما كنتِ تبحثين عنه سابقاً؟".

أشعر براحةِ غامرة. إنها لا تعرف. ثم أشعر بقليل من خيبة الأمل أيضاً. إنها لا تعرف لأنه لا يوجد ما عليها معرفته. حتى هو لا يعلم. أستدير وأبحث عنه في الغرفة.

"هنالك". تشير آلي إلى باب على بُعد عشرة أقدام. من المستحيل أن نرى سوى بضعة أقدام من الغرفة من حيث نقف، فهناك مكتب كبير يسدَ أكثر من نصف الممر، يبدو أنها غرفة للتخزين أو مكتب. الناس يدخلون ويخرجون منها.

أجذب آلي مجدداً: "هيا بنا". ولكنها تحرر نفسها من قبضتي.

"أنا ذاهبة لأجد ليندزي". من الواضح أنها قد ملت من المهمة المجهولة التي أنا فيها. أومئ برأسي وتسرع نحو الغرفة الخلفية، مستخدمة قنينة الشراب الروسي كالمسَاس، وتنكز الناس بها ليبتعدوا من طريقها. تمسك يدٌ بذراعي فأقفز.

ألتف للخلف: "بريانا ماكغواير وأليكس ليمنت".

"حضرت حصة اللغة الإنكليزية لدى السيدة هاربور، صحيح؟". لا تنتظر إجابتي بل تسرع لقول كلامها المعسول. "هل تعلمين إن أعطت الطلاب وظائف المقال لرواية *ماكبيث*؟ لم يحضر آليكس، موعد طبيب".

لأنني لم أذهب لتناول الزبادي المجمد مع ليندزي في نهاية الأمر - كان شيئاً ما يجذبني، يجعلني أريد البقاء بالقرب من المدرسة، بالقرب من مركز الأشياء - كنت أنسى أمر بريانا وكيتي وآليكس. والآن النظرة على وجه آليكس - الابتسامة الصغيرة المنحنية التي كانت تتسلل إلى وجه روب في كل مرة كان يحصل فيها على تمديد من أحد أساتذته لسببٍ ملفَق تماماً - تجعلني أرغب في ضربه. أفكر بكيتي وكحل عينيها الأسود الفحمي وغرفة الغداء المرتجلة خاصتها على أرضية الحمام المهجور. حتى بريانا ليست سيئة إلى تلك الدرجة.

مزعجة، نعم، ولكنها لطيفة إلى حد ما، وهي من الأشخاص الذين يمضون وقت فراغهم في الأعمال التطوعية مع الأطفال المرضى.

لا يمكنني تحمل ذلك. لا يمكنني أن أدعه ينجو بفعلته. لا تزال بريانا تثرثر عن كون والدة آليكس مهووسة بالصحة. أقاطعها. "هل يشم أحدٌ ما رائحة الطعام الصيني؟".

جعدت بريانا أنفها، خائبةً بشكل واضح من عدم إنصاتي لها طوال الوقت. "طعام صيني؟".

أشتم الهواء حولي. "نعم مثل، مثل" - أحدق إلى آليكس - "صحنٍ كبيرٍ من حساء اللحم البرتقالي".

تتغير ابتسامته قليلاً، ولكنه يهزّ كتفيه ويقول: "لا أشم شيئاً".

"يا إلهي". تضع بريانا يدها على فمها. "إنها ليست رائحة أنفاسي أليس كذلك؟ لقد تناولت الطعام الصيني الليلة الماضية".

أتابع التحديق إلى آليكس. سألت: "ما خطبك؟" دون أن أكبد نفسي حتى عناء إخفاء الحدَة في صوتي.

نظر شزرا. "ماذا؟".

بدا الارتباك على بريانا، للحظة وقفنا ثلاثتنا هنالك؛ دون قول أي شيء. ننظر أنا وآليكس في عيني بعضنا، وتنقل بريانا نظرها بيني وبينه بسرعة حتى أنني قلقت من أن ينكسر عنقها.

ثم أبتسم. "أنت تعلم، من ناحية *الصحة*. لما اضطررت للذهاب إلى الطبيب؟".

يسترخي آليكس بشكلٍ واضح. "لا شيء خطر. أرادت أمي أن آخذ حقنة من نوع ما. وكما تعلمين، مجرد فحوصات عامة وهكذا".

"ممممم. أتمنى أن تكون فحوصات عميقة". أنظر نظرة إلى ما بين رجليه. لحسن الحظ أن بريانا تحدق إليه وتراقب تحوله للون الأحمر، ولا ترى.

"مم. نعم. إلى حد ما". ينظر إليَ وكأنه لاحظني للمرة الأولى.

أكمل: "كنت أبحث عن طبيب". أشعر بالسوء حيال بريانا ولكن في الوقت ذاته، تستحق أن تعلم عواقب العذر الذي اختلقته لحبيبها. "من الصعب كثيراً إيجاد طبيب جيد كما تعلمون. خصوصاً لواحد يعمل في مطعم مع وجبة غذاء خاصة بسعر 4,99 دولار. هذا أمر نادر".

تحدثت ديانا بصوت حاد: "ما الذي تتكلمين عنه؟". ونظرت مجدداً إلى آليكس: "ما الذي تتكلم عنه؟".

فك اليكس ثابت في مكانه. يمكنني رؤية كم يريد شتمي، ولكنه يعلم أنه سيزيد الأمور سوءاً، لذا وقف بكل بساطة محدقاً.

وضعت يدي على ذراع بريانا. "أنا آسفة بريانا ولكن حبيبيك حقاً شخص مقزز".

"ما الذي تتكلم عنه؟".

يرتفع صوت بريانا أكثر، بينما أسير بعيداً أسمع آليكس وهو يحاول تهدئتها، لا شك أنه كان يملأ رأسها بالأكاذيب واحدة تلو الأخرى. يجب أن أشعر بشعور جيد بعدما فعلت - إنه يستحق ذلك، في النهاية، وبطريقة غريبة لم أقم سوى بتصحيح الأمور - ولكن حالما أبتعد أشعر بالفراغ. يتلاشى شعور السيطرة ويأخذ مكانه شعورٌ مدغدغ بالقلق. أعيد أحداث اليوم، وكأنني أقلّب على شاشة حاسوب، محاولة أن أجد هفوة ما، شيءٌ ما نسيت فعله أو قوله. ربما كان عليَ الذهاب إلى منزل جولييت من قبل، لتفقد حالها. ثم مجدداً، لست متأكدة تماماً ما الذي كان عليَ قوله. مرحباً. *هل يمكنك أن تؤكدي لي أنك لن ترمي نفسك أمام أي سيارة الليلة؟ سيكون هذا رائعاً. وبلا متفجرات ايضاً. هذه حياتي أنا التي تعبثين بها.*

إن صوت الموسيقى مرتفع كثيراً. أتخيل أخذي بيد كينت وسحبه إلى مكان ما هادئ ومظلم. الغرفة في الطابق السفلي ربما، أو الغابة، أو مكان ما أبعد. ربما سنستقل السيارة فقط ونقود في الأرجاء.

"سام! سام".

نظرت إلى الأعلى في الغرفة الخلفية، تسلقت ليندزي إحدى الأرائك، ملوحة ليَ بيدها بين بحر من الرؤوس التي تهتز. وكانت آلي إلى جانبها، وعلى بعد خطوات رأيت إيلودي تهمس شيئاً ما لستيف

دو.

أتردد، ينتابني شعور باليأس. من السخف بالنسبة إليَ أن أتكلم مع كينت. لا أملك من الكلمات ما يمكنني أن أصف كم كنت مخطئة بحقه، وبحق روب وبحق الجميع. لا أظن أني أستطيع أن أفسر له كيف تغيرت. على أية حال وربما هذا الأمر برمته كذبة. ربما كان التغيير أمر مستحيل.

في تلك اللحظة، بينما كنت أترنح بين البابين، صمت الناس من حولي وسكنوا، أصبحت الوجوه كامدة. تعثرت ليندزي على الأريكة، وتدلت يداها على جنبيها دون جدوى. إلى جانبها، بدأت آلي بفتح فمها وإغلاقه مثل سمكة. شعور الطنين يسري في كل جسدي الآن، مثل همهمة سلك كهربائي.

وها هي هنالك، تسير في الرواق. بعد كل ذلك: جوليا سكايز في مهمة.

في لحظةٍ واحدة يتحول اليأس، والأسى، وفقدان المغزى بشكلٍ ما إلى غضب عارم. عندما تتوقف ليندزي وتفتح فمها، وتحاول بدأ مسرحيتها: "أنت عاهرة". ولكن لا أدع الكلمة الأولى حتى تهرب من فمها قبل أن أندفع إلى الأمام وأمسك بذراعها، وأجرها إلى الخلف في الرواق. إنها متفاجئة لدرجة تمنعها من مقاومتي فأسحبها إلى الحمام الأقرب - "اخرجا" آمر فتاتين كانتا تتزينان أمام المرآة - وأغلق الباب بقوة وأقفله. حين أستدير لمواجهتها أراها تحدق إليَ وكأنني *أنا* المريضة عقلياً.

"ما الذي تفعلينه؟".

لا بد أنها أساءت فهم سؤالي. تقول بإصرار لطيف "إنها حفلة". حين لا تكون منشغلة بالجنون وبتسميتي عاهرة يظهر صوتها اللطيف، الموسيقي مثل صوت إيلودي. "يُسمح لي أن أتواجد هنا مثل

الباقين".

هززت رأسي: "لا... ما أعنيه هو، ما الذي تفعلينه حقاً هنا؟ لماذا أنت هنا؟".

تنتقل عيناها نحو مقبض الباب. أتحرك جانباً ليصبح المقبض وراء أسفل ظهري، إن أرادت الخروج، فعليها أن تبعدني أولاً.

يبدو أنها متضايقة من شعورها بالحجز، لأنها أخذت نفساً بطيئاً وطويلاً وقالت: "أتيت لأخبركن بأمرٍ. أنت، وليندزي وإيلودي وآلي".

"أوه؟ حقاً؟ تفضلي؟".

قالت بهدوء: "أنت ساقطة". لم تقل ذلك بطريقة اتهامية بل بالطريقة التي يشعر فيها الشخص بالأسف.

بالتزامن مع قولها لذلك، قلتها معها: "أنا ساقطة".

حدقت إليَ.

"اصغ لي، جولييت" - أمرر يديَ عبر شعري - "أعلم أننا لم نكن دوماً لطيفات معك وما إلى ذلك. وأشعر بالسوء حقاً لذلك". أحاول أن أكتشف ما تفكر به، ولكنها تقف محدقة إليَ، وكأن شيئاً ما قد انطفأ خلف عينيها، وأصبحت بلا وعي. أتابع، "كل ما في الأمر هو أننا لم نقصد أبداً شيئاً بذلك، أتفهمينني؟ لا أعتقد أني - أننا - فكرنا جيداً بذلك. تلك الأمور تحصل. اعتاد الناس أن يهزأوا بـي طوال الوقت". رفعت توتري، وهي تحدق إليَ بتلك النظرة، ألعق شفتي. "*طوال* الوقت. و، أعني، لا أعتقد أنها تحصل حقاً لأن الناس خبثاء... بل أعتقد... أعتقد..." أعاني لإيجاد الكلمات.

تتصادم الذكريات في رأسي: صوت الناس يغنون وأنا أسير في الرواق، رائحة الأشجار. "أعتقد فقط

أن الناس *لا* يفكرون. إنهم لا يعلمون. نحن - *أنا* - لا أعلم".

أشعر بالفخر لأنني أخرجت كل الأفكار مني. ولكن جولييت لم تتحرك أو تبتسم حتى أنها لم تصب بالهلع. بقيت جامدة وكأنها تمثال حجري. أخيراً، يهزها زلزالٌ صغير، هزة أرضية شخصية، وتركز عينيها عليَ.

تقول بطريقةٍ غبية: "*لم تكنَ لطيفات دوماً معي؟*"

أشعر بغصة. لم تسمع أي كلمةٍ قلتها.

"نعم. وأنا أعتذر عن ذلك".

رمشت عيناها. "في الصف الرابع سرقتِ وليندزي كل ملابسي من غرفة تبديل الملابس، فاضطررت للسير بملابسي الرياضية المبللة بالعرق طيلة اليوم. ثم دعتني بسكايز النتنة".

"أنا - أنا أعتذر. لا أذكر ذلك". مروعة الطريقة التي كانت تنظر بها إليَ، وكأنها تنظر فيَ وعبري ولما بعدي لتجد فراغاً ما.

"كان ذلك قبل أن تبدئي بدعوتي بالمعتوهة بالطبع". فقد صوت جولييت رنته الموسيقية. فقد النبرة تماماً. رفعت ذراعها، وصنعت إيماءات بيدها، وكأنها تلوح سكيناً في الهواء، مطلقة سلسلةً من الزعقات العالية التي أصابتني بالقشعريرة، للحظة ظننت أنها مجنونة. أنزلت ذراعها. "مضحكة للغاية. كأغنية *سايكو كيلر كوس كوسيه*. سهلة الحفظ".

"كان الناس يروون هذه الدعابة الغبية عني. كانوا يغنونها حين أمر بالقرب منهم. ما هو الشيء الأحمر والأبيض والغريب بأكمله..." أحاول أن أجعلها تضحك أو تستجيب، ولكنها تستمر بالتحديق إليَ بتلك النظرة الغبية المتوحشة على وجهها، لا

استجابة.

قالت: "لم أغنها يوماً". ومن ثم، تكمل وكأنها مرغمة على ترديد كل ما قمنا به يوماً.

"التقطتم لي صورة بينما كنت أستحم".

قلت بشكلٍ تلقائي: "ليندزي من التقطتها". تزايد شعوري بعدم الراحة. لو كانت ستغضب، ذاك أمرٌ عادي - ولكنها تتصرف حتى وكأنها لا تراني، وكأنها تقرأ من لائحةِ قرأتها ملايين المرات.

"نشرتن هذه الصور في كل أنحاء المدرسة. حيث يمكن *للأساتذة* أن يروا".

"أزلنا الصور بعد ساعة". أشعر بالخزي حالما أتفوه بتلك الكلمات. وكأنَ إزالتنا للصور يجعل الأمر أقل سوءاً.

"اخترقتن بريدي الإلكتروني ونشرتن - رسائلي الخاصة".

قلت بسرعة: "لم نفعل ذلك". وشعرت بموجةِ من الراحة لأن هذا، على الأقل، لم يكن ذنبنا. لست متأكدة حتى يومنا هذا من هوية مخترق الحساب، الذي نشر محادثات بين جولييت وبين رجل ما يدعى Path2Pain118 من الواضح أنها التقته في غرفة دردشة. كان هنالك العشرات من الرسائل الإلكترونية، وكلها عبارة عن تذمرها بشكلٍ مطول بسبب معاناتها في المدرسة الثانوية وعن مدى سوء الجميع. أرسل المخترق الرسائل الإلكترونية إلى الجميع تقريباً في المدرسة بعد أن وضع في خانة موضوع الرسالة: *مطلقو النار المستقبليون في المدارس الأميركية*. اقشعر بدني، حين فكرت كم قد يكوَن المرء فكرة خاطئة عن الناس - كيف يرى جزءاً واحداً صغيراً منهم ويعتقد أن ذلك كل ما هو عليه، كيف يرى السبب ويظن أنه الأثر والعكس

بالعكس. ومع أنني قد زرت منزل كينت لخمس مرات خلال ستة أيام إلا أنني مشوشة، ومرتبكة بسبب نور الحمام القوي ووجه جولييت الساكن وأصوات الحفلة القادمة من وراء الباب.

تابعت جولييت كلامها وكأنني لم أقل شيئاً. "أطلقتن شائعة مفادها أنني فقدت عذريتي مقابل علبةٍ من السجائر".

آلي، كانت تلك آلي. لا يمكنني قول ذلك. لا يهم على أية حال. كنا ملامين. كل واحدة منا. كل شخصٍ كرر القصة وهمس "ساقطة" وسعل مقلداً المدخنين كلما مرت. قالت: "حتى أنَي لا أدخن" مع ابتسامة، وكأن هذا أكثر شيءٍ مضحك في العالم. وكأن هذا مجرد نكتة كبيرة.

"جولييت -".

"سمعت أختي تلك الشائعة. أخبرت والديَ. أنا -" أخيراً فقدت صوابها، كورت يديها على شكل قبضتين وعصرتهما على فخذيها. "لم أقبل أحداً من قبل". خرجت هذه الجملة كهمسة - اعتراف - شدة الأمر، والحزن والندم، يفجر بئراً أسود من الغضب في داخلي.

"أعلم، حسناً؟ أعلم أننا قمنا بأشياء مروعة. أعلم أننا كنا سيئين و -" أنهار، تعلق الكلمات في حلقي. أنا على وشك ذرف الدموع، مملوءة بالحنق الأعمى الذي صفعني مثل غمامة، يلطخ كل شيءٍ ما عدا نقطة واحدة مشتعلة من الإحباط: لا يمكنني أن أجعلها ترى، لا يمكنني أن أجعلها ترى أنني أحاول إصلاح كل شيء. أشعر أنني أشاهد كلتا حياتينا وهي تغور في البالوعة، حياتي وحياتها، تلتفان حول بعضهما. "ما أحاول قوله هو أنني أريد أن أعوض لك. أنا أحاول الاعتذار، سيكون كل شيء

على نحو أفضل".

تزم شفتيها، تحدق إليَ صامتة وبوجه أبيض شاحب، وأحاول أن أشدَ كل عضلة في ذراعي لأمنعهما من الوصول إليها، ومسكها من كتفيها وهزها.

"أعني..." أكمل الآن وأنا شبه عمياء، أتلمس طريقي، وألتقط الكلمات والأفكار بينما تظهر لي من وراء غضبي، محاولةً اختراق درعها: "حصلت على تلك الورود اليوم، أليس كذلك؟ الكثير منها؟".

سرت فيها رعشةٌ هائلة. ومجدداً يتّقد نورٌ في عينيها، ولكن الحقد يحترق فيهما بدلاً من الامتنان.

"علمت ذلك. علمت أن من فعل ذلك هو أنتن". كان صوتها مشحوناً بالغضب والألم حتى أنني أبتعد للخلف وكأنها ضربتني. "ما كان ذلك؟ دعابة جديدة من دعاباتكن؟".

كانت ردة فعلها غير متوقعة تماماً، ما جعلني أفكر لثوانٍ بردٍّ مناسب. "ماذا؟ لا. لم يكن هذا -".

"المعتوهة المسكينة". ضيقت جولييت عينيها، وتحدثت كأنها تهسهس "لا أصدقاء. لا ورود. لنعبث معها لمرة أخيرة".

"لم أرد أن أعبث معك". لم أعرف ما كان يدور تماماً أو كيف سلكت الأمور هذا المسار الرهيب. "قصدت بها لفتة لطيفة".

لا أعلم إن كانت تصغي لي أم لا. انحنت إلى الأمام. "حسناً ما كانت الخطة؟ ما الذي كنت ستفعلينه بهراء المعجب السري ذلك؟ سترشين أحد رفاقك ليدعي أنه معجبٌ بي؟ يطلب الخروج معي في موعد؟ ربما يطلب حتى مرافقتي إلى الحفلة الراقصة؟ ومن ثم ماذا؟ في الليلة التي سنذهب

فيها، لا يأتي ببساطة؟ وسيكون من المضحك كثيراً إن *فقدت صوابي*، إن جننت، إن بكيت أو إن انهرت في الأروقة كلما رأيته في المدرسة؟". ابتعدت. "آسفة لأنني أخيب ظنكن، ولكنكن تكررن أنفسكن. مررت بكل ذلك من قبل. الصف الثامن. حفلة الربيع. آندرو روبرتس".

تنحني إلى الأمام وكأنها متعبة من كلامها، وتلاشى الحقد والنور المشتعل في الوقت نفسه، مع كل تعابير وجهها، وأرخت قبضتيها.

قالت: "أو ربما لم يكن لديكن خطة". هذه المرة بهدوء، بل بلطافة تقريباً. "ربما لم يكن هنالك مغزى من الأمر برمته. ربما أردتنَ أن تذكرنني أنني لا أملك أحداً. لا أصدقاء، ولا معجبين سريين *ربما العام القادم، ولكن غالباً لا*، أليس كذلك؟". ابتسمت لي مجدداً، ولكن ابتسامتها كانت أكثر سوءاً من غضبها.

عند هذا الحد، شعرت بكثير من الإحباط والذهول، حتى أنني اضطررت لمقاومة دموعي. "أقسم يا جولييت، لم يكن هذا الهدف من ذلك. أنا فقط - ظننت أن ذلك سيكون لطيفاً. ظننت أنه سيشعرك بتحسن".

"ستجعلني أشعر بتحسن؟". كررت الكلمات وكأنها لم تسمعها من قبل، وأمست الآن نظرة عينيها حالمة وشاردة. اختفى كل أثر للغضب والعاطفة. حتى أنها تبدو مسالمة، وأنا مصدومة بمقدار جمالها - عن قرب، تبدو جميلة كعارضة أزياء، ببشرتها الشاحبة مثل شبح، وعينيها الزرقاوين المتسعتين، كلون السماء في الصباح الباكر.

قالت بصوت أعلى من الهمس بقليل: "أنت لا تعرفيني. لم تعرفيني يوماً. ولا يمكنك أن تجعليني أفضل. لا أحد يمكنه أن يجعلني أفضل".

يذكرني هذا بما قلته لكينت قبل يومين - *لا اعتقد أنني قابلة للإصلاح* - ولكن أعلم الان أنني كنت مخطئة. يمكن إصلاح *الجميع*؛ لا بد من ذلك، إنه الأمر الوحيد المنطقي. أحاول أن أجد طريقة لأخبر جولييت بهذا، لأقنعها بذلك، ولكن بهدوء، وبكياستها المعتادة، تضع يدها على ذراعي وتبعدني عن طريقها بلطافة ولكن بحزم، وأجد نفسي أبتعد إلى الجانب، وأدعها تصل إلى مقبض الباب. الدموع محبوسة في حلقي، ولا أزال أصارع نفسي لأجد الكلمات، وكان وجهها طوال الوقت يزداد شحوباً، وكأنه مضيء، مثل الزاوية البيضاء الشفافة في شعلة؛ وخطرت لي فكرة أنني بالفعل أراها تتلاشى، تومض حياتها أمامي، مثل تلفاز دون إشارة.

توقفت ويدها على الباب، محدقة أمامها مباشرة.

"أتعلمين: كنت وليندزي صديقتين". لا تزال تتكلم بذاك الصوت الهادئ المروع، وكأنها تتكلم عن بُعد أميال. "حين كنا أصغر سناً، كنا نقوم بكل شيءٍ معاً. لا زلت أملك قلادة صداقة أهدتني إياها، على شكل قلب مقسوم في المنتصف. حين تجمعين القطعتين تجدين الكلمات 'أصدقاء إلى الأبد'".

أردت أن أسأل عما حصل، لماذا لم تعودا صديقتين، ولكن الكلمات علقت في حلقي. وأخشى أن أقاطعها. طالما تتحدث جولييت معي فهي بخير.

"كان هذا قبل طلاق والديها تماماً". ألقت جولييت نظرة خاطفة نحوي "كانت حزينة جداً طوال الوقت. كنت أزورها في المنزل لأنام عندها، وكان والداها يتشاجران بعنف شديد لدرجة أننا كنا نختبئ تحت سريرها ونضع الوسادات في كل مكان لنكتم الصوت. دعت ذلك *بناء الحصن*. لطالما كانت هكذا كما تعلمين، تحاول دوماً أن تستغل أسوأ

الظروف بطريقة إيجابية. ولكن حين تعتقد أنني قد نمت، تبكي وتبكي وتبكي. ثم ما لبثت الكوابيس أن أخذت تراودها. كوابيس بشعة للغاية. كانت تستيقظ وهي تصرخ في منتصف الليل".

حدقت جولييت إلى الباب مجدداً، ابتسمت قليلاً. أتمنى لو باستطاعتي أن أرى ذكرياتها لأعلم ما الذي تراه، وأصلح ما هو مكسور فيها. "عاودت تبليل سريرها، أتعلمين ذلك؟ لأن كل شيء كان سيئاً بين أمها وأبيها. كانت تشعر بالإهانة بالطبع. جعلتني أقسم على السرية - قالت إنها لن تتحدث معي مجدداً إن أخبرت أحداً. كنا نستيقظ صباحاً ونجد بعض الوسادات في الحصن مبللة. كنت أتظاهر أنني لم ألحظ ذلك. ذات صباح أتيت إلى الحمام لأنظف أسناني، كانت جالسة في حوض الاستحمام، تفرك وسادة بكمية كبيرة من المبيض حتى أن عينيَ بدأتا تحرقاني. لا بد أنها كانت تفركها على مدى نصف الساعة الماضية. كانت الوسادة مبقعة بأكملها باللون الأبيض ومهترئة، وكانت أصابعها حمراء ومتشققة. كانت محروقة تقريباً. ولكنها استمرت وكأنها لم ترَ ذلك. أرادتها فقط أن تكون *نظيفة*".

أغمض عيني، وأشعر بالأرض تتمايل تحت قدميَ، متذكرة دخولي إلى حمام روزالينا حين وجدت ليندزي جاثية على ركبتيها، وقطع الطعام في المرحاض، وخليط الخزي والغضب والجموح على وجهها.

"ذات مرة، احتدم الشجار كثيراً لدرجة أننا هربنا من منزلها. كنا فقط بعمر السابعة أو الثامنة، ولكننا سرنا الطريق كله إلى منزلي. كان ذلك في شهر مارس وكان الطقس بارداً. كانت الخطة هي أن تنتقل ليندزي إلى منزلي. ما كنت لأخبر أحداً، أردت

أن أبقيها آمنة وأن أجلب لها الطعام. معظم ما أرادته هو حلوى الدببة المطاطية وألواح الشوكولا سنيكرز. كانت تحب الشوكولاتة حينها والحلوى. أي شيء حلو المذاق".

دون قصد، أخرجت صوتاً مخنوقاً صغيراً. لا أعلم إن كنت أستطيع الإصغاء بعد الآن. أشعر أنني وصلت: هذا الحمام، هذه القصة. هذا جذر وبرعم كل شيء، البداية والنهاية.

لكن جولييت استمرت بالتكلم بتلك النبرة الغريبة والموزونة، وكأننا كنا نملك كل الوقت في العالم. "بالطبع لم تنجح الخطة. وصلنا إلى الطابق العلوي وإلى غرفة النوم، ولكن بدأنا بعدها بالشجار حول من سينام في السرير المدولب الصغير ومن سيحصل على السرير الكبير، وسمعتنا أمي. كانت مذعورة لأننا مشينا كل تلك المسافة. أخذت تصرخ وتبكي لأننا عرضنا نفسينا لخطر الاختطاف أو القتل وما إلى ذلك. أذكر شعوري بالإحراج". مدت جولييت يديها إلى الأمام ونظرت إلى كفيها. "كان ذلك لا شيء مقارنة بهلع ليندزي، حين قالت أمي إنه يتوجب عليها العودة إلى المنزل. لم أسمع في حياتي أحداً يصرخ بذاك الصوت العالي. اضطرت أمي لحملها إلى السيارة. بعد ذلك، أصبحت ليندزي تنام فقط في منزلي. لم ترد أمي أن أنام هناك".

بقيت صامتة لوقتٍ طويل حتى ظننت أنها أنهت حديثها. كلماتها تدور في رأسي وتطن، وترتب نفسها في أماكن محددة مثل التلميحات في لعبة الكلمات المتقاطعة. *لطالما كانت هكذا كما تعلمين، تحاول دوماً أن تستغل أسوأ الظروف بطريقة إيجابية.... لا بد أنها كانت تفركها على مدى النصف ساعة الماضية... وكانت أصابعها حمراء ومتشققة*. أشعر

وكأنني على وشك فهم أمرٍ لست متأكدة من رغبتي في معرفته. بدت الغرفة صغيرة وخانقة. كان هنالك ما يسحق صدري بوزنه. أشعر بإغراء يدفعني إلى الهروب، لتجاوزها والعودة إلى الحفلة، الحصول على جعة ونسيان جولييت، نسيان كل شيء. ولكنني متسمرة في مكاني. لا يمكنني التحرك. أستمر برؤية الظلام الأبدي لحلمي وهو يتصاعد أمامي. لا يمكنني العودة إليه.

قالت جولييت: "إنه لأمرٌ مضحك حين يفكر المرء ملياً بذلك. فعلنا كل شيءٍ سويةً، أنا وليندزي. بل حتى أننا انضممنا لفتيات الكشافة سويةً. كانت تلك فكرتها. لم أرد أن أفعل أياً من ذلك - الكعك ونار المخيمات وتلك الأشياء. ذهبنا في رحلة تخييم في بداية الصف الخامس، ونمنا في الخيمة نفسها بالطبع".

أشاهد يديَ جولييت. إنها ترتجف قليلاً ولكن بسرعة كبيرة، بالكاد يمكن ملاحظة ذلك، مثل جناحي طائر الطنان. بطرف عينها رأتني جوليت أنظر إليها، أنزلت يديها إلى جنبيها، برشاقة ولكن بشكل حاسم. "أنت تذكرين ذاك الاسم الذي أطلقوه عليَ في الصف الخامس، أليس كذلك؟ الاسم الذي أطلقته ليندزي عليّ؟ المثانة الصغيرة؟" هزت رأسها. "اعتدت أن *أحلم* بذلك الاسم، كنت أسمعه كثيراً. كنت أنسى أحياناً اسمي الحقيقي".

استدارت نحوي ووجهها مشعٌ، متألق، جميل. "الأمر المضحك هو أني لست من بلل كيس النوم. كانت ليندزي من بلله. كانت الرائحة تملأ الخيمة في الصباح. ولكن حين أتت الانسة بريدجز وسألت عما حصل أشارت ليندزي بإصبعها نحوي وصرخت، هي من *فعلها*. لن أنسى وجهها حين صرخت - هي

من *فعلها*! مذعورة. وكأنني كنت كلباً مسعوراً وكنت سأعضها".

أميل وأستند إلى الباب، ممتنةً لوجود شيءٍ يمكنني الاتكاء عليه. بالطبع، الأمر منطقي تماماً. *كل* شيءٍ منطقي تماماً الآن: غضب ليندزي، كيف كانت تصنع بأصابعها صليباً لتبعد جولييت سكايز عنها. إنها *لا تكرهها*. إنها خائفة منها. جولييت سكايز، التي تملك سرَ ليندزي الأقدم وربما الأسوأ.

كل ذلك يبدو الآن سخيفاً، فرص حصول الأمر وعشوائيته. شخصٌ يصعد إلى الأعلى والآخر يهوي بشكلٍ حلزوني نحو الأسفل. ببساطة، ككون المرء في المكان الصحيح، أو المكان الخاطئ، أو كيفما أردتم النظر إلى الأمر. ببساطة أن يشتهي المرء بيبسي دايت يوماً ما في حفلة مسبح، والانجراف مع التيار، ببساطة عدم قول كلمة لا.

سألت: "لِمَ لم تقولي شيئاً ما؟". على الرغم من معرفتي مسبقاً بالإجابة. كان صوتي أجش بسبب محاولتي كبت دموعي.

هزت جولييت كتفيها. "كانت صديقتي المقربة كما تعلمين. كانت حزينة طوال الوقت في تلك الأيام". أصدرت صوتاً قد يكون ضحكة أو أنين. وقالت بصوت أكثر هدوءاً: "وأيضاً، ظننت أن الأمر سينسى".

بدأت بالكلام: "جولييت -".

هزت كتفيها، وكأنها تحاول التخلص من وزن كل شيء، المحادثة، الماضي. وقالت بسرعة: "ذلك غير مهم الآن". وبتلك البساطة، فتحت الباب وانسلت خارجاً.

"جولييت".

هنالك مجموعة كبيرة من الناس يقفون بالقرب من الباب، وحين خرجت أندفع إلى الخلف للحظات بينما طالبان يتشاجران لدخول الحمام، يصرخان، وهما ثملان. "لقد كنت هنا أولاً!". "كلا بل أنا!". "لقد وصلت لتوك". يرمقني بعض الأشخاص بنظرات قذرة، ومن ثم تخترقهم بريانا ماكغواير جميعاً، وجهها أحمر اللون ومبقع بالدموع والكحل. حين تراني تبكي على الفور، "أنت -" ولكنها لا تكمل جملتها، تتجاوز الطالبين ببساطة وتحبس نفسها في الحمام.

يصرخ أحدٌ ما: "يا إلهي، ليس مجدداً".

صرخت إحدى طالبات السنة الثانية: "سأبلل سروالي". وكانت تعتصر رجليها وتقفز إلى الأعلى والأسفل.

آليكس ليمنت خلف بريانا تماماً. يشق طريقه إلى الباب، ويبدأ بالطرق عليه، منادياً إياها كي تخرج. لم أتحرك بعد. إنني مدفوعة على الحائط، مثبتة هنالك بسبب ضغط الأشخاص، مشلولةً بسبب كم أصبحت الأمور سيئة. أذكر قصة سمعتها ذات يوم عن الغرق: حين يقع المرء في الماء البارد لا تغرق على الفور، ولكن يتسبب البرد بفقدانه حتى الاتجاه، ويجعله يعتقد أن الأسفل هو الأعلى والأعلى هو الأسفل، لذا قد يسبح المرء ويسبح ويسبح لينقذ حياته ولكن في الاتجاه الخاطئ، حتى يصل إلى القاع ويغرق. آلان أشعر وكأن كل شيءٍ انقلب رأساً على عقب.

"أنت غير منطقية حقاً".

أدرك فجأة أن آليكس يتحدث معي. شفتاه مثنيتان إلى الداخل، لتظهر كل أسنانه.

"أتعلمين ما أنت؟". يضع يده على جانب رأسي ويثبتني في مكاني. يمكنني أن أرى حبات العرق

على رأسه وأن أشتمَ الحشيش والجعة في أنفاسه. "أنت، يا سامانثا كينغستون، ساقطة".

أشعر بالصدمة حين أسمع ذلك، أستيقظ. عليَ أن أركَز. إن جولييت في مكان ما في الغابة، في البرد.

لا بد أنها تبحث عن الطريق. لا يزال في وسعي إيجادها، والتحدث إليها، وجعلها *ترى*.

أضع يديَ على صدر آليكس وأدفعه. يتعثر إلى الخلف.

قلت: "ثق بـي، لقد سمعت ذلك من قبل".

أشق طريقي في الرواق، وأصل إلى منتصف المسافة على السلالم حين ينادي أحد ما باسمي. أتوقف فجأة فيرتطم الناس خلفي ببعضهم مثل قطع الدومينو ويبدأون بشتمي.

"يا إلهي، *ماذا الآن*؟" أستدير لأرى كينت، يقفز على الدرابزين ويتزحلق نزولاً على السلالم، ويكاد يُسقط هانا غولدبيرغ.

"لقد أتيت". يحط قبلي بدرجتين، منقطع النفس قليلاً. عيناه تلمعان بسعادة. شعره يغطي جبهته، ويعكس الضوء من أنوار الكرسمس المعلقة في كل مكان، بعضه بلون الشوكولا، وبعضه الآخر بلون الكاراميل. أشعر بحاجة ملحة وتقريباً لا يمكنني التحكم بها لكي أمد يدي وأضعه خلف أذنه.

"قلت إنني سأفعل، أليس كذلك؟". هنالك ألم ما في معدتي. كل ما أردته طوال الليل - طوال اليوم - هو أن أقف بالقرب منه هكذا. والآن لا أملك الوقت. "اصغ إليَ يا كينت -".

"أعني، توقعت وجودك هنا حين رأيت ليندزي والبقية. أنتنَ تتجولن سوية في العادة، أفهمتني؟ ولكن بدأت البحث عنك". أسكت نفسه وتوردت

وجنتاه. "أعني، لا أبحث بشكل جدي. فقط أنظر بين الحشود، بينما أتجول في المكان وأختلط مع الناس. هذا ما يفترض على المرء القيام به حين يكون مضيف الحفلة. الاختلاط مع الناس. لذا كنت متنبهاً -".

"كينت". يخرج صوتي حاداً ولئيماً وأغمض عيني للحظة، متخيلة شعور الاستلقاء معه في الظلام الدامس، متخيلةً ملمس يده على يدي. تخطر لي فجأة فكرة كيف أن كل هذا مستحيل - بيني وبينه. حين أفتح عيني أراه واقفاً في مكانه ينتظر، هنالك تجعيدةٌ صغيرةٌ على جبينه: لطيف جداً وطبيعي، إنه من نوع الشبان الذين يستحقون فتاة ترتدي كنزات مصنوعة من الكشمير، وتجيد حل أحاجي الكلمات المتقاطعة، أو تعزف الكمان، أو تتطوع في مطابخ الحساء الخيرية. فتاة لطيفة وعادية وصادقة. يشتد الألم في معدتي، وكأن هناك شيئاً ما عالق فيها، يتغذى على أحشائي. لن أكون يوماً جيدة بما يكفي بالنسبة إليه. حتى لو عشت اليوم ذاته إلى الأبد، لن أكون جيدة بما يكفي.

أرغم نفسي على التكلم: "أنا آسفة، لا - لا يمكنني التحدث الآن".

"ولكن -" يدفن يديه في كميَ قميصه، ويبدو عليه التردد.

"أنا آسفة". أكاد أقول ذلك، ولكن أدرك أنه ليس هناك داعٍ لذلك.

في الخارج ألتحف معطفي، وأغلق سحابه بالكامل وصولاً إلى ذقني. تسري قطرات المطر على عنقي وتترك بقعاً على جوربي الطويل على الفور. من حسن حظي أنني أنتعل حذاء من دون كعب اليوم. أسير في الممر. الرصيف متجمد، وعلي أن أتمسك

بالسيارات كي أمر. يمزق الهواء البارد رئتي، ولكن الأمر غريب حقاً، في وسط كل هذه الجلبة، أجد نفسي أفكر بأبسط فكرة ممكنة - *عليَ حقاً البدء بالهرولة أكثر* - وسرعان ما أفكر بذلك أكاد أفقد صوابـي، مشبعة بالرغبة المزدوجة في الضحك والبكاء. ولكن فكرة جلوس جولييت عند الطريق 9 مشاهدةً السيارات تمر أمامها، منتظرة ليندزي، تدفعني على متابعة السير.

بعد مضي بعض الوقت، تتلاشى الأصوات الصادرة من الحفلة، ولا يتبقى سوى الصمت وصوت المطر المتساقط، مثل صوت سقوط آلافِ من قطع الزجاج الصغيرة على الرصيف، وصوت خطواتي يصدح في الأرجاء. عم الظلام المكان، وعليَ أن أبطئ خطواتي، منتقلة من سيارة إلى أخرى بيدي، المعدن بارد تحت أصابعي للغاية، حتى بدأت أشعر به على أنه ساخن. حين أجد السيارة، البارزة بين باقي السيارات، أبحث في حقيبتي حتى تجد أصابعي غرضاً معدنياً بارداً وهو سلسلة مفاتيح مزينة بحجر الراين كتب عليها "الفتاة السيئة". مفاتيح سيارة ليندزي. أزفر. هذا، على الأقل، أمر جيد. لن تتمكن ليندزي من المغادرة من دوني. لن تكون سيارتها على الطريق الليلة، مهما انتظرت جولييت. مع ذلك، أتأكد من إقفال الأبواب مرتين.

تبتعد السيارات بعيداً، وأبدأ بالتحرك إلى الأمام ببطء، أشتم نفسي في سرَي لأنني لم أجلب مصباحاً، أشتم يوم 12 فبراير، أشتم جولييت سكايز. أرى الآن أن فكرة الورود كانت فكرةً غبية، بل إهانة لها. أفكر بجولييت وليندزي قبل كل تلك الأعوام، حين رفعت ليندزي إصبعها وأشارت، مذعورة، مهانة، وبدأ كل ذلك. واحتفظت جولييت

لأعوامٍ عديدة بسرَ ليندزي. *ظننت أن الأمر سيمر.*

في الوقت ذاته، كلما ازددث تفكيراً بالأمر - بينما المطر ينهمر بغزارة وغضب - أزداذ غضباً. هذه هي *حياتي*: فوضى حياتي الكبيرة ذات الأطراف المترامية وكل إمكانياتها - القبلات الأولى والقبلات الأخيرة والجامعة والشقق والزواج والشجارات والاعتذارات و*السعادة* - وصلت إلى نقطة، لحظة، حافة لحظة، تنتهي في تلك اللحظة النهائية عبر فعل جوليت الأخير: انتقامها ضدنا، ضدي. كلما ازداد بعدي عن الحفلة، راودتني أكثر من فكرة واحدة، *لا، لا يمكن أن تحصل الأمور على هذا النحو. مهما كان الذي فعلناه، فإن الأمور لا يمكن أن تسير هكذا*.

ثم ينفتح الممر فجأة، وأرى الطريق 9، متلألئاً أمامي مثل نهر فضي لامع مضاء من قبل محيط من الأضواء. لا أدرك حتى أنني كنت أحبس نفسي حتى أشهق وألهث، ممتنة لذلك الضوء.

أمسح المطر من عيني وألتف لجهة اليسار، باحثة في طرف الغابة عن جولييت. جزء مني يتمنى أن تتحدَث معي لكنت جعلتها تشعر حقاً بتحسن - ربما ذهبت إلى المنزل في النهاية، ربما عنى ذلك شيئاً لها. في الوقت ذاته، أتذكر طريقة تكلمها معي بتلك النبرة المنخفضة والخالية من المشاعر، وأدرك أنها حين كانت في ذلك الحمام، لم تكن معي حقاً. كانت تائهة في مكانٍ ما، محاصرة بالضباب، ربما بسبب الذكريات، ربما بسبب كل الأشياء التي أخذت مجرى مختلفاً.

تزأر سيارةٌ خلفي، وتدفعني للقفز. حين أهبط أفقد توازني وأقع على يدي وركبتي وعلى الجليد بينما تمر السيارة مسرعة، وتتبعها مباشرة سيارة

ثانية، صوت محركها يدوي كالرعد. ثم تطلق العنان لبوقها، تنطلق الموجات الصوتية نحوي وتزداد علوّاً أكثر فأكثر. أنظر إلى الأعلى فأجد الأضواء الأمامية لسيارة أمامي. أحاول التحرك، ولكني لا أقوى على ذلك. أحاول أن أصرخ، ولكني لا أستطيع ذلك. إني متجمدة، تكبر أضواء السيارة حتى تصبح بحجم الأقمار التي تطفو أمامي. في النهاية، تنحرف السيارة مجدداً، تمر على مقربة مني، لدرجة أني أشعر بحرارة المحرك، وأشمَ رائحة العادم، وأسمع جملة من الأغنية الصادرة من الراديو. *عليك أن نقاتل من أجل حقك في الاحتفال*. ثم تختفي، لا تزال مطلقة العنان لبوقها، تبتعد في ظلام الليل بينما يبدأ الصوت الصادر من مكبر الصوت بالتبدد شيئاً فشيئاً حتى يصبح نبضاً بعيداً.

جُرح كفاي بسبب خشونة الشارع، وأخذ قلبي ينبض بسرعة كبيرة، وكأنه على وشك الخروج من صدري. أقف ببطء مرتجفة. تمر سيارة أخرى على الجهة الثانية من الطريق، تسير ببطء، تتطاير المياه من دواليبها في كلا الاتجاهين.

بعد قليل، على بُعد خمسين قدماً، يظهر شخص يرتدي اللون الأبيض من الغابة، تقرفص مثل زهرة طويلة وشاحبة. أبدأ بالسير نحوه، ببطء الآن، محاولة تفادي البقع الداكنة المتجمدة من الأرض. تقف هنالك، بسكونٍ تام، وكأنها لا تشعر بالمطر على الإطلاق. في مرحلةٍ ما ترفع ذراعيها، بشكلٍ موازٍ للأرض، وكأنها تتحضر للغطس من اللوح في مسبح. رأيت في هذا الشكل جانبين جميل ومرعب في آن واحد. ذكرني ذلك بطفولتي حين كنا نذهب إلى الكنيسة في الكرسمس والفصح، وكنت دائماً أخاف من النظر إلى منبر الوعظ، حيث كان هنالك تمثال

كبير للمسيح.

"جولييت!".

إنها لا تستجيب؛ لست متأكدة إن كانت لا تستطيع سماعي أم أنها تتجاهلني بكل بساطة. أنا على بُعد خمسة عشر قدماً منها، ثم عشرة أقدام. هنالك صوت صرير منخفضٍ يصدر حولي. ألتف فأرى شاحنة كبيرة تسير هادرةً بسرعة في الظلام. راودتني مجدداً فكرة عشوائية - *يجب حقاً أن يأخذوا منه رخصته، إنه مسرعٌ جداً* - وحين استدرت مجدداً رأيت جولييت تحدق إلى الطريق، متوترة، ذراعيها إلى جانبيها، وتذكرني بشيءٍ ما، ولكن الأمر استغرقني لحظة لأتذكر، تماماً كما تطلب الأمر مني لحظةً لأدرك ما يحصل - *إنها تبدو ككلبٍ على وشك البدء بمطاردة عصفور* - واتضح كل شيء، وحين بدأت بالتحرك، غشاوة بيضاء، إنني أتحرك أيضاً، أركض بأسرع ما يمكنني وأضيق المسافة بيننا بينما تنطلق نحو الطريق الأقرب. تطلق الشاحنة بوقها، صوت مرتفع جداً إلى درجة أنه ملأ الهواء بالاهتزازات، ارتطمت بها بكل وزني، تدحرجنا، هوينا، إلى الخلف نحو الغابة. أخذنا نصرخ وشعرت بألم في كتفي. انقلبت مستلقية على ظهري، شكلت الأغصان السوداء فوقي مظلة كثيفة. للحظة تخيلت أنني أستطيع القفز من السماء والهبوط عليها بأمان.

صرخث جولييت: "ما الذي *تفعلينه*؟" وحين نهضت رأيت وجهها قد تبدل من معالم الهدوء إلى الغضب العارم. "ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟".

بدوري استشطت غضباً: "ما الذي أفعله *أنا*؟ ما الذي تفعلينه *أنت*؟ القفز أمام الشاحنات عشوائياً - ظننت أن *المغزى* الأساسي من هذا هو انتظار

ليندزي -".

"ليندزي؟ ليندزي إيدجكومب؟" تبدد غضب جولييت، وبدت مرتبكة بالكامل. وضعت يدها على رأسها، وضغطت عليه: "إنني لا أعرف عما تتكلمين".

فجأة أصبحت غير متيقنة. "ظننت - ظننت. أنت تعلمين، أن هذا هو انتقامك الكبير -".

ضحكت جولييت، ولكن ليس هنالك دعابة في الأمر. "انتقام؟". هزت رأسها، وانسدلت تلك الستارة مجدداً على وجهها. "أعتذر يا سام. لأن هذه المرة، الأمر غير متعلق بكن". وقفت غير مكترثة بمسح آثار الطين والأوراق المعلقة بها. "الآن، دعيني بمفردي لو سمحتِ".

شعرت بدوارٍ في رأسي، ووجدت صعوبة في التركيز عليها، وكأننا بعيدتين لمسافة أميالٍ بدلاً من مجرد خطوات. ازدادت غزارة المطر، هطلت قطراتٌ كبيرة من المطر. دارت في رأسي أجزاءٌ صغيرة من الأشياء: ليندزي وهي تربت على غطاء محرك سيارة التانك متحدَية وتقول: "يمكنني أن أصطدم بشاحنة ذات ثمانية عشر دولاباً ولن أشعر بشيء"؛ مالك دانكن دوناتس ينادي: "هذه ليست سيارة، بل هي شاحنة"؛ عشوائية الأشياء، كيف تغير كل شيء في لحظة؛ المكان الصحيح في الوقت الصحيح، أو في الوقت الخاطئ؛ الوقت؛ تلك الشاحنة الهائلة المتجهة نحونا، شبكتها الأمامية المعدنية الكبيرة تلمع أمامنا مثل أسنان، انطباع الأضواء القوية والحجم الهائل. الأمر الوحيد الذي يمكنك رؤيته هو: الأنوار الأمامية، الحجم، إحساس بالقوة. وليس بالانتقام. فرصة. فرصة غبية، بكماء وعمياء. فقط صفحة: جزء من آلية العالم الغريبة، مع نوباته وسعاله وبداياته والاصطدامات العشوائية.

"ولكن لماذا...؟". أنازع للوقوف. "لما أتيت إلى هنا؟ ما الهدف من ذلك؟".

هي لا تنظر إليّ، ولكنها تهز كتفيها قليلاً. "لم يكن هنالك هدف في الواقع. أردت فقط أن أقول ذلك. لطالما كنت خائفة من قول ذلك مسبقاً - رأيي الحقيقي بكنّ. لن أخاف بعد الآن. لست خائفة منكنّ ولا من أي أحد ولا من أي شيء. حتى أنني لست خائفة -" توقفت، ولكني أعلم ما كانت ستقوله. ليست خائفة حتى من الموت.

ولكني أعلم أن ما قالته ليس صحيحاً تماماً. عنى قرارها في القدوم إلى الحفلة أكثر من ذلك.

تجد قطع الأحجية أماكنها، وتصبح منطقية بشكل مروع: احتاجت إلى أن تكون هنا، احتاجت إلى تلك الدفعة الأخيرة. أغمض عيني لذكرى جولييت المبللة والمتعثرة التي ترمى من شخصٍ إلى آخر مثل طابة صغيرة. والليلة، أعتقد أنها أرادت فقط أن تروي قصتها - احتاجت أن تتذكر كم كانت الأمور سيئة. أتساءل إن كان ذلك اليوم الذي مكثت فيه عند ليندزي - اليوم الذي انتهت فيه الأمور بشكلٍ مختلف، اليوم الذي انتهى بوجودهما في قبوٍ وحيدتين - تطلب الأمر منها وقتاً أطول لتجد الشجاعة. لو أتت إلى الحفلة، فلنْ يلحظها أحد، سيتجاهلها الجميع، وشعرت بأنها لن تملك الشجاعة الكافية للاستمرار بذلك. لو جلست لاحقاً في تلك الليلة وحدقت بالمسدس في حضنها، وتذكرت أوجه جميع الأشخاص الذين عذبوها على مدى الأعوام.

فجأة يظهر وجه فيكي هالينان في الظلام، مكشرةً، فأفتح عيني أكثر. ربما قبل أن يموت المرء يرى أشباحه.

أقول بضعف: "ليست هذه هي الطريقة". أشعر

وكأن المطر قد تسلل إلى دماغي وجعله لزجاً وعديم الفائدة. لا يمكنني أن أتذكر ما خططت لقوله. أكرر بصوتٍ أعلى بقليل. "ليست هذه هي الطريقة".

قالت جولييت بهدوء. "أرجوك، أريد أن أكون وحدي".

أقول: "وعائلتك؟" يرتفع صوتي بشكلٍ هستيري حين أدرك أنني أفقدها من جديد، أفقد فرصتي. "وأختك؟".

لا تجيب. لا تزال تحدق إلى الطريق. بلل المطر قميصها، فأتمكن من رؤية لوحي كتفيها بارزين من ظهرها مثل جناحي عصفور صغير، وأفكر باللحظة التي أتت فيها أم ليندزي وقالت لنا: "أطلقت جولييت سكايز النار على نفسها". وفكرت بأن ذلك خاطئ للغاية - إنها هي، من بين كل الناس، كان يجب أن تقفز أو تقع من السماء. أتخيل نفس الحلم الذي راودني وقتاً، أنها فجأة فردت جناحيها وانطلقت في الهواء، بعيداً من الألم.

كان الطريق خالياً من السيارات على غير العادة، إلاَ أنني أسمع الآن من جهتي الطريق هدير المحركات الكبيرة العالية الصوت.

"جولييت" أخطو خطوة إلى الأمام وأمسك بذراعها بقوة. "لا يمكنني أن أدعك تفعلين هذا".

التفتت نحوي، وحدقت إليَ بعيني فارغتين تسرقان أنفاسي. إنهما ممتلئتان بالدمع، باللاشيء.

ذكرني النظر إليها بقناع محاك مع فتحتين للعينين: وحشي، مشوه، قطعة محاكة سوية، مع عينين تنظران إلى اللاشيء. إنني مشدوهة كثيراً لدرجة أني أرخي قبضتي. كان هناك صوت هدير في أذني، شعرت بوجود السيارات، ولكنني ثابتة في

مكاني. لا يمكنني أن أتوقف عن التحديق إليها.

قالت: "لقد فات الأوان". في تلك اللحظة أمسكت بها، لكن ليس بالقوة الكافية فتفلتت مني وركض إلى الطريق بينما ظهرت شاحنتان على وشك أن تمرا بالقرب من بعضهما، وكل ما رأيته هو لمعان المعدن وشيء أبيض يطير في الهواء فجأة، وللحظة شعرت بسعادة عارمة، اعتقدت أنها فعلت ذلك، أنها طارت، وكأن الوقت قد توقف وهي تنطلق في الهواء مثل طيرٍ جميل. ولكن الوقت استمر بالمرور بعدها، ولم تبقَ في الهواء، بل حطت على الأرض وسمعت صوتاً يشق الظلام، واستغرقني الأمر وقتاً طويلاً لأدرك أن ذلك الصوت صادر مني، إنني أصرخ.

الأشباح والجنة

بعد ساعة ونصف، سيارة ليندزي مركونة في الممر، وكلتانا نشاهد المطر وهو يتحول إلى ثلج، نشاهد العالم وهو يدخل حالة من السكون، وفي لحظة، تتحول آلاف القطرات من المطر إلى جليدٍ في الهواء وتهطل بصمتٍ على الأرض. لقد أوصلت إيلودي وآلي سابقاً. لم يتحدث أحد في طريق العودة من الحفلة. اتكأت إيلودي على المقعد، متظاهرة بالنوم، ولكن في مرحلة ما نظرت إلى مرآة الرؤية الخلفية ورأيت لمعة عينيها، كانت تراقبني.

وضعت ليندزي جبهتها على النافذة. "يا إلهي، يا لها من ليلة. الأمر جنوني، أليس كذلك؟ لم أعتقد أبداً... أعني، من الواضح أنها كانت معتوهة، ولكن لم أعتقد أنها ستفعلها..." ارتجفت، نظرت إليَ "وكنت أنت *هناك*".

حين وصلت الشرطة وسيارات الإسعاف - وتبعها كل من كان في حفلة كينت، تدفقوا بين أشجار

الغابة، بهدوء، شعروا بالصحوة فجأة، جذبهم صوت الصفارات مثل عثة منجذبة للنار - وجدوني واقفة إلى جانب الطريق، لا أزال أحدق. بل حتى أني قد أجريت مقابلة مع ضابطة شرطة لديها شامة كبيرة على طرف ذقنها تماماً، حيث ركّزت عليها مثل نجمٍ وحيدٍ في السماء الداكنة، شيءٌ ما ليبقيني صاحية.

هل كانت ثملة؟

لا.

هل تعاطت أي شيءٍ آخر؟ لا تخشي أن تفصحي عن ذلك لي.

لا. على الأقل - لا أعتقد ذلك.

لعقت ليندزي شفتيها واضعةً يديها بجمود في حضنها. "وهي لم... لم، أعني، *لم تقل* شيئاً؟ لم تفسر شيئاً؟".

إنه السؤال نفسه الذي طرحته عليَ الضابطة في وقت سابق: السؤال الأخير، ربما السؤال الأهم.

هل قالت لك شيئاً؟ أي شيء على الإطلاق جعلك تشعرين بما تشعر، بما كانت تفكر؟

لا أعتقد أنها كانت تشعر بأي شيءٍ على الإطلاق.

قلت لليندزي: "لست متأكدة إن كان هذا أمر يمكن توضيحه".

أصرت أكثر: "ولكن، أعني لا بد أنها كانت تعاني من بعض المشاكل، صحيح؟ مشاكل في المنزل، أليس كذلك؟ لا *يفعل* الناس ذلك ببساطة".

أفكر بمنزل جولييت البارد والمظلم، أضواء التلفاز المنعكسة على الجدران، صورة الزوجين المجهولين في الإطار الفضي القاسي.

قلت: "لا أعرف". نظرت إلى ليندزي، ولكنها تفادت النظر إليَ. "أعتقد أننا لن نعرف السبب أبداً الآن".

شعرت بفراغ عميق جداً لدرجة أنه لا يشبه الفراغ بعد الآن، بل يبدأ بالتحول إلى شعورٍ أشبه بالراحة. تخيلت أنه شعور المرء حين تحمله موجة. هكذا سيشعر المرء في تلك اللحظة التي تظهر فيها حافة الشاطئ الداكنة والرفيعة من الأفق، يمكنك حينها أن تسترخي وترى فقط النجوم والسماء والمياه، وهي تحيط بك في عناقٍ جميل. حين تفرد ذراعيك وتقول لنفسك، *لا بأس*.

"شكراً لك على التوصيلة". وضعت ليندزي يدها على مقبض الباب، ولكنها لم تتابع حركتها لتخرج. "هل أنت متأكدة أنكِ ستكونين على ما يرام؟".

"سأكون على ما يرام".

شاهدت أشكالاً من الثلج تهطل بزاوية تجعلها تبدو وكأنها تتدفق، تتلألأ، وتنكسر على تيار كبير، مدٌّ يترك العالم براقاً. إنه جميل، كل ما يمكنني التفكير به هو أنه أول شيءٍ من بين كثير من الأشياء التي لن يتسنى لجولييت أن تراها.

ليندزي تقضم ظفرها، عادةٌ تتظاهر أنها تخلصت منها في الصف الثالث. أنيرت أضواء المرأب الأوتوماتيكية.

"ليندزي؟".

قفزت مصدومة وكأننا كنا صامتتين لساعات "ماذا؟".

"هل تذكرين تلك المرة في روزاليتا؟ بعدما أتيت من نيويورك؟ حين فتحت عليك الباب في الحمام؟".

استدارت نحوي وحدقت إلي، ولم تقل شيئاً. إن عينيها أكثر ظلمةً من باقي وجهها، بقعتان من السواد الفاحم.

سألتها: "هل كانت حقاً تلك المرة الوحيدة؟".

ترددت للحظة. وقالت: "بالطبع". ولكنها كانت تهمس، وعلمت أنها تكذب.

أدركت الآن أن ليندزي ليست مجردة من الخوف، إنها مرتعبة، مرتعبة من أن يكتشف الناس أنها مزيفة، وتمثل يومياً في حياتها، تتظاهر بأنها تتحكم بزمام الأمور بينما هي في الواقع تتخبط مثل الباقين. ليندزي، التي قد تعضك حتى لو نظرت نظرة خاطئة في اتجاهها، مثل أحد كلاب الهجوم الصغيرة تلك التي تنبح دوماً وتقفز في الهواء قبل أن تشدها السلاسل التي تثبتها في مكانها.

الملايين من الكسف الثلجية المنفردة، تدور وتلف وتنظر، في آنٍ واحد، مثل موجاتٍ بيضاء جياشة. أتساءل إن كانت كل واحدة منها مختلفة عن الأخرى كما يقولون. "أخبرتني جولييت".

اتكأت إلى الخلف على وسادة الرأس، وأغمضت عيني نصف إغماض، ليختفي كل شيءٍ عدا البياض. "عن رحلة كشافة الفتيات. حين كنتما في الصف الخامس - حين كنتما صديقتين".

ظلت ليندزي صامتة، ولكني شعرت بها ترتجف قليلاً وهي بالقرب مني.

"قالت لي إنك أنت في الواقع - *أنت تعلمين*".

بسرعة قالت ليندزي: "وصدقتها ببساطة؟". ولكنها فعلت ذلك بشكلٍ تلقائي، بشكلٍ غبـي، وكأنها لم تتوقع أن تصنع تلك الجملة فرقاً.

تجاهلتها. "أتذكرين كيف كان الجميع يدعونها صاحبة المثانة الكبيرة بعد ذلك؟". فتحت عيني ونظرت إليها. "لم لم تخبري الجميع أنها لم تفعل ذلك؟ أعني، في تلك اللحظة. حسناً أتفهم الأمر،

كنت خائفة وكنت تشعرين بالحرج، ولكن بعدها...؟ لم لم تخبري *الجميع*؟ لم لم *تنشري* الخبر؟".

ازداد رجفان ليندزي، وفكرت للحظة أنها لن ترد، أو أنها ستكذب. ولكن صوتها كان مستقراً عندما تكلمت، مستقراً ومليئاً بشيءٍ لا يمكنني التعرف إليه. ربما الندم.

"لطالما اعتقدت أن ذلك لن يدوم". بدا الأمر وكأنه لا يزال يدهشها بعد كل هذه السنوات. "ظننت أنها في النهاية، ستخبر الجميع بما حصل حقاً. وأنها ستدافع عن نفسها، أتفهمين؟". انكسر صوتها قليلاً، تسلل إليه نغمة هيستيرية. "لِم لم تدافع عن نفسها يوماً؟ ولا مرة. لماذا تحملت ذلك؟".

فكرت بكل السنوات التي احتفظت خلالها ليندزي بهذا السر، بهذه الشخصية السرية التي كانت تبكي في كل ليلة وتفرك الوسائد لتغسل البول عنها - السر الأكثر خطورة على الإطلاق، الماضي الذي نحاول نسيانه.

وفكرت بكل الأوقات التي جلست فيها في صمتٍ مربك، مذعورةً لأنني قد أقول أو أفعل الأمر الخاطئ، مذعورةً وكأن الشخصية الغبية المتهورة التي تعيش في داخلي قد نهضت وابتلعت الأنا الجديدة، مثل أفعى تأكل شيئاً ما. كيف أزلت الجوائز من الرفوف، وتخلصت من كرسيِّي الذي على شكل كيس، وتعلمت كيفية ارتداء الملابس على الموضة، ولم آكل يوماً الغداء الساخن، والأهم من كل ذلك، تعلمت البقاء بعيداً عن الأشخاص الذين يحبطوني، ويعيدوني إلى المكان نفسه. أشخاص مثل جولييت سكايز. أشخاص مثل كينت.

نهضت ليندزي وفتحت باب السيارة. أوقفت عمل المحرك، وترجلت من السيارة وتبعتها، رميت

المفاتيح على السطح وأمسكتها بيد واحدة.

أومأت ليندزي رأسها باتجاه كينت، الذي ركن سيارته خائفاً، منتظراً أن يوصلني إلى المنزل. "أأنتما متأكدتان من أنكما على ما يرام؟ أعني بالنسبة للوصول إلى المنزل".

قلت: "أنا متأكدة". بالرغم من كل ما حصل الليلة، تملأني بالدفء فكرة الجلوس بالقرب من كينت لمدة اثنتي عشرة دقيقة ريثما أصل إلى منزلي. مع أنني أعلم أن ذلك كان خاطئاً - حتى لو علمت، في مكان عميق في داخلي، أن ذلك لن ينجح، وأنني لن أتمكن من أن أكون مع أي أحد بعد الآن.

فتحت ليندزي فمها وأغلقته. عرفت أنها تريد أن تسأل عن كينت، ولكنها ظنت أنه من الأفضل ألا تفعل ذلك. بدأت بالمشي نحو المنزل، بتردد وتوتر.

"سام؟".

"نعم؟".

"إنني أعتذر حقاً. إنني متأسفة حقاً بسبب... كل شيء".

أرادت أن أقول لها أن ذلك أمر عادي. إنها بحاجة إلى أن أقول ذلك. ولكن ذلك ما لا يمكنني قوله. قلت بهدوء: "كان الناس سيحبونك على أية حال، ليندزي". لم أقل *إن توقفت عن التظاهر بهذا الأمر*، ولكن أعلم أنها فهمت. "سنحبك مهما حصل".

اعتصرت قبضتيها. "شكراً". ثم استدارت واتجهت نحو المنزل. للحظة، جعل النور المنعكس على وجهها جلدها يبدو مبللاً، ولكني لست متأكدة إن كانت تبكي فقط أو إن ذلك كان بسبب الثلج.

انحنى كينت إلى الأمام، وفتح لي الباب، فانزلقت إلى الداخل. بدأنا نبتعد عن منزل ليندزي، وانعطفنا إلى الشارع الرئيسي في صمت. قاد ببطء، وبحذر. خطان متماثلان من الثلج مضاءين بسبب أضواء السيارات، استراحت يديه بهدوء على عجلة القيادة. كثيرة هي الأمور التي أود أن أخبره عنها، ولكني لا أستطيع أن أرغم نفسي على الكلام. إنني متعبة ورأسي يؤلمني، وأريد فقط أن أستمتع بحقيقة أن هناك فقط بضع إنشات فقط تفصل ما بين ذراعينا، حقيقة أن رائحة سيارته تشبه رائحة القرفة، حقيقة أنه أدار المكيف على أعلى سخونة من أجل أن يشعرني بالنعاس وبالثقل في أطرافي.

عندما اقتربنا من منزلي أبطأ حتى بدت السيارة وكأنها تزحف، لأنه لا يريد للحظة أن تنقضي، هذه اللحظة التي يتوقف فيها الوقت، هنا - مثلما يتثاءب الفضاء ويهوي كما يفعل عند شفة ثقب أسود، بحيث يمكن للوقت أن يصنع دوامات لا نهائية، ليبقينا على قيد الحياة ومستمرين نحو

الثلج. ولكن مهما أبطأ كينت، كانت السيارة تتحرك إلى الأمام، وقريباً ستظهر الإشارة الطرقية التي تشير إلى الشارع حيث منزلي إلى الجهة اليسرى، وبعدها سنمر بالقرب من المنزل الداكن؛ منزل جيراني، ثم نصل إلى منزلي.

قلت: "شكراً لك على إيصالي إلى المنزل". والتفتُ إليه في لحظة التفاته إليّ فقال: "هل أنت متأكدة أنك على ما يرام؟".

ضحكنا بتوتر. أبعد كينت غرته عن عينيه، فانسدلت في الحال إلى مكانها، الأمر الذي جعل معدتي تغوص في مكانها.

قال: "لا مشكلة، كان ذلك من دواعي سروري".

كان ذلك من دواعي سروري. فقط كينت يمكنه أن يقول هذه الجملة ويجعلها تبدو مثل جملة مبتذلة من فيلم قديم، وتألم قلبي بجنون للحظة حين فكّرت بكل الوقت الذي أضعته، ثوانٍ وساعات مرت من بين أصابعي، وضاعت إلى الأبد مثل الثلج المتساقط في الظلام.

جلسنا لبعض الوقت، حاولت بيأس أن أقول شيئاً حتى لا أضطر للترجل من السيارة، ولكن الكلمات اختفت ومر الوقت.

أخيراً قلت: "كل شيءٍ كان الليلة مروعاً عدا هذا".

"عدا ماذا؟".

أشرتُ إليه وإليّ. أنت وأنا. كان كل شيءٍ مروعاً عدا هذا.

لمعت عيناه. "سام" نطق اسمي برقة، ولم أعلم أن هذا المقطع الصوتي الوحيد يمكنه أن يحول جسدي بأكمله إلى شيءٍ راقص ومنير. فجأة مدَ يده الدافئة ووضعها على خدي، ومرر إصبعه على حاجبي

لثانية قبل أن يستريح لثانية جميلة واحدة على شفتي السفلية - أتذوق القرفة على جلده - ومن ثم ينزل يده ويبتعد، بدا وكأنه يشعر بالخجل.

تمتم: "آسف".

"لا... لا بأس". جسدي يعزف الموسيقى. لا بد أنه يسمعها. في الوقت ذاته شعرت وكأن رأسي على وشك الطيران من مكانه بين كتفي.

"إن الأمر فقط... يا إلهي.. إنه مروع جداً".

"ما هو الأمر المروع جداً؟". توقف جسدي عن عزف الموسيقى وثقلت معدتي. سيقول لي إنه غير معجب بي. سيقول لي أنه يرى من خلالي مجدداً.

"أعني، مع كل ما حصل الليلة... الوقت غير مناسب... وأنت مرتبطة بروب".

قلت على الفور: "لست مرتبطة بروب. ليس بعد الآن".

"حقاً؟". حدق إليَ بتمعن شديد جعلني أرى خطوط اللون الذهبي تتداخل مع اللون الأخضر في عينيه مثل تضاريس دولاب.

هززت رأسي بلا.

"هذا جيد". ظل يحدق إليَ بتلك الطريقة، وهو الشخص الأول والأخير الذي سيحدق إليَ أبداً. "لأن..." ضاع صوته، وسافرت عيناه ببطء نحو شفتي، وهنالك كثير من الحرارة التي تتخلل جسدي حتى إنني أقسم على أنني قد أغيب عن الوعي.

أستعجله: "لأن؟". متفاجئة من قدرتي على الكلام.

"لأنني أعتذر، ولكن لا يمكنني أن أوقف نفسي، وأنا بحاجة حقاً لأن أقبلك الآن".

وضع إحدى يديه خلف عنقي وجذبني نحوه. وتبادلنا القُبل. شفتاه ناعمتان كثيراً وتدغدغان

شفتيَ. أغمضت عيني، وفي الظلام رأيت أشياء مزهرة جميلة، زهورٌ تدور مثل كسف الثلج، وعصافير طنانة تغني بنفس إيقاع قلبـي. إنني غائبة، تائهة، أدور بعيداً إلى اللاشيء مثلما يحصل في حلمي، ولكن هذه المرة أشعر بشعورٍ جيد - مثل التحليق، مثل الحرية المطلقة. أبعدت يده الثانية الشعر عن وجهي، وأمكنني أن أشعر بانطباع أصابعه الحسي الذي تتركه في كل مكان تلمسه، ففكرت بالشهب وهي تعبر السماء بلمح البصر تاركةً طرقاً ملتهبة خلفها، في تلك اللحظة - مهما دامت، ثوانٍ، دقائق، أيام - بينما يقول اسمي ويقبلني وتتداخل أنفاسنا، أدرك أن تلك تماماً هي المرة الأولى والأخيرة التي سأختبر فيها التقبيل في حياتي.

تراجع أبكر من اللازم، وهو لا يزال ممسكاً بوجهي، قال وهو يلتقط أنفاسه: "واو. آسف ولكن واو".

"أجل". تختنق الكلمات في حلقي.

بقينا هكذا نحدق إلى بعضنا "وللمرة الأولى لا أشعر بالتوتر أو بالقلق إزاء ما يفكر به. أنا فقط سعيدة، سعيدة لكوني محط نظراته الدافئة والمريحة.

قال بهدوء: "أنا معجب بك حقاً يا سام، لطالما كنت معجباً بك".

"أنا أيضاً معجبةً بك".

"لا تقلقي بشأن الغد. لا تفكري بالأمر أبداً". أغمضت عيني لبرهة، دفعت بعيداً كل شيءٍ عدا هذه اللحظة، يداه الدافئتان، وهاتان العينان الخضراوان، والشفتان.

"هيا". مال إلى الأمام وقبل جبهتي برقة. "أنت متعبة. أنت بحاجةٍ إلى النوم".

خرج من السيارة، والتف إلى جانب مقعد الراكب الأمامي ليفتح لي الباب. بدأ الثلج بالتكاثف، بطانيةً بيضاء تغطي كل شيء، صنعت غشاوةً على أطراف العالم. كانت خطواتنا على الممر الأمامي في طريقنا إلى الشرفة دون صوتٍ. ترك والداي ضوء الشرفة مناراً، النور الوحيد في منزل مظلم في شارعٍ مظلم - ربما النور الوحيد في العالم. يبدو الثلج المتساقط في نوره مثل الشهب.

"هناك ثلجٌ على رموشك". مرّر كينت إصبعه على جفنيَ وعلى جسر أنفي فأصبت بالقشعريرة. "وفي شعرك". يدٌ تلوح، شعورٌ برؤوس أصابعه، ثم كف يده على عنقي.

"كينت". أمسكت ياقة قميصه بأصابعي. مهما كان قريباً مني، فإني أشعر بحاجةٍ إلى أن يكون أكثر قرباً. "هل خشيت يوماً النوم؟ لأنك تخشى ما قد يأتي بعده؟".

ابتسم ابتسامةً خفيفة وحزينة، وأقسم إنني شعرت وكأنه يعرف. يقول: "أخشى أحياناً مما أتركه خلفي".

تبادلنا القبل مجدداً، جسدانا وشفاهنا تتناغم سويةً بخفة، وكأننا لا نتبادل القبل بل نفكر فيها، نفكر بالتنفس، كل شيءٍ مثالي وطبيعي وغير واعٍ ومريح، شعورٌ ليس بالمحاولة بل بالهجر المطلق، التخلي عن كل شيء، وفي ذلك الزمان والمكان، يحصل غير المتوقع والمستحيل: يتوقف الوقت حقاً. يتبدد الزمان والمكان ويتفجران مثل كونٍ دائم التوسع نحو الخارج، لا يتبقى سوى الظلام وأنا وهو في محيطه، فقط ظلام وتنفس وإحساس.

سبعة

في المرة الأخيرة التي رأيت فيها الحلم كان كالتالي: أنا أقع، أتخبط في الهواء، ولكن هذه المرة أشعر بالظلام وهو حيٌ حولي، مليءٌ بالأشياء النابضة، وأدرك أنني لست محاطة بالظلام، بل كانت عيناي فقط مغمضتين طوال الوقت. أفتحهما، أشعر بالسخافة، وفي الوقت ذاته تطير مئة ألف فراشة حولي، هناك الكثير منها وبألوان عديدة رائعة وكأنها قوس قزحٍ ملموس، تحجب الشمس بشكلٍ مؤقت. ولكن بينما تطير أعلى وأعلى تكشف عن مشهدٍ تحتنا، أخضر وذهبـي بالكامل وحقول مغطاة بأشعة الشمس، وسحب ملونة باللون الوردي تنجرف تحتنا، والهواء من حولي نقي وأزرق وجميل الرائحة، وأنا أضحك، أضحك بينما أدور في الهواء، لأنني، طبعاً، لم أكن أقع طوال هذا الوقت.

كنت أحلق.

وحين أستيقظ بدا الأمر رائعاً، وكأنني حُملت بهدوء إلى شاطئ مسالم وساكن... كسرني الحلم مثل موجة تهرب الآن بعيداً، تاركةً إياي مع شعورٍ وحيدٍ بالتأكيد. أعلم الآن.

لم يكن الأمر أبداً متعلقاً بإنقاذ حياتي.

ليس بالطريقة التي توقعتها على الأقل.

وفي اليوم السابع

أذكر أنني ذات مرة شاهدت فيلماً مع ليندزي؛ حيث قالت الشخصية الرئيسية كم هو محزن عندما يمارس المرء الحب للمرة الأخيرة وهو لا يعلم أنها ستكون الأخيرة. بما أنني لم أخض حتى التجربة للمرة الأولى، فأنا لست خبيرة بالأمر، ولكنني أعتقد أن ذلك مثل معظم الأشياء في الحياة - القبلة الأخيرة، الضحكة الأخيرة، كوب القهوة الأخير، الغروب الأخير، المرة الأخيرة التي تقفز فيها تحت

ماء مرش أو تتناول الأيس كريم، أو تمد لسانك لتلتقط ندفة ثلج. أنت فقط لا تعلم ذلك.

ولكنني أعتقد أن هذا أمرٌ جيد، حقاً، لأنك إن علمت بذلك فسيكون من المستحيل تقريباً أن تقول وداعاً. لو علمت بذلك فسيكون الأمر أشبه بأن يُطلب منك القفز عن حافة جرف: كل ما تريد القيام به هو فقط الجثوم على يديك وركبتيك وتقبيل الأرض الصلبة، وشم رائحتها والتمسك بها.

أعتقد أن الوداع يشبه ذلك - يشبه القفز عن حافة. الجزء الأسوأ هو اتخاذ القرار، لأنه حين تصبح في الهواء، لا يبقى أمامك سوى أن تستسلم.

هذا آخر شيءٍ أقوله دوماً لوالديَ: *أراكما لاحقاً*. أقول *أحبكما* أيضاً، ولكن كان ذلك في زمنٍ مضى. آخر شيءٍ أقوله هو *أراكما لاحقاً*.

في الواقع، لأكون دقيقة تماماً، آخر ما أقوله لأبـي هو *أراك لاحقاً*. أما لأمي فأقول *متأكدة*، لأنها تقف على باب المطبخ ممسكةً بالصحيفة، شعرها أشعث، ورداء الحمام الذي ترتديه غير مرتب، وتقول: *ألنت متأكدة من عدم رغبتك بتناول الفطور؟* مثلما تفعل دوماً.

أنظر إلى الخلف وأنا عند الباب الأمامي. يقف أبـي خلفها عند الموقد، يهمهم لنفسه ويعد البيض من أجل أمي. إنه يرتدي سروال البيجاما المخطط الذي أهديناه إياه أنا وإيزي بمناسبة عيد ميلاده الأخير، وخصل شعره متطايرة في زوايا جنونية، وكأنه أقحم للتو إصبعه في مقبس كهربائي، تضع أمي يدها على ظهره وهي مارة بالقرب منه، ثم تستقر عند طاولة المطبخ، وهي تهزّ الصحيفة.

يصبّ البيض في طبق ويضعه أمامها، قائلاً: "فوالا مدام. مقرمشة كما تحبينها". تهزّ رأسها وتقول شيئاً

ما لا يمكنني سماعه، ولكنها تبتسم، فينحني ويطبع قبلةً على جبينها.

إنه مشهدٌ جميل، إني مسرورةٌ لأنني نظرت إليهما.

تتبعني إيزي إلى الباب حاملةً قفازيَ، تبتسم وتظهر لي الفتحة التي بين سنيها الأماميين. ينتابني شعورٌ بالدوار حين أنظر إليها، شعورٌ بالغثيان، ولكني آخذ نفساً عميقاً، وأفكر بعدّ الدرجات، أفكر بقفزات الجري، وحلمي بالطيران.

واحد، اثنان، ثلاثة، اقفزي.

"لقد نسيتِ قفازيك". تلثغ، تبتسم، خصلات من الشعر الذهبـي.

"ماذا كنت لأفعل من دونك؟". أجثم وأضمها بين ذراعي، وأرى حياتنا سويةً بأكملها: أصابعها الصغيرة حين كانت رضيعة وقشرة رأسها التي تفوح منها رائحة بودرة الأطفال؛ المرة الأولى التي سارت فيها نحوي؛ المرة الأولى التي قادت فيها دراجة ووقعت وكشطت ركبتها، وحين رأيت كل تلك الدماء عليها، كدت أموت من الهلع، وحملتها طوال طريق العودة إلى المنزل. ويمكنني أن أرى لما بعد ذلك، بغرابة، لمحات عنها ولكن في الاتجاه المعاكس: إيزي نضجت وأصبحت طويلة وجميلة مع يدٍ على المقود، تضحك؛ إيزي ترتدي فستاناً طويلاً أخضر جميلاً وتسير حذرةً بحذائها العالي الكعب نحو سيارة ليموزين منتظرة إياها للذهاب إلى الحفل الراقص؛ إيزي محملة بالكتب بينما يتساقط الثلج حولها، تختفي في مبنى السكن الطلابـي، شعرها مثل لهبٍ ذهبـي على جلدها ناصع البياض.

تصرخ ضاحكةً وتبتعد. "لا يمكنني التنفس! أنت تسحقينني".

"متأسفة، فيزر". أمدَ يدي خلف رقبتي، وأفك

عقد جدتي الذي على شكل طائر. تكبر عينا إيزي وتتدوران.

أقول: "استديري" وللمرة الأولى تصبح هادئة تماماً وتفعل ما أقوله دون تذمر، وتقف بثباتٍ تام بينما أرفع شعرها وألبسها القلادة حول عنقها. تستدير نحوي مجدداً، بوجه جدي للغاية، منتظرةً مني أن ابدي رأيي.

أهزّ القلادة قليلاً. إنها تصل إلى منتصف صدرها، تستقر على يمين قلبها تماماً. "تبدو جميلةً عليك يا فيز".

صوتها هامسٌ، وكأننا نتناقش في مسألةٍ ذات أهمية قصوى: "هل ستعطيني إياه حقاً؟ أم فقط ليومٍ واحد؟".

"إنه يبدو أجمل عليكِ على أيه حال". أضع إصبعاً على أنفها، وتدور وهي رافعةً يديها في الهواء مثل راقصة باليه.

"شكراً سام!" ولكن بالطبع، تقولها *ثام*.

"كوني فتاةً جيدة يا إيزي". أقف، وحلقي متشنج، وألم يسري في كل جسدي. عليّ أن أقاتل الحاجة الملحة لأجثو وأضمها مجدداً.

تضع يديها على وركيها مثلما تفعل أمي دوماً، متظاهرةً بشعورها بالإهانة. "أنا دوماً فتاة جيدة. أنا الأفضل".

استدارت بالفعل، ركضت بخفيها عائدةً إلى المطبخ: "انظروا إلى ما أعطتني إياه سام!" ممسكة القلادة بيدها. تشوش الدموع رؤيتي لذا لا يمكنني رؤيتها بوضوح، فقط لون ملابس نومها الزهرية وشعرها الذهبي.

في الخارج، يحرق البرد رئتي ويزيد من سوء

الألم في حلقي. آخذ نفساً عميقاً، أتنشق رائحة نيران المواقد والوقود. الشمس جميلة، ممتدةٌ في الأفق وكأنها تتمطط بعد قيلولة، وأعلم أنه تحت هذا النور الشتوي الضعيف هناك وعدٌ بتلك الأيام التي تدوم حتى الساعة الثامنة مساءً وحفلات المسابح ورائحة مادة الكلور ولحم البرغر المشوي؛ وتحته وعد بأشجار ملونة بالأحمر والبرتقالي مثل النيران وعصير التفاح المنكه، والجليد الذي يذوب بحلول وقت الظهيرة - طبقة فوق طبقة من الحياة، هنالك دوماً المزيد، هنالك دوماً ما هو أجدد وأعمق. يجعلني ذلك أرغب بالبكاء، ولكن ليندزي وصلت وركنت سيارتها أمام المنزل، لوحت بذراعيها وصرخت: "ما الذي تفعلينه؟". لذا بدلاً من البكاء أستمر بالسير، قدماً أمام الأخرى، واحد، اثنان، ثلاثة، وأفكر بترك كل شيء - ترك الأشجار والعشب والسماء والغيوم المتشحة باللون الأحمر في الأفق - أتركها كلها تبتعد عني مثل ستار. ربما سيكون هنالك شيءٌ سحريٌ تحته.

معجزة من الصدف والفرص، الجزء I

"وهكذا، قلت، اصغي إليَ، لا أكترث إن كان الأمر غبياً، لا يهمني الأمر، إنه مثل عطلة اخترعتها هالمارك أو ما شابه..." ثرثرت ليندزي عن باتريك، مقاطعةً قصتها بالضرب على المقود بيدها. إنها تتحكم بزمام الأمور مجدداً، شعرها مرفوع على شكل ذيل حصان، مشعث بما يكفي، ملمع الشفاه مثالي، ورائحة عطر بربري بريت غولد عالقة على سترتها المنفوخة التي ترتديها. من الغريب رؤيتها على هذه الحال بعد البارحة، ولكن في الوقت نفسه أنا مسرورة. إنها قاسية وخائفة وفخورة وغير واثقة بنفسها، ولكنها تبقى ليندزي إيدجكومب -

الفتاة التي خدشت في سنتها الأولى في الثانوية سيارة ماري تينزلي الجديدة من نوع بـي إم دبليو بمفتاحها بعد أن دعتها ماري بالعاهرة، مع أن ماري قد لُقبت للتو بلقب ملكة الحفل الراقص، ولا أحد، حتى في صفها، يمكنه أن يتصدى لها - ومع ذلك هي صديقتي المقربة، بالرغم من كل شيء أنا أحترمها. وأعلم أنها مهما أخطأت في الماضي - ولو مليون خطأ، بحق الآخرين، بحق نفسها - إلا أنها ستجد حلاً. أعلم من مظهرها الليلة الماضية، تحت الظلال التي جعلت وجهها هزيلاً. ربما هذا أملٌ كاذب، ولكن أحب أن أؤمن بأن ما حصل الليلة الماضية صنع فرقاً، بشكلٍ ما، في عالمٍ ما، وأنه لم يختفِ تماماً. *اخشى أحياناً أنه بسبب ما أتركه خلفي*. التفكير بكلمات كينت يجعل بدني يقشعر. هذه المرة الأولى في حياتي التي أشتاق فيها لتقبيل أحدٍ ما؛ المرة الأولى التي أستيقظ فيها وأنا أشعر وكأنني فقدت شيئاً مهماً.

قالت إيلودي من المقعد الخلفي: "ربما سيفقد صوابه لأنه معجبٌ بك كثيراً، ألا تعتقدين ذلك يا سام؟".

"أه". إنني أحتسي قهوتي، أرتشفها ببطء. صباحٌ مثالي، تماماً مثلما قد أختار أن يكون: قهوة مثالية، كعكة بيغل مثالية، نقود في الأرجاء بالسيارة أنا واثنتان من صديقاتي المفضلات، لا نتحدث حول شيءٍ مهم، ولا نحاول حتى التكلم عن شيء، فقط نثرثر عن الأشياء نفسها التي نثرثر عنها عادة، نستمتع بالإصغاء لأصواتنا نتحدث. الأمر الوحيد المفقود هو آلي.

فجأة شعرت بحاجة ملحة كي أقود حول ريدجفيو لوقتٍ أطول قليلاً. جزءٌ مني لا يريد لهذه

الجولة أن تنتهي. جزءٌ مني يريد فقط النظر إلى كل شيء للمرة الأخيرة.

"ليندز؟ هل يمكننا التوقف عند ستارباكس؟ أرغب بشرب اللاتيه". أخذت بضع رشفات من قهوتي، محاولة إنهاءها، لأجعل ما قلته أكثر قابلية للتصديق.

رفعت حاجبيها. "أنت تكرهين ستارباكس".

"نعم، حسناً، شعرت بتوقٍ مفاجئ".

"قلتِ إن مذاقه مثل بول الكلاب".

احتست إيلودي قهوتها. "يا للقرف - مرحباً؟ أنا أشرب وآكل". تلوَح بكعكة البيغل بطريقة درامية.

رفعت ليندزي كلتا يديها. "هذا اقتباس مباشر".

قالت إيلودي: "إن تأخرت على درس علم الاجتماع مرة أخرى فأنا أقسم إنني سأحصل على الحجز مدى الحياة".

قالت ليندزي مقهقهة: "وستفوتين عليك فرصة تقبيل مافن أولاً".

"ماذا عنك؟". نكزتني إيلودي بقطعة من البيغل، فضحكت ليندزي. "إنها لمعجزة أن وجهك ووجه باتريك لم يندمجا بعد".

"هيا يا ليندزي، أرجوك؟" رفرفت برموشي متوسلة، ثم التفتت نحو إيلودي. "أرجوك؟". تنهدت ليندزي بشدة، ونظرت إلى عينيَ إيلودي من خلال مرآة الرؤية الخلفية. وشغل مؤشر الإلتفاف. صفقت وزمجرت إيلودي.

قالت ليندزي: "يمكن لسام أن تفعل ما تشاء اليوم. في النهاية. إنه يومها الكبير". شددت على كلمة كبير، ثم انفجرت ضاحكة.

التقطت إيلودي الدعابة على الفور. "لنقل إنه يوم

روب الكبير في الواقع".

نكزتني ليندزي بمرفقها: "يمكننا فقط أن نأمل ذلك".

قلت: "يا للقرف، أنتما منحرفتان".

ليندزي لن تتوقف عن الكلام الآن: "سيكون يوماً طويلاً".

أضافت إيلودي: "يوماً قاسياً".

بصقت ليندزي بعض القهوة من فمها وهي تضحك، أما إيلودي فقهقهت. أخذتا تضحكان مثل المجانين.

قلت: "يا لكما من مضحكتين". ونظرت من النافذة إلى الخارج، شاهدت البيوت وهي تبدأ بالالتصاق سويةً ونحن داخلات إلى البلدة. "ناضجتان كثيراً". ولكني أبتسم، أشعر بالسعادة والسكون، أفكر، لا تملكان أية فكرة. هنالك مرأبٌ صغير خلف متجر ستارباكس في البلدة، قررنا الركن في مساحة الركن الأخيرة، قادت ليندزي نحوها وكادت تكسر المرايا الجانبية للسيارتين اللتين على جانبي سيارتها، ولكنها مع ذلك صرخت: "غوتشي، حبيبي، غوتشي" وتلك كلمة تدعي أنها تعني في الإيطالية "مثالي".

كنت أودع كل شيء، كل تلك الأماكن التي رأيتها لمرات عديدة حتى أني بدأت بتجاهلها: المطعم الموجود على الهضبة والذي يقدم أشهى شرحات الدجاج، ومتجر الحلي الذي كنت أشتري منه الخِيطان لكي أصنع أساور الصداقة الملونة، وسمسار العقارات، وطبيب الأسنان، والحديقة الصغيرة حيث وضع ستيف كينغ لسانه في فمي في الصف السابع، وكنت متفاجئة كثيراً لدرجة أني عضضته. لا يمكنني التوقف عن التفكير بمدى غرابة الحياة، بكينت وجولييت وحتى بأليكس وكيتي وبريانا والسيد أوتو والانسة وينترز - وبمدى تعقيد

الأمور، وفكرت كيف أن كل شيءٍ متصل ببعضه، كل شيءٍ مشبوكٌ مع بعضه مثل شبكةٍ كبيرة للغاية وغير مرئية - وكيف تعتقد في بعض الأحيان أنك تفعل الأمر الصحيح، ويتضح لاحقاً أنك تفعل أمراً رهيباً، والعكس صحيح أيضاً.

دخلنا ستارباكس واشترينا اللاتيه. اشترت إيلودي قطع براوني مع أنها تناولت الطعام لتوها، وضعت ليندزي دباً محشواً على رأسها، وطلبت كأساً من الماء بينما حدق البائع بها وكأنها فقدت صوابها، لم أستطع منع نفسي من معانقتها بذراعي: "خبئي مشاعرك عزيزتي". ما جعل المرأة المسنة خلفنا تهرب بعيداً، خرجنا ضاحكات وكدت أوقع قهوتي - سيارة سارة غراندل البنية من نوع شيفروليه تنتظر في المرأب. إنها تضرب بيديها على المقود، وكأنها تعزف على طبل، وتتفقد ساعتها، منتظرةً أن تصبح إحدى أمكنة الركن شاغرة. المكان الأخير - المكان الذي حصلنا عليه.

قلت بصوتٍ عالٍ: "هل أنتن تمازحنني". ستتأخر الآن من دون شك.

رأتني ليندزي أحدق وأساءت فهمي. "أعلم. لو كنت أملك تلك السيارة الخردة لن أتجرأ على قيادتها بعد الممر. أعتقد أنني أفضل الموت على ذلك".

هززت رأسي: "لا أنا -" وأدركت أنني لا أستطيع الشرح. ·بينما نمر بالقرب من سارة، تدور عينيها وتتنهد وكأنها تقول *أخيراً*. مدى سخرية الموقف تصدمني فأبدأ بالضحك.

سألت ليندزي ونحن نركب السيارة: "كيف مذاق اللاتيه؟".

"مثل بول الكلاب". خرجنا من مكان الركن، وأطلقنا البوق لسارة فكشرت وأسرعت للركن حالما

خرجنا من طريقها.

سألت إيلودي: "لما كل هذه الدراما؟".

أجابت ليندزي: "م. ح. ر، متلازمة الحاجة للركن".

بينما كنا نخرج من المرأب، خطر لي أن الأمر ربما ليس على هذه الدرجة من التعقيد. معظم الوقت - 99 في المئة من الوقت - أنت لا تعلم فقط متى ولماذا تتداخل الخيوط سويةً، ولا بأس بذلك. تفعل شيئاً جيداً فيحصل شيءٌ سيئ. تفعل شيئاً سيئاً فيحصل أمرٌ جيد. لا تفعل شيئاً فينفجر كل شيء.

نادراً، نادراً جداً - عن طريق معجزة من الصدف والفرص، ترفرف الفراشات بأجنحتها ببساطة وتتعلق في الهواء كل الخيوط سويةً لدقيقة - تسنح لك الفرصة لكي تقوم بالأمر الصواب.

هذا آخر ما خطر لي، وأنا أرى سارة تتراجع في مرآة الرؤية الخلفية، وتغلق باب السيارة بقوة، وتهرول في المرأب: إن كنت متأخراً وقد تفوت فرصة كبيرة، من الأفضل لك أن تشرب قهوتك في المنزل.

عندما نصل إلى المدرسة عليَ أن أهتم ببعض الأشياء في غرفة الورود، لذا أفترق عن إيلودي وليندزي. حينها، بينما أنا متأخرة بالفعل، أقرر أن أتغيب عن الحصة الأولى. أتجول في الأروقة وفي المهجع، أفكر في مدى غرابة أن يعيش المرء كل حياته في مكانٍ واحدٍ دون أن ينظر إليه حقاً. حتى الجدران الصفراء - ما كانت بيج: ما كنا ندعوه بأروقة القيء - تبدو جميلةً الآن، الأشجار النحيلة العارية في وسط ساحة المدرسة تقف أنيقةً ومتناثرة في المكان، منتظرة فقط تساقط الثلج.

طوال حياتي، لطالما أحسست وكأن اليوم المدرسي يستمر إلى الأبد - ما عدا وقت الامتحانات

والاختبارات، حين يبدو الأمر وكأن الثواني تقع فوق بعضها البعض محاولةً الهروب بأسرع ما يمكن. اليوم هو كذلك. مهما كانت رغبتي قوية بأن يجري كل شيء ببطء، يبدو وكأن الوقت يتدفق بسرعة، مثل الدم النازف. بالكاد وصلت على الوقت من أجل اختبار الأستاذ تيرني تماماً قبل أن يصرخ: "بدأ الوقت!". كشر في وجهنا أقسى تكشيراته، لا يهم، المهم أن أسلم ورقة الاختبار شبه مكتملة فقط. أعلم أن ذلك غير مهم، ولكنني فعلت ما في وسعي على أية حال. أريد أن أقضي يوماً أخيراً يسير كل شيءٍ فيه بشكلٍ طبيعي، يوماً مثل مليون يومٍ آخر قد عشته. يوماً أسلم فيه ورقة اختبار مادة الكيمياء، وأقلق حيال إذا ما كان الأستاذ تيرني سيفعل ما هدد به ويتصل بجامعة بوسطن. ولكني لن أشعر بالندم لوقتٍ طويل بسبب الاختبار. لقد تجاوزت مرحلة الندم على الأمور الآن. عندما حان وقت حصة الرياضيات، توجهت إلى الأسفل مبكراً وأنا أشعر بالهدوء. جلست على مقعدي بسرعة قبل عدة دقائق من موعد رن الجرس، أخرجت كتاب الرياضيات ووضعته في منتصف مكتبـي تماماً. أنا أول من يحضر من الطلاب.

أتى الأستاذ ديملر وانحنى على مكتبـي، ابتسم لي. لاحظت للمرة الأولى أن أحد أنيابه مدبب أكثر من الطبيعي، مثل أنياب مصاص دماء. أشار إلى مكتبـي: "ما هذا يا سام؟ أتيت أبكر بثلاث دقائق وجاهزة تماماً للدرس؟ هل بدأت بالتحول إلى طالبة أفضل؟".

قلت بالنبرة نفسها: "شيءٌ ما من هذا القبيل". ووضعت يدي فوق كتابـي.

"حسناً، كيف حالك في يوم كيوبيد؟". وضع حبة

نعنع معطر للفم في فمه، وانحنى ليقترب أكثر. يقرفني ذلك، وكأنه يعتقد أنه يستطيع إغرائي برائحة فمه العطرة. "هل لديك مخططات رومانسية كبيرة لليلة؟ أتحتفظين بواحدٍ مميّز ليضمك؟". رفع حاجبيه ونظر إليّ. قبل أسبوعٍ كان هذا يجعلني أفقد الوعي. أما الآن فأشعر ببرودة تامة. فكرت كم كان ملمس وجهه خشناً على وجهي، وكم كان ثقيلاً، ولكن ذلك لم يجعلني أشعر بالغضب أو الخوف. ثبتت نظري على عقده المصنوع من القنب، والذي يبرز كالعادة من تحت ياقة قميصه. للمرة الأولى، أشعر أن ذلك مثير للشفقة بشكلٍ ما. من يرتدي الشيء نفسه لمدة ثماني سنواتٍ متواصلة؟ سيكون ذلك مثل أن أصر على ارتداء قلادات الحلوى ذاتها التي كنت أحبها حين كنت في الصف الخامس.

قال: "سنرى". وابتسمت ابتسامةً مصطنعة. "ماذا عنك؟ هل ستمضي الليلة منفرداً؟ وتجلس إلى طاولة لشخصٍ واحد؟".

انحنى أكثر، حافظت على ثبات جلستي، وبذلت قصارى جهدي كي لا أبتعد.

"لماذا تفترضين ذلك؟". غمزني، من الواضح أنه يعتقد أنني أحب هذا النوع من المغازلة - وكأنني سأعرض عليه أن أقتل وحدته أو ما شابه.

ابتسمت ابتسامةً أعرض، وقلت بهدوء ولكن بشكلٍ واضح لكي يسمع كل كلمة بانتباه: "لأنك لو كان عندك حبيبة حقيقية لما كنت لتحاول مغازلة فتيات المدرسة الثانوية".

شهق الأستاذ ديملر بشكل مفاجئ، وتراجع بسرعة كبيرة حتى أنه كاد يقع. بدأ الطلاب بالتوافد إلى الصف الان، يثرثرون ويقارنون الورود، متجاهلينا تماماً. قد يكون الحديث الدائر بيننا عن وظيفة

دراسية أو درجة اختبار. حدق إليَ، وفمه ينفتح وينغلق، من دون أن تخرج منه الكلمات.

رن الجرس. هز الأستاذ ديملر كتفيه، وترنح بعيداً عن المكتب، ولكنه استمرَ يحدق إليَ. ثم دار حول نفسه دورةً كاملة كشخصٍ تائه. وفي النهاية تنحنح.

"حسناً، الجميع". تحشرج وسعل. حين تكلم مجدداً صدر صوته كنباح. "ليجلس الجميع الآن في مقاعدهم".

شاهدته يستدير وهو يتلمس جيبه باحثاً عن حبوب النعنع، تلوى وهو يضع واحدةً أخرى في فمه، عندها اضطررت لوضع يدي على فمي لأمنع نفسي من الانفجار بالضحك. رماني الأستاذ ديملر بنظرة من القرف التام، الأمر الذي صعّب عليَ أكثر مقاومة رغبتي بالضحك. نظرت بعيداً، ألتف نحو الباب. في اللحظة ذاتها التي دخل فيها كينت ماكفولر.

تبادلنا النظرات، وفي تلك اللحظة، بدا وكأن الصف قد انطوى على نفسه وتلاشت المسافة بيننا. تكبير للصورة، يراودني شعورٌ غامر، وكأنني أنجذب إلى عينيه الخضراوين الفاتحتين. انهار الوقت أيضاً، وعدت إلى تلك اللحظة التي كنا فيها على شرفة منزلي تحت الثلج المتساقط، أنامله الدافئة تداعب عنقي، ملمس شفتيه الناعم، همس صوته في أذني. لا شيء موجودٌ من دونه.

صوت الأستاذ ديملر بارد: "سيد ماكفولر، هل ترغب بالجلوس".

استدار كينت بعيداً عني، وضاعت اللحظة. تمتم اعتذاراً سريعاً للأستاذ ديملر واتجه إلى مقعده. ألتف إلى الخلف وأنا ألاحقه بعيني. أحب الطريقة التي ينسل فيها إلى مقعده دون أن يلمس المكتب، أحب الطريقة التي يُخرج فيها كتاب الرياضيات،

تخرج معه أوراق مجعدة عليها رسوم وخربشات، أحب الطريقة التي يلعب فيها بشعره وهو متوتر، يمرر أصابعه فيه ويبعده مع أنه في كل مرة يعود وينزل على عينيه.

"*آنسة* كينغستون. هل يمكنني أن أزعجك للحظة، وأحصل على القليل من وقتك *الثمين* وانتباهك".

حين التفتُ للنظر إلى مقدمة الغرفة. رأيت الأستاذ ديملر يحملق إليَ.

أقول بصوتٍ عالٍ: "حسناً، ما دام الأمر للحظة". فضحك الجميع. طوى الأستاذ ديملر شفتيه فأصبحتا عبارة عن خط أبيض رفيع ولكنه لم يقل شيئاً آخر.

فتحت كتاب الرياضيات، ولكنني لم أستطع التركيز. نقرت بأصابعي على الجزء السفلي من المكتب، شعرت بالحماسة ونفاد الصبر الآن بعدما رأيت كينت. تمنيت لو أستطيع إخباره بما أشعر به. تمنت لو أنني أستطيع أن أشرح له عما يجري بطريقةٍ ما، تمنيت لو أنه يستطيع أن يعرف. راقبت الساعة بتلهف. لا أستطيع الانتظار حتى يأتي كيوبيد. سيحصل كينت ماكفولر على وردة إضافية اليوم.

بعد الدرس، انتظرت في الرواق قدوم كينت، والفراشات ترفرف في معدتي. حين خرج، رأيته ممسكاً بحذر بالوردة التي أرسلت له، وكأنه يخشى أن تنكسر. ينظر إلى الأعلى، بوجه جدي ومهموم، عيناه تتفحصان وجهي بدقة.

"هل ستخبرينني بما يحصل؟". إنه لا يبتسم، ولكن هنالك نبرة في صوته تدل على أنه يحاول إغاظتي قليلاً، وألمح لمعة في عينيه.

قررت أن أرد عليه بأن أغيظه أيضاً، مع أن وقوفي

بالقرب منه هكذا يصعب التفكير عليَ. "لا أعرف عمّا تتكلم".

أمسك بالوردة عالياً وفتح الملاحظة لكي أقرأها، مع أنني بالطبع أعلم ما هو مكتوب فيها.

الليلة. اترك هاتفك شغالاً وسيارتك في الخارج، وكن بطلي.

قلت: "غامض". وحاولت كبت ابتسامة. بدا أكثر لطافةً حتى وهو قلق. "معجبة سرية؟".

"ليست سرية". لا تزال عيناه تجولان على صفحة وجهي، وكأن حل الأحجية مكتوب عليه، أجبرت نفسي على النظر بعيداً، كي لا أمسك به وأجذبه نحوي. توقف. "سأستضيف حفلةً اليوم في منزلي كما تعلمين".

أسرع: "أعلم. أعني، سمعت بها".

"إذن...؟".

أستسلم عن محاولة التلاعب بأفكاره. "اصغ إليَ، قد أحتاج منك أن تقلني من مكانٍ ما. لمدة عشرين دقيقة على الأكثر. ما كنت لأطلب ذلك منك لو لم يكن الأمر مهماً للغاية".

ابتسم نصف ابتسامة. "وعلى ماذا سأحصل في المقابل؟".

انحنيت بحيث أصبحت على بُعد بضعة إنشات من أذنه المثالية. رائحته - كالعشب المقصوص النضر والنعنع - إنها تسبب الإدمان. "سأكشف لك سراً".

"الآن؟".

ابتعدت "لاحقاً". وإلا لن أستطيع أن أكبح نفسي عن تقبيل عنقه. لا أعلم ما خطبـي. لم أكن *أبداً* هكذا مع روب. بالكاد يمكنني السيطرة على نفسي وأنا بجوار كينت. ربما الموت لعدة مراتٍ يعبث

بهرمونات المرء أو ما شابه. يعجبني ذلك بعض الشيء.

استعادت ملامحه جديتها. "ما كتبته هنا..." يشير بإصبعه إلى الملاحظة، يطويها ويفتحها من جديد، عيناه تبرقان، تتقدان باللون الذهبـي. "المقطع الأخير... مقطع البطل... كيف -؟".

تتسارع نبضات قلبـي، وللحظة أشك بأنه يعلم بما يحصل - أشك بأنه يذكر. الصمت ثقيل بيننا، يتأرجح كل ما مر ومضى وذكر وأصبح طي النسيان وكل الرغبات هنالك مثل رقاص الساعة. "كيف ماذا؟". بالكاد يمكنني أن أتفوه بتلك الكلمتين.

يتنهد ويهزّ رأسه. "لا شيء، انسي الأمر، إنه غبـي".

"أوه" أدرك أنني كنت أحبس أنفاسي، وأستنشق الهواء، وأنظر إلى البعيد كي لا يرى كم خاب ظني. "بالمناسبة، شكراً لك على الوردة".

من بين كل الورود التي حصلت عليها في حياتي، هي الوردة الوحيدة التي احتفظت بها. *إنها المفضلة لدي*. هذا ما كنت لأقول، حين أوصلتها ماريان سكايز لي.

نظرت إلى الأعلى نحوي، مندهشة، وثم نظرت حولها، وكأنني من المستحيل أن أتكلم معها حقاً.

ثم أدركت أنني كنت أتحدث معها بالفعل، توردت وجنتاها وابتسمت.

قالت بخجل، *لقد حصلت على كثير من الورود*.

قلت *المشكلة هي أني لن أتمكن يوماً من إبقائها على قيد الحياة، إنني منحوسة*.

قالت بحماس *عليك أن تقصي البراعم بزاوية معينة*، ثم احمرت وجنتاها مجدداً، *علمتني شقيقتي ذلك. اعتادت أن تمارس الزراعة*. ثم نظرت بعيداً

وهي تعض شفتها.

قلت *عليك أن تأخذيها*.

حدقت إليّ للحظة وكأنها تشك بأني كنت أمازحها. قالت *أتعنين أن أحتفظ بها؟* وذكرتني بإيزي.

قلت *إني أقول لك، لا يمكنني أن أتحمل مسؤولية المزيد من جرائم القتل بحق الورود. يمكنك أن تأخذيها إلى المنزل. أتملكين مزهرية؟*

توقفت لجزءٍ إضافي من الثانية، وتحولت تعابير وجهها إلى ابتسامة متوردة، تغيرت ملامحها بالكامل. قالت: *سأبقيها في غرفتي*.

رفع كينت حاجباً: "كيف علمتِ أنني من أرسلها؟".

دورت عيني: "الأمر واضح، لا أحد غيرك يرسم الشخصيات الكرتونية طوال الوقت".

وضع يده على صدره، متظاهراً أنه يشعر بالإهانة. "إنني أحب ذلك. وهي ليست غريبة".

"كما تقول. حسناً أشكر ملاحظتك الطبيعية تماماً".

ضحك: "على الرحب والسعة". وقفنا بالقرب من بعضنا، أشعر بالحرارة التي يصدرها جسده.

"حسناً، هل ستكون فارس أحلامي الذي يرتدي درعاً لامعة أم ماذا؟".

انحنى بعض الشيء "أنت تعلمين أنني لا أستطيع مقاومة مساعدة آنسة مثلك تواجه المصاعب".

"علمت أنني أستطيع الاعتماد عليك". كان الرواق شبه فارغ الآن. الجميع يتناولون الغداء. للحظة وقفنا هنالك ونحن نبتسم ببساطة. ثم رقت نظرة عينيه وبدأ قلبي بالتحليق. أحسّ بكل شيءٍ فيّ يرفرف ويتمتع بالحرية، أريد أن أحلق عن الأرض في أي لحظةِ الان. أفكر، موسيقى، *إنه يجعلني احسّ بموسيقى*. ثم أفكر، *سيقوم بتقبيلي الان، في*

جناح الرياضيات من مدرسة توماس جيفرسون الثانوية وأكاد أفقد الوعي.

لكنه لم يقبلني، بل مد يده بدلاً من ذلك ولمس كتفي بلطف، ثم أزال أصابعه حتى يترك ذلك الشعور المدغدغ على جلدي. "أراك الليلة إذن". ابتسامة خاطفة. "من الأفضل أن يكون سرَك جيداً".

"إنه مذهل، أعدك بذلك". أتمنى لو كان في وسعي أن أتذكر كل تفصيل من تفاصيله. أريده أن ينطبع في عقلي. لا يمكنني أن أصدق كم كنت عمياء طوال هذه الفترة. أبدأ بالتراجع قبل أن أفعل شيئاً جامحاً وغير ملائم، مثل القفز عليه.

أوقفني: "سام؟".

"أجل".

تتفحصني عيناه مجدداً، وأفهم الآن لما قد قال لي مسبقاً أنه يستطيع الرؤية من خلالي. لقد كان منتبهاً حقاً. أشعر وكأنه يقرأ أفكاري في هذه اللحظة، وهو شعور محرج أكثر من اللازم بقليل، بما أن كل أفكار في هذه اللحظة تتمحور حول مدى جمال شفتيه. يعض شفتيه وينقل خطواته قليلاً. "لماذا أنا تحديداً؟ أعني من أجل الليلة. لم نتحدث حقاً منذ، حوالى، سبعة أعوام...".

"ربما أحاول التعويض عن الوقت الضائع". أستمر بالابتعاد عنه، ببطء شديد.

قال: "أنا جدي، لماذا أنا؟".

فكرت بكينت وهو يمسك بيدي في الظلام، يقودني في الغرف التي يتخللها نور القمر. فكرت بصوته وهو يرنم لي كي أنام، يغمرني مثل مد البحر. فكرت بتوقف الوقت حين أمسك بوجهي وقرَب شفتيه من شفتي.

قلت: "ثق بـي، أنت الشخص الوحيد المناسب".

الفرص الثانية

كانت هدية كينت أولى التعديلات التي قمت بها في غرفة الورود هذا الصباح، وحالما دخلت الكافيتريا استطعت رؤية أن روب حصل على هديته. ابتعد عن أصدقائه وتقدم نحوي قبل أن أتمكن من الوصول إلى طابور الغداء (حيث خططت لأن أطلب شطيرة لحمِ مشوي مزدوجة). كالعادة، بالكاد تتوازن قبعة فريق اليانكي الغبية على رأسه، مائلة على الطرف وكأنه في فيديو لأغنية راب من عام 1992.

"مرحباً حبيبتي". حاول وضع ذراعه حولي، فأبتعد عنه بشكلٍ رسمي. "حصلت على وردتك".

"شكراً، حصلت على وردتك أيضاً".

نظر حوله، رأى وردةً وحيدة مربوطة بمسكة حقيبتي المدرسية، فعبس. "هل هذه لي؟".

هززت رأسي بما يفيد نعم، فابتسم بلطف.

فرك جبينه، يفعل هذا دوماً حين يفكر، وكأن قيامه باستخدام عقله لمرة يتسبب بصداع في رأسه. "ما حصل لكل ورودك؟".

قلت: "إنها مخزنة". وهذا صحيح بعض الشيء.

هز رأسه. "حسناً، هذا الفتى كين أو كايل يقيم حفلة في منزله اليوم..." ابتعد قليلاً ومن ثم أمال رأسه وابتسم لي. "ظننت أنه سيكون من المسلي لو ذهبنا لبعض الوقت". مد يده ووضعها على كتفي، ودلكني بقوة. "كما تعلمين، بعض المداعبة".

ما من أحد سوى روب يعتقد أن كرع الجعة ذات الرغوة من برميل والصراخ على الناس هو مداعبة، لكنني قررت مسايرته وقلت: "مداعبة؟" بأكبر قدرٍ

ممكن من البراءة.

بدا أنه ظنني أغازله. فابتسم وأمال رأسه إلى الخلف، ونظر إليَ بعينيه الضيقتين. كنت أعتقد أنه يبدو لطيفاً للغاية حين يفعل هذا؛ الآن الأمر أشبه بمشاهدة لاعب ظهير يحاول رقص السامبا. ربما قد تعلم جميع الخطوات، ولكنه لا يبدو كراقص.

قال بهدوء: "أتعلمين، أحب حقاً ما كتبته في الملاحظة".

سألت بصوت ناعم: "حقاً؟". وفكرت بما خربشت صباح اليوم: *لست مضطراً لأن تنتظرني بعد الآن.*

"حسناً، كنت أفكر بالذهاب إلى الحفلة الساعة العاشرة وأبقى لساعة أو ساعتين". هزَ كتفيه وعدَل قبعته، وعاد إلى الصفقة الآن بعدما انتهى من المغازلة.

شعرت فجأة بالتعب. خططت لأن أعبث مع روب قليلاً - لأنتقم منه لعدم انتباهه، لعدم وجوده بالقرب مني، لعدم اكتراثه بشيء عدا الاحتفال ولعبة اللاكروس وكيف يبدو مظهره وهو يرتدي قبعة اليانكي الغبية تلك - ولكن لا يمكنني الاستمرار باللعب بعد الآن. "لا أكترث حقاً لما ستفعله يا روب". يتردد. ليست هذه الإجابة التي توقع سماعها. "ستنامين في الخارج الليلة، صحيح؟".

"لا أعتقد ذلك".

مرر يدَه على جبهته مجدداً المزيد من الفرك. "ولكنك قلت...".

"قلت إنه ليس عليك انتظاري بعد الآن". آخذ نفساً عميقاً. *واحد، اثنان، ثلاثة، اقفزي.* "لن يجدي هذا نفعاً يا روب، أريد أن أنهي هذه العلاقة".

خطا خطوة إلى الخلف. شحب لون وجهه، ثم

تحول إلى اللون الأحمر الفاقع من جبهته ونزولاً، وكأن أحداً ما يملاه بالكول إيد. "ما الذي قلته؟".

"قلت إنني سأهجرك". لم أفعل شيئاً مثل هذا من قبل، وأنا متفاجئة من مدى سهولة ذلك. التخلي عن الأشخاص أمر سهل جداً: يقع كل شيءٍ إلى الأسفل. "في الحقيقة، إنني لا أرى أن ما بيننا يجري على ما يرام".

"لكن - لكن -" تمتم أمامي. تبدلت تعابير وجهه من الارتباك إلى الغضب العارم. "لا يمكنك تركي".

تراجعت بشكلٍ تلقائي، وكتفت ذراعي. "لماذا لا يمكنني؟".

نظر إليَ وكأنني أغبى شخص على الإطلاق. قال: "*أنت*" وهو على وشك أن يبصق الكلمات. "لا يمكنك تركي".

ثم أفهم ما يحصل. روب يذكر *بالفعل*. يذكر أنه في الصف السادس قد قال إنني لست رائعة بما يكفي له - إنه يذكر ذلك، ولا يزال يؤمن به. تلاشى ما تبقى من التعاطف الذي شعرت به تجاهه في تلك اللحظة، وبينما يقف هناك، محمر الوجه وقبضتاه جاهزتان، أندهش لأنني أراه قبيحاً للغاية.

قلت بهدوء: "بل يمكنني فعل ذلك، فعلته لتوي".

"*وانتظرتك*. انتظرتك *لأشهر*". يلتفت بعيداً، ويتمتم شيئاً ما لم أسمعه.

"ماذا؟".

يلتفت نحوي مجدداً. وجهه ملتوٍ بالغضب والقرف. لا يمكن أن يكون هذا الشخص هو الشخص ذاته الذي اتكأ على كتفي ودعاني ببطانيته الشخصية. وكأنه كان يرتدي قناعاً والآن أظهر وجهاً مختلفاً.

قال ببرود: "قلت إنه كان عليَ أن أضاجع غابي

هاينز حين طلبت مني ذلك في الاستراحة".

أشعر بشيءٍ ما في معدتي، بقايا الألم أو الكرامة، ولكنه يمر بسرعة كافية ويتم استبداله بشعور السكينة. لقد غادرت هذا المكان بالفعل، إنني أحلق فوق كل هذا، ويمكنني فجأة أن أفهم ما شعرته جولييت لوقت طويل. التفكير بها يعيد إليَ القوة، فأبتسم.

قلت بلطف: "لم يفت الأمر بعد... ربما فرصة ثانية". ومن ثم سرت لتناول غدائي الأخير مع صديقاتي المقربات.

بعد عشر دقائق، حين أجلس في النهاية على طاولتنا المعتادة - أنهش شطيرة لحم مشوي هائلة الحجم مع المايونيز وصحن مليء بالبطاطس المقلية، لم يسبق لي أن شعرت بهذا القدر من الجوع منذ فترة - أتت جولييت إلى الكافيتريا، أرى أنها وضعت وردة وحيدة في قنينة الماء الفارغة خاصتها والتي ربطتها على جانب حقيبة ظهرها. إنها تنظر في الأرجاء أيضاً، وجهها منبثق من بين خصل شعرها المقسومة إلى نصفين، تتفقد كل طاولة تمر بها، تبحث، تحاول إيجاد أدلة. عيناها متنبَهتان، تلمعان. إنها تعضَ شفتها، ولكنها لا تبدو بائسة. إنها تبدو حية. أشعر بغصة في قلبي: هذا هو الأمر المهم.

عندما مرت بالقرب من طاولتنا، رأيت ملاحظة مطوية ترفرف تحت بتلات الوردة خاصتها، ومع أنني أبعد من أن أستطيع قراءتها، يمكنني أن أرى ما كُتب عليها بوضوح، حتى حين أغمض عيني. جملة واحدة.

لم يفت الأوان بعد.

سألت ليندزي في طريقها إلى متجر ذا كاونتريز

بيست يوغرت: "ما خطبك اليوم؟". وصلنا تقريباً إلى الصف الكبير، خطّ من المتاجر الصغيرة المتناثرة على قمة الهضبة مثل الفطر. بطانية من الغيوم الداكنة بدأت تغطي الأفق ببطء، جالبةً معها أملاً بتساقط الثلج. شعرت بألمٍ عابر في صدري حين فكرت أني قد لا أرى الثلج مرة أخرى.

"ما الذي تعنينه؟". إننا نمشي شابكتين ذراعينا، في محاولة لنبقى دافئتين. أردت أن تأتي آلي وإيلودي معنا، ولكن كان على إيلودي أن تذهب إلى اختبار اللغة الإسبانية، وأصرت آلي على أنها إن فوتت حصة إضافية للغة الإنكليزية فقد تُفصلُ... لذا لم أرد أن أصرَ أكثر من اللازم.

يومٌ مثل أي يومٍ آخر.

"أعني، لماذا تتصرفين بغرابة هكذا؟".

حاولت أن أجد إجابة، وتابعت ليندزي حديثها: "أعني، الشرود وقت الغداء وهذه الأمور". عضت شفتها. "وصلتني هذه الرسالة من إيمي ويس...".

"أجل؟".

"من الواضح أن إيمي ويس مجنونة، ولا يمكنني أن أصدق أبداً أي شيءٍ مما تقوله، وخصوصاً عنك".

لطفت ليندزي الأمر على الفور.

قلت: "طبعاً". شعرت بالسرور، متأكدة تماماً من المجرى الذي سيأخذه هذا الحديث.

"ولكن..." أخذت ليندزي نفساً عميقاً وقالت باستعجال: "تقول إنها كانت تتكلم مع ستيف ويتمان، الذي كان يتكلم مع روب، الذي قال إنكما قطعتما علاقتكما؟". رمقتني ليندزي بنظرة وحاولت الضحك. "أخبرتها أن هذا هراء بالطبع".

توقفت قليلاً، اخترت كلماتي بحذر. "إنه ليس

هراءً. بل هذا ما حصل بالفعل".

توقفت ليندزي وحدقت إليّ وقالت: "*ماذا؟*".

"تركته وقت الغداء".

هزت رأسها، وكأنها تحاول إخراج الكلمات من دماغها. "ممم، وهل كنت تخططين لمشاركة هذه الأخبار الصغيرة معنا في مرحلة ما؟ مع *صديقاتك المقربات*؟ أم كنت تنتظرين أن نعلم بها بمفردنا؟".

يمكنني أن أرى أنها متضايقة حقاً. "اصغ لي، ليندزي. كنت سأخبرك -".

وضعت يديها على أذنيها، وهزت رأسها. "لا أفهم. ماذا حصل؟ كان من المفترض أنكما - أعني، أخبرتني أنكما كنتما تريدان - *الليلة*".

تنهدت. "لهذا لم أرد إخبارك يا ليندز. علمت أنك ستجعلين من الأمر مسألة كبيرة".

"لأنها بالفعل مسألة كبيرة".

كانت ليندزي ممتعظة جداً لدرجة أنها لم تلحظ مرورنا بهونان كيتشن: إنها مشغولةٌ كثيراً بالتحديق إليّ وكأنها تتوقع مني أن أتحول فجأة إلى اللون الأزرق أو أن أحترق، وكأنني أصبحت غير جديرة بالثقة بعد الآن.

خطر لي أنها *حقاً* ستشعر بذلك بعدما أقوم بما أنا على وشك القيام به، ولكن ما من سبيل آخر. نظرت إليها وضعت ذراعي على كتفيها. "انتظري هنا للحظة، حسناً؟".

أغمضت عينيها وفتحتهما: "إلى أين أنت ذاهبة؟".

"عليّ أن أمر إلى هونان كيتشن لبعض الوقت". أتمالك نفسي، أنتظرها حتى تفقد صوابها. "أملك شيئاً لكيتي كارجولو".

جهزت نفسي لأراها تصرخ أو تهرب أو ترمي

حلوى الدببة المطاطية عليَ أو شيئاً ما، ولكن بدلاً من ذلك، اختفت تعابير وجهها تماماً، وكأن أحداً ما قد ضغط على زر إيقاف التشغيل. قلقت قليلاً من دخولها في صدمة، ولكن الفرصة الحالية أثمن من أن تُفوَت.

قلت: "دقيقتان، أعدك بذلك". دخلت هونان كيتشن قبل أن تتمكن ليندزي من العودة إلى الواقع - وموقفها الحالي -. رن جرسٌ على الباب وأنا داخلة. نظر آليكس إلى الأعلى، قلق للحظة، ومن ثم تظاهر بالابتسام.

تجاهلته وذهبت مباشرة إلى كيتي. كانت تتكئ برأسها على كتفها، تدفع الطعام في صحنها. الأمر هكذا أكثر أماناً بكثير من أكله.

"مرحباً". لسببٍ ما شعرت بالتوتر. هنالك أمرٌ مقلق في هدوئها، في الطريقة التي تنظر فيها إليَ من دون تعابير. ذكرني ذلك بجولييت. "أتيت فقط لأعطيك شيئاً".

"تعطيني شيئاً؟". قلبت شفتها إلى الداخل، بدت متشككة، ولم تعد تذكرني بجولييت كثيراً بعدها. لا بد أنها تعتقد أنني قد جننت. طوال هذا الوقت لم نتبادل كلمة، ولا يمكنني سوى أن أتخيل ما تعتقد أنني سأعطيها.

نقل آليكس نظره بيني وبين كيتي، بدا عليه الارتباك مثلها. أدركت أن ليندزي تراقبني من خلال النافذة المتسخة، صدمني بعض الشيء حقيقة أنه هنالك ثلاثة أشخاصٍ يحدقون إليَ في آن واحد وكأنني جننت. مددت يدي نحو حقيبتي، يداي ترتجفان قليلاً.

"نعم، اصغ إليَ، أعلم أن هذا غريب. ولا يمكنني حقاً تفسير الأمر، ولكن..." أخرجت كتاباً كبيراً

للوحات إم سي إيشر ووضعته على الطاولة بالقرب من صحن دجاج السمسم. أو اللحم البرتقالي، أو القطط المطهية. أو ما شابه.

تتجمد كيتي في مكانها، حدقت إلى الكتاب وكأنه على وشك أن يعضها.

قلت على الفور: "بدا لي فقط كالأشياء التي تعجبك عادةً" وابتعدت عن الطاولة بعض الشيء. بعد أن أنتهى القسم الصعب، شعرت أنني أفضل بآلاف المرات. "هنالك أكثر من مئتي صفحة من الرسوم. يمكنك حتى أن تعلقي البعض منها، إن كان لديك مكان لتعليقها".

شيءٌ ما وتر وجه كيتي. لا تزال تحدق إلى الكتاب الموضوع على الطاولة، يداها تستريحان في حضنها. تمكنت من رؤية كم تضغط على قبضتيها بقوة.

كنت على وشك الالتفاف والخروج من الباب حين ظهرت. التقت عيوننا. إنها لا تعلم شيئاً، وفمها مسترخٍ. إنها ليست ابتسامة، ولكنها تكاد تكون كذلك وعبارة عن شكر أيضاً.

سمعت آليكس يقول: "ما الذي يجري؟" خرجت من الباب، رن الجرس رنة حادة خلفي.

لا تزال ليندزي تقف تماماً كما تركتها. أعرف أنها كانت تنظر خارج النافذة؟".

قالت: "الآن أعلم أنك فقدت صوابك".

"قلت لك، أنا لا أعرف ما الذي تتكلمين عنه". شعرت بالحماسة بعد أن انتهى الأمر.

"هيا. أريد الحصول على بعض الزبادي".

لم تتحرك ليندزي من مكانها. "فقدت عقلك، جننت تماماً، خرجت عن السيطرة. منذ متى تأتين بالهدايا

لكيتي كارجولو؟".

تنهدت. يمكنني أن أرى بوضوح عدم رغبتها بنسيان الأمر. "تحدثت معها للمرة الأولى قبل بضعة أيام، حسناً؟" لا تزال ليندزي تحدق إليّ وكأن العالم يذوب ويختفي أمام عينيها. أعلم ذاك الشعور. "إنها لطيفة جداً في الواقع. أعني، أعتقد أنك لو منحتها فرصةً فقد تعجبك -".

أصدرت ليندزي صوت صرير حاد، وصفعت أذنيها بيديها مجدداً، وكأن الكلمات بحد ذاتها تعذبها وتؤلمها. استمرت بالصياح هكذا بينما تنهدت وتفقدت ساعتي، منتظرة إياها كي تهدأ.

أخيراً، هدأت وتحول صوت الصرير إلى صوت غرغرة في حلقها. إنها تنظر إليّ بعينين مزمومتين. فقدت السيطرة على نفسي وقهقهت. بدت كمن فقد عقله تماماً.

سألت: "هل انتهيت؟".

"هل عدتِ؟".

أزالت يداً واحدة عن أذنها بشكل مؤقت، تجربة.

"من الذي سيعود؟".

"سامانثا إيميلي كينغستون. أفضل صديقاتي. حبيبتي لمدى الحياة والتي تحب الجنس الآخر". مالت إلى الأمام ونقرت جبهتي بأصابعها. "بدلاً من هذهِ الروبوتة التي تم العبث بعقلها والتي تترك حبيبها وتعجبها كيتي كارجولو التي انتحلت شخصيتها".

دورت عيني. "لمعلوماتك، أنت لا تعرفين كل شيءٍ عني".

وقفت ليندزي مكتوفة اليدين: "يبدو أنني لا أعرف اي شيءٍ عنك". أمسك بكم سترتها، فتتقدم بتثاقل

مترددة. من الواضح أنها متضايقة حقاً. وضعت ذراعي حولها وعصرتها. إنها أقصر مني بكثير لدرجة أني أضطر للتحرك بخطوات صغيرة لكي نبقى على نفس السرعة، ولكنني أدعها تحدد الإيقاع.

قلت: "أتعلمين ما هي نكهتي المفضلة من الزبادي؟".

تنهدت ليندزي. وتمتمت: "الشوكولا المزدوجة". ولكنها دفعتني بعيداً عنها، وهذه علامة جيدة. "مع قطع زبدة الفستق المسحوقة وحبوب كاب إن كرانش".

"وأعلم أنك تعلمين على أي قياس سأحصل".

إننا على باب متجر ذا كاونتريز بيست يوغرت الآن، ويمكنني أن أشتم رائحة العبق الكيميائي الحلو اللذيذ التي تتدفق باتجاهنا. إنها مثل رائحة الخبز في صابواي. أنت تعلم أنها ليست رائحة الخبز الطبيعي، ولكنْ شيءٌ ما فيها يسبب الإدمان.

نظرت ليندزي إليَ شزراً، وأنا أرفع ذراعي عنها. تعابير وجهها حزينة جداً لدرجة أنها أصبحت مضحكة، اختنقت بضحكةٍ أخرى.

قالت: "من الأفضل أن تكوني حذرة، يا ملكة القياس الكبير". ورفعت شعرها إلى الخلف. "كل تلك الطعمة الشهية الاصطناعية ستنزل مباشرةً إلى وركيك".

ولكنني رأيت ابتسامة تحاول الظهور على شفتيها، وعلمت أنها سامحتني.

الصداقة، قصة

إن كان عليّ اختيار ثلاثة أشياء أحبها في كل واحدة من صديقتها، ستكون كالتالي:

الي:

1. أمضت كل عامها الثاني في الثانوية وهي تجمع تماثيل البقر الخزفية الصغيرة وتقرأ حقائق غامضة عنها على الإنترنت بعد أن قامت إحداها - أعني بقرة حقيقية - بلف لسانها حول رسغها حين كانت في عطلة في فيرمونت.

2. تطبخ من دون استخدام الوصفات، من المؤكد أنها ستقدم يوماً ما برنامج عن الطبخ، وقد وعدتنا باستضافتنا فيه جميعاً.

3. تخرج لسانها بأكمله حين تتثاءب، مثل القطط.

إيلودي:

1. تملك نبرة صوتٍ مثالية، وصوتها أكثر صوتٍ صافٍ وغني يمكنك تخيله، مثل الشراب المحلى المنسكب فوق الفطائر المحلاة الساخنة، ولكنها لا تتباهى أبداً وتغني فقط حين تكون وحدها في الحمام.

2. ذات مرة، استمرت لعام مدرسي كامل بارتداء قطعة ملابس خضراء واحدة على الأقل كل يوم.

3. تشخر حين تضحك، الأمر يجعلني أضحك أيضاً.

ليندزي:

1. ترقص دوماً، حتى حين لا يرقص أحدٌ سواها، حتى من دون موسيقى - في الكافيتريا، في الحمام، في مطعم مركز التسوق.

2. استمرت برمي مناديل المرحاض على منزل تود هورتون كل يوم لمدة أسبوع بعدما أخبر الجميع أن إيلودي تُقبَل بشكل سيَئ.

3. ذات مرة بدأت بالجري بأقصى سرعة بينما كنا نختصر الطريق عبر الحديقة، ركضت بكل قوتها في الحقول مرتدية سروالها الجينز وجزمة صينية، بدأت بالجري أيضاً ولكنني لم أتمكن من مجاراتها

قبل أن نقف كلانا من التعب، متنشقتين هواء الخريف البارد، شعرت برئتي على وشك الانفجار، وحين ضحكت وقلت: "لقد فزت"، رمقتني بأغرب نظرة من فوق كتفها، ليست نظرة لئيمة، بل لأنها فقط لم تصدق أنني كنت هنالك خلفها، ثم استوت وقالت: "لم أكن أسابقك".

أعتقد أنني فهمت ما تعنيه الآن.

إنني أفكر بكل تلك الأشياء في منزل آلي، أشعر وكأنني لم أقلها بما يكفي، أو حتى لم أقلها، أشعر أننا أمضينا كثيراً من الوقت نهزأ ببعضنا البعض أو نثرثر حول أشياء غير مهمة، أو نأمل لو كانت الأشياء مختلفة والناس مختلفون - أفضل، أكثر إثارة للاهتمام، ألطف، أكبر. ولكن من الصعب إيجاد طريقة مناسبة لقول ذلك الآن، لذا بدلاً من أن أضحك معهن بينما تجول ليندزي وإيلودي في المطبخ، وتحاول آلي بشكلٍ هستيري أن تصنع شيئاً ما يؤكل من صلصة بيستو الإيطالية التي كانت موجودة منذ يومين وبعض البسكويت المملح. وحين وضعت ليندزي ذراعيها حول كتفي، وتلتها آلي وإيلودي إلى جانب آلي الآخر، وقالت ليندزي: "أحبكنَ أيتها العاهرات حتى الموت. أنتن تعلمن هذا، صحيح؟". وصرخت إيلودي: "عناق جماعي!" فانضممت إليهن وطوقتهن بذراعي وشددت حتى هربت إيلودي، وضحكت قائلة: "إن ضحكت أكثر من هذا فأنا قد أتقيأ".

السر

"أنا فقط لا أفهم الأمر" عبست ليندزي في المقعد الأمامي، في منتصف ممر منزل كينت، حيث ينتهي رتل السيارات. "كيف سنعود إلى المنزل؟".

تنهدت وفسرت الأمر للمرة الألف: "سأجد من

يوصلنا، حسناً؟".

"لم لا تدخلين معنا الآن ببساطة؟". تذمرت آلي من المقعد الخلفي، للمرة الألف قلت "فقط أتركي السيارة اللعينة".

"وأدعك تقودين السيارة يا ملكة جمال الفودكا؟". التفتت إلى الخلف وحدقت مباشرة إلى زجاجة الفودكا التي في يديها، وفهمت أن ما قلته كان تلميحاً لها لتشرب جرعةً أخرى.

دورت عينيَ: "الأمر غير مهم، فأنت لا يمكنك القيادة حتى وإن كنت صاحية".

ضحكت إيلودي وأشارت إلى ليندزي وقالت: "احذري وإلا فإنك ستذهبين إلى المدرسة سيراً على الأقدام من الآن فصاعداً".

"هيا بنا، إننا نفوت الحفلة". رتبت آلي شعرها بأصابعها، وأخفضت رأسها لكي ترى نفسها على مرآة الرؤية الخلفية.

قلت: "امنحنني خمس عشرة دقيقة على الأكثر، سأعود قبل أن تصلن حتى إلى برميل الجعة".

"كيف ستعودين إلى هنا؟". لا تزال ليندزي ترمقني بنظرة متشككة، ولكنها فتحت الباب.

قلت: "لا تقلقي لقد أمنت توصيلة مسبقاً".

تذمرت ليندزي بعصبية: "حتى الآن لم أفهم لماذا لا تستطيعين إيصالنا ببساطة إلى المنزل لاحقاً". لا زالت غير راضية بالمخطط، ولكنها ترجلت من السيارة وتبعتها آلي وإيلودي. لم أتكبد عناء الإجابة. لقد فسرت مسبقاً وفسرت أكثر من مرة، وقد أخرج من الحفلة مبكراً. أعلم أنهن جميعاً يعتقدن أن ذلك بسبب وجود روب هنالك، ولأنني أخاف من فقدان أعصابـي أو شيء من هذا القبيل، لم أحاول تصحيح

ما يفكرن به.

خططث لأن أوصل السيارة إلى منزل ليندزي، ولكن بعدما أن وصلت إلى الطريق 9، وجدت نفسي من دون قصد على طريق المنزل. شعرت بالسكينة، بالفراغ، وكأن كل الظلمة الموجودة في الخارج تسللت بشكلٍ ما إلى داخلي، وأطفأت كل ما فيَ. إنه ليس شعوراً سيئاً. إنه أمر كأنك في مسبح تتخبَط على ظهرك حتى تجد ذلك التوازن المثالي الذي يمكنك من الطفو بسهولة من دون التفكير بالأمر.

إن معظم الأنوار في منزلي مطفأة. خلدت إيزي إلى الفراش قبل بضع ساعات. لمحت ضوءاً أزرق خافتاً في المنزل. لا بد أن والدي يشاهد التلفاز. في الطابق العلوي هناك نورٌ قادم من الحمام. يمكنني من بين الظلال أن أرى شكل شخصٍ يتحرك في الأرجاء، لذا تخيلت أمي وهي تضع كريم كلينيك على وجهها، وهي تحاول الرؤية من دون عدساتها، وتخيلت كم روب استحمامها الممزق يرفرف مثل جناح طائر. كالعادة، تركا ضوء الشرفة مناراً من أجلي، حتى لا أضطر للبحث مطولاً في حقيبتي عن المفاتيح. لا بد أنهما يعدان مخططاتٍ من أجل الغد، ربما يتساءلان ما سيعدانه من أجل الفطور أو إن كانا سيوقظاني قبل الظهيرة. للحظة، سيطر عليَ شعورٌ بالحزن على كل ما أفقده - كل ما فقدته بالفعل، فقدته قبل أيام من جزءٍ من الثانية من الوقوع والتشتت حين انتزعت حياتي من محورها -، وضعت رأسي على المقود وانتظرت أن يمضي هذا الشعور، وبالفعل مضى، لقد انحسر الألم بعيداً عني، واسترخت عضلاتي، وشعرت مرة أخرى أن كل شيءٍ يجري بشكلٍ مثالي.

بينما قدت السيارة عائدةً إلى منزل ليندزي، فكرت

بشيءٍ تعلمته قبل سنوات في درس العلوم، وهو أن الطيور حتى لو انفصلت عن سربها فإنها تستطيع الهجرة بشكل غريزي. إنها تعرف الطريق بالرغم من أنها لم تسلكه من قبل. كان الجميع منبهراً بهذا ويتحدث عن روعته، ولكن الآن، لا يبدو ذلك غريباً جداً. ذلك هو شعوري الآن: وكأنني في الهواء، وحيدة تماماً، ولكن بشكلٍ ما، أعلم تماماً ما عليَ القيام به.

قبل عدة أميال من منزل ليندزي، أخرجت هاتفي وطلبت رقم كينت. خطرت لي فكرة أنه ربما يعتقد أنني كنت أمزح اليوم. ربما لن يرد على المكالمة إن لم يعرف رقم المتصل، أو ربما هو مشغول كثيراً بمنع الناس من التقيؤ على سجادات والديه الشرقية، ولن يسمع رنين الهاتف. عددت الرنات، وازداد توتري مع كل واحدة، واحدة، اثنتان، ثلاثة.

عند الرنة الرابعة، سمعت صوتاً متلعثماً. ثم صوت كينت، الدافئ والمهدئ: "معك شركة الأبطال الوسماء، ننقذ النساء اللواتي يتعرضن لمصاعب، والأميرات المحبوسات، والفتيات اللواتي بحاجة إلى توصيلة منذ عام 1684. كيف يمكنني مساعدتك؟".

قلت: "كيف علمت أنني المتصلة؟" سمعت صوت الموسيقى الصاخبة وأصوات الناس العالية. ثم سمعت كينت يغطي الهاتف ويصرخ: "إلى الخارج!" ثم صوت انغلاق الباب، وفجأة خمدت أصوات الضجيج.

قال بصوت ساخر: "من غيرك قد يكون المتصل؟ الجميع هنا". عدَل شيئاً ما فأصبح صوته أعلى. لا بد أنه ملتصق بسماعة الهاتف. يشتتني التفكير بشفتيه.

"حسناً، كيف الحال؟".

قلت: "أرجو ألاّ تكون سيارتك محبوسة، لأنني بحاجة كبيرة لتوصيلة".

في طريق العودة إلى منزل كينت، صمتنا طوال الوقت، لم يسألني لما كنت واقفة في منتصف ممر منزل ليندزي، ولم يلح لمعرفة السبب وراء اختياري له لكي يكون سائقي. أنا ممتنة لذلك، وسعيدة لمجرد جلوسي صامتة بالقرب منه، أشاهد المطر وظلال الأشجار تحت السماء. حين انعطفنا نحو ممر منزله، والذي أصبح الآن مكتظاً بالسيارات، حاولت معرفة ما الذي تشبهه قطرات المطر المتراقصة أمام أضواء السيارة. ليس تماماً مثل المسحوق البراق اللامع المتناثر.

ركن كينت السيارة في المرأب، ولكنه لم يوقف تشغيل المحرك. "بالمناسبة، لم أنسَ بعد أنك وعدتني بالبوح بسر". استدار نحوي. "لن تتهربي من ذلك بسهولة".

"لن أحلم بذلك حتى". فككت حزام الأمان واقتربت منه، لا زلت أراقب المطر بطرف عيني. مثل الغبار تقريباً، كما لو كان مصنوعاً من النور الأبيض القوي.

وضع كينت يديه في حضنه، وحدق إليّ مترقباً، راسماً ابتسامةً صغيراً على شفتيه. "حسناً، لنسمع ما لديك".

مددت يدي من أمام كينت، وسحبت المفاتيح من مكانها، فأطفئ النور. بدا صوت المطر في الظلمة الداكنة أعلى بكثير، صدح في الأرجاء حولنا.

قال كينت برقة: "مهلاً، لا يمكنني رؤيتك الآن". جعل صوته قلبي يقفز من مكانه مجدداً، فشعرت بخفة تسري في كل أنحاء جسدي.

وجهه وجسده عبارة عن ظلال، ظلامٌ في ظلام. كل ما يمكنني رؤيته هو حدود جسده، وبالطبع، الشعور بدفء جلده. أنحني يرتطم ذقني بسترته القطنية، أجد أذنه، وألمسها من دون قصد بشفتي. يستنشق الهواء عميقاً، ويتوتر جسده بالكامل. بدأ قلبي بالرجفان والتحليق. لم يعد هنالك من مسافة بين نبضي قلبينا الآن.

همست قائلة في أذنه: "السر هو، كانت قبلتك أفضل قبلة حصلت عليها في حياتي كلها".

تراجع قليلاً كي ينظر إليّ، ولكن لا تزال شفتانا على بعد إنشات. لا يمكنني أن أرى تعابيره في الظلام، ولكني متأكدة أنه يبحث عن وجهي بعينيه مجدداً.

رد هامساً: "لكني لم أقبلك من قبل". من حولنا حاكى صوت المطر صوت الزجاج المتساقط. "على الأقل منذ الصف الثالث".

ابتسمت، لكني لست متأكدة إن استطاع رؤية الابتسامة وقلت: "من الأفضل أن تبدأ، لأني لا أملك كثيراً من الوقت".

توقف لجزءٍ من الثانية، ثم انحنى ووضع شفتيه على شفتي، وتوقف العالم بأكمله عن الدوران، القمر والمطر والسماء والشوارع، لم يعد هناك من أحد سوانا في الظلام، على قيد الحياة، على قيد الحياة، على قيذ الحياة.

لا أعلم كم استمرت القبلة، أشعر وكأنها استمرت لساعات، ولكن بطريقةٍ ما، حين ابتعد وهو يتنفس بسرعة، وكلتا يديه على وجهي، أشارت الساعة المضيئة بخفوت على لوحة العدادات أنه لم يمر سوى دقائق معدودة.

قال: "واو". شعرت بصدره يرتفع وينخفض بسرعة، كلانا منقطع النفس. "لما حصل هذا للتو؟".

ابتعدت مرغمة، وجدت مقبض الباب في الظلام وفتحت الباب، اقتحم الهواء البارد والمطر السيارة، مساعداً إياي على التفكير. أخذت نفساً عميقاً. "لشكرك على التوصيلة وعلى كل شيء".

بالرغم من الظلام استطعت رؤية عينيه تلمعان مثل عيني قطة. بالكاد تمكنت من إرغام نفسي على النظر بعيداً. وقلت: "لقد أنقذت حياتي حقاً الليلة". دعابةً صغيرة، وقبل أن يتمكن من إيقافي، ومع أنه قد نادى باسمي، خرجت من السيارة وهرولت إلى الممر نحو المنزل، نحو الحفلة الأخيرة في حياتي.

صرخت ليندزي حين رأتني في الغرفة الخلفية: "لقد أتيتِ حقاً!". كالعادة، الموسيقى والحر والدخان لا تطاق، جدار مكون من الناس والعطر والأصوات. "كنت مقتنعة أنك ستفرين".

قالت آلي: "كنت واثقة أنك ستأتين". مدت يدها وعصرت يدي. أخفضت صوتها، والذي يعني أنها صرخت بصوت أهدأ بسبب صوت الموسيقى العالي: "هل رأيت روب؟".

قلت: "أعتقد أنه يتجنب رؤيتي". وهذا صحيح.

التفتت ليندي إلى الخلف ونادت إيلودي - صرخت: "انظري من قرر أن يشرفنا بحضوره". تفحصت إيلودي وجوهنا قبل أن تكتشف أنني لم أكن في الحفلة طوال الوقت - ومن ثم استدارت نحوي ولفت ذراعها حول ذراعي. "أصبحت الآن الحفلة ممتعة. آل، أعطي سام كأساً من الشراب".

"لا شكراً". لوحت يدي أمام القنينة التي تعرضها عليَ. فتحت هاتفي. الساعة الواحدة والنصف. "في

الواقع، أعتقد أنني سأذهب إلى الدور السفلي قليلاً. ربما إلى الخارج، الجو حارّ جداً هنا".

تبادلت ليندزي وآلي النظرات.

قالت ليندزي: "لقد وصلت للتو، لم يمضِ على وصولك خمس ثوانٍ".

"كنت أبحث عنكن منذ وقت طويل". أعلم أنني أبدو مملة، ولكن أعلم أيضاً أنه لا يمكنني التفسير.

شبكت ليندزي ذراعيها. "مستحيل... لا بد وأن هناك شيء يحصل معك.. ولا بد أن تخبرينا ما هو".

هزت آلي رأسها: "لقد كنت تتصرفين بغرابة طوال اليوم".

سألت: "هل طلبت منك ليندزي أن تقولي هذا؟".

شقت إيلودي طريقها إلينا: "من يتصرف بغرابة؟".

قلت: "أنا على ما يبدو".

أومأت إيلودي برأسها: "صحيح، هذا مؤكد".

قالت آلي وقد شعرت بالإهانة: "ليندزي لم تطلب مني قول أي شيء. الأمر واضح".

قالت ليندزي: "إننا صديقاتك المقربات. إننا *نعرفك* جيداً".

ضغطت بأصابعي على صدغيّ، محاولة أن أحجب صوت الموسيقى الصاخب، وأغمض عيني. حين فتحتهما مجدداً رأيت إيلودي وآلي وليندزي يحدقن إليَ بشكلٍ مريب.

"أنا على ما يرام، حسناً؟" أبذل قصارى جهدي لتجنب محادثة طويلة - أو أسوأ من ذلك، أتجنب شجاراً. "ثقن بـي. لقد كان أسبوعاً غريباً، هذا كل ما في الأمر". *أكبر تصريح كاذب لهذا العام.*

خاطبتني ليندزي قائلة: "إننا قلقات بشأنك يا سام. أنت لا تتصرفين على سجيتك".

قلت لها: "ربما هذا أمرٌ جيد"، وحين حدقن إليّ بنظرة فارغة، تنهدت، واندفعت إلى الأمام محاولة أن أضمهن جميعهن في عناق جماعي.

صرخت إيلودي وقهقهت. "تتصرفين كمساعد رقمي شخصي إذن؟" وبدا أن كلاً من ليندزي وآلي قد استرختنا أيضاً.

قلت: "ثقوا أنه ما من خطب" وهذا لم يكن صحيحاً تماماً، ولكن أجد أنه أفضل ما يمكنني قوله. "أنتن صديقاتي المقربات إلى الأبد، أليس كذلك؟".

حدّقت ليندزي إلى وقالت: "ومن دون أسرار".

بدورها قالت إيلودي: "ومن دون هراء". مع أن ذلك ليس من أقوالنا الصغيرة ولكن من يهتم. يفترض أن تقول "من دون أكاذيب". ولكن أعتقد أن للجملتين معنيين متشابهين.

اختتمت آلي: "إلى الأبد، وحتى يفرقنا الموت".

دفعتني آخر جملة لأقول: "وحتى بعد ذلك".

فرددت ثلاثتهن: "وحتى بعد ذلك".

ابتعدت ليندزي: "حسناً، كفى مشاعر وترهات، أنا من جهتي أتيت لكي أثمل".

فقالت آلي: "ظننتك لا تثملين".

"كنت أمزح".

بدأت آلي وليندزي بالتراقص، آلي ترقص مع زجاجة الفودكا "إن كنت لا تشعرين بالثمالة فلا أجد مغزى في الشرب وتبذير الكحول". بينما جالت إيلودي عائدةً إلى مافن. على الأقل صرفن تركيزهن عني.

قلت بصوتٍ عالٍ لهنّ: "أراكن لاحقاً". نظرت إيلودي من فوق كتفها إليّ، ربما كانت تبحث عن أحد، ولوحت ليندزي بيدها في اتجاهي، أما الي

فلم تسمعني. يذكرني ذلك بالوقت الذي غادرت فيه منزلي للمرة الأخيرة هذا الصباح، كيف أنه في نهاية المطاف، من المستحيل أن يفهم المرء حتمية انتهاء بعض الأشياء، بعض الكلمات، بعض اللحظات. بينما ألتف بالاتجاه الآخر تتشوش رؤيتي، وأفاجأ أنني أبكي، تنهمر الدموع على خدي من دون سابق إنذار. أغمض عيني بشكلٍ متكرر حتى تتضح رؤيتي للعالم من جديد، أمسح الرطوبة عن خديَ. أتفقد هاتفي. الحادية عشرة وخمس وأربعون دقيقة.

في الدور السفلي أقف عند الباب تماماً، أنتظر جولييت، وهو أمر أشبه بمحاولة الوقوف على رجليك وسط فيضان هائل. تدفق الناس من حولي، لكن لم ينظر إليَ إلا بضعة منهم. ربما شعروا بطاقة غريبة حولي أيضاً، وربما أدركوا أن تركيزي في مكانٍ آخر. وربما - ويجعلني هذا أشعر بالحزن حالما أفكر به - شعروا بطريقةٍ ما أنني اختفيت بالفعل. بذلت قصارى جهدي لعدم التفكير في الأمر.

أخيراً، رأيتها مندفعةً من الباب الأمامي، بلوزتها البيضاء مربوطة حولها بشكل فضفاض ورأسها منحنٍ. على الفور، قفزت إلى الأمام ووضعت يدي على ذراعها. أخذت تحدق إليَ، وعلى الرغم من أنها تخيلت مواجهتي الليلة من دون شك، إلا أن حقيقة أنني أنا من وجدتها، وليس العكس، أخذتها على حين غرة.

قلت: "مرحباً، هل يمكنني التحدث إليك لدقيقة؟".

فتحت فمها وأغلقته قبل أن تعيد فتحه مجدداً: "في الواقع، ممم، عليَ الذهاب إلى مكانٍ آخر".

"لا ليس عليك ذلك". بحركةٍ واحدة، سحبتها بعيداً عن المدخل المزدحم ونحو مكان منعزل قليلاً في الرواق. من الأسهل قليلاً أن نسمع بعضنا البعض هنا،

مع أن المكان ضيق كثيراً وعلينا أن نقف قريبتين جداً من بعضنا. "ألم تكوني تبحثين عني على أية حال؟ ألم تكوني تبحثين عنا جميعاً؟".

"كيف لك -؟" تتوقف عن الكلام، تأخذ نفساً، وتهز رأسها: "أنا لست هنا من أجلك".

أحدق إليها: "أعلم"، محاولةً أن أدفعها للنظر إليّ، ولكنها لا تفعل ذلك. أريد أن أقول لها أني فهمت، أنني أتفهم الأمر، ولكنها تتفحص بلاط الأرضية. "أعلم أن الأمر أكبر من ذلك".

قالت ببرودة أعصاب: "أنت لا تعرفين شيئاً".

فقلت بهدوءٍ شديد: "أعلم ما خططت للقيام به الليلة".

نظرت إلى الأعلى، والتقت أعيننا، ورأيت الخوف يلوح في عينيها، وشيءٌ آخر - الأمل، ربما؟ - ولكنها نظرت إلى الأسفل.

قالت ببساطة: "لا يمكن أن تعرفي، لا أحد يعرف".

قلت: "أعلم أن لديك شيئاً لتقوليه لي".

مجدداً، نظرت إلى الأعلى، في هذه المرة ثبتت نظرتها، بأعين جاحظة أخذنا نحدق إلى بعضنا. أعلم الآن ما هي النظرة الكامنة على وجهها، خلف الخوف: العجب.

همست: "أنت عاهرة". بصوت خافت كثيراً لدرجة أني لم أميز إن كنت أسمعها حقاً أو فقط أتذكر وأتخيلها تقول الكلمات. تقولها وكأنها تكرر سطور مسرحية قديمة، سيناريو قديم ومنبود لا يمكنها التخلي عنه ونسيانه.

أومأت برأسي وقلت: "أعلم. أعلم أنني كذلك. أعلم أنني كنت كذلك - كنا كلنا كذلك. وأنا آسفة".

بسرعة خطت خطوة إلى الخلف، ولكن لم يكن من

مجال للتحرك، لذا ارتطمت بالجدار. استندت إليه، يداها ملتصقتان بورق الجدران، تنفست بصعوبة، وكأنني حيوان مفترس على وشك أن افترسها بأي لحظة. إنها تهز رأسها بسرعة من جهة إلى جهة. لا أعتقد حتى أنها منتبهة لما تفعل.

مددت يدي: "جولييت" ولكنها ابتعدت مسافة إنشٍ إضافي نحو الجدار، فأخفضت رأسي. "أنا أتحدث بجدية. سأقول لك كم أنا آسفة".

"عليَّ المغادرة".

بدت وكأنها تحاول الابتعاد عن الجدار بكل ما لديها من قوة، وكأنها لن تتمكن من الوقوف من دونه.

حاولت أن تتجاوزني، ولكني تحركت جانبياً لتصبح قبالتي من جديد.

قلت: "أنا آسفة".

"لقد قلت هذا". بدأت تغضب. هذا جيد. إنها علامة جيدة.

"لا، أعني..." أخذت نفساً عميقاً، محاولة أن أجعلها تفهم. هكذا *يجب أن تكون الأمور*. "عليَّ أن آتي معك".

قالت: "أرجوك، دعيني وشأني".

"هذا ما أحاول قوله لك، لا أستطيع ذلك". ونحن واقفتان هكذا، أدركت أننا بالطول نفسه تقريباً. لا بد أننا نبدو مثل الجانبين الداكن والفاتح للأوريو، وفكرت كم من السهل أن يكون الحال على العكس من ذلك. قد تكون هي واقفة تحجب طريقي؛ قد أكون أنا من تحاول الانسلال والهروب إلى الظلام.

بدأت: "لا يمكنك -"، ولكني لا أسمع أبداً ما تحاول قوله. في تلك اللحظة تماماً صرخ أحدٌ ما.

"سام!" من جهة السلالم، وحين استدرت إلى الخلف رأيت كينت، تفادتني جولييت وفرت.

"جولييت!" التففت إلى الخلف، ولكن ليس بالسرعة الكافية. ابتلعها الحشد، انغلقت الفتحة التي سمحت لها بالهروب إلى الباب، أجساد تتحرك وتتقلب مثل نمط تتريس، والآن أنا أحاول المرور عبر الأشخاص وأياديهم وحقائبهم الجلدية الكبيرة.

"سام!".

ليس الآن يا كينت. كافحت لكي أشق طريقي إلى الباب، أندفع للخلف مع كل خطوة بينما يتزاحم الناس بشكلٍ جنوني نحو المطبخ، حاملين كؤوسهم الفارغة التي يريدون ملأها. حين كدت أصل إلى الباب، تشتت الحشد فاندفعت إلى الأمام. ولكنني أشعر للحظة بيدٍ دافئة على ظهري، إنه كينت، يديرني كي نصبح وجهاً لوجه، وبالرغم من حقيقة أنه عليّ اللحاق بجولييت، وأننا واقفين في وسط الملايين من الناس، أفكر كم سيكون من الرائع لو استطعت الرقص معه. الرقص حقاً، ليس فقط أن نحتك ببعضنا البعض كما يفعل الناس في الحفل الراقص - بل الرقص كما كان يفعل الناس سابقاً، يدي على كتفيه وذراعيه حول خصري.

"كنتُ أبحث عنك". إنه مبهور الأنفاس وشعره أشعث أكثر من المعتاد. "لماذا هربت مني؟".

بدا مرتبكاً كثيراً وقلقاً إلى درجة شعرت معها بأن قلبي يتشقلب في صدري.

قلت بكل ما أمكنني من لطافة: "لا أملك الوقت للتحدث عن هذا الآن، سأراك لاحقاً، حسناً؟". إنها الطريقة الأسهل. الطريقة *الوحيدة*.

"لا". صوته متعاطف وشديد للغاية، حتى يكاد يأخذني على حين غرة.

"عفواً؟".

"قلت، لا". وقف أمامي، وسد طريقي إلى الباب. "أريد التحدث إليك، أريد التحدث الآن".

أبدأ بالكلام: "لا يمكنني -" ولكنه يقاطعني.

"لا يمكنك الهروب مجدداً". مدَ يديه ووضعها برقة على كتفي، فبعثت لمسته تياراً من الدفء والطاقة في جسدي. "أتفهمين؟ لا يمكنك الاستمرار بفعل هذا".

الطريقة التي نظر بها إليَ أشعرتني بالوهن. هددتني الدموع بالانهمار من جديد. قلت بانفعال: "لم أقصد يوماً أن أجرحك". ترك كتفي، ومرر يده عبر شعره. بدا وكأنه يريد الصراخ. "تتصرفين وكأنني خفيٌ لسنوات، ثم ترسلين لي هذه الملاحظة الصغيرة اللطيفة، ثم أقلك، ثم تقبلينني -".

"أعتقد أنك *أنت* من قبلني في الواقع".

لا يتوقف ولا لحظة "- ثم تدفعيني بعيداً بشكلٍ كلي، وتمزقين عالمي وما إلى ذلك، ثم تعودين لتجاهلي".

أصرخ غير قادرة على تمالك نفسي: "أدفعك بعيداً؟".

حدق إليَ بثبات. "دفعت *كل شيءٍ* بعيداً".

"اصغِ إليَ كينت". أنظر إلى الأسفل نحو كفيَ، واللذين يتوقان في الواقع إلى تلمَسه، لتمسيد شعره للخلف ووضعه خلف أذنه. "عنيت كل ما حصل في السيارة. أردت تقبيلك، أعني".

"ظننت أنني أنا من قبلك". صوت كينت متزن لدرجة أني لا أعرف إن كان يمزح أم لا.

"حسناً، أردث تقبيلك أيضاً". حاولت أن أبتلع الحشرجة في حلقي. "هذا كل ما يمكنني قوله لك

الان. عنيت كل شيء. أكثر مما عنيت أي شيءٍ أخر في حياتي كلها".

أنا مسرورةٌ لأنني أحدق إلى حذائي، لأنني في تلك اللحظة شعرت بالدموع وهي تندفع من عينيّ وتسيل على وجنتي. مسحتها بسرعة بقفا يدي، متظاهرةً بأني أفرك عيني.

"ماذا عن ذلك الشيء الآخر الذي قلته في السيارة؟". لم يبدُ صوت كينت غاضباً على الأقل، مع أنني خائفة من النظر إليه. صوته ألطف الآن. "قلت إنك لا تملكين الوقت. ما الذي عنيته بذلك؟".

الآن، وبعد أن وجدت الدموع طريقها، ليس هنالك من وسيلة لإيقافها، أبقيت رأسي منكساً، سقطت دمعة على حذائي، وتركت علامة شبه نجمية. "هنالك بعض الأمور التي تجري الآن... لا يمكنني التفسير حقاً".

وضع إصبعين تحت ذقني ورفع رأسي نحوه. وعندها بدأت بالترنح. عجزت ساقاي عن حملي فوضع ذراعه خلف ظهري ليبقيني واقفة.

"ما الذي يحصل يا سام؟". بإبهامه مسح الدمعة عن زاوية عيني، تفحصت عيناه وجهي، الأمر ذاته الذي يفعله ويشعرني وكأنه يقلب داخلي للخارج وينظر مباشرة إلى قلبـي. "هل أنت في ورطة ما؟".

هززت رأسي، غير قادرة على الكلام، فتابع. "يمكنكِ أن تقولي لي. مهما كان الأمر، يمكنك الوثوق بـي".

للحظة شعرت بإغراء البقاء على هذه الحال، بين ذراعيه؛ وأن أقبله مرة تلو الأخرى حتى أشعر وكأنني أتنفس عبره. ولكنني فكَرت بجولييت في الغابة، رأيت حزمتين متوهجتين من الضوء تشقان الظلام، وصوت الهدير الخافت، مثل محيط بعيد،

محرك تنبض فيه الحياة. ملأ الهدير والأضواء رأسي، ودفعا بكل ما فيه إلى الخارج - الخوف، الندم، الحزن - وتمكنت من التركيز مجدداً.

"أنا لست في ورطة. الأمر لا يتعلق بـي. عليَ، عليَ أن أساعد أحداً ما". برقة حررت نفسي من كينت، مبعدةً يده عن خصري. "لا يمكنني التفسير حقاً. *عليك* أن تثق بـي".

انحنيت وقبلته القبلة الأخيرة - قبلة صغيرة، حقاً، بالكاد لمست شفاهنا بعضها، ولكن يكفيني ذلك لكي أشعر بالحماسة مجدداً، وبالقوة والحيوية تتدفق في عروقي. حين ابتعدت، توقعت مزيداً من الجدال، ولكن بدلاً من ذلك، حدق إليَ للحظةٍ إضافية ثم توجه نحو السلالم. انهارت أحشائي، وشعرت لجزء من الثانية بتوقٍ شديد إليه - *اشتقت* إليه - شعرت بفراغ في صدري. ثم فكرت بالظلمة وبالأضواء وبهدير المحرك، وبجولييت، وقبل أن أفكر بأي شيءٍ آخر، كافحت لأقطع الخطوات الأخيرة نحو الباب وأخرج إلى البرد، حيث لا يزال المطر ينهمر مثل قطع مكسرة من ضوء القمر، أو مثل قطع الفولاذ.

معجزة من الفرص والصدف، الجزء II

"جولييت! جولييت!". أعلم أنها قد انطلقت قبلي وأنها لن تكون قادرة على سماعي، ولكني أشعر بتحسن. حين أصرخ باسمها، يجعل ذلك الظلمة من حولي تبدو أقل قرباً مني وأقل ثقلاً.

بالطبع، نسيت المصباح المحمول. أخذت أركض وأتنقل على الممر المتجمد، متمنية لو انتعلت حذاءً رياضياً بدلاً من جزمتي الجلدية الزيتونية المفضلة ذات الكعب العالي من ماركة دولتشي أند غابانا. في الوقت نفسه، أقايض حياتي مقابل هذا الحذاء -

حرفياً.

اختفت أضواء المنزل خلفي، ابتلعتها منحنيات الطريق وأغصان الأشجار العالية، حينها ظننت أن أحداً ما يناديني. للحظة ظننت أنني أتخيل ذلك، أو أنه صوت الهواء وهو يتخلل أغصان الأشجار. توقفت، وسمعت مجدداً: "سام!" صوته يشبه صوت كينت.

"سام! أين أنت؟".

إنه حقاً كينت.

صدمني هذا. كنت متأكدة أن الأمر انتهى حين ابتعد عني في الحفلة. لم أتوقع على الإطلاق أنه سيلحق بي. فكّرت بالالتفاف إلى الخلف والعودة إليه، ولكن لم يكن هناك من وقت، كما أنني قلت كل ما يمكنني قوله. للحظة، وأنا واقفة هنالك في الجو المتجمد والهواء يقرص رئتي والمطر ينهمر على ياقتي وعلى ظهري، أغمضت عيني، وتذكرت وجودي معه في السيارة الدافئة والجافة محاطين بالمياه من كل الجهات. تذكرت القبلة وشعور الارتقاء، وكأننا كنا سننجرف في أي لحظةٍ من قبل موجة. حين أسمعه ينادي اسمي مجدداً يبدو هذه المرة أقرب، أتخيله ممسكاً بوجهي ويهمس لي. *سام.*

صرخ أحدهم. فتحت عينيّ، وقلبي ينبض بقوةٍ في صدري، فكرت بجولييت. ثم سمعت عدة أصوات تنادي - أصوات بعيدة، ومتداخلة - أقسم إنني سمعت صوت ليندزي من بينها. ولكن ذلك تفكير غبي. إنني أتخيل الأشياء، وأنا أضيع الوقت.

تابعت السير، سمعت أصوات محركات السيارات - وأنا أقترب شيئاً فشيئاً - وصوت صرير الدواليب على الأسفلت، تراميا إلي كأصوات الموج على

الشاطئ.

وجدت جولييت، رأيتها واقفة، مبللة، ملابسها ملتصقة بجسدها، رأيت ذراعيها يتدليان على جانبي جسمها، وكأن المطر والبرد لا يزعجانها على الإطلاق.

"جولييت!".

سمعتني. هزت رأسها بقوة وكأنها سمعت نداءً لها لتعود إلى الأرض من مكان آخر. بدأت بالركض نحوها، بينما سمعت صوت زمجرة شاحنة مقتربة - *مسرعة أكثر من اللازم* - خلفي. خطت خطوة إلى الخلف وأنا أسرع أكثر، وأحرك يدي كالعجلات لكي أتفادى الوقوع على الجليد، أشع وجهها بالحياة حين رأتني، مليئة بالغضب والخوف وذاك الأمر الآخر. العجب.

صوت المحرك أعلى الآن، هدير مستمر، وبدأ السائق بإطلاق بوقه. الصوت مرعب: يتفجر حولنا ويتخلل الهواء ويملأه بموجات الصوت. لا تزال جولييت متسمرة في مكانها. إنها فقط تقف هنالك، تحدق إليّ، وتهز رأسها قليلاً، وكأننا صديقتان افترقتا لوقتٍ طويل والتقينا مجدداً في مطار في مكان ما في أوروبا للتو. *من الغريب جداً أن أراك هنا... أليست أساليب الحياة غريبة حقاً؟ يا له من عالمٍ صغير.*

أقطع المسافة القليلة التي تفرق بيننا بينما تمر الشاحنة بالقرب منا، ولا يزال صوت بوقها يصدح في الأرجاء. أمسكت بكتفيها، فخطت بضع خطوات مترنحة إلى الخلف نحو الغابة، وكاد ثقلي يوقعها. تلاشى صوت بعيداً عنا، واختفت الأضواء الخلفية في الظلام.

قلت: "حمداً لله" وتنفست بصعوبة، وكانت يداي

ترتجفان.

"ما الذي *تفعلينه*؟". بدا أنها عادت إلى صوابها، محاولةً الابتعاد عني. "هل كنت *تتبعينني*؟".

"ظننت أنك ستقومين..." أومأت برأسي نحو الطريق، وشعرت فجأة بحاجة ملحة لأحتضنها. إنها على قيد الحياة وهي الآن تحت يدي ويمكنني لمسها. "ظننت أنني لن أصل إليك في الوقت المناسب".

توقفت عن النزاع ونظرت إليّ مطولاً. ليس هنالك من سياراتٍ في الشارع، وأثناء توقفها، سمعت الصوت بوضوح "سامانثا إيميلي كينغستون!" يأتي الصوت من الغابة على يساري، الشخص الوحيد في العالم الذي يناديني باسمي الكامل هو ليندزي إيدجكومب.

في اللحظة ذاتها، مثل سربٍ من العصافير التي تطير عن الأرض في الوقت نفسه، أتت كل الأصوات الأخرى لتتداخل مع بعضها. "سام! سام! سام!" كينت، آلي، وإيلودي، أتى الجميع عبر الغابة نحوي.

"ما الذي يحصل؟". بدت جولييت خائفة كثيراً الآن. ارتبكت كثيراً وأرخيت قبضتي عن كتفيها فتمكنث من الإفلات من بين يدي. "لماذا تبعتموني؟ لما لا يمكنكم فقط أن تتركوني لوحدي؟".

"جولييت". أرفع يدي، كعلامةِ للسلام. "أردت فقط التحدثَ إليك".

"ليس لديَ ما أقوله". توجهت نحو الطريق.

تبعتها، شعرت فجأة بالسكينة. بدا العالم أوضح من حولي، وبدأ التركيز الأكثر عمقاً، وكل مرة أسمع فيها صوتي قادماً من الغابة يبدو أقرب فأقرب، وأفكر، *أنا آسفة*. ولكن كل هذا صحيح. هكذا يجب

أن تجري الأمور.

هكذا كان على الأمور أن تجري منذ البداية.

قلت لها بهدوء: "ليس عليك أن تفعلي هذا يا جولييت. أنت تعلمين أن هذا ليس هو طريق الصواب".

همست بحزم: "أنت لا تعلمين ما الذي سأفعله. أنت لا *تعلمين*. لا يمكنك أن تفهمي أبداً". حدقت إلى الطريق. برز لوحا كتفيها من تحت قميصها المبتل، وراودني مجدداً حلم الجناحين الذين يظهران على ظهرها، حاملين إياها بعيداً، بعيداً عن كل الخطر.

"سام! سام! سام!" الأصوات أقرب الآن، ظهرت حزمات مائلة من الضوء من بين أشجار الغابة. أسمع صوت خطواتٍ أيضاً، وصوت الأغصان وهي تتكسر تحت هذه الخطوات. كان الطريق خالياً من السيارات على غير العادة لفترة من الزمن، ولكن أسمع الآن من كلتا جهتي الطريق أصوات هدير محركات كبيرة. أغمضت عيني وفكرت بالطيران.

قلت لجولييت: "أريد مساعدتك". مع أنني أعلم أنني لا أستطيع بهذه الطريقة أن أرغمها على أن تفهم قصدي.

استدارت نحوي: "ألا تفهمين الأمر؟". وفوجئت برؤيتها تبكي. "لا يمكن أن يتم إصلاحي، ألا تفهمين؟".

فكرت بالوقوف على السلالم مع كينت وقول الأمر نفسه تماماً. فكرت بعينيه الخضراوين الفاتحتين الجميلتين، وبالطريقة التي قال فيها: "*ليس هنالك من حاجة لإصلاحك*". وبدفء يديه وبنعومة شفتيه. فكرت بقناع جولييت وبكيف أننا جميعاً ربما نشعر وكأننا ممزقين ومحاكين من جديد ولكن ليس كما كنا من قبل. أنا لست خائفة.

شعرت بصوتٍ خافتٍ من الهدير في أذني وبأصوات قريبة جداً وبوجوه بيضاء مرتعبة، تظهر من الظلام، ولكن لا يمكنني التوقف عن التحديق إلى جولييت وهي تبكي، ولا زالت جميلة للغاية.

قالت: "لقد فات الأوان".

فقلت: "لا يفوت الأوان أبداً".

في ذلك الجزء من الثانية، انطلقث نحو الطريق، ولكنها نظرث إلى الخلف مندهشة، والتقدير يلمع في عينيها. ثم اندفعث خلفها. ارتطمث بظهرها، فاندفعث إلى الأمام، تدحرجت على الطرف المقابل، بينما ظهرت شاحنتان على وشك أن تمرا بالقرب من بعضهما. هنالك صراخ وعويل عاليان واحد ما - أو أكثر من واحد؟ - صرخ باسمي... وشعرت بالحرارة تسري في كل جسدي، وشعرت أنني أرتفع، يتم رميي، من قبل يد كبيرة، يد عملاق؛ تدور الأرض، تنقلب رأساً على عقب وبشكلٍ جانبـي، ومن ثم رأيت ضباباً مظلماً يلتهم حواف الأرض، يحول كل شيءٍ إلى حلم.

صور تطفو، تتدحرج إلى الداخل والخارج: عينان خضراوان لامعتان وحقل من العشب الدافئ تحت أشعة الشمس، فمٌ يقول، *سام، سام، سام*، وكأنها أغنية. ظهرت ثلاث وجوه سويةً مثل الزهور المنبثقة من برعمٍ واحد، أسماءٌ تتبعثر بعيداً عني، كلمة وحيدة: *الحب*. ومضات من الأحمر والأبيض، أنارت الأغصان مثل سقف كنيسة مقبّب.

ووجه فوقي، ناصع البياض وجميل، عينان كبيرتان مثل القمر. *لقد أنقذت حياتي*. ويد على خدي، باردة وجافة. *لماذا أنقذتني؟* الكلمات تأتي مثل المد: *لا، بل العكس هو ما حصل*. عينان بلون سماء الفجر، تاجٌ من الشعر الأشقر، زاهٍ كثيراً

ويسبب العمى، أكاد أقسم إنه هالة حول رأسها.

الخاتمة

يقولون إنك قبل أن تموت، ترى حياتك بأكملها وهي تومض أمام عينيك، ولكن هذا لم يحصل معي.

رأيت فقط أفضل لحظاتي. الأشياء التي رغبت بتذكرها، والأشياء التي أردت أن يتذكرها الناس عني. تلك المرة في كيب كود حين تسللنا أنا وإيزي إلى الخليج في منتصف الليل وحاولنا أن نمسك بالسلاطعين مستخدمين بقايا لحم الهامبرغر كطعم، كان القمر كبيراً جداً ومستديراً، حتى أنه بدا مثل شيءٍ يمكنك الجلوس عليه. حين حاولت آلي أن تصنع طبق السوفليه وأتت إلى المطبخ حاملة بكرةً من مناديل الحمام على رأسها بدلاً من قبعة الشيف، وضحكت إيلودي كثيراً لدرجة أنها تبولت قليلاً وجعلتنا جميعاً نقسم على سرية الأمر. ليندزي وهي تضع ذراعيها حولنا وتقول: "أحبكن حتى الموت" ونردد جميعاً "وحتى ما بعد الموت". الاستلقاء على المكتب في ظهيرة أيام أغسطس الحارة مع رائحة العشب المقصوص والزهور التي تملأ الهواء، وكأنك تستطيع تذوقها. تلك المرة التي تساقط الثلج فيها يوم الميلاد، وقطع أبـي واحداً من كابلات التلفاز القديمة كي يستخدمه كحطب للمدفأة، وصنعت أمي عصير التفاح، وحاولنا تذكر كلمات أغنية "سايلنت نايت"، ولكن انتهى الأمر بنا بغناء أغانينا المفضلة من المسلسلات.

وتقبيل كينت، لأنني حينها أدركت أن الوقت غير مهم. حينها أدركت أن بعض اللحظات تستمر إلى الأبد. تستمر هذه اللحظات حتى بعدما أن تنتهي، حتى بعدما أن تموت وأن يتم دفنك، تستمر هذه اللحظات، حتى الأزل. إنها كل شيء وفي كل مكان في الوقت ذاته.

t.me/yasmeenbook

إنها المعنى كله.

أنا لست خائفة، إن كان هذا ما تتساءلون عنه. لحظة الموت مليئة بالصوت وبالدفء وبالنور، الكثير من النور يملأني، يمتصني: نفق من النور يمر أمامي، التقوس للأعلى فأعلى فأعلى، وإن كان الغناء شعوراً فسيكون هو، هذا النور، هذا الارتقاء، سيكون شيئاً مثل الضحك...

عليكم اكتشاف الباقي بأنفسكم.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook